الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية - لندن

الاسلام والعلمانية

وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة



رسالة لنيل شهادة ماجستير الفلسفة MPhil

اعداد الطالب

مسعود عبدالخالق محمدأمين

اشراف

استاذ الدكتور علي عبدالله علياويي

جلد الثاني

1428هـ - 2007 م

الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية (لندن)

الاسلام والعلمانية

وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة

رسالة لنيل شهادة ماجستير الفلسفة MPhil

اعداد الطالب

مسعود عبدالخالق محمدأمين

اشراف

استاذ الدكتور علي عبدالله علياويي

جلد الثاني

1428 هـ – 2007 م

مسعود عبدالخالق محمدأمين

الإسلام والعلمانية

وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة

جلد الثاني

2017

الإسلام والعلمانية

وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة

جلد الثاني

إعداد

مسعود عبدالخالق مُحَمَّدأمين

1428هـ - 2007م

إشراف
الدكتور عبدالله علي علياوي
رسالة لنيل شهادة ماجستير الفلسفة **MPhil**
الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية (لندن)

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى

- روح والدى و والدتي العزيزة .

- الى كل من يبحث عن الحقيقة ويناضل من أجل رفع الظلم عن البشرية.

أهدي جهدي المتواضع..

م-ع

المقدمة

بعد سقوط الخلافة الإسلامية في 1924/3/3م بشكل نهائي، اجتاحت العالم الإسلامي موجة من الأفكار والنظريات وضعية غربية،منها فكرية وعقيدية ادت الى نشوء العلمانية والإسلامية ،ومنها سياسية وقانونية ادت الى تقسيم العالم الإسلامى الى دويلات على وفق الإتفاقيات الدولية، وقد بنيت الدويلات المذكورة (في أحسن حالها) على اساس الرابطة القومية العلمانية بعيدة عن التراث والأثر الإسلامي، وكان العراق إحدى هذه الدويلات التي نشأت عام 1921م بين أحضان الإستعمار وفي ظروف عالمية وإقليمية مميزة كالآتي:

1- انهيار الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية وانتصار الحلفاء، عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، الذي أدى الى تحول ما تبقى من الإمبراطوريات الى الدول الحديثة.

2- احتلال المنطقة وتقسيمها على وفق اتفاقية سايكس-بيكو 1916 وسيفر 1920من قبل الإستعمار بالتعاون مع العلمانية المحلية ، وانشاء دويلات قطرية وقومية فيها على وفق مشروع استعماري- صهيوني.

3- اخفاق المقاومة والثورة[1] الشعبية الإسلامية ضد هذا المشروع.

4- وقد نشأت هذه الدويلات في المنطقة لاسيما الدولة العراقية دون ارادة السكان فيها، وذلك في ظل المؤسسة القانونية الدولية الوحيدة (وهي عصبة الأمم) التي لم يصدر عنها حق تقرير المصيرللشعوب، بل كانت عبارة عن غطاء قانوني للمشروع الإستعماري الصهيوني ضد العالم الإسلامي آنذاك.

لذا: فإن طبيعة موضوع الدولة العراقية الحديثة معقد وله أوجه مختلفة، فالدول الغربية تظاهرت كأنها محررة للشعوب من خلال بياناتها ووعودها قبل وأثناء الحرب ، في حين أن أهدافها المبيتة هي تحقيق الغايات الإستعمارية والصهيونية كما تبين فيما بعد، من الخلال قرار تكوين العراق وبقية الدويلات في الشرق الأوسط الذى جاء مع قرار تكوين كيان إسرائيل في المنطقة عبر وعد بلفور عام 1917م.

لذلك هناك خلاف عميق حول مجموعة من الأسئلة الخالدة فيما يتعلق بنيات الإستعمار من وراء تكوين هذه الدويلات وتقسيم العالم الإسلامي والعربي والكوردي ووضع الحدود بينه وبين أبناء الشعب الواحد أحياناً، فهل هذه الخطوة مكافئة أم محاسبة لشعوب المنطقة؟ ففي البداية كان التيار القومي العريض والإسلاميون يعارضون هذا المشروع، وبعد ذلك بقي الإسلاميون لوحدهم لحد الآن معارضين لهذا الإجراء الخطير،على الرغم من أن التيار القومي -حتى الحكام -يقرون بأن هذه الحدود مصطنعة، وان العالم العربي والوطن العربي واحد، فمثلا جاء في البيان الأول لثورة 8 من آذار 1963 في سوريا: ((وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرهم وانه يعيشون دائماً وأبداً في حدود الوطن العربي الكبير)).[2] ، بينما لا يقرون بكل صراحة ان هذه الدويلات أيضاً مصطنعة ومن اَثارالإستعمارية، وهذه هى نقطة الخلاف الأساسية بين العلمانية والإسلامية، بحيث أن الأول أيد هذا المشروع وكان يديره ولازال متمسك به، بينما الثاني قام بالثورة ضده ولايزال هدفه محو هذه الآثار.

أهمية الموضوع:

---

[1] في هذا البحث نقصد بالمقاومة تلك الفترة التي زحفت قوات بريطانيا الى داخل العراق، أما الثورة فهي عمليات وانتفاضة العسكرية التي قامت بها الشعب بعد سيطرة على العراق من قبل البريطانيا

[2] الموسوعة السياسية- النسخة الأصلية- نص البيان- ص 701 ملحق

أن موضوع نشأة الدولة العراقية فيه أهمية مميزة، حيث أن معظم المؤرخين(العلمانين) حاولوا إبعاد العلاقة بين تكوين الدولة العراقية والمشروع الإستعماري الصهيوني في المنطقة، وبسببهاعانت وتعانى البلدان العربيةلاسيما العراق من مشاكل سياسية وإجتماعية وحضارية ومشاكل الحكام مع شعوبهم ومع الشعوب غير عربية، وخضوعهم للمخططات التوسعية الإسرائيلية والغربية، وأحياناً حارساً لهما. وحقق ما تنبأ به(شكيب أرسلان) عام 1930 بعد انهيار الخلافة الإسلامية وقال: تحول العرب بعد الخلافة خدم للأجانب[3]، ويمكن القول فضلاًعن ذلك بأن بقاءوإستمرارهذا التقسيم والتمسك بالدويلات- بما في ذلك العراق- خدمة مجانية لمشروعي الإستعمار والصهيونية.

بينما حاول الباحثون والمؤرخون المذكورون محاولة يائسة ربط نشأة هذه الدولة بجهود الحركة الوطنية العراقية، وساوت فيها بين الأطراف التي ساومت بالذهب والمال والمنصب مع المحتل والثورة المندلعة ضده. وهناك علاقة عضوية بين المشروع الإستعماري وما آلت اليه أوضاع العراق من عدم الإستقرار والتخلف والتمزق والدكتاتوريات والمشكلات العرقية والطائفية الموجودة فيها، وذلك أدى الى تعطيل دوره وواجباته تجاه القضايا المصيرية.

الهدف من البحث:

نحاول في حدود امكانياتنا العلمية المتواضعة الكشف عن أثر الإسلاميين والعلمانيين في نشأةالدولة العراقية الحديثة، والبحث عن الطرف الذى تعاون مع الإستعمار، والطرف الذى قام بالثورة ضده، وبالتالي تحديد مسؤولية الأوضاع السيئة للعالم العربي بشكل عام والعراق خصوصاً، ونحاول أن نكشف الأهداف الإستعمارية من وراء تكوين هذه الدويلات وذلك بفتح اللغز التالي: ان بريطانيا بطبيعتها الإستعمارية تأتي الى المنطقة بالقوة وتخسر ألاف من جنودها وضباطها، وتصرف أموالاً طائلة لتكوين الدول للعرب بما فيها العراق، وقد بذلت جهوداً غير قليلة في سبيل اكمال مؤسسات ومتطلبات الدولة كالحكومة والبرلمان والجيش والملك، وتثبيت الحدود وأخيراً ادخالها الى عصبة الأمم كدولة مستقلة، ويهديها الى شعب العراقي!، هل هذاالمنطق يتفق مع طبيعة الإستعمار ومباديء الرأسمالية والليبرالية المصلحية؟ اليس وراءها خطة كبرى؟ نحاول أن نفك هذا اللغز، ونبحث عما إذا كان مشروع نشأة الدولة العراقية مشروعاً استعمارياً أم نتاج الحركة الوطنية العراقية؟

أهم مشاكل البحث:

واجهتني أثناء البحث المشاكل العلمية والفنية التالية:

1- لم استطع الحصول مباشرة على المواثيق البريطانية والعثمانية المتعلقة بشؤون الولايات العراقية بشكل وافى.

2- ان المؤرخين الذين كتبوا عن العراق في ظل الصحوة القومية وإرضاءاً لأمر الواقع حاولوا صياغة أساس تأريخي وحضاري وقانوني وسياسي وثوري ووطني ذاتى لتكوين دولة عراقية، ويلاحظ أن هناك فجوة وحلقات مفقودة أثناء مراحل نشأة الدولة العراقية، حيث يبدأون بأساس تأريخي عميق، وتأريخ لظهور الحركة الوطنية والقومية ويتحدثون عن الثورة، بينما فشلت الثورة ووصلت الى طريق مسدود. ومن هنا يقذفون الى المسار البريطاني لهذه النشأة. وهي الفجوة والحلقة المفقودة التي لايمكن ربطهما، لأنهما يمثلان تأريخين وإرادتين وهدفين متباعدين ومتصارعين، لذلك تواجه أي باحث صعوبات بالغة في الحصول على معلومات حقيقية حول نشأتها الحقيقية من حيث الدوافع والأهداف والأطراف المشاركة.

3- ويلاحظ أن المؤلفات التي صدرت بعد تكوين الدولة العراقية حول تأريخ هذه المنطقة، تُرجم فيها كل هذه الأسماء (بلاد مابين النهرين...، مسوبوتاميا، بلاد بابل، بلاد آشور، سواد، ...الخ) ب(العراق)، وقاموا أيضاً بتصنيف الحوادث التأريخية

---

[3] موفق بنى مرجة- صحوةرجل المريض.–دارالكويت للصحافة-الكويت . ص137

والحضارية والعلمية التي وقعت على هذه الأرض الى تأريخ العراق، ويظهر للقاريء كأن العراق بهذاالحجم والحدود والمكونات يملك جذورا تأريخية وسياسية واجتماعية وحضارية تمتد الى آلاف السنين، بينما الحقيقة يبدأ تاريخ العراق السياسي بعد الحرب العالمية الأولى عندما أختارت بريطانيا الولايات الثلاثة المعروفة ضمن 32 ولاية عثمانية لتكوينها.

منهج وخطة البحث:

إعتمدت مناهج عدة منها: التأريخية والسياسية والتحليلية والمقارنة، وحاولت أن أبتعد عن العواطف ومسالك تقليدية واثر الأمر الواقع،ومن جهة اخرى ابتعدت عن نظريات المسماة ب(نظرية المؤامرة)، بل إلتزمت بالبحث الموضوعى عن الحقائق حول نشأة الدولة العراقية بين المؤثرات الثلاثة الرئيسية: العلمانية، والإسلامية ودور الإستعمار البريطاني فيها، وبما أن الأثرالإسلامي و العلماني في هذه العملية أقرب من بحوث فكرية وفلسفية مطولة، وعند تلخيصها أحياناً يحتاج قراءة مركزة، لاسيما وأني لم أعتمد كثيرا على نقل النص، بل أخذت الفكرة عنه بغية اختصارها.

و بناء على ذلك تم تقسيم البحث حسب الفصول والمباحث كالآتي:

عنوان البحث: الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة.ومكونة من ثلاثة فصول، وكل الفصل مكونة من ثلاثة مباحث وكل المبحث مكونة من ثلاثة مطالب .

ففى الفصل الأول تناولت التعريف بالعلمانية ونشأتها، وكيفية دخولها الى العالم الإسلامي، وقارنت بينها وبين الفكر الإسلامي حول نشأة الدولة، وفى الفصل الثانى تناولت الظروف العالمية والإقليمية والداخلية قبل نشوء الدولة العراقية .

وفى الفصل الثالث والأخير تناولت شيئاً من التفصيل حول الأثر العلماني والدور الإستعمارى من جهة، ومن جهة أخرى الأثر الإسلامي فى رسم خريطة المنطقة والعراق بشكل خاص، ومراحل نشأة الدولة العراقية وأهم مؤسساتها، وخرجنا بإستنتاج مفاده أن خطة تكوين الدولة لم يكن مكافأةً لشعوب المنطقة، وإنما محاسبة شديدة إستمرت اثارها لحد الأن .

وقد قاومت الإسلاميون هذه الخطة على الأغلب وساومت العلمانية فيها، فغلبت الثانى وأفشلت الأول .

الفصل الأول

إحتلال العراق والمقاومة فيه

اندلعت الحرب العالمية الأولى فى 1914/7/28م بين طرفين ؛ الطرف الأول يشمل المانيا والنمسا ومن تبعهما ويسمى "دول المركز"، وأما الطرف الثاني يشمل بريطانيا وفرنسا وروسيا وحلفائهم ويسمى ب"دول التحالف". وانضمت الدولة العثمانية فى 1914/11/5 الى جانب دول المركز، ظناً منها إنها الطرف المنتصر، بذلك اعطت تبريراً مباشراً لبريطانيا بمهاجمة الأراضي التابعة للدولة العثمانية وتفتيتها الى دويلات لتنفيذ أطماعها القديمة، وجوبهت بريطانيا من قبل المسلمين عرباً وكورداً وسنة وشيعة شاركو مع الجيش العثماني، بيد أن بريطانيا أنتصرت ونفذت خطة التفتيت ونشأت الدولة العراقية منها0

وسوف نحاول (فى هذا الفصل)أن ندرس مراحل إحتلال العراق من قبل بريطانيا والأوضاع العالمية والإقليمية والداخلية في تلك الفترة، وكيفية تفاعل الشعوب العراقية بشقيها: الإسلامي والعلماني مع هذا الحدث، والنتائج المترتبة عليه، ومن أجل ذلك قسمنا هذا الفصل الى المباحث التالية:

المبحث الأول: الأوضاع السياسية العالمية والإقليمية قبل إحتلال العراق.

المبحث الثانى :الأوضاع الداخلية فى العراق.

المبحث الثالث:مراحل الإحتلال والمقاومة الإسلامية.

المبحث الاول: الأوضاع السياسية العالمية والإقليمية قبل إحتلال العراق

يمكن حصر الموضوع المتعلق بسياق هذا المبحث بالأوضاع التالية:

1- الأوضاع الدولية المتعلقة بالمنطقة 2- الوضع في عهد الدولة العثمانية 3- الوضع السياسي العربي.

المطلب الأول: الأوضاع العالمية..:

نشأت الدولة الحديثة فى أوروبا على الأساس الوطني بعد معاهدة وستيفاليا عام 1648م التى أنهت الصراعات على النمط الإمبراطوري، وظهرت فيما بعد نوع من الإتفاقيات الدولية والإعتراف المتبادل[4]، ومبادئ القانون الدولى العام، التى عالجت نسبياً السيادة والمشاكل الحدودية(البرية والبحرية)، ولكن بقي هذا الحدث الدولي محصوراً في ما سمي بالعائلة الأوروبية او (قانون اوروبا العام)، وظهر فيما بعد الشعور بالخصوصية والبحث عن الإنتماء المشترك خارج إطار سلطة الكنيسة، وبمجىء القرن (18) لاسيما بعد الثورة الأمريكية والفرنسية برزت النزعات القومية وحق تقرير المصير، وبعد إنهيارإمبراطورية نابليون عام 1814م بدأ عهد جديد في العلاقات الدولية فيما بين العائلة الأوروبية[5]، وبذلك تفرغت(الدول الأوربية) أكثر للإستيلاء على أراضي العالم الثالث، وإن المصطلحات الجديدة كالسلام العالمي والعدالة، والمساواة والإصلاح.. كانت تعني تقسيم العالم فيما بينهم سلمياً وبشكل عادل، والإصلاح يعنى تقليد الغرب والإبتعاد عن التراث، وإلا كان يطلق عليهم البربر أوالمتطرفين أو أعداء الحضارة(أو الأممين-وفق وصف بروتوكولات حكماء صهيون).

أما الوضع في الشرق فكانت تحكمه الإمبراطوريات لاسيما روسيا القيصرية والدولة العثمانية والدولة ، حيث كانت الأولى تسير نحو التعاظم والثانية نحو الإنحلال بسبب ضعفها العسكري والإداري والسياسي والحضاري...، نتيجة لذلك سميت بـ(الرجل المريض)، وأول من أطلق عليها هذا الإسم هو (نقولا- القيصر الروسي) في عام 1842[6].

وربما كان أحسن وصف للوضع الدولي هو ماجاء في كلام (السلطان عبدالحميد) في مذكراته، الذى كتبه في مارس 1337هـ في الأستانة[7]، وذكر فيها النقاط التالية:

1- الضعف العثمانى المتزايد.[*8]

2- دور الإستعمار المتعاظم لاسيما بريطانيا وروسيا وبروز امريكا التدريجى، وصراعها على تركة العثمانية.

3- أهمية الجامعة الإسلامية في تلك الظروف.

---

[4] جاء فى كتاب (حضارة العراق.....ج2-ص114 :ان اقدم معاهدة دولية فى التاريخ جاء بين دويلة حبش ودويلة رما المنجاورتين بتحكيم حاكم كيش...لكن على ما اعتقد هذا النوع من الاتفاقيات كانت علاقة شخصية اكثر.

[5] د.غازي حسن صباريني- الوجيز في مبادئ القانون الدولي العام، - دار الثقافة، 2005م، الأردن ص24-25

[6] www.standardkurd.com

[7] وكذلك لنجيب عازورى تقيم دولى مشابه فى(ص156-159 صحوةالرجل المريض....)

[*] حيث يضيف عبدالحميد: كانت الظروف وقت توليت العرش أتذكر: نعم، تمردت البوسنة والهرسك هزمو الجيش وحاصروه في جبل الاسود، الصرب تعلن الحرب بقوات منظمة وخطرة، من هذة البادرة انفجرت الحرب الروسية الفظيعة (يقصد مع دولة العثمانية...الباحث) ويضيف: فى العام الذي توليت فيه العرش كان الانكليز قد استولوا على الهند، وكان الديون لحد سنة 1875م ثلاث مليارات وثلاثة عشر فرنك ذهبى. ينظر:د.محمد فريد بك - تاريخ دولة العلية العثمانية .. المصدرالسابق ص744

4 -الدور الصهيوني[9]والماسوني فى العالم.

5- بروز التحالف الروسي والبريطاني مقابل دور المانيا المتصاعد في المنطقة.[10]

كانت القوى الإستعمارية تتنافس فيما بينها لغزوها وتجرى المؤتمرات[*] حولها

وعلى الصعيد الداخلي: كانت الحركات القومية والعلمانية الناشئة بالمرصادلأغتنام أية فرصة لتكوين الدولة القومية[**] اسوة بالدول الغربية او بتشجيع منها، وهكذا كانت الأوضاع الداخلية والخارجية للدولة العثمانية سيئة للغاية.

وبدا بكل الوضوح ان بريطانيا تحيط بالدولة العثمانية للتفرد بالسيطرة عليها، وبعد ان اقتطعت منها عدة اجزاء وعززت نفوذها فى الخليج عسكريا[11] وتم فتح العلاقات مع المشايخ (ذوى النفوذ) والحركات المناوئة للدولة العثمانية، فضلاعن توغلها في مراكز حساسة وقريبة من مركز القرار في الأستانة، وعلى هذا الأساس منع (محمد على باشا- المدعوم من قبل فرنسا)من السيطرة على الخلافة، وكاد ان يحتل الأستانة (بالتعاون مع مير سوران)لولا التدخل الغربي بقيادة بريطانيا واجبرته على التراجع الى مصر بموجب إتفاق لندن[12] سنة 1840م [13]، وتكرر تلك التدخلات ضد الحملات الروسية والإيرانية على الدولة العثمانية. (وأحياناً كانت بريطانيا تدخل ضد الإمارات الكردية للغرض نفسه)، كما تم رفض اقتراح تقسيم الدولة العثمانية المقدم من قبل القيصر الروسي مرات عدة[14]، ادى كل ذلك الى بروز التنافس الشديد في اوروبا بهدف توسيع نفوذها الإستعمارى فيها، إما عن طريق الفتوحات العسكرية مباشرة او عن طريق إقامة مشاريع إقتصاديه وحضاريه في المنطقة او تدخلات عبر رفع شعارات

---

[9] حسب كتاب (صحوة رجل.. ص229.) أول بؤرة صهونية وماسونية وضعها فى عالم الإسلامي هى زوجة سليمان قانونى (روكزيلان)اليهودي روسى التى اهدى المغول اليه. *

[10]ينظر: أ- بنى مرجة - صحوة-...مصدر السابق- ص100-104 ب- د.محمد بك –الدولة العلية العثمانية .. المصدرالسابق ص744

* يقول (دين كروسية) في كتاب (وجه اسيا): (ان تصفية بدأت بمعاهدة (كارلو فيجة) عام 1699م وتوالت زهاء 100 مؤتمرات وتكثفت أثناء الحرب، فقد جرى تقسيم أراضي الدولة العثمانية بمشاركة (بريطانيا-فرنسا-روسيا-ايطاليا) بموجب اتفاقيات التالية:

أ- معاهدة لندن 1915م. ب- اتفاقية سايكس-بيكو 1916.

ج- اتفاقية سان دى مودريان 1917. د- اتفاقية سان ريمو 1920م. ت- سيفر 1920م.

** بشكل عام قد تم سلخ أجزاء عديدة التالية عن جسم العثمانين: المجر في عام (1699م)، ومصر في (1808م)، صربيا في (1878م)، يونان في (1882م)، بلغاريا في (1908م)، بوسنه في (1908م)، البانيا في (1903) طرابلس في (1912) ..المصدر: د.وميض جمال عمر النظمى -التطور السياسى... .. المصدرالسابق -ص31-32

[11] أول موطئ قدم عسكرى البريطاني يرجع الى احتلال العدن عام 1838م.المصدر:د.محمد عمارة - كتاب جمال الدين الأفغاني-ط 1 1984م دار المستقبل العربى –القاهرة ص100.

[12] جرت هذة الاتفاقية فى 1840/8/15بلندن مكون من (خمسة –بنود)فى بند الثاني والثالث يجيز بإستخدام القوة عندما لايلتزم محمد على بالإتفاقية، شارك فيها ممثلين عن ملك بريطانيا، النمسا ومجر بوهيما، بروسيا، روسيا، ولم يشترك فرنسا فيها لأنها كانت تساند محمد على باشا (صحوة..ص405)

[13] انتصر محمد علىباشا على جيش العثمانية من سودان الى شام وحجاز..ولكن الغرب لم يسمح به، وفق اتفاقية0 184 والتى أجبرت محمد على على قبول الصلح مع دولة العثمانية والتنازل عن البلاد الشام لها ليحكم المصر فقط (المصدر: د محمد حرب: موسوعة السفير التاريخ الإسلامي– المصدرالسابق ، ج18 ص19–. يذكر محمد على يرجع الى اصول غير عربية قيل انه كوردي ولكن يرجح انه شركسى.

[14] بنى مرجة – صحوة .. المصدرالسابق ص72

الإصلاح والتحديث وحماية الأقليات كما جرى ذلك في مسألة المسيحيين في لبنان عام (1860)[15]، وفى تلك الأثناء كانت لبريطانيا (حصة الأسد) في العالم، تمتد آثار ممتلكاتها من القارة الأمريكية الى الهند وهونك كونك، ولقبت بالمملكة التى لاتغيب عنها الشمس، مع ذلك لم تهتم بالنفط، [16*] إلا بعد القرن العشرين، وكان من قبل تعمل مكائنها بالفحم الحجري، وأول من تنبه الى أستخدام وقود (النفط) بدل الفحم الحجري في بريطانيا هو (لورد فيشر)، عندما تولى (تشرشل وزارة البحرية 1912-1915)تبني فكرة فيشر بإستخدام النفط، وزادت حدة الصراع على النفط ولاسيما في المناطق الحساسة، وأشارت هيئة الأركان العامة البريطانية في مذكرة برقم 45ب مؤرخة في 1904/11/15 الى المساوئ السياسية والتجارية والأستراتيجية التي سوف تصيب بريطانيا العظمى لو سيطرت المانيا على العراق والخليج.[17] لذلك يذهب البعض الى ان العراق هو الذي أجج نار الحرب، وبدا كل طرف يعتبر نفسه أحق، وقد وصف (د. جورج حنا) مشهد العالم في تلك الفترة بالغرورية، التي دفعت العالم الى الحرب العالمية، حيث تدعي المانيا –على لسان ملكها غليوم- أن شعب ألمانيا الأكثر تقدماً في العالم لذلك ترى إنها تستحق من المستعمرات حصة أكثر، ويقابل ذلك الإدعاء رفض قاطع من قبل فرنسا وبريطانيا.[18]

فضلا عن ماذكر كانت هناك مشاكل حدوديه بين عدد من الدول الأوربية، وفي ظل ذلك الوضع وعدم وجود أية مؤسسة عالمية محايدة يكون الحق مع القوي، بالتالي يؤدي ذلك الى فوضى دولية، عندها يقوم القانون الدولى على قاعدة (القوة هي الحق)، وهى قريبة من التوجه الفوضوى والعدوانى ل(بروتوكول حكماء صهيون)كما جاء فى أول مادة له : القانون[*] والحق يكمن في القوه، [19] ويقول (زلياكوس) بهذا الصدد: ((ان هذه الفوضى اتت من انتقال الأقطاعيه الى الراَسماليه ونشوء الدول ذات السيادة، وهذه الفوضى الدوليه نهايتها المنطقيه الحرب العالمية الاولى))[20]، وقد ارجعت الموسوعة العربية البريطانيا (W.B.Encyclobidy) أسباب الحرب العالمية الأولى الى:

1- توسيع الميزانية العسكرية وازدياد الوسائل الحربية وتطورها.
2- بروز النزعة القومية.
3- التنافس على المستعمرات.
4- بروز تحالفات عسكرية متعددة.[21]

ومن جانبه لخص عبد الرزاق الحسني المشاكل التى سببت الحرب بشكل اُخر، وهي:

1- إخلال المانيا بالتوازن الدولى .
2- الرقابة الموجوده بين بريطانيا والمانيا على السيادة البحرية.

---

[15] عقد مؤتمر باريس في 1860/8/3 بصدد مسألة مسيحيين في لبنان، وحضر كل من نمسا وفرنسا وبريطانيا وبروسيا وروسيا وعثمانية وكان المحضر الجلسة مكون من (6) مادة، في المادة الأولى والثانية يحيز بإرسال الجيش (نصفه من فرنسا) لتطبيق المقررات هذا المؤتمر.. صحوة- ص402

[*] ألمانياهي أول من تنبأ الى أهمية نفط في العراق، وأوفدوا في سنة 1830-1902 عدة بعثات إليه، ووصفوا ببحيرة النفط فيه. المصدر: فوزى عبدالمجيد خليل –التاريخ السياسى لأمتيازات النفط فى العراق –أطروحة الدكتورا الى كلية الأداب –جامعة بغداد ص20

[17] فواز مطرنصيف -تغلغل النفوذ البريطاني فى العراق رسالة ماجستير 1989م اشراف:د.عبد اتلبخيت السامرائى - ص178

[18] د.جورج حنا - قصة الإنسان-ط 31959م دار العلم للملاين –بيروت ص238-239

[*] يصف هوبز-القانون-بأنه عبارة عن أمر الحاكم (موسوعة الفلسفية .. المصدرالسابق ص505)

[19] بروتوكولات- .. المصدرالسابق ص38

[20] د.راشد الدارى - العلاقات السياسية الدوليةوالمشكلات اكبرى –ط 2، 1982م مكتبة النهضة المصريةص24-25

[21] الموسوعة العربية العالمية- مادة: الحرب العالمية الأولى

3- العداء القائم بين عناصر الصقالية والتوتونية في سبيل القومية.

4- مسألتا الزاس واللورن اللتان بترتا من جسم الافرنسيه فى عام (1870م).[22]

ويبدو ان عبدالرزاق الحسني لم يهتم بمسائل السوق ونزعة السيطرة وسباق التسلح وحساسيات القومية الناشئه، ومسألة بروز أمريكا في الساحة العالمية، فكانت أمريكاعلى وفق مبدأ مونرو- اشارة الى رسالة الرئيس الأمريكي (جيمس مونرو) الى الكونكريس- حدد أربع نقاط فيها حرمت نفسها من التدخل في شؤون أوروبا والعالم، بيد ان أمريكا لم تلتزم بهذا المبدأ منذ بداية قرن عشرين وتطلعت الى دور بوليسي في العالم كماقال فورستر[23].. لذلك اصبح الحرب العالمية حتمية فى كل الجهات ، وانتشرت أسرارها فى الصحف، وكانت المشاكل القائمة في تلك الآونة في نظر الأوروبيين: (أنها لا تحل إلا بالسيف). وتستقرأ هذه الحرب من (بروتوكولات حكماء صهيون) ، حيث تنبأ (سرجس نيلوس) العالم الروسي بقرب وقوع الحرب العالمية الأولى بواسطة مقارنة ما يجرى وما جاء في البروتوكولات، كذلك تنبأ العالم المذكور بسقوط الدوله العثمانيه.[24]

ويتضح من مذكرات القاده العثمانيين انهم قد شعروا بوقوع هذه الحرب وما يحيط بالعثمانيه، كما جاء فى مذكرة عبدالحميد مشهد ذلك اليوم بأن ((الوحوش المفترسه يحيطون بالميراث العثمانى لتقسميه))[25]، ولم يبق سوى الشرارة الأولى من اي طرف، وقد إندلعت الحرب بذريعة مقتل ولي عهد(النمسا والمجر) ارشيدوك فرنسيس فرديناند وقرينته (دوق هوهنبرك) في سرايفو بتاريخ 1914/6/28[26] على يد طالب صربى (اسمه بريسب وكان ينتمي الى منظمة الكف الأسود الإرهابية)[27]، وسرعان ما أصدرت النمسا انذاراً شديداً مدته 48 ساعة للصرب بتسليم المجرمين، وكانت النمسا تنوي السيطرة على صربيا، فنسقت مع المانيا وأعلنت الحرب على صربيا في 1914/7/28 ثم على روسيا في 1914/8/5، ثم اعلنت المانيا الحرب على روسيا في 1914/8/1 وعلى فرنسا وبلجيكا فى 8/3، ومن ثم اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا في 8/4 وعلى النمسا في 8/13 ثم اعلنت اليابان الحرب على المانيا في 8/23 ثم اعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على تركيا في 5/ تشرين الثاني/1914.[28]

وكانت ميزان القوى بين الأطراف المتحاربه كالاتي:

1- دول المركز (أو الوسط):

+ المانيا: ...،...، 11 مجند، ...،..5، 5 مقاتل، 4100 دبابه 3900 طائرة.
+ مجرو نمسا: ..،..8، 7 مجند، ...،..9 مقاتل
+ تركيا : ...، 850، 2 مجند ... 490 مقاتل
+ بلغاريا: ... 200، 1 مجند ... 380 مقاتل

2- دول الحلفاء :

+ بريطانيا: 6000000 مجند، 1700000 مقاتل، 610 دبابة، 1700 طائرة.
+ فرنسا: 8300000 مجند، 2600000 مقاتل، 2300 دبابة 3600 طائرة، 100000 الية مختلفة، 630000 حصان.
+ امريكا:3800000 مجند، 1800000 مقاتل، 90 دبابة، 740 طائرة

---

[22] عبد الرزاق الحسنى- العراق في دوري الأحتلال والأنتداب.. المصدرالسابق ج1 ص10.

[23] نشأة الدولة العراقية- .. المصدرالسابق ج1ص226.

[24] انظر: مقدمة (بروتوكولات..) .. المصدرالسابق ص35.

[25] المذكرات آنفة الذكر- التى تناولنا قبل قليل.

[26] ينظر: أ- فريدريك معتوق - معجم الحروب- ط11996م بيروت ص288، ب- موسوعة العربية .. المصدرالسابق ج8 ص159

[27] هيرمن كيندر وفيرز هلغمان -تأريخ العالم- Dtv- تعريب :ألياس عيدو الحلو ط3 \2003م ص400

[28] ينظر:أ-معجم الحروب .. المصدرالسابق ص285-289 0ب- تاريخ العالم .. المصدرالسابق ص400-

+ ايطاليا: 5.615 مجند2.50.000 مقاتل، 120 طائرة.
+ بلجيكا:380000 مجند، 170000 مقاتل، 134 طائرة [29].

وحارت الدولة العثمانية بين الحياد والدخول فى هذا الحرب، في حين كان قادة الإتحاد والترقي العلمانية يفضلون الإشتراك الى جانب ألمانيا، بينما السلطان واتباعه لا يجيزون ذلك[30]، ولكن في هذه الأثناء كان زمام الأمور في الدولة العثمانية بيد أنور باشا[31]، وكان يظن ان المانيا هى المنتصرة، لذلك دخلت الدولة العثمانية الحرب في 1914/11/5 الى جانب المانيا دون أستراتيجية واضحة او خطة مدروسة لهذه المجازفة الكبرى،ربما نجدفى مذكرات جمال باشا الهدف الواضح لدخولهم الحرب وهى(ان املنا الاوحدكان تحرير انفسنا عن طريق الحرب العالمية من كل القيودوالامتيازات التى طالماهدمت استقلالنا وجعلنا اسما بلا مسمى)[32] ، وتمكن (اي انور باشا)من إنتزاع الموافقة من الصدر الأعظم (سعيد حليم باشا)و باقي الوزراء وحتى من الخليفة بعد معارضتهم لهذه الخطوة، تزامن ذلك مع فتوى الجهاد الصادرة في 1914/11/7 من قبل شيخ الإسلام[33] (خيري افندي) ضد دول الحلفاء، وكانت الدولة العثمانية ترمى من وراء تلك الحرب الى إنقاذ نفسها وإصلاح اوضاعها الداخلية، اما المانيا فقد حاولت اقحام الدولة العثمانية الى الحرب لكي ينهض المسلمون ضد دول الحلفاء بواسطة اعلان الجهاد، فكانت اهمية عامل الجهاد واثره في تاريخ الحروب معروفة، كما قال (وفكهايم) سفير المانيا لدى الدولة العثمانية:((ان تركيا ضعيفة ولا ننتظر منها اعمالاً مجيدة في ساحات القتال... ولكن نرى من خلال اثارة الرأي الإسلامي العام ضد انكلترا وفرنسا وروسيا مصلحة لنا))[34]، وقد حظيت فتوى الجهاد لدى الحلفاء بأهمية بالغة وأخذوها مأخذ الجد قبل اندلاع الحرب، كما جاء فى الوثيقة رقم (2486) من وثائق (دار المحفوظات ببريطانيا): ان بريطانيا درست اثر فتوى الجهاد فى الإسلام[35]، وحاولت ابطال مفعول هذه الفتوى بإيجادأساس شرعى ضدها، وإستخدام الفتاوى والأحاديث من خلال حلفائها العرب، ورفع شعار عدم شرعية الخلافة مادام بيدغيرالعرب استناداً الى الحديث الشريف (الائمة من قريش)، وتأسيساً على ذلك فقد اختارت بريطانيا (شريف بن على – شريف مكة) وتحالفت معه .

وكانت سياسة الحلفاء فى البداية بشكل عام مليئة بالوعودكما قال المؤرخ السوفيتى لوتسكى((أن المستعمرين الإنجليز كانوا يتبعون قاعدة: يمكن إعطاء ما يحلو من وعود فالوضع يتغير فيما بعد))[36]، حيث وعدت بنقل الخلافة من العثمانيين الى العائلات والشخصيات العربية من أمثال (آل العظم في سورية، وملك مصر، وآل سعود في الحجاز، وبشريف مكة،...) وقد

---

[29] -معجم الحروب .. المصدرالسابق – 290-291 (ولم يذكر عدد قوات الروسية..)

[30] - ينظر: أ-أبراهيم الراوى- من الثورة العربية الكبرى الى عراق الحديث –مطبعة دار الكتب –بيروت 1969م ص 13 ب- التفاصيل فى فصل الأول –الوضع فى الخلافة العثمانية

[31] ينظر: أ- حركة الا ستقلال العربى .. المصدرالسابق ص130، ب- كيف هدمت الخلافة- .. المصدرالسابق ص75

[32] مذكرات جمال ثاشا –اعداد:محمدالسعيدى ،دار الفارابى بيروت ط1 ج1ص482

[33] - أ-حسن العلوى - الشعية والدولة القومية .. المصدرالسابق ص11-12 ب-احوال العراق فى مرحلة المشروطية .. المصدرالسابق ص 196 ج- ابراهيم الراوى -من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث، مطبعة دار الكتب \بيروت 1969م ص13

[34] - حركة الاستقلال العربى .. المصدرالسابق ص130.

[35] بنى مرجة—صحوة .. المصدرالسابق ص 366-367

[36] أحمد إبراهيم الورتى –النظام الفدرالى بين النظرية والتطبيق –رسالة ماجستيرالى الجامعة العالمية للعلوم الأسلامية فى لندن \2005م– المشرف:أ.د.محمد هماوندى ، ص148

شاركت روسيا القيصرية معها في كثير من هذه الطروحات ومن بينها جعل الخليفة فى زاوية من اسطنبول على شكل الفاتيكان [37]، ولكن بعد تزايد انتصاراتها تراجعت من وعودها واتهمت دعاة الجامعة الإسلامية بـ(بان إسلام)، اما مصيروعودهم بالعلمانية القومية بإنشاء دولة عربية موحدة، تحولت بعد ذلك الى دويلات إقليمية وقطرية كما رسمت من قبل، وكان كلا الفريقين (العلمانيين والقوميين المتعاونين مع الحلفاء) قد سقطا على صخرة (سايكس- بيكو 1916) ووعد بلفور1917.

وكانت أولى نتائج الحرب العالمية هى عقد إتفاقية السلام فى باريس فى 18/كانون الثانى/1919 والتي شاركت فيها (27) دولة لرسم خريطة اوروبا، ووقعت معاهدة فرساى، ، وقد فرضت اتفاقيات السلام التالية على الدول المهزومة، وهى:

1- اتفاقية فرساى على المانيا فى 1919/7/28

2-اتفاقية سان جرمان-على النمسا 1919/9/10

3-اتفاقية نوى على بلغاريا فى 27/تشرين الثانى /1919

4-اتفاقية تربانون على المجر فى 1919/7/6

5-اتفاقية رابالو بين ايطاليا ويوغسلافيا فى 12/تشرين الثانى/0 192

6-اتفاقية ريغ بين إتحاد سوفيتى وبولونيا فى 1921/3/18

7-اتفاقية سيفر على تركيا فى 1920/8/10 الا ان قسم من هذة الاتفاقية قد استبدلت بعد بلوزان فى 1923/7/24[38]

وسقطت الإمبراطوريات (النمساوية والمجرية، والجرمانية، والبروسية، والعثمانية) وبعد ذلك تم انشاء جمهوريات جديدة فى كل من جكسلوفاكيا والمانيا والمجر والنمسا، بالإضافة الى (بولونيا ولتوانيا واستونيا)، وقد قسمت بعد الحرب السلطنة العثمانية الى منطقتي نفوذ، احداهما تحت الإنتداب الفرنسي (سوريا ولبنان) والأخرى تحت الإنتداب البريطانى (فلسطين والاردن وغزة) [39] والعراق، وفتحت التغيرات فى خارطة المنطقةوظهرت دويلات كثيرة بمافيهاالعراق.

---

[37] المصدر نفسه..ص367

[38] معجم الحروب .. المصدرالسابق ص294

[39] معجم الحروب – .. المصدرالسابق ص 293-294 لم يسجل اسم العراق فى هذة الانتدابات.

المطلب الثاني: الوضع فى عهد العثمانيين

كانت الخلافة الإسلامية بيد العثمانيين[*]، وهم عائله من اصول تركيه اتت من وسط اسيا هرباً من بطش جنكيز خان، واستوطنوا في ظل حكم السلاجقه فى مرمرة، وبدأ نشاطهم العسكرى بإسم الدين ضد الروم (البزنطيين)[40]، ثم تعاظم دورهم كسلطة (وليس الخلافة) منذ (1281م)، وتحول في (1516/9/29) الى الخلافة على يد السلطان سليم ياوز بعد ان فتح بلاد العرب بالتعاون مع (الشيخ ادريس بدليسي [**] ، وفى عام 1534فتحت بغداد، وبوصول قوات سليم ياوز الى مصر أخذت البيعة من الخليفة العباسى (المتوكل على الله) وأصبح خليفة المسلمين[41]، وعندها سارع شريف مكة (انذاك) بإرسال مفاتيح الحرمين الشريفين الى سلطان سليم تعبيرا عن مباركته لتنازل (المتوكل على الله)، بذلك يفاخر السلطان بلقب خليفة المسلمين وامير المؤمنين وخادم الحرمين الشريفين، ومن ثم اصبحت المبايعة في جامع ابي ايوب الأنصارى قرب قسطنطينية[42]، اي ان كل من عثمان غازي(1359-1389)، اورخان غازي (1326-1359)، مراد الاول (1359-1389)، يلدرم بايزيد (1389-1402)، محمد الجلبى (1402-1421)، مراد الثاني (1421-1451)، محمد الفاتح (1451-1481)، بايزيد الثاني (1481-1512)، هم سلاطين ولم يكونوا خلفاء.

و توسع نفوذ الخلافة الى القارات الثلاثة اوربا واسيا وافريقيا، وعللت بريطانيا هذا التوسع في دراسة -كما وردت في الوثيقه البريطانية برقم (2486) -حيث لخصت أسبابه الى ثلاثة عوامل رئيسية:

1- لأنهم حصلوا على هذا اللقب (أي الخليفة- الباحث) من آخر خليفة عباسي كان يسكن آنذاك في القاهرة سنه 1517م.

2-لأنهم ورثوا بعض آثار النبي مثل عباءته وبعض شعرات لحيته.

3- لأن السلطان هو الحاكم وحامي الأماكن المقدسة.[43]

ونتيجة لهذا التوسع اصبح نظام اللامركزية (الولايات) قانوناً عاماً لاسيما بعد توقيع إتفاقية بين سليم الأول مع (23) امارة كردية والمشهور بأتفاقيه (السلطان- ادريسي) مكونة من (5)مبادئ، المبدأ الأول يخص اللامركزيه(نظام الولايات) التى عممت فيما بعد على بقية الولايات[44]، يقول عباس علي زنجاني: ((ففي بداية الخلافة الإسلامية ما كان يعترف بأية دولة غير إسلامية ولا يقيم معها أية علاقة تجارية وإقتصادية ودبلوماسية [45]، أول معاهدة للسلام عقدت بين (فرنسوا الأول) ملك فرنسا وحكومة السلطان سليمان القانوني سنه (1535م) وبموجب مادة (1) منها تلغى لأول مرة حالة الحرب الدائمة بين الإسلام والدول غير الإسلامية ،

---

[*] عثمان بك ابن، ارتوغرول غازى ابن كوندز الب من اسرة رؤساء عشائرة من اتراك اوغوز

[40] أ-أوليا جلبى-سياحتنامة –ترجمة الكوردية :ئاكام، بإسم:كورد له ميزوى دراوسيكانى، ج2 ص160ب- د.وردي-دراسة في طبيعة-ص126

[**] باش مشاور اى رئيس هيئة المستشارين ومن زعماء الكورد .

[41] أنظر :أ- وثائق بريطانيا رقم 2486 في صحوة- .. المصدرالسابق ص495 ب- هنرى فورستر -نشأة العراق الحديث -. ترجمة :سليم التكريتى، ط1 1989م المكتبة العلمية -بغداد- ج1ص49 ح-د.سيار الجميل - بقايا وجذور التكوين العربى الحديث –ط1عمان \أردن ص109

[42] صحوة .. المصدرالسابق ص 104

[43]- المصدر نفسه..ص364

[44]- الكرد والكردستان فى وثائق البريطانية .. المصدرالسابق ص17

[45] وهذا تعني أي ملاقات حربا، بعكس السلام عليكم.

واحلال السلام بدل الحرب، مدة المعاهدة (10) سنين[46] . وتعتبر الإتفاقية مع الروس فى سنة (1774م) اول وثيقه دوليه تعترف بالعثمانية كخلافة وممثلة لجميع المسلمين[47] ، ووصل عدد نفوسها بنهاية قرن (19) الى (300) مليون نسمة[48]، وعدد ولاياتها بلغ (32) ولاية وإيالة بعد اعوام (1610)[49] ، حيث شملت الولايات الأوربيه التاليه : يونان، البانيا، بوسنه، هرسك، طربزوين، بلغراد، رودس، مجر، نمسا،.. ومن الشرق: الولايات العربيه واجزاء كبيره من ايران، واذربيجان حتى شمال افريقيا، وعند وفاة سليمان القانونى بلغت مساحه الامبراطوريه (13مليون) كم ^{2}.[50]

ويقول المورخ البرطانى (لورد كيروس) ان الدوله العثمانية كانت بضخامة الامبراطورية الرومانية، لكن الدولة العثمانية حافظت على وجودها ضعف مدةحكم الرومانية.[51] حيث وصلت الى اوج قوتها[52] فى القرن(17)[53]، مما يذكر ان الدولة العثمانية استمر تقدمها على ارقى الدول الاوربيه وكانت مدفعيتها الأقوى في العالم انذاك، ولكن بحلول القرن (18)بدأت قوتها نحو الهبوط[54] بأستثناء فترات محدودة ، ولعل من المفيد ان نذكر ان مدفعيه الهاون استخدمت لأول مره فى فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح فى منتصف قرن (15)، وكان السلطان (سليم الأول) اول من استخدم المدافع المتحركه الإتجاه فى مطلع القرن (16)، وكان الأسطول العثمانى حتى عام (1896)م يأتى فى المرتبه الثالثه بعد انكلترا وفرنسا، [55] وتقدمت فى النواحى السياسيه والإقتصاديه والعلميه...، ومن المفيد أن نذكر ان الخارطه التي رسمها الجغرافى العثمانى(الكردى) ريس برى (1465-1554م) للعالم وامريكا لازالت تحير العلماء، وبموجب مؤتمر جامعة جورج تاون في 1956م ان هذه الخريطة سبقت كولومبس في تحديد القارة الأمريكية[56].

---

[46] القانون الدولى فى الإسلام .. المصدرالسابق ، ص91.

[47] الصحوة الرجل المريض .. المصدرالسابق ص406.

[48]- المصدر نفسه.. ص448 لكن هذه الأحصاء حسب تقدير العثمانى، ولايعرف ما اذاكان احصاء لكل مسلمين ام فقط لحملةالجنسية العثمانية، لأن رسالة (سفير الانكليزى)الى وزير الخارجيتها عام 1913 تؤكد عدد نفوس التابعة للعثمانية بثلاثين مليوناً فقط، صحوة .. المصدرالسابق -303.

[49]- بقايا وجذور .. المصدرالسابق ص79

[50] اورخان محمدعلى -السلطان عبد الحميد الثانى — .. المصدرالسابق ص20-21

[51]أ- الصحوة- .. المصدرالسابق ص274.

[52] نشأت العثمانية وتربت في بيئة متقاربة من مغولية، وبيد أن العامل الديني جعلتها تتحضر، ففي دراسات انثروبولوجية من قبل (ابن خلدون... الى د. علي وردي) تظهر ان باديتين العربية والمغولية انتجا عادات وتقاليد بدوية، أغارية،.. ولكن الدين الإسلامي جعلت من بدوية العربية حضارة أولى في العالم، وكانت خروج المغول بدون (دين) الى العالم أصبح كارثة عالمية، أما العثمانية –وهو من البيئة نفسها – خرج مع الدين أصبح حضارة، ومتى ما يخرج العرب بدون روح الديني هو مغولي، كما تراها في سلطات العلمانية لاسيما البعثية حيث استخدم الأسلحة الكيميائية ضد شعبه.

[53] أ-التطورالسياسي المعاصرفي العراق.المصدرالسابق ص31 ب-الصحوة-.المصدرالسابق ص42-43

[54]، يذكر ان سليمان قانونى اصدر (قانون نامة)مستفيدة من قوانين وعرف غير اسلامية، ثم تزوج روكسلا من يهود روسيا...وكانت نشاطة (الخانم)تعتبر لدى بعض جذورا للعلمانية التغريبية كما يتبين فيما يلى.

[55] المصدر نفسه...ص75

[56] د. على محمد الصلابى-الدولة العثمانية- مكتبة الأيمان\ ط1 ص451..هناك عالم جغرافى (سيدى على ريس) ورد اسمه فى كتاب (لونكرك-اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص 397) الف كتابا بإسم(مرأة الممالك) ربما نفسه هو.

وعلى رغم من ان سلطنتهم (بعد الخلافه الراشده) تحولت الى سلطة وراثية، بيد انها عادت وطبقت الشريعة الإسلامية فى مؤسسات الدولة وأعادت اسماء دينيه مثل : الأمة الإسلامية (الملة العثمانيه)، الخليفة، شيخ الإسلام، [57] الشريعة، كافر ومسلم، دار الإسلام، الجهاد...الخ وجمعت العالم الإسلامي تحت رايتها، بإستثناء الصفوية وبعض الإمارات الأخرى، واعترف بها كدولة إسلامية ترسيخا للمبدأ الإسلامي (عدم المركزيه العرقيه) فى الخلافه، اى ان مركز الخلافه لم يحصر فى وطن او قوم او طبقه معينه، بل تم تداوله بين العرب والفرس والكورد والترك بخلاف الإمبراطوريات السائده، التي كانت تنحصر السلطة على عرق وحضاره معينة0

بقيت العثمانيه محتفظه بهويتها الإسلامية حسب نظام الملية[58] الى ان ظهرت المشروطية (حركه المطالبين بالدستور) وطلائع الفكر العلمانى، حتى في أواخر الدولة العثمانية عندما نشأ (مجلس المبعوثان- البرلمان)لم يكن النائب يمثل قوماً أودائرة ، حيث جاء بهذا الصدد في المادة (71) من الدستور العثماني مايلي: ((كل مبعوث يعتبر نائبا عن جميع العثمانيين وليس عن الدائرة التي انتخب عنها فقط))، في دستور سنة 1879 المكون من (119) مادة و(4368) كلمة لن تجد كلمة(تورك) ولا بعداً قومياً أو أثراً من آثاره فيه[59]،وهناك فرمانات سلطانية تؤكد مبدأ المواطنة تجاه المسيحية واليهودية واديان اخرى، جاء فى (خط همايونى) الموقع من قبل سلطان عبدالمجيد لعام 1856/2/18 مقابل 11 جمادى الاخر/1272 مرسل الى صدر الاعظم :(كما أن مساواة الخراج تستوجب مساواة سائر التكاليف والمساواة في الحقوق تستدعى المساواة في الوظائف، فالمسيحيون وسائر التبعة غير المسلمة يسحبون نمرة قرعة مثل المسلمين)،كذلك ورد فى المشروطية باب (في حقوق تبعة الدولة العثمانية العمومية) من مادة(8)الى مادة(26) لنفس الغرض[60]، وفي بحث عن ألقاب السلاطين العثمانيين، ظهر أنهم لم يحملوا في تاريخهم أي لقب قومي أو تركي، أو أي أعتزاز وتعصب بالعرقية[61]، وهذا ليس دفاعاً عن السلاطين العثمانية وتبرئتهم من المعاصي، كلاّ، وفيهم ظالم وسفاح، ولكن الثقافة الأمية الدينية مهيمنة على ثقافات التعصب بشكل عام، وهذه الصفة لا تخص الخلفاء بل تشمل معظم القادة في العالم الإسلامي، وحتى في الأونة الأخيرة يلاحظ (كمثل) (خزعل محسن) أمير المحمرة حيث حمل (17) لقباً[62] ولاتجد فيها لقباً عربياً أو قومياً.

وفي الحقيقة كانت هناك مشاكل وتجاوزات ومظالم في عهد الدولة العثمانية، ولكن -كما أشرنا - لم تكن على اساس عرقي أو قومي، بحيث يضطهد قوم قوماً آخرين كما نراى اليوم، وبالتالي لم توجد أفضلية لأي قوم ضمن التركيبة العثمانية، وأكثر من هذا فقد كتب المؤرخان العربي ساطع الحصري والكوردي محمد أمين زكى بك في كتابيهما[63]: اننا لم نشعر بالشعور القومي أو الوطني حتى ظهور دعوات الإتحاديين الطورانية، ولاسيما بعد إنقلابهم في 1908-1909، ويضيف ساطع الحصري (و كان قائمقاماً

---

[57]- وكان شيخ الاسلام مركزمهم وله صلاحية، أحياناً فوق سلطة الخليفة، وهو اعطى الفتوى بعزل عبدالحميد (صحوة-ص125)، ومن قبلة سلطان مراد وحتى الإتحاديوون كانوو يلجأون اليه فى سبيل مرامهم الخاصة.

[58] المصدر نفسه...ص176

[59] انظر نص القانون الأساسي العثماني، من ملحقات(الصحوة .. المصدرالسابق ص 438).

[60] سعد سلوم – السياسات والاثنيات فى العراق (منذ الحكم العثمانى حتى الوقت الراهن) ص20-

[61] انظر :أ- معجم الألقاب أرباب السلطان فى الدولة الإسلامية(هناك ألقاب التالية :أسد الدولة، ألأعز، ألأغا، أمين الدولة، تاج الملوك، شاهنشاه، الغازى، القاهر، المستنصربالله، ملك الأشراف، الناصر...) ب- صحوةرجل المريض .. المصدرالسابق - ص467-469

[62] انظر: أحمد السامرائى - ايران والخليج العرب-منشورات مكتبة الكتاب العربى \بغداد1986م ص290.

[63] الكتابان هما: محاضرات في نشوء القومية-لساطع الحصري، وخلاصة تأريخ الكرد وكردستان- لمحمد أمين زكى بك.

في مقدونيا وأبوه قاض حينذاك) أنه: في جميع دوائر النفوس العثمانية لم يكن يسجل في (الهوية) الإنتماء القومي بل يتم الأكتفاء بتسجيل الإنتماء الديني فقط، ويمكن ملاحظة هذه الحقيقة كذلك من خلال الحجج البريطانية ضد تركيا في مسألة ولاية الموصل، حيث جاء فيها: ((لم يكن في عهد الدولة العثمانية قبل الحرب نظام احصاء النفوس حسب القوميات))[64] .

استمرت تجربة اللامركزية مع استمرار هذه السياسة من قبل الدولة العثمانية، وفسح المجال للإمارات والدول لتنشأ في أنحاء مختلفة، واستمر الحكم العثماني بهذا الشكل (تقريبا) حتى بدايات القرن 19، ولكن بعد ذلك تغير الوضع بالشكل التالي:

1- ظهر الضعف الواضح في الإدارة والسياسة العامة وفقدان كثير من الولايات.

2- دخلت في منهج الخلافة عناصر من التجربة الغربية لاسيما من مباديء الثورة الفرنسية.

3- ظهر تيار داخل مركز الخلافة كان متأثراً بهذه الأفكار (الغربية).

4- ظهرت علاقات بعض الولايات بالقوى الغربية الإستعمارية أو الشرقية ولاحت فى الأفق بوادر الإنفصال والتحرر فيها.

هكذا بدأت المعارضة في داخل الخلافة تنمو على شكل القومية العلمانية، أو الدينية المسيحية بغطاء (علماني قومي)، تحت شعار الإصلاح على النمط الغربي، دون اسم وعناوين صريحة، وثم اطلق على هؤلاء (عثمانية الفتاة- يني عثمانية، وثم تركيا[**] الفتاة- جوان تورك).

وتعود هذه المحاولات الى بداية القرن (19)، على رغم من ان تأريخ (تركيا الفتاة) التي قادت المعارضة تعود بشكل رسمي الى عام 1865 أو الى عام 1864م حسب كل من:الموسوعة العربية[65] ، و كتاب (احوال العراق في المرحلة المشروطية)،[66] ولكن أثر (عثمانية الفتاة) كان موجوداً قبل هذا التأريخ، يقول (بني مرجة):

((في حزيران 1865[67] قام نامق كمال باشا وآية الله بك وأربعة من رفاقهما بتأسيس جمعية (تركيا الفتاة) على غرار جمعية (الكاربوناري) التي تأسست -هي بدورها في سنة 1807 في مملكة نابولي بأيطاليا مستهدفة توحيد ايطاليا قوميا وتأسيس حكومة دستورية حديثة))[68] . أما في كتاب (الدولة العثمانية) جاءت الرواية على الشكل التالي: ((في عام 1865 قام ستة من الشباب

---

[64] د. فاضل حسين-مشكلة الموصل–رسالة الدكتورا، جامعة أنديانا –أمريكا\مطبعة الرابط 1955م ص 82.كذلك ينظر:نص التقرير لجنة عصبة الأمم حول ولاية موصل .

[**] اسم تركيا تختلف عن العثمانية ،ففى عام 1190اطلق صليبيون على منطقة ملاذكرد ب(تركيا)عند ما هزمت الروم هناك على يد سلطان السلجوقى(الب ارسلان) .

[65]أ- موسوعة العربية .. المصدرالسابق ج6 ص 361. ب-شكرى محمود نديم - .. المصدرالسابق ص32

[66] لم يكن الإختلاف حول هذه التواريخ فقط، بل كان حول المؤسسين لتلك الجمعية فالأكثرية متفقة على ما نقلناه أعلاه، ولكن هناك أخرون يعتبرون مصطفى كمال هوالمؤسس لتركيا الفتاة ومن بينهم صاحب (الموسوعة السياسية) وكتاب (أحوال العراق في المرحلة المشروطية) حيث يروي الأخير القصة على الشكل التالي: "قام مصطفى كمال مع مجموعة من الضباط في دمشق بإنشاء جمعية سياسية بإسم (الوطن) ثم عند تحوله الى سيلانيك ومقدونيا تغير إسم الحزب الى (وطن وحريت)، وهناك جمعية أخرى بإسم (عثمانلى حريت جمعيتي)، وكان من الأعضاء البارزين فيها= =(طلعت، جمال..) وتقرر توحيد الجمعيتين بإسم الإتحاد والترقي"-ص 41.. علماً بأن تأريخ (الإتحاد والترقي) يرجع الى سنة 1889 يوم ذكرى الثورة الفرنسية.

[67] في الحقيقة هناك عدة تواريخ قد كتبت في كتب التأريخ لهذا التأسيس، حتى في كتاب واحد-ففي الصحوة مثلاً- جاء في ص 295 (1865م)، بينما في ص 55، 1860.

[68] الصحوة .. المصدرالسابق ص 295

العثمانيين بتشكيل تلك الجمعية، وكانوا متأثرين بالثورة الفرنسية، وتجربة ايطاليا الفتاة التي أسسها الزعيم الإيطالي (ماتزينى) في عام 1831 وكانت تهدف الى توحيد ايطاليا تحت راية جمهورية علمانية)).[69]

يذكر ان (تركيا الفتاة) كانت في الإسم والشكل والمحتوى تغريبية علمانية، تقليداً لأسماء مثل (بريطانيا الفتاة)، (المانيا الفتاة) و(ايطاليا الفتاة)[70]، ويظهر أثر كل منها في مرحلة معينة من مراحل تركيا الفتاة، وكان شعار هذه الجمعية -التي تغير أسمها فيما بعد الى الإتحاد والترقي في مؤتمر عام 1907- هو (الحرية- العدالة- المساوات) ، وكان هذا الشعار نفسه شعار الثورة الفرنسية التى كررت الشعار نفسه فى مادة (2) من دستور الفرنسى ، علما ان الإتحاد والترقي تأسست في الذكرى المئوية للثورة الفرنسية، أي في يوم 1889/7/14، وبالأصل كانت هذه الشعارات مأخوذة من الشعار الماسوني (الحرية والمساوات والأخاء)[71] أو كما تدعي (بروتوكولات حكماء صهيون) ان هذا الشعار بالأصل كان من صنعهم.[72] لذلك فإن كثيراً من الباحثين يصنف (الإتحاد الترقى)ضمن المخطط الثلاثي (الإستعمار- الصهيوني- الماسوني)) أو بتشجيع منهم لاسيما مسألة الإلغاء اللامركزية، وكان توجه القومية (الناشنالية) في أوروبا نحو المركزية والعنصرية التي نشأت منها-فيما بعد- (الشوفينية في فرنسا، والفاشية في ايطاليا، والنازية في المانيا، والفالانزيسية في اسبانيا..) وكذلك الطورانية في تركيا، لذلك كانت حركة تركيا الفتاة تشجع وتوجه الدولة نحو (المركزية التركية بدلا من لامركزية اسلامية) رغم ادعاءاتهم بالمشروطيةوالحرية، وجاء في مذكرات (علي فؤاد- عسكري تركي) أن الدولة العثمانية كانت في قبضة الإتحاديين، والإتحاد كان في قبضة المركز العام، والمركز العام كان في قبضة أنور[73].

في الواقع هناك أربعة عوامل رئيسة دفعت-على ما أعتقد- الدولة العثمانية الى النظام المركزي فى ذلك الحين، وهي:

1- هيمنة الفكرة والثقافة الغربية العلمانية- ذات التوجه القومي - على مركز الخلافة. وكان نفوذ العلمانية التغريبية التي جسدت فيما بعد في تركيا الفتاة قوياً في مركز الخلافة، حيث تمكنوا من عزل سلطانين (عبدالعزيز ومراد الخامس) على التوالي وربما يرجع سبب موت عبدالعزيز (مسموماً) اليهم أيضا.[74] وكان نامق باشا رئيس (تركيا الفتاة) في الخارج ومدحت باشا رئيسها في الداخل كلاهما مع تبني المركزية القوية.[75] فضلا عن ما ذكرنا أعلاه حول أنور.

---

[69] د.على محمدالصلابى -الدولة العثمانية. .. المصدرالسابق . - ص 406

[70] المصدر نفسه..ص 406

[71] هذا النوع من الشعار الثلاثي انتشر في ذلك العهد ووصل الى تيارات اصلاحية اسلامية كذلك، مثل حركة ابن باديس وكانت شعارها (الحق، العدل، الأخاء)أنظر ابن باديس ص22)، ومن ثم الإخوان المسلمين (الحق، القوة، الإخوة).. ربما لم يكن البعض على علم بأن هذا الشعار كان يعود بالأساس الى الثورة الفرنسية، ثم الى الماسونية.

[72] انظر :أ- بروتوكول رقم (1) فى بروتوكولات...- وذلك من كتاب (فلسطين في رسائل...) .. المصدرالسابق ص 42. ب-دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة .. المصدرالسابق - ص141.

[73] حركة الإستقلال..- .. المصدرالسابق ص130

[74] الصحوة .. المصدرالسابق ص58

[75] لاحظ نيات مدحت باشا كما جاء في وصاياه الى الإتحاد والترقي، حيث أكد في وصيته الثانية والخامسة على تبني العلمانية والعنف والمذهب الميكافيلي في السياسة، وفي وصيته السابعة نبههم بتحضير أنفسهم للإنقلاب وليس للإصلاح-ينظر نص الوصايا فى(الصحوة- ص55).. أي انهؤلاءالإتحاديين أدعوا الإصلاحية في الظاهر لكن كان في منهجهم العنف والشدة ورفض الآخر كما نرى ذلك فيما بعد عندما أسسوا جمهورية علمانية تركية بعد سنة 1922 وأصبحت دولة دكتاتورية0=

= وكان مدحت باشا بهذه الأفكار قد وصل الى منصب (صدر الأعظم) في سنة 1872، والذي كان رئيسا لحركة تركيا الفتاة.(الصحوة ص55).. أما نامق باشا فكان يطرح بإستمرار القضايا التالية: ماهي أسباب انحطاط العثمانية؟و ماهي الجهة التي يمكن بها أن نوقف هذا

2- كشف إتصالات بين بعض الإمارات والأقاليم والولايات والأقليات غير المسلمة في الأطراف بالدول العظمى، كعلاقة محمد علي باشا بفرنسا، يقول (د.وميض عمرنظمي): ((ان المركزية وصلت الى الموصل في حوالي1833م وكان التواجد المصري (بقيادة محمد على باشا-الباحث) في سوريا هو الذي دفع الأتراك الى تبني هذه المركزية.[76])) بالإضافة الى محاولات الإتصال بفرنسا من قبل المسيحيين والعلمانيين في لبنان والشام، وقد بدأ النشاط السياسي لهؤلاء منذ منتصف القرن (19) وقد ظهرت أول جمعية عربية (وهي جمعية علم السورية) في عام7 185م المعارضة للخلافة وتهدف الى الإنفصال، وقد برزت نشاطات مماثلة في أقاليم وولايات أخرى[77].

3- بدأ الغرب (فرنسا وبريطانيا وايطاليا ثم روسيا) بالدعوة الى محافظة المسيحيين (أو طوائفهم)، وقد تدخلت هذه الدول من خلالها في عدة قضايا في المنطقة من بينها قضيةالنزاع بين الدروز والمارونيين في لبنان، وكانت النتيجة هي دخول الجيش الفرنسي إليها، ومن ثم المطالبة بنوع من الحكم الذاتي لجبل لبنان، وبعد انتهاء هذه المرحلة، بدأ الغرب بإثارة نعرة أخرى على الطراز العرقي والقومي.. لذلك قررت الدولة العثمانية حل هذه الإمارات وتبني المركزية.

4- رغبة الخليفة التسلطية (كطبيعة البشر) بالمركزية والسيطرة على الجميع وحتى على افراد عائلته، ومثال ذلك عمليات القتل فى سبيل العرش[78]، لذلك فإن السلاطين ليسوا بريئين من الإستبداد، وكانت كثير منهم منشغلين بالحياة الدنيا والنساء والهدايا، ولكن يجب أن نلاحظ هنا بأن هذه الإجراءات لم تكن بدافع قومي، بدليل أن المركزية شملت أيضا الإطاحة بإمارة الأناضول التركية بداية القرن (19)، كما شملت امارات كردية وعلوية وعربية وشركسية وتركمانية...الخ.[79] وتشير معظم الوثائق ان بريطانيا تعاونت مع السلطان محمود الثاني وغيره لترسيخ المركزية لاسيما في ولايات كوردستان.[80]

ان السياسة المركزية حولت الخلافةالعثمانية الى حالة متأزمة، وأدى ذلك الى حدوث مذبحة الأرمن، التي ألصقت التهمة بالكورد أو بالخلافة، لكن حقيقة الأمر غير ذلك، كما يقول (السلطان عبدالحميد) حول هذا الموضوع :الأرمنيون كانت لهم مكانة محترمة لدى الدولة العثمانية ووصل البعض منهم الى منصب الوزير الأعظم.[81] وكان للأقليات- حسب معظم الوثائق التأريخية- احترامها ومكانتها في العالم الإسلامي، ويقول بني مرجه: ((ولم يسجل تأريخ الدولة الإسلامية على اختلاف عهودها حادثة

الأنحطاط؟ وماهي الإصلاحات اللازم عملها في سبيل ذلك؟.. فكان حله هو: البدء بإقامة نظام دولة مركزية دستورية. وكان يقصد بالدستور، دستوراً على نمط دستور نابليون الثالث عام 1853 في فرنسا. (د.محمد علي -الدولة العثمانية ص406-407) وقد بدأ (مدحت باشا) عمليا بربط الدولة ببلدان بعيدة بواسطة فتح سكك حديدية لفرض السيطرة والمركزية.(الصحوة ص86).. وكانت تركيا الفتاة في مؤامرة مستمرة على الخلافة بجميع اشكالها، وتحاول اقحامها في الأخطاء والمجازفات.. كما جرى ذلك في (المركزية) و(دخول الحرب العالمية الأولى).

[76] تطور العراق السياسي. .. المصدرالسابق . ص46.

[77]--د.سيار الجميل - بقايا وجذور .. المصدرالسابق .. ص 325

[78] قتل بايزيد الأول (1389-1403) أخاه الأصغر وابنه فى سبيل ذلك، ومحمد الأول (1403-1421) قتل أخوته الأربعة، ومراد الثاني (1421-1451) قتل أخاه وعمه، ومحمد الثاني (1450-1411) قتل أخاه الرضيع، وسليم باوز (1512-1520) قتل خمسة من أولاد أخوانه وأخوين، وسليمان القانوني (1520-1566) قتل بعض أولاده وبعض أحفاده بدسيسة زوجته، ومراد الثالث (1574-1595) قتل اخوانه الخمسة، ومحمد الثالث (1596-1603) قتل (19) أخا له خنقا قبل دفن أبيه، وعثمان الثاني (1618-1622) قتل أخاه.. وبعضهم خلع وقتل...(الدولة العلية العثمانية- ص777)

[79] الصحوة الرجل المريض .. المصدرالسابق ص 181

[80] صباح ارام –الملامح السياسية لتاريخ الكورد الحديث والمعاصر-ط1 \2004م، افاق تربوية ص 138

[81] الصحوة .. المصدرالسابق ص 94

اضطهاد ديني واحد.))[82]، وكذلك الكورد لم يكونوا معاديين للأرمن أو أية اقلية دينية كما جاء في تقرير لجنة التحكيم في مشكلة ولاية الموصل، اذ وصفت حالة المسيحين وسط الكورد بنموذجية ونادرة.[83] لكن الدسائس العلمانية في الداخل والخارج فجرت هذه المشكلة، بواسطة اعطاء وعد شبيه بوعد بلفور وانشاء دولة ارمنية كبيرة على ارض كوردستان لاسيما بعد مؤتمر برلين.. وكان انتقام الأرمن من قادة الإتحاديين (أنور وطلعت وجمال) خير دليل على هوية المسؤولين عن هذه الجرائم[84].

وكانت العلمانية والمركزية قد أدتا الى التمرد واصطدام الأطراف مع المركز سياسياً وعسكرياً، وكذلك أدت الى بروز الحركات القومية والد يمقراطية والدستورية ضد الإستبداد والدكتاتورية، لذلك التفت قطاعات واسعة ومختلفة من الشعب بما فيها بعض الرموز الدينية حولها، ونتيجة لذلك قام التيار العلماني وحركة المشروطية بالعمل على الإطاحة بالخلافة[85] في سنة 1908-1909 ، وطرد عبدالحميد وحلّ محله أخاه السلطان محمد رشاد[86]، ذو السلطة ضعيفة التى تشبه بسلطة الملكية الدستورية الحالية، وجعلوا الخلافة في خدمة القومية التركية رويداً رويداً، وبدأوا بقطع الرابطة الإسلامية القوية الوحيدة بين الشعوب الإسلامية، وتحويل مبدأ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد...) الى مبدأ (مصائب قوم عند قوم فوائد). وانتهى العيش المشترك بين القوميات، كما عبرت عن هذه الحقيقة الجمعية الكوردية في تشرين الأول عام 1924 في رسالة بعثت بها الى عصبة الأمم بهذا الصدد، وجاء فيها أن الرابطة الوحيدة بيننا جميعاً هو الدين، وقد قطعت العلمانية التركية هذه الرابطة فلم يبق أية رابطة أخرى.[87]

وفي الحقيقة كانت هذه الفترة (أو بأكثر دقة) -على الأقل- منذ المشروطية الأولى في23/كانون الأول/ 1876 أو منذ قيام تركيا الفتاة في 1860[88] ، بدأت نشاطات كثيفة ومنظمة عبر المؤتمرات وتشكيل الجمعيات السرية المعارضة للدولة العثمانية، وهذه المؤتمرات هي:

+مؤتمر برلين بتاريخ 2/يوليو/1878
+ المؤتمر الأرمني في فينا عام 1890م .
+ المؤتمر الصهيوني بمدينة بازل سويسرية عام 1897.
+ مؤتمر باريس الأول للجمعيات المناهضة للخلافة عام 1902.
+ مؤتمر باريس الثاني للجمعيات المناهضة عام 1907.

---

[82] المصدر نفسه.. ص 174

[83] ينظر: 1-أيوب بارزانى –المقاومة الكردية للإحتلال ص8 2-د.فاضل حسين - مشكلة الموصل .. المصدرالسابق - ص98

[84] صدر بحق قادة الثلاثة واخرين القتل من قبل حركة تاشناق الارمنية ، وقداغتيل انورباشا فى تاشقند على يد الارمنى (ئاكابيكؤف)، وجمال باشا على يد كل من(بتروس و ارتاشيش)، وطلعت على يد(سوقون تهليريان) فى برلين ...

[85] رغم انها هي محصلة الأتفاق الموقع في باريس في 1908/7/24 مع زعماء من الأرمن والأكراد واليونانيين والمقدونيين وأقليات أخرى ضد عبدالحميد. ينظر: الكورد وكوردستان في الوثائق البريطانية .. المصدرالسابق ص20-21

[86](د. على محمد- الدولة العثمانية .. المصدرالسابق ص 413) وقد وقع شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي على عزل عبدالحميد، وذلك عبر جواب لسؤال فقهي حول عزل (زيد) من الذي اذا يسبب تبذير والفتنة والتقريب.. (بنعم) ووافق مجلس المبعوثان...وكان مناسبة السؤال حول (عبدالحميد) لكن وجه السؤال بشكل عام وبأسم (زيد من الناس) بدل كتابة اسم عبدالحميد.

[87] مشكلة الموصل .. المصدرالسابق - ص 229

[88] وقبل هذا التأريخ ايضا تمكنوا من خلع خليفتين (عبدالعزيز ومراد الخامس).

+ مؤتمر الإتحاد والترقي وإنتخاب (احمد رضا بك) رئيساً لها في عام 1907.

+ المؤتمر العربي الأول 18-23 يونيو عام1913.[89]

وكان الصراع المباشر بين العلمانية والإسلامية وبوادر تقسيم دولة الخلافة (من الداخل) قد بدأ من هذه المؤتمرات، ، وطبقا لما أوردتها (موسوعة السفير) فإن: ((أول مؤتمر لتقسيم الدولة العثمانية الذي شارك فيه معارضون للدولة العثمانية هو مؤتمر باريس* الذي عقد في 4-9/فبراير/ 1902 وعلى رأس المشاركين: الإتحاد والترقي، ومن أهم قراراته كان تقسيم الدولة العثمانية الى حكومات مستقلة على أساس عرقي وقومي))[90] .

وهكذا بدأت محاولات العلمانية القومية التركية-في البداية بـ(تركيا الفتاة 1860/ ثم الإتحاد والترقي 1889، والطورانية في 1913، وبعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918 ظهرت سلطة الكمالية في انقرة بمؤازرة أغلب العلمانيين في مختلف الأطياف، ونجحت الكمالية وسقطت الخلافة ثم بعد ذلك تم إلغاء الخلافة في 1924/3/3 رسميا وبقيت الكمالية وحدها في المعادلة التركية** بقيادة مصطفى كمال.*** وبالمقابل إستيقظت الشعوب لاسيما العربية فى الفترة المذكورة، ورفعت دعوات تحريريةمن قبل العلماني والإسلامي، كل بطريقته وكا لأتى :

1- كان الإسلاميون العرب، وهم بدورهم ينقسمون الى صنفين، صنف يدعو الى عودة الخلافة الى العرب ومن بينهم (عبدالرحمن الكواكبي، محمد عبدة، وبعض التيارات مثل الوهابية في الحجاز والمهدية في السودان..) وصنف اخر يدعو الى الإصلاحات في الدولة العثمانية المتمثلة بالجامعة الإسلامية وهم الشوكانية في اليمن، والصوفية في كوردستان،... وبقية أنصار

---

[89] الصحوة .. المصدرالسابق ص 484-485

* هذا المؤتمر يختلف عن مؤتمر باريس العربي عام 1913.

[90] ينظر:أ- د.محمد حرب- موسوعة السفير للتأريخ الإسلامي- .. المصدرالسابق ج8 ص75 ب-د.كمال مظهر -كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى- ط2\1984م، بغداد ص 116-117

** هذا التوجه لمصطفى كمال شبهة لدور يالتسين في الإتحاد السوفيتي ومصير شعار: الإصلاح والبناء (كلاسنوست وبيروسترويكا) لكورباتجوف، وما أدى بالإتحاد السوفيتي وولادة روسيا في المعادلة الجديدة بقيادة يالتسين.

*** وكان الخطوات التي قامت بها حكومة علمانية في انقرة بقيادة (اتاتورك) ضد حكومة اسطنبول بقيادة ال-خليفة محمد وحيد الدين وصدره الأعظم داماد فريد باشا، كالآتي: + في 1920/7/1 تم الغاء الحدود الشرعية واقرار قانون الجنائي.

+ في 1922/11/1 تم الغاء السلطنة وعزل وحيدالدين (اي فصل السلطنة عن الخلافة) وكانت الحالة تشبه حالة فصل الكنيسة عن الدولة في أوروبا.

+ في 1923/10/29 تحويل الخلافة الى الجمهورية علمانية وانتخاب مصطفى كمال رئيسا لها، وبوصوله الى الجمهورية التركية تنازل بالمقابل عن كثير من الأراضي العثمانية عبر الإتفاقات مع دول الجوار ودول العظمى في العالم اضافة الى ولاية الموصل وقبول شروط الأنتداب على ورثته المنسلخة) واعلان دولة أرمنية، والتنازل بقرم لروسيا في 16/مارس 1921، والتنازل بكليكيا لفرنسا في 20/ تشرين الأول 1921.

+ ألغاء الخلافة نهائيا في 1924/3/3.

+ الغاء المحاكم الشرعية في 1924/4/28.

+ إقرار القانون المدني السويسري لتركيا في 1924/10/4.

+ وتم الغاء مادة (دين الدولة الإسلام) في دستور التركي في 1928/4/10.

+ تم استبدال الحروف الإسلامية بالحروف اللاتينية في 1928/11/1.

الجامعة الإسلامية، وكان من ابرز الشخصيات مساهمة في هذه الجامعة: (جمال الدين الأفغاني، الشيخ ابو الهدى الرفاعي من حماه، أحمد عزة العابد من دمشق، الشيخ محمد ظاهر من الجزائر، الشيخ سعيد النورسي من كوردستان، الشيخ أسعد القيصرلي من المدينة المنورة، السيد فضل الله من مليبار)، فضلا عن فريق من أشراف مكة المكرمة وعلى رأسهم الحسين بن علي وعلي حيدر وعبد الإله باشا، وشكلوا اللجنة المركزية للجامعة الإسلامية في استنبول من (الشيخ احمد أسعد وكيل الفراسة الشرعية في الحجاز، أبو الهدى الصيادي شيخ الطريقة الرفاعية، محمد ظاهر الطرابلسي شيخ الطريقة المدنية، والشيخ رحمة الله أحد علماء الحرم المكي، [91] وكان شمال افريقيا أكثر تأثرا بهذه الجامعة حيث ظهرت المقاومة فيها مثل الشاذلية والقادرية والمدنية ضد الإستعمار.[92]

2- أما العلمانيون العرب، فكان قسم منهم يدعو الى الإصلاح في البداية، كما يلاحظ في المؤتمر العربي الأول في باريس عام 1913، ثم أيّدوا عودة الخلافة الى العرب، ثم قاموا بالدعوة القومية العربية في (الوطن العربي الكبير) ثم تحولوا الى الدعوة الإقليمية والقطرية، وفق المخطط الإستعماري الذي مزق العرب فيما بعد.[93]

وفى ضوء هذه التوجهات ظهرت مجموعة من الأحزاب والجمعيات العربية، النشطة، وكان أكثرها في الشام، وتحديدا في لبنان و في مقدمتها (جمعية النهضة اللبنانية)المسيحية-العربية، وعن طريقها إنتقلت تلك الفكرة الى البلدان العربية الأخرى بما فيها العراق، كما سنأتي عليه في الفقرة التالية.

---

[91] د. علي محمد - الدولة العثمانية- .. المصدرالسابق ص 382

[92] المصدر والصفحة نفسها.

[93] ويلاحظ ان مراحل تحول الدعوات للقومية العلمانية (العربية) تسير وفق خطاب الإستعماري، فكان الخطاب الأستعماري في البداية نقل الخلافة وثم القومية العربية فالتقسيم.

المطلب الثالث: الوضع العربي

حاول كثير من المؤرخين العرب لاسيما القوميين منهم ارجاع تأريخ نشاط القومية العربية السياسى الى عهد الرسول ρ تحت عناوين وبحوث: (جذور القومية العربية، أو ملامح القومية في عهد الرسولρ، أو العروبة في عهد..الخ)[94]. لكن المسافة بين الإسلام والعروبة (أو أية قومية أخرى) بعيدة، بل ان الإسلام والقومية عالمان مختلفان، في المحتوى والشكل والأهداف والمنطلقات، ولا يجتمعان، لأن القومية انتساب وولاء: عمودي، وراثي، بايولوجي، غير إرادي، محدود (شعبيا وأقليميا).. بينما الإنتماء الإسلامي أفقي، مكتسب، اَيديولوجي، إرادي، انساني، غير محدود (أرضاً).. والأمة الإسلامية مكونة من قوميات وأجناس مختلفة، وفي عهد الرسولρ كان في القيادة كل من بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي...، [95] وان معظم الحروب التي قادها الرسولρ كانت مع مشركي العرب، ومصطلح الأمة الذي جاء في القرآن الكريم لا يقصد به الأمة العربية، وأصلاً لا توجد هناك أمة عربية، بل هناك قومية عربية، لذلك كلن المصطلحان مختلفين لا يستويان كما ذكرنا في فصل الأول.

والباحثون الآخرون عندما لا يجدون في مجتمع الرسول(ص) أي موطأ قدم للفكرة القومية، يقفزون الى العهد الأموى والعباسى، وما ظهر منهما من مصطلحي الموالي والشعوبية، على هذا الأساس تستخدم في خطاب القوميون عبارات مركبة مثل: التأريخ العربي الإسلامي، أو أمتي العربية والإسلامية، ولكن يؤكد ابن خلدون بأن الأموية كانت متعصبة للقرشية ولا للعربية.[96] والأمر بخلاف ذلك: فإن التأريخ الإسلامي غير محصور في عرق واحد، بل كانت تقود العالم الإسلامي كل من العرب والفرس والكورد والتورك والجركس،.. وآلخ، كذلك في الميدان العلمي، ربما أكثرية العلماء –بما فيهم علماء اللغة العربية- من غير العرب كما أكد ابن خلدون[97]، هذه النزعة لإحتكار التأريخ المذكورا وهو خطأ علمي قبل أن يكون خطأ سياسيا وعقيديا وتأريخيا، ويعبر عن معنى غير إيجابي للعرب لاسيما وإننا نجد كثيراً من المؤرخين العرب المعاصرين يحاول اغناء تراثهم التأريخية بالآشورية والبابلية وهم ليسوا من العرب، بالتالي ان هذه المحاولات والمحاولات السابقةكأنها تدل على أن هذه الأمة مفلسة في جذورها التأريخية مالم تستعن بالحضارات الأخرى أو الشخصيات التاريخية الأخرى، مثل صلاح الدين، وطارق بن زياد و.... لتعتز بهم وبالحضارات والعلماء غير العرب، والصحيح هو: من حقها أن تعتز بهم كإسلام ولكن لا يحق أن يعتز بهم كعرب، لسبب بسيط وهم ليسوا عربا، هذه المحاولات الشاقة تأتي من عدم التقيد بهذه الحقيقة هي أن التأريخ القومي السياسي لا يرجع أبعد من قرنين (17-18) في اوروبا، وبداية القرن (20) في الشرق، رغم ان هناك رأي آخر يدعي أن عوامل النهضة الحديثة للوطن العربي والقومية بدأت مع الإحتلال الفرنسي لمصر عام 1798 مع تبشر بمفاهيمها الغربية[98]، ولكن هذا ليست نهضة القومية بل نهضة العلمانية التغريبية-حسب ما أظن-كما يتبين أكثر فى الفصل اللاحق.

---

[94] لاحظ كتاب (الحضارة في العراق ص321) حيث جاء فيه: بعد أن اتمت الجيوش العربية تحرير العراق من الحكم الفارسي أصبح العراق جزءا من الدولة العربية الكبرى، وكانت هذه الدولة قد اسسها الرسولρ... وبعض آخر يجد الشعور القومي الى أعمق وابعد من هذا لتأريخ، ففي نفس الكتاب انظر في ص244 موضوع (الشعور القومي لدى البابليين).

[95] لذلك نرى بعض من الباحثين المعاصرين يضيف (صهوا) مجتمع المدينة بالعلمانية بسبب التنوع.

[96]أ- مقدمة ابن خلدون.. المصدرالسابق ص 216 ب-د.علي وردي- دراسة في طبعة المجتمع العراقي-.. المصدرالسابق ص 111

[97] مقدمة أبن الخلدون .. المصدرالسابق ، ص194-198

[98]د.توفيق سلطان البوزكى، د.محى الدين توفيق، صلاح الدين أمين - دراسات في الوطن العربي –وزارة التعليم العالى، جامعة الموصل – ط3\1975م ص 57.

أعمق تأريخ للقومية العربية السياسية المزعومة التى رصده (جورج انطونيوس) هو تأريخ 1857م عام تأسيس جمعية العلم السورية[99].

وكانت تلك المحاولات تهدف الى فصل أنفسهم من تاريخ العثمانيين، ولكن مهما يكن الأمر فإن الوضع العربي في ظل الخلافة الإسلامية كان أفضل وأحسن مما كان عليه في عهد الإستعمار ونشوء الدويلات القومية، وذلك لأن الخلافة لم تكن بإسم أي عرق أو قوم، وذهب البعض من الكتاب والباحثين:الى ان النشاطات القوميةوالعلمانية العربية كانت السبب في وقوع العرب تحت الإحتلال والتقسيم والخذلان منذ منتصف القرن (19) لحد الآن، وبهذا الصدد يقول الشيخ علي يوسف: ((ان دعم الخلافة –رغم سلبياتها- أحسن من وقوعنا فريسةً للوحوش الكاسرة والإستعمار))، ويضيف ((ان محاولات العلمانية القومية هي المسؤولة عن ضياع معظم البلدان العربية فى أحضان الإستعمار)[100*]).[101]

لكن هذا الجانب من النيةالعربية الحسنة اصطدم بالنيات السيئة، حيث كان الإتحاديون يقومون بإهانة العرب مقابل ادعائهم بسموا التركي، وبدأوا يطلقون عبارات تعميمية كالـ(بيس عرب) و(عرب خائن) عرب بدوي...، وكانوا يشيرون في سجلاتهم مقابل الضباط العرب حرف (ع)، اشارة الى مميزات في الأنتماء القومي[102] بالتالي فقد اضافوا في اضطهاداتهم الإضطهاد القومي ايضاً، وأدى كل ذلك الى الفصل التدريجي بين العرب والترك، وكان الغرب يحاول بشتى الوسائل الفصل بينهما، ودغدغة العرب لإثارة الفكرة القومية وتكوين الدولة القومية وأحياناً إثارة فكرة أحقية العرب بتولي منصب الخلافة بدل الترك والعجم، لذلك نرى بموازاة الدعوة القومية في (تركيا الفتاة) قد ظهرت دعوات مماثلة في(العرب الفتاة)، وكانت جمعية (العرب الفتاة) جمعية سرّية في بداية الأمر وكان أعضاؤها مشبوهين بوجود علاقة بينهم وبين الماسونية، اذن الفكر القومي العربي والتركي كانا غربيين بالأساس إن لم يكن صهيونيا وماسونيا[103] ، ولا يتردد البعض -لاسيما من الإسلاميين-القول بأن المشروع القومي مشروع إستعماري من حيث الأصل والغاية[104] ، يقول شيخ عبدالعزيزبن باز*[*]: ((أن دعوة القومية جاهلية إلحادية تهدف الى محاربة الإسلام ومن صنع الغرب))[105]، وان إثارة الفكرة القومية من قبل الغرب كانت موجهة أكثر الى المناطق التي تسيطر عليها الدولة العثمانية ولم

---

[99] المصدر نفسه - ص60.. ولكن هناك رواية أخرى ان هذه الجمعية ظهر على ضوء أفكار سوريا الفتاة أو عربي الفتاة وهي أصبح معلنا في سنة 1889 (الصحوة.. ص311) وبالتالي هذا التأريخ ليست أكيدة.

[*] حيث وقع كل من عدن عام 1839م ومصر عام 1882م والسودان عام 1848 تحت الأحتلال البريطاني، والجزائر لفرنسا عام 1830م، وليبيا عام 1911م لإيطاليا، وتونس ومغرب عام 1912م، لبريطانيا، أما الخليج والعراق فكانتا ضمن النفوذ البريطاني بشكل عام، والشام ولبنان ضمن نفوذ فرنسا قبل عقد اتفاقية سايكس-بيكو 1916، كما جاء في الوثيقة رقم (2479) من دار المحفوظات البريطانية-(الصحوة ص367)

[101] الصحوة- .. المصدرالسابق ص133

[102] من الثورةالعربية الكبرى الى العراق الحديث .. المصدرالسابق .ص65.

[103] المصدر نفسه. ص 311

[104] بقايا وجذور .. المصدرالسابق - ص330. (هذه الشكوك لم تنحصر في اسلاميين وحدهم، بل راودها كثير من العلمانيين والوطنيين أيضاً، أمثال د.كراى القستنطين والبرت حوراني وغيرهم. لاحظ الصفحة نفسه).

[*] مفتى مملكة العربية السعو دية حتى نهاية قرن العشرين.

[105] ينظر: عبد العزيز بن عبد الله بن باز- نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع ص7 ,ص11 ص20

كذلك ينظر: موسوعة الميسرة.. .. المصدرالسابق ص 403.

تشمل البلدان العربية أخرى، لذلك كان الوضع في الولايات الأفريقية مختلفا تماما عن الولايات في آسيا العربية، كما قال(د.فرند اندة- الالماني): ((ان موقف المغرب العربي تجاه الدولة العثمانية أحسن من المشرق العربي، والمغرب العربي يرى العثمانية كمنقذ من همجية الصليبية الإستعمارية، وتعاونوا مع الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى))[106]، وكان اول موطيء القدم الاستعمارى وضع على اراضى الاسلامية يرجع الى بداية قرن 16 عندما دخل البرتغاليون الى الخليج متوجهاً الى الهند ،وواجههم قوة اسلامية بقيادة حسين كردى من خليج الى الهند فى معركة شيول البحرية وتمكن من قتل قائدهم نائب الملك (لورانزو) ، لكن الخيانة اودت بهم فى النهاية الى التراجع وسيطرة الاستعمار[107].

اما فى الاونة الاخيرةعند ظهور الجمعيات العلمانيةفى الشرق وتحركات مشايخ الخليج فكانت نحو المؤامرة ضد الدولة العثمانية[108]،يبدو ان معظم الوقائع التاريخية تؤيد ذلك، فمثلا: جمعية العهد بقيادة (عزيز علي المصري- ذات اصل شركسى) فكان الجناح المصري لهذه الجمعية يبدي التعاون مع الدولة العثمانية -خصوصاً في مراحلها البدائية- لتحرير مصر من سيطرة الإستعمار البريطاني، بينما الفرع العراقي والشامي للجمعية المذكورة يبدي التعاون مع الإستعمار لتحرير الشام والعراق، وفي النهاية انشطرت جمعية العهد على هذا الأساس[109] ، وكذلك جرى تقسيم مشابه في المؤتمر العربي في باريس عام 1913، وأصيب المشروع الشريفي[***] نفسه بالتقسيم تدريجيا أيضاً على ًوفق إرادة الإستعمار.

ومن جهة الخلافة قد سارعت الأحداث بعد أن خلع عبدالحميد من الخلافة سنة 1909 الذي وقف بصلابة بوجه العلمانية والمخططات الإستعمارية والصهيونية لبيع فلسطين مقابل (5) ملايين ليرة[110]، ورفض، وبعد خلعه بدأت الولايات العربية تشترى وتباع في المزاد العلني، وأحياناً يقع التنافس على (البيع) بين سلطة الإتحاديين وبعض قادة العرب الى حد المناقصة عليها، فقد باع الإتحاديون فلسطين بسعر أقل مما عرض على عبدالحميد وباعوا ب(400.000) ليرة[111] أو حسب كتاب (اليهود والدولة العثمانية) بصفيحتين من الليرات[112]، وعرضوا ليبيا للبيع لإيطاليا بسفينتين حربيتين.[113]

---

[106] صحوة- .. المصدرالسابق ص 104

[107] محمدحميدسليمان- الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج فى فترة مابين 1507-1525م ، مركز زايدللتراث ةالتاريخ ص69-72

[108] أول الجمعيات التي استخدمت لنسف الخلافة (جمعية النهضة االلبنانية) المصدر: الصحوة ص307.

[109] حركة الأستقلال.العربى .. المصدرالسابق . ص123. ولكن فيما بعد انخرط عزيز علي مصري وجمعيته مع بريطانيا في خطة الأستعمارية، وهو كان أحد مرشحي لقيادة الثورة في بصرةالتفاصيل فى المطلب الدولة العراقية فى خطة البريطانية.

[***] اشارة الى شريف بن حسين بن علي في مكة.

[110] عباس العزاوى –العراق بين الأحتلالين - .. المصدرالسابق ج8 ص186

[111] أ- د.على محمد- دولة العثمانية. .. المصدرالسابق . ص 415، ب - صحوة .. المصدرالسابق ص228

[112] - اليهود والدولة العثمانية .. المصدرالسابق ص229

[113] في حين كان الإسلاميون -لاسيما في العراق العربي- ينظمون المجاهدين تمهيدا لإرسالهم الى الدفاع عن طرابلس الغربي (ليبيا الحالية)، وفى كوردستان قادت ملاسليم ثورة ضد بيع الولايات،كما نأتى عليه بعد قليل بينما ترتيبات تجري بين العلمانية في العالم الإسلامي والحكام الإتحاديون =-كل على حدة- لبيع الطرابلس مقابل الذهب والمنصب، جاء في ص54 من الكتاب (حركة الأستقلال..): أنذرت الحكومة الإيطالية العثمانيين= بالتخلي عن الطرابلس.. ولم تعد بوسع الدولة العثمانية الوقوف بوجه الأطماع الإيطالية، بل راحت تنصل به مساومة على أراضي ليبية مقابل معدات عسكرية، ويقول جوليتى- رئيس الحكومة الإيطالية عام1911م عن حكومة الإتحاديين: لقد طلبوا منا اذا كانت ايطاليا مستعدة للتنازل لصالح تركيا كتعويض لها عن ضياع ليبيا، عن سفينتين من أحسن سفن اسطولها)).

وباعوا كذلك نهر دجلة الى بريطانيا بمبلغ 250 ألف ليرة[114] ، وكان مشايخ من (آل السعود، وشريف مكة، وملك مصر.. وآخرين) يأخذون الذهب مقابل اقاليم وتنفيذ مخططات رهيبة، وقد كشفت بعض هذه المخططات ومنها لم تتكشف لحد الآن، ومن الفضائح التي انكشفت، ما نشرته مجلة (شؤون خارجية) الصادرة في لندن في كانون الثاني 1927م بعنوان (امراء العرب وداوتنع بسكريت) وأوردت قائمة بأسماء الأمراء ورواتبهم كما يلي: (1- ابن السعود 100.000 جنيه، 2- الملك حسين- شريف مكة- 100.000 جنيه، 3- فهد الهذال 140.000 ربية، السيد الأدريسي 12.000 ليرة..) سنويا مقابل خدمات ستراتيجية[115]، وقد عممت هذه الطريقة مع الجمعيات والكتاب والشعراء والأفندية والمثقفين المؤثرين.. وقد ألح المسؤولون البريطانيون بعد ذلك بإعطاء المال والذهب بدل الوعود الكبرى على المستويين الوطني والتحرري[116]، وقد ربطت كيانات عشائرية فى الخليج بالبريطانيا بإتفاقيات وفق مصالح بريطانية(او وفق منطق دولة المستورد)[117]، فى عام 1737ز وبمبادرة بريطانية تمت اتفاقية بين (حمدابن السعود و شيخ محمد بن عبدالوهاب)[118]، ثم ابرام اتفاقية قطيف(بريطانيا مع ال سعود)فى 26/ديسمبر/1915 ، وفى 6/فبراير/1806 مع القواسمة ، وفى /يناير/1820 مع الشيوخ (رأس الخيمة، ابوظبى، بحرين، عجمان، ام القيوين، ..)[119]، وانشأ اول قاعدة عسكرية بريطانية فى عام 1861 فى الخليج بواسطة اتفاقية موقعة فيما بين البريطانيا العظمى وامير بحرين ضد العثمانيين والفرس[120] ،فالاتفاقية (شريف ماكماهون عام 1916)ضد خلافة العثمانية...، وفى هذا السياق وقع الملك فيصل مع (وايزمان الصهيوني) يوم 1919/1/3 في لندن على اتفاقية بيع[121*] فلسطين لليهود، المعروفة بإتفاقية (الفيصل- وايزمان)[122]، وكرم فيصل بالوسام وأنواط من ملوك الغرب مقابل ذلك وخدمات أخرى، اما بالنسبة لعلماء الدين فقد تعاملت بريطانيا والغرب بالطريقة نفسها ولكن لم تنجح معهم، كما يؤكد د.علي الوردي ويقول :((حاول الإنكليز اجتذاب الملائية عن طريق منحهم مبالغ كبيرة ولكن معظم الملائية رفضوا قبول تلك المبالغ))[123]، ويروى كتاب(الشخصيات العراقية) بأن برسي كوكس ارسل مبلغ 300دينار الى محمودشكرى الالوسي بواسطة (انسطاس كرملى) ،لكن الاخير رفض وقال الموت من الجوع احسن من المال لم اكتسبه بيدى ، ففي الولايات العربية كان الإسلاميون أكثر حساسية تجاه هذه الخطة وكانوا معارضين أشد المعارضة لها، على سبيل المثال قاد (رشيد رضا) معارضة ضد الخطة المذكورة، حيث وجه نداء وقال: علمت من الثقاة في عاصمة دولتنا ان بعض المتفرنجين المارقين (يقصد بها التيار العلماني القومي- الباحث) الذين أفشوا سموم العصبية والجنسية الجاهلية، ومن خلالها

---

[114] عباس العزاوي- العراق بين الأحتلالين- .. المصدرالسابق ج8- ص186

[115] عبدالرزاق الحسنى - تأريخ الوزارات العراقية -دارالشؤون الثقافة العامة –بغداد 1988م ج1ص92

[116]د.على الوردى – لمحات.. .. المصدرالسابق ج5 ص37

[3]هذا الكتاب من نتاج الكاتب (برتران بادى) ترجمه (شوقى الدويهى) بعنوان (الدولة المستوردة) ونشره دارالفارابى عام 2006.

[118]ـ د.صالح العابد –حركة الأستقلال العربى، رسالة الماجستر –جامعة المستنصرية، بغداد1988 ص12-13

[119]ـ ينظر: ايران والخليج العربى ص42- ويضيف الكاتب بأن معظم تواقيع على الاتفاقية كان بواسطة الاسبع .

[120] بيتر مانسفيلد- تاريخ الشرق الاوسط ص197

[*] وكانت تشترى وتباع في العالم آنذاك الأقاليم والولايات، وأحياناً الوطن بالكامل دون علم صاحبه، بل كان هذا الأمر يتم من قبل المستعمرين فيما بينهم، فقد اشترت أمريكا فليبين بمبلغ 20 مليون دولار من اسبانيا، واشترت جزراً في برمودا والولايات التي كانت الآن ضمن (الولايات الأمريكية)، وفى عام 1803 اشترت أمريكا ولاية لويزيانا من نابليون، وفي عام 1819 اشترت ولاية فلوريدا من اسبانيا، وفي عام 1867 أشترت اقليم آلاسكا من روسيا،.. ولم يكن المواطنون الساكنون في هذه الأقاليم على علم بهذه المقايضات والمساومات الا قليلا.

[122] نص الإتفاقية في كتاب (ملك فيصل الأول. .. المصدرالسابق ص28-29)

[123] لمحات... ج5 ص37

كانوا يميلون الى بيع أوروبا وبعض الولايات العربية التي كانت في أطراف المملكة كطرابلس.. لأجل أن يرقوا بثمنها ولايات الروملي وأناضول، وفي كوردستان أندلعت ثورة إسلامية أيضاً بقيادة ملا سليم ضد هذا التوجه وان واحداً من الأسباب الرئيسة لإندلاعها، هو بيع البلاد للأجانب[124]. وكذلك اعتبر الشيخ عبدالسلام البارزاني حكومة الإتحاديين كافرة وواقعة تحت سيطرة اليهود الدونمة[125].

وفى ظل هذه المواقف المتناقضة كانت الحركة السياسية العربية تنقسم - فى تلك الفترة – الى التيارات الرئيسية التالية:

1- التيار الموالي للغرب علناً، وهو: جمعية النهضة اللبنانية وجناح واسع من (جمعية العربية الفتاة) بقيادة عبدالحميد زهراوي، ومعظم مفكري الجيل الأول من منظري الفكر القومي العربي، كـ(جورج انطونيوس، محمد عزة دروزة، ناصيف يازجي، بطرس بستاني،...) وجمعيات أخرى أو أجنحة منها، وهم عرضوا على الغرب التدخل العسكري لتحرير العرب أو أقاليم خاصة كلبنان مثلاً، وكانوا من أشد المعارضين للجامعة الإسلامية[126] وأكثريتهم موالون لفرنسا، [127] ولم يترددوا في اطلاق عبارة الإستعمار العثماني أو الشعوبية على الرابطة الإسلامية، التي تربط العرب بالترك والشعوب الأخرى، وهذه العبارات في المنظور القومي البحت لها دلالاتها ومعانيها، لازالت تستخدم عند ذكر اسم العثمانية، ففي سبيل المثال (ادبيات حزب البعث).[128]

2- التيار القومي العربي (الجامعة العربية)، في بداية الحركة القومية كانت معظم الجمعيات العلمانية تدعو الى توحيد الأمة العربية والوطن العربي، بإستثناء بعض الجمعيات اللبنانية، ولكن فيما بعد ظهرت بعض الجمعيات بشعار القطرية مثل (سوريا فوق الجميع) كالحزب السوري القومي مثلاً، أو (مصر للمصريين) شعار أحمد لطفي سيد، [129] أو لبنان للبنانيين والعراق للعراقين..، وكان هذا التيار خليطاً بين المؤيدين والمناهظين للإستعمار بحيث أن الأول يدعو الى كل الوطن العربي والثاني يدعو الى الإقليمية. جاء في كتاب (البقايا والجذور..) إلباي (التونسية)هو أول مؤسس حقيقي للأقليمية الحديثة وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وكان متأثراً بالأدبيات الفرنسية[130].

3- التيار الأقليمي القومي، في تاريخ العرب القريب ظهرت تكوينات سياسية وإجتماعية على أسس منها:

(أ) ديني وهو بدوره ينقسم الى صنفين اساسيين، الصنف الأول التكوينات التي بقيت على الصحوة الدينية كانت مواقفها متميزة لاسيما تجاه الإستعمار مثل المقاومات المهدية والسنوسية والباديسية..الخ في افريقيا، والوهابية والشوكانية في جزيرة العرب والجعفرية فى العراق العربى والصوفية في كوردستان، أما الصنف الثاني الذي تحول الى السلطة الوراثة بقى يحافظ على السلطته أحياناً بالتعاون مع الإستعمار مثل عائلتي الهاشمية والسعوديةوغيرهما...

(ب) على أساس إجتماعي، وهي تكوينات منتشرة في أنحاء البلاد العربية، عددت كتاب (تكوينات وبقايا..) زهاء 63 تكوينا.[131] أصبح بعضها دولة بواسطة تعاونها مع الإستعمار والقسم الأخر منهم تلاشى.

---

[124] كوردستان في سنوات الحرب .. المصدرالسابق - ص111

[125] دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة. .. المصدرالسابق . ص 240

[126] صحوة. .. المصدرالسابق .ص136

[127] أ- المصدر نفسه..ص417...، ب-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، .. المصدرالسابق ص145-149.

[128] انظر:محسن احمدمحمد- الفكر الأشتراكي لحزب البعث العربي الأشتراكي-دار الرشيد للنشر 1982م \بغداد. ص115

[129] موسوعة الميسرة. .. المصدرالسابق ص 148

[130] د.سيار الجميل .. المصدرالسابق ص 521

[131] أ- المصدر نفسه.. ص417، ب-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .. المصدرالسابق ص145-149

وفي النهاية عادت جميعها واستقرت في التيار الإقليمي الذي يوافق سياسة وخطة الإستعمار التي رسمها في سايكس- بيكو وقبله في مؤتمر باريس 1902م، ومن أجلها انشطرت الجمعيات العربية العريضة وهم من رافعي شعار الوطن العربي والجامعة العربية، فمثلا إنشطر حزب العهد الى جناح سوري وجناح عراقي وجناح مصري تماشيا مع خطة الإستعمار، وكانت هذه الجمعيات تسير وفق مراحل متطلبات خطة الإستعمار، خطوة خطوة.

4- التيار الإسلامي (الجامعي) أو (بان إسلامي) على وصف بريطانيا، وهو تيارمناوىء للإستعمار ومؤيد الخلافة وعبدالحميد، وكان ضد الفصل بين الترك والعرب وباقي الشعوب الإسلامية، وكان معظم قادة الجمعيات الإسلامية مساهمين في انشاء الجامعة الإسلامية كالإتحاد المحمدي لـ(سعيد نورسي)، والحزب الإسلامي لـ(محمد فاضل داغستاني) وحركة الشوكانية في اليمن، وشخصيات مثل رشيد رضا[*] وشيخ علي يوسف، وكذلك في بعض المرات جمعية العروة الوثقى تابعة لجمال الدين. هذا التيار بقى مع عمر (الرجل المريض) وما كان يملك قاعدة جماهيرية واسعة -إلا في نخب معينة-، وبقى في حالة الضعف حتى السبعينات من القرن (20)، حيث واجهت الثقافة الإسلامية في الوسط الجماهيري جموداً مقابل تقدم الوعي العلماني ونشاطه العلمي الواقعي[132**].

لذلك كثير من العلماء والمؤسسات الدينية أيدت واستسلمت الى الخطة الإستعمارية الى حد أبدت جامعة الأزهر تأييدها لمصطفى كمال في إلغاء الخلافة ببيان رسمي[133].

5- التيار الإسلامي-العربي، وهو الذي يئس من الحكم العثماني ويدعو الى عودة الخلافة الى العرب، وكان من أبرزهم التيار الوهابي في نجد، وقادة العروة الوثقى فيما بعد، أمثال: الأفغاني، محمد عبدة، وحركة الكواكبي في الشام.

وكان هذا التيار يصنف في المنظور الإستعماري في البداية بالمعتدلين مقابل الإسلاميين والذين أطلق عليهم بـ(بان إسلام) أوالمتطرفين، ومن ثم شملت مصطلح (المتطرفين) كل الذين يدعون الى الوحدة العربية، وكان الإستعمار في البداية يشجع كل من يقابل الخلافة أو أية خطوة قد يؤدي الى الفصل بين العرب والترك والشعوب الإسلامية الأخرى، على هذا الأساس أيد الخلافة الإسلامية العربية في البداية ولكن بعد-زوال وحدة الإسلامية- اتهمهم بأنهم توسعيون ويريدون امبراطورية، وفي النهاية-قاعدة البقاء للأصلح - أصبح لذلك التيار الذي نسق مع الخطة الإقليمية والقطرية الإستعمارية، وكان فرنسا وبريطانيا يشجعان العلمانية القومية العربية لتأسيس دويلات عربية (حديثة)، وهي هدف مركزي ضمن مشروع كبير متعدد الأطراف والأوجه، حيث شاركت بالإضافة الى الدول الإستعمارية والصهيونية والمبشرين مباشرة أو غير مباشرة، جاء في هدف المبشرين على لسان (حنا ميليفان): ((إننا نجعل المدارس قوة فعالة لجعل الناشئين يقعون تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من الف قوة أخرى، وان هذا التأثير حي

---

[*] هذا العالم تعرض الى النفي ثم الإقامة الجبرية في مصر بسبب رفضه مشاركة في مشروع (فصل العرب عن الترك).. ص290-291 صحوة..

[**] في ساحل العاج بـ(غانا) بني مسجدٌ ولكن ينقصهم الكتب الدينية، وطلبوا من الخليفة (عبدالحميد) سد هذا النقص، فكلف (شيخ الإسلام) بذلك، وأرسل الكتب مع تسلسل من الخطب مكتوبة ليوم الجمعة، ولم يعرف شيخ الإسلام ولا حاشيته اسم ملك ساحل العاج -وهو زنكوزنكو- وكتب بدله (فلان ابن فلان)، وقد فهم الخطيب في ساحل العاج ان هذا الأسم (فلان ابن فلان) هو خليفة المسلمين على وزن (زنكوزنكو)، لذلك بقوا مقيدين بهذا الأسم في دعاء الجمعة حتى زيارة (جميل عارف) لغانا سنة 1964، ففوجيء خلال ادائه صلاة الجمعة بأن خطيب المسجد يدعوا بالنصر للسلطان (فلان ابن فلان)!!.... صحوة ص 1

[133] المصدر نفسه...ص 154

يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما قادة في اوطانهم))[134]، وجاء هذا التأكيد في (بروتوكولات حكماء الصهيون) أيضاً. نتيجة لهذه التوجهات والمخططات ظهرت جمعيات عربية كثيرة من التيارات المذكورة، وأهمها مايلي:

الجمعيات: هناك أسماء لعدة جمعيات تعتبر كأول جمعية عربية ذات طابع سياسي. ولكن أكثرية المؤرخين يصنفون (الجمعية السورية) التي تأسس منذ 1857م في دمشق كأول جمعية عربية، على يد كل من :(بطرس بستاني، ناصيف يازجي)، وفتح فرعها في بيروت سنة 1868م بإدارة سليم بستاني ومنيف خوري، اما أول جمعية ناشطة ضد الخلافة هي جمعية النهضة اللبنانية.

نصنف بقية الجمعيات على وفق الأهمية والزمن كالآتي:

1- جمعية العربية، سنة التأسيس 1875م في دمشق وطرابلس.

2- جمعية بيروت- عام 1880م.

3- جمعية حقوق المرأة، سنة التأسيس 1880م.

4-جمعيةالسورية الفتاة-1889؛رئيسها جميل معلوف

4- جمعية الوطن العربي أسسها خيرالله خيرالله سنة 1895م في باريس.

5- جمعية رابطة (الوطن العربي) اسسها نجيب عازوري سنة 1904م بباريس.

6- جمعية الشورى العثمانية، تألفت في مصر بين 1907-1908م.

7- جمعية الأخاء العثماني- 1908م في استانة.

8- جمعية القحطانية، أسسها خليل حمادة في 1909م

9- جمعية العربية فتاة، اسس في عام 1911م بباريس.

10-حزب اللامركزية، تأسس في 1912مم.

11- جمعية بيروت الإصلاحية، 1912م، انتشرت فروعها في دمشق، وبيروت، وحلب، وبغداد، والبصرة، والموصل..

11- حزب العهد، 1912م، لعب دور مهم في تكوين الفكر السياسي للضباط العراقيين.

12- جمعية العلم الأخضر، أسسها د.فائق شاكر في سنة 1913م.

13- جمعية العلم في سنة 1914م.[135]

وجاء في (الموسوعة الميسرة..) ان الدعوات القومية العربية ظلت محصورة في نطاق الأقليات الدينية، ويعتبر (ساطح الحصري 1880-1968) و(ميشيل عفلق) رائدين لهذه الدعوةفيما بعد.[136]

يلاحظ ان الجيل الأول من الجمعيات العربية والدعوات القومية انطلق معظمها من المفكرين المسيحيين، ومن جهة أخرى ان أول تأريخ للأحزاب في العالم يرجع الى منتصف قرن (18)[137]، لذلك نشأ الجيل الأول من الجمعيات العربية، مثل: الجمعية السورية والجمعية العربية وجمعية بيروت، وجمعية حقوق المرأة.. موضع شك ويتناقض مع مستوى الرقى المجتمع العربي التي

---

[134] صحوة .. المصدرالسابق ص410و ص172.

[135] إقتبسنا من المصادر التالية: أ- الموسوعة الميسرة .. المصدرالسابق ص444-445، ب- دراسات في الوطن العربي. .. المصدرالسابق . ص60-64. ج-الصحوة.. .. المصدرالسابق ص311

[136] الموسوعة الميسرة-.. المصدر السابق- ص446

[137] موريس ديفريجة - الأحزاب السياسية-تعريب:عبدالحسن سعد، ط2 \1977م، دار النهار للنشر ص6

تصنف في المؤخرة..، لأن الفكر القومي لم تصل الى الجماهير الا بعد مرحلة متأخرة من الأجيال العربية، كما صنف كتاب (بقايا وجذور..) الأجيال العربية وفق الزمن كالآتي:

1- جيل يقظة المؤسسين: 1799-1829م

جيل تنظيمات العثمانية: 1829-1859م

3- جيل الدستورية العربية: 1859-1889م

4- جيل الأستنارة الفكرية: 1889-1919م

5- جيل الليبرالية الوطنية: 1819-1949م

6- جيل القومية العربية: 1949-1979م.

7- جيل اليوم: 1979- حتى قرن الجديد(21).[138]

هكذا يتبين أن الغرب ضمن أطماعه في العالم الإسلامي هو وراء الفكر القومي والليبرالي-العلماني، وقد حاول في البداية اثارة أحقية العرب بالخلافة، وأعد جيلا من العرب من أجلها، ثم أعدّ جيلاً آخر على أساس الجامعة العربية، ومن ثم الجيل الثالث للأقليمية وفصله عن الدين، وشجع انبعاث حضارات اقليمية، كالفينيقية في لبنان، والفرعونية* في مصر، والبربرية في أفريقيا، والقحطانية في جنوب شام، وآشورية وبابلية في العراق..، ولعب على هذه الأوتار كل في مرحلته، بحيث تنفى المرحلة السابقة بالمرحلة اللاحقة وجيل الأول بالثاني...الخ. وهكذا الى أن حان هدف الخطة.. ونفذها.

ومنذ ذلك العهد وتأريخ الدول العربية كانت مليئة بعدم الإنسجام وعدم الأرتياح كما جاءت في مذكرات (سمند ويلز)[139] و(نوري سعيد)وغيرهما، حيث قال ألأخير: ((ان سياسات الدول الكبرى أدت الى ان تكون الأوضاع غير مستقرة في جميع الأقطار العربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، وأصبحوا فريسة))[140].

---

[138] د.سيار الجميل - بقايا وجذور.. .. المصدرالسابق ص 33

[139] العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب .. المصدرالسابق . ص82.

[140] نوري سعيد ودوره في السياسة العراقية .. المصدرالسابق ص 256.

*محمود عزمى من اكبردعاةالفرعونية فى المصر وهو من تلاميذ دوركايم (الموسوعة الأديان...ص149)

المبحث الثاني: الأوضاع في العراق قبل الإحتلال

أ- المطلب الأول : الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية.

ب- المطلب الثاني : الأوضاع السياسية والإدارية.

ج- المطلب الثالث : الأوضاع الفكرية والثقافية.

المطلب الأول :

أ- الوضع الإقتصادي والإجتماعي

على الرغم من ان الولايات (بصرة، بغداد، موصل) لم تتحد تحت مركزية بغداد بأسم العراق إلا في سنة 1917[141]، ولكن اذا أقررنا بأن العراق الحالي كان مكونا من الولايات المذكورة فأن عدد نفوسها حسب (كوتلوف) يساوي (3) ملايين نسمة،[142] أو 2.700 مليون نسمة حسب احصائية بريطانية لعام 1919م، وفي سنة 1867 سجل عدد نفوسها بـ(1.25) مليون،[143] وهذا الفرق فى هذه المدة القصيرة -على ما أعتقد- يرجع بكل وضوح الى ان قبل تكوين العراق في 1921 لم تكن كوردستان[144] محسوبة على العراق العربي الذي كان يغطي منطقة تساوي المنطقة الشيعية[145]، وعلى هذا الأساس جاءت الخريطة الإجتماعية التي بينها د.نظمي للعراق فهي: ((70% عربي الى جانب الأكراد والتركمان والفرس والأرمن واليزيديون والصابئة والشركس، اما من الناحية الدينية: 90% مسلم بالإضافة الى المسيحيين واليهود))[146]، وفي الناحية الحضرية فكانت 35% بدوية، 41% ريفية، 24% أهل المدن، أي أن 75% من سكان العراق يتبع قيم البدوية[147]، وهناك تقسيمات طائفية للمجتمع العراقى: (المسلمون الشيعة : ويمثلون 50% الى 55%من سكان العراق ، ويسكنون المناطق الوسطى والجنوبية. – والبقية مع الكورد هم المسلمون السنة ، ويمثلون 35% من سكان العراق ، ويسكنون المنطقة الشمالية ، وبغداد ، والانبار - واقليات تركمان و المسيحيون ، واليزيدية ، والصابئة ، واليهود ، ويمثلون 15% من سكان العراق[148]، وهناك التقسيم الطبقي للمجتمع العراقى ،منها: 1 – طبقة الفلاحين الذين يمثلون أغلبية (حوالي 75%)قلما تجدهم والا يعملون أُجراء لدى الإقطاعيين ، ولا يحصلون إلا على القوت البسيط لدى الطبقة الثانية

---

[141] فورستر .. المصدرالسابق ص 108

[142]ل،ن كوتلوف- ثورة عشرينالوطنية التحررية فى العراق –ترجمة:د.عبدالواخد كرم ،وزارة الإعلام –بغداد\1971م.. ص 25

[143] د. علي وردي- دراسة في طبيعة .. المصدرالسابق . ص 119

[144] كذلك هناك اشارة عابرة الى احصائية البريطانية تفيد بأن منطقة كوردستان لم تشترك في هذه الأحصائية، وكذلك تلاحظ من احصائية د.نظمي لا يوجد رقم الكورد في نسبة، أو فى الحقيقة غير معنية بها.

[145] حنابطاطو –العراق .. المصدرالسابق ج1ص59

[146] التطور السياسي المعاصر في العراق .. المصدرالسابق . ص 10.

[147] د.علي وردي- دراسة -... مصدر السابق ص 119

[148] هناك عديد من تقديرات مختلفة حول وجود نسبة الشيعة والسنة والكورد فى جتمع العراقى ،ونقل (حنا بطاطو) من الإحصاء الرسمي الذي أجرته الحكومة العراقية عام 1947:الشيعة51% والسنة 19% والكورد81% .

السنة الأكراد 840000 (18.4%)

وهى طبقة الإقطاعيين ، والملاكين الكبار ، الذين يملكون 75 % من الأراضي الزراعية ،..وهناك الطبقة الوسطى وتمثل هذه الطبقة الحرفيين والكسبة والموظفين ، والمثقفين ،وهناك طبقة العمال ، وقد كانت هذه الطبقة ضعيفة نسبياً ، بسبب افتقارها إلى المشاريع الصناعية ، بشكل عام (كما يذكر لونكريك)المجتمع العراقى متخلف وبعيد عن الحضارة[149] .

وأغلب المصادر يساوون بين القيم البدوية والأعراب الذين ذكرهم القرآن، وكتب (ابن سعد البصري) عنهما في (مطالع السعود في أخبار والى داود): الأعراب عوام مغفلون لا يعرفون الدين ولا العقائد[150]، وهذا الوصف يشمل قسم واسع من النسبة المذكورة أعلاه من العراقين، لذلك أطلق على أهل العراق في القديم بأهل الشقاق والنفاق[151] ،أول من أطلق هذا الوصف هو (الحجاج بن يوسف الثقفي)[152]، أما أهل المدن فكان أكثرهم من أقليات غير مسلمة وغير عربية، جاء في (أحوال العراق في المرحلة المشروطية): ((ان سكان العراق ثلاثة: 1- بدو 2- عشائر مستقرة تحت الملاك 3- الحضرالذين يتكونون بالأساس من اليهود والنصارى، او الأجانب، وتجمعوا وتمركزوا في المدينة بسبب هيمنة القيم البدوية خارج المدن، وهذه الإختلافات بين المدن والقرى هى احدى أهم أسباب التخلف الزراعى في العراق، ورغم أن العراق يملك أرضاً صالحة للزراعة قبل أن يكتشف فيه النفط والثروات المعدنية الأخرى، من جملة المحاصيل الزراعية هي: القمح، التمور، الرز، التبغ، القطن، السكر... منهم من اعتمد على المياه الجارية أو مياه الأمطار (الديمية)، وهناك نوع من العلاقة بين المهن الإقتصادية والتكوين الإجتماعي في العراق، فكان الريف زراعيا والبدوي راعيا، وأهل المدن إما تجار أو حرفيون أو صناعيون.

قال (كوتلوف): ((ساعد افتتاح قناة السويس عام 1869م على إنضمام العراق الى السوق العالمية)) [153]. ويضيف بهذا الصدد د.عبدالله فياض: العوامل التي أدت الى زيادة التجارة وإنفتاح العراق هي ثلاثة:

1- فتح قناة السويس، 2- سير البواخر العثمانية في دجلة بعد سنة 1858، 3- نمو التجارة الأجنبية لاسيما بريطانيا، وبواسطتها تضاعفت التجارة الى حد (الحرب العالمية الأولى) 20 مرة، [154] حيث أن أوروبا -ولاسيما ألمانيا وبريطانيا- بعد الثورة الصناعية فيها بدأت بالبحث عن المواد الأولية في دول العالم الثالث، وبدأوا بالإتصال مع تجار العراق لهذا الغرض، لاسيما الضريبة على التجار الأجانب كانت خفيفة، يقول د.فولتي: ((العثمانيون كانوا أكثر مراعاة للأجانب والتجار الوطنيين، فقد كان الأجانب لا يدفعون إلا 3% من الرسوم على متاجرهم بينما كان الأهالي يدفعون 10%)).[155] كذلك لعبت المدن المقدسة دوراً

---

[149] ستيفن لونكرينك –اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ت :جعفر الخياط ط4، ص20-21.

[150] المصدر نفسه..ص 226

[151] لذلك ورد بعض الأحاديث حول الفتنة في العراق وذم العراقيين.. ومدح أهل الشام ، بيد أن هذه التعاميم وذم أهل العراق بحسناته وسيئاته لايتوافق مع علم الأحاديث، سنرجع عليها في فصل-3-.

[152] المصدر نفسه ص 365.

[153] ثورة العشرين. .. المصدرالسابق ص26

[154] د.كمال مظهر-الطبقة العاملةالعراقية –وزارة الثقافة والأعلام-دارالرشيد للنشر \1981م ص 17

[155] جاء هذه النسبة من الرسوم في حاشية اتفاقية بين فرنسا وعثمانية في سنة 1740م، ينظر: صحوة .. المصدرالسابق ص 403.

مهماً في توسيع التجارة مع ايران والهند.[156] ومن فترة 1862-1918م أ زدادت صادرات العراق من الشعير والحنطة والتمر والماشية مرات عديدة.[157]

وهذه التنمية شملت بالأساس المدن ثم الريف ولم تصل الى العشائر والبدو إلا القليل، والذين قلما يحبذون المدن والحياةفيها لأن أهل المدن لا يملكون الإنتماء الى سلطة عشائرية قوية ولاحماية لهم سوى القانون، لذلك أصبح تجمع الأقليات (الدينية والإجتماعية) في المدن أمر منطقي، ويكون معظم التجارة والصناعة بيد اليهود والمسيحيين[158]، وكانت عطلة بغداد في السبت بسبب عطلة اليهود، وفيها تغلق الدكاكين والمحال التجارية[159]، وكان اليهود يشكلون ثلث سكان بغداد[160]، مهنتهم تتركز في (الحكاكة، والحدادة، والدباغة، والحلاقة،..) وهي لا تنسجم مع القيم البدوية، [161] لذلك لكل الفئات والمكونان والطبقات العراقية عادات وتقاليد وثقافات خاصة تتكيف مع مهنتها وانتمائها الطبقى، لكن هذه القاعدة فى الوسط البدوي غير دقيقة، رغم ان (كوتلوف) و(زاخار د-الماني) يؤكدان ان المركز الإجتماعي للبدو يحدد على وفق الثروة:((المعيار الرئيسى للتميز بينهم يتناسب مع ما لديهم من الأموال))[162]، ولكن يبدو ان هذا التفسير ذو بعد واحد وأقرب الى الماركسية على ما أعتقد، والحقيقةان عوامل أخرى أحياناً تلعب دوراً أكبر من ذلك، وفى مقدمتها العامل الديني، أي مرتبة علماء الدين، وكذلك عامل النسب، فرئيس العشيرة وأقرباؤه بحكم النسب هم ذوو السلطة السياسية والروحية والإجتماعية فى الديرة، وبالتالي مرتبتهم عالية وإن لم يملكو الثروة، لذلك لا يحدد الوضع الإجتماعي مباشرة من قبل الوضع الإقتصادي، بل تدخل في هذه العملية العوامل البدوية والحضرية.

وهذه التقسيمات الطبقية والعادات والتقاليد والقيم لا ترجع الى الحضارة ولا الى الشريعةالإسلامية، لأن هذه المرتبة تحدد في الإسلام على أساس التقوى لا على أساس الثروة أوالنسب، ومن جهة أخرى نجد أن هذه المرتبة والقيم ليست مبنية على المصلحة البحتة، إذن لا مجال إلا ان تفسر بأنها قيم بدوية خاصة، لذلك يميل د.وردي الى تفسير ابعد، عندما يقول: ((ان القيم البدوية أتت من العرب أنفسهم (من البادية)، أما القيم الحضارية أتت من الحضارات التي بنيت فوق الأراضي العراقية، من: آشورية، بابلية، أكدية، مادية، هيلنية، فارسية، إسلامية...))[163]، ماعدا المسلمون والبقية ليس من العرب، وكاد أن يقول د. وردي ان البدوية قيم أصيلة للعرب والحضرية قيم دخيلة.. بذلك يقترب من رأي ابن خلدون وغيره في هذه المسألة.. ولكن يبدو ان تأريخ العرب بمعزل عن الإسلام ومحتواه كان جاهليا وبدويا، شأنه شأن المجتمعات القديمة، فكان وصف قبائل الجرمان الأوروبية

---

[156] الثورة العراقية الكبرى- .. المصدرالسابق ص 65-66

[157] المصدر نفسه....ص 25.

[158] ما يؤيد هذه الحقيقة هي تقارير غرفة التجارة بغداد لسنة 1935 وتؤكد ان 60% من أعضاء الغرفة التجارة من اليهود ومن بين كل 13 تجار السكر (11) منهم يهودي اما الشاي فهي النسبة 15\18.

[159] د.على الوردى-لمحات.. .. المصدرالسابق ج5ص127

[160] فورستر- .. المصدرالسابق ص115

[161] على وردي –دراسة فى الطبيعة المجتمع العراقى .. .. المصدرالسابق ص 62

[162] كوتلوف-ثورة العشرين - .. المصدرالسابق ص32-33

[163] وردى-المصدر نفسه... ص 11

متطابقا مع القيم البدوية، فكان التراجع في ميدان المعركة عندهم يعني الخزي والعار.. والإغارة والأستيلاء على الغنائم مروءة.. لذا العرب* ليسوا وحيدين فى انتاج هذه القيم.

بينما جاء وصف العرب لاسيما فى عهد مد الاموى واثاره بفضل العرب على السائر الاقوام ،وتورط الائمة وعلماء بدرجات متفاوتة ومنها : شافعى –احمد-مالك-ابن تيمية –ابن قيم-ابوقاسم زمشخرى –حافظ العراقى - إمام الهيثمي - وإسحاق بن إبراهيم -عبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور جاحيز و.. واكثر منهم (ابن قتيبة) فى كتابه (فضل العرب والتنبيه على علومها) ،وإمام العراقي فى كتابه (محجة القرب في فضل العرب) ،ومرعي الكرمي فى كتابه (مسبوك الذهب في فضل العرب) (الشيخ بكر أبو زيد (خصائص جزيرة العرب) ،ويلخص امام ابن تيمية بقوله : (فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، عبرانيهم وسريانيهم، روميهم وفرسيهم وغيرهم)[164] وفى مكان اخر:(...كما أن جنس العرب يستحق من المحبة والمولاة ما لا يستحقه سائر اجناس بنى ادم)[165] ، ويزيد (معجم المناهى): (وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات ، وهو ((التكلم بغير العربية)) إلا لحاجة ، كما نص على ذلك مالك والشافعي وأحمد ؛ بل قال مالك : من تكلم في مسجدنا بغير العربية أُخرج منه ، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها ؛ ولكن سوغوها للحاجة ، وكرهوها لغير الحاجة ، ولحفظ شعائر الإسلام ؛ فإن الله أنزل كتاب باللسان العربي ، وبعث به نبيه العربي ، وجعل الأُمة العربية خير الأُمم)[166].. من جانب القوميين المعاصرجاء بأكثر حدة ومبالغة، حيث ورد في كتاب (العروبة بين الشعوبية والإستعمار): ((من بين كل أمم الأرض توجد في الأمة العربية وحدها عوامل النجاح، قد احتاج اليها الأنبياء والمرسلون، وبالتالي العالم كله محتاج على الدوام الى قيادة العرب والى أخلاق العرب))[167]، هذه الدعوة لايستند الى اى نص صحيحة ، واكثر من ذلك احياناً نجد من حكم وقادة العراق عبدٌ يُباع ويُشترى في السوق مثل داود باشا، يقول عبدالرحمن بزاز:((ولد –داود-في تفليس سنة 1767م وجئ به الى بغداد وبيع في أسواق النخاسة أكثر من مرة، واعتنق الإسلام، فترفع الى هذه الدرجة)).[168]

رغم ان العرب يملكون القيم والأخلاق وكرم الضيافة، ولكن هذه الظاهرة جديرة بالوقفة والرجوع الى السؤال الذي طرحه (د.وردي) في كتابه: هل يختلف العرب عن غيرهم من الأمم؟ هل يختلف أهل العراق عن غيرهم من العرب؟[169] فإستخدم العراق الأسلحة الكيمياوية ضد أهاليها جديرة بالوقفة، وبالعودة الى الأسئلة التالية: هل هناك علاقة ين البيئة الصحراوية وهذه الظواهر؟ الى أي مدى يصح القول بأن باديتين في العالم، البادية العربية والبادية المغولية أنتجتا هذا النوع من السلطات كما طرح على وردى ؟ ولكن يجب ان لا ننسى ان العثمانية كذلك خرجت من نفس البادية التي خرج منها المغول، لكن العثمانية

---

* لكن مما يلفت النظر ان حكام العرب-اللادينية منها- وحيدون في العالم ولازالوا متمسكين من حيث المحتوى بقيمهم المذكورة، ولا يدخل المدنية والديمقراطية إليهم الا بواسطة الأحتلال، ففي هذه اللحظة تمارس الدول التالية -من بين الدول العربية- نوع من الديمقراطية وحقوق الأنسان وعناصر المدنية: عراق، لبنان، فلسطين.. وهم دول تحت الإحتلال أو على الأقل ليست عربية بالكامل.

164 ابن تيمية-اقتضاء الصراطالمستقيم ج1ص419 .

165 منهاج سنة النبوية ج4 ص276

166 معجـــم المناهي اللفظية(ويليه فوائد في الألفاظ)- بكر بن عبد الله أبو زيد ص16-17.

167 حامد غضبان الراوى –مطبعة دار التضامن-بغداد\1963م ص19-20

168 العراق من الإحتلال الى الإستقلال.. المصدرالسابق - ص 32.

169 سجل هذه الأسئلة في غلاف كتاب خاص بإسم (دراسة في الطبيعةالمجتمع العراقي)، وهناك كتاب أخرى بعنوان (تأريخ العراق الدموي-باقر ياسين).

ساهمت في الحضارة العالمية كما ساهمت الأموية والعباسية، بذلك تعني ان هذه الشعوب كلما أبتعدت عن الإسلام أصابها هذا التميز الخاص فى التخلف كقولهم (البدوي اذا تحضر فسد).[170]

وأحسن دليل على هذا ان معظم البدوية يتبع أهل السنة (ولو شكليا) لأن السنة في هذه المراحل ما كانوا تحت مرجعية أو توجيهات دائمة، وكانت المدارس والمراكز الدينية معطلة في منطقتهم، لذلك كما يقول (حسن العلوي): ((اذا البدوي تشيع يتخلى عن بدويته))[171]، وكان معظم السكان العرب من تلك الفئة ، كما قال مانسفيلد(ان تعبير كلمة (العرب)عموما منحصرا انذاك-اى عهد العثمانى – بانصاف بدو شبه جزيرة العربية)[172]،لذلك اطلق جمال باشا على الثورة العربية الكبرى ب(الثورة البدوا) فى كتاب(ذكرياته)، ويؤيد ذلك من قبل لورانس مفجر تلك الثورة[173]، ومن جهة أخرى هذه الحالة منعت تطوير وتوسيع سلطتهم الإجتماعية الى مستوى التكوين السياسي ، لذلك نرى ان عرب العراق لم يرتقى الى مستوى كيانات السياسية (يذكر)بخلاف معظم الأقاليم العربية الذين تمتعوا بتكوين إدارى وسياسى(ولو ظعيفة) مثل: (أشراف مكة، آل العظم في دمشق، آل الحمادة في طرابلس، بنو زبير في اليمن، الصلحيون في صنعاء، آل جان بولاد* في بلاد الشام، الدروز في لبنان، شمر في النجد، بنو خالد في الكويت، آل سعود بنجد، القواسم في الخليج، أسرة محمد على في القاهرة، فونج في السودان، القرمانليون في طرابلس الغرب، الشاوية في شرق جزائر، أمازيخ في المغرب..الخ.[174] فكانت هذه التكوينات أيضا تجدها في كوردستان والجنوب مثل (آل باباني وسوراني وآل جلايلة في موصل، وآل شبيب وافراسياب في بصرة...) بينما لا تجد شيئاً مماثلاً في وسط وغربي العراق.

هذه الوضعية في القيم البدوية مثل الإغارة، وقطع الطريق والحصول على الغنائم، والقتل، والإبتعاد عن القيم الدينية وتوجيهات الأئمة والمشايخ الإسلامية، أدت الى تباعد العرى بين المجتمع العراقي -إن كان صحيحاً تسميتهم بالمجتمع العراقي-، لأن هناك عداوات متعددة الأوجه، كما قال د.وردي: الحرب في العراق دائمة، أما السلم حالة طارئة بين كل مع الكل** وكمايلى:

1- القتال بين القبائل بعضها مع البعض.
2- القتال بين القبائل والحكومة.
3- بين القبائل والمدن.
4- بين المحلات في المدينة الواحدة.
5- القتال بين المدن بعضها مع البعض.
6- القتال بين المدن والحكومة.[175]

---

170 د.وردي - لمحات... المصدرالسابق . ص 149

171 حسن العلوي - الشيعة والدولةالقومية... المصدرالسابق ص41

172 ثيترمانسفيلد- تاريخ الشرق الاوسط –ت:ادهم مطر،ط 2013دمشق ص201

173 لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963 ص34.

* جان بولادهو اسم كوردى مُحوِر من (طيان ثؤلا)، وأصبح الأن جونبلاط.

174 البقايا وجذور.. .. المصدرالسابق ص 221

** ولكن لم تحدث حرب بين المسيحي والمسلم، أو بين الشيعي والسني، أو بين الكورد والعرب، وكان الدين هو عامل الوحدة الوحيدة للعشائر العرب في ما بينهم والكورد في ما بينهم وفيما بين الكورد والعرب.

175 وردي.. - لمحات - المصدر نفسه ص 166

ومن هنا لابد أن نشيرالى أن الخريطة الإجتماعية هى التى تحدد القيم والعادات وطبعها ومهنتها والوعى السياسى(ان وجد)، بعكس ما جاء من قبل الماركسيين والليبراليين الذين يزعمون بأن تلك العلاقات مبنية على العلاقات الإقتصادية، فليس بإمكان اليهودي أو المسيحي أو الأفندي العربي التجوال في البادية ويرعى الأغنام، وكذلك العكس، ولكن هذه القاعدة غير معمولة بها في كوردستان، حيث نجد بأمكان الأقليات أن تعيش وتملك الأراضي في القرى، وكان ل(مار شمعون) جمع بين المركز الإجتماعي فى الريف والإقتصادي فى المدن، لذلك جاء في تقرير لجنة مشكلة الموصل: (المسيحيين وأقليات أخرى يشبهون الأكراد في كوردستان في حياتهم وعاداتهم وملابسهم).[176]، ويضيف التقرير: ((من بين جميع الشعوب الإسلاميةعاش الأكراد مع المسيحيين في أفضل الأحوال)) [177].، ولكن صلة القرويين المسيحين بالمدينةأقوى من عشائر الكورد والذين مثل عشائر العرب لا يحبذون كثيرا عيش المدن والحضارة.

وكان أهل المدن هم أكثر واعياً واختلاطاً مع العالم ويتتبعون الأحداث السياسية، وهم ليسو عربا بمعنى العربية الأصيلة، بل أكثرية أهالى بغداد مكونة من اليهود والمسيحيين والكورد الفيليين والفرس واقليات أخرى. وكان الزعماء الدينيون -لاسيما الشيعة- معظمهم من أصول إيرانية، أما العرب الأفندية في المدن فهم ميالون أكثر الى التغريبية لا الى القيم العربية البدوية الأصيلة، لذا نرى في التاريخ المعاصر وقبله ان العرب في العراق غير مؤثرين فى مجريات الأحداث السياسية على المستوىالعربى والدولى، بإستثناء بعض الرؤساء الذين تعهدوا بجمع الضرائب للوالي أو أية سلطة مفروضة عليهم، ونتيجة ذلك برزت طبقة من الأقطاعيةالتى سيطرت على معظم الأراضى الديمية والأروائية، وكانت الأراضى التى تسمى الزراعية أوالشواطىء تلعب دورا هاما فى فتح العلاقات بين المدينة والريف وكذلك مع العالم رغم قلتها انذاك، يقول (كوتلوف):(المنطقة الزراعية على شاطيء البحر تتراوح بين 2-3.5%)، أما تقدير (شيستروخ) رئيس اللجنة الإقتصادية الألمانية الذي زار العراق خلال فترة 1899-1900م، يشيرالى هذه النسبة بين 2-7% من مجموع الأراضي الزراعية.[178]

وكانت الأراضي التى تسمى الوقف تحوي على اكثر من ثلث الأراضي العراقية في عهد عبدالحميد الثاني.[179] لذلك كانت الأراضى المملوكة ملكاً صرفاً قليلة وأن وجدت فهي تابعة للأقطاعين وكبار المتنفندين، أحياناً تمتد أراضيهم الى آلاف الكيلومترات، مثلاً شيوخ آل سعدون يملكون أراضي ممتدة من الكوت الى البصرة، [180] وهناك اقطاعي أخر ملكه يمتد من منتفك الى البصرة، وفي منطقة الحلة اإمتلك الشيوخ 53 قناة للري من بين 54 قناة الري.[181] بذلك أصبح مركز رؤساء العشائر أقوى، الى حد يشبه رئيس الدولةفى ديرته، وكان الولاة العثمانيون يشجعون هذا النمط كي يضمنوا الولاء الشعبـي ، رغم ان السلطان عبد المجيد فى نهاية حرب القرم اصدرقانونا(خط شريف كلخانة- قانون الأراضي العثماني)في 11 جمادى الآخرة سنة 1272هـ الموافق 18 فبراير سنة 1856م على شكل فرمانا ، تحوى على مجموعة من القوانين ومن بينها قانون الأراضي , وقد وضع هذا القانون أسس ثابتة في

---

[176] مشكلة الموصل . المصدرالسابق - ص101

[177] أيوب بارزانى –المقاومة الكردية للإحتلال ص8 \ولكن يبدو ان اللجنة لم يحقق ذلك بشكل جيد وإلا كان في كثير من مناطق العالم الإسلامي كانت المسيحية والأقليات تمارس الحرية كاملة، بما فيها في بغداد، بيد أن المناطق العربية العشائرية في العراق نموذج غير جدير بالذكر.

[178] كوتلوف - ثورة عشرين- .. المصدرالسابق - ص 28

[179] ثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ص 57

[180] تغلغل نفوذ البريطاني. .. المصدرالسابق ص 19

[181] كوتلوف .. المصدرالسابق ص 44

مسألة التصرف في الأراضي بما يحقق سيطرة الدولة ويعزز سلطتها المركزية ووضع حداً للإقطاعات,وبعدسنتين اصدر قانونا اخر (اى فى القانون في 21 نيسان 1858م) لصالح فلاحين، لكن الامر الكلى بقى على حاله ، وتطور هذا الشكل في بعض المناطق الى ظهور ما سمي بـ(سواره حميدية) لاسيما في المناطق الكوردية التي هي أكثر إستقلالاً من باقي الشعوب، فكانت قبيلة جاف تملك 4000 من الفرسان لوحدها[182] مع أراضي واسعة، هذا النوع من الجيش في المناطق العربية يسمى (الحوشية).[183] وفي عهد الإتحاديين تطور (سواره الحميدية) الى (افواج خفيفة)مضادة للحركات الكوردية أيضا بذلك تكون هذه الأفواج أول كتائب كوردية مرتزقة على ما أعتقد، وفي وسط العرب تحول حوشية الى (شبانة)[184] في عهد الإحتلال البريطاني.

كانت المناطق المغلقة تحت سلطة العشائر تسمى (ديرة)، وهي عبارة عن الحدود السياسية والإجتماعية والإقتصادية للعشيرة، كحكومة مصغرة ومخصصة للقبيلة أو جموع من قبائل، وأحياناً تصل الديرة الى مستوى الإمارة، مثل إتحاد قبائل (المنتفك)، حيث إمتدت ديرتهم من أعالي الناصرية الى ظهر البصرة نهرا وبراً.[185] وكان المسلحون فى الديرة تعتمدون على (تفنك) للأغارة وجمع الغنائم ، لاسيما على العشائر الضعيفة المجاورة،[186] وفيها محاكم ونوع من القوانين المتمثلة بالعادات والتقاليد، كذلك الحراسة والسجون، وعلاقة الديرة بالسلطات المركزية ضعيفة وتمر بالرؤساء الذين كلفوا بجمع الضرائب مقابل اطلاق ايديهم في ديرتهم ، لذلك ظهر نوع من الإنسجام بين الوالي ورؤساء الديرة على حساب افراد العشيرة ويذكر ان الوالي -ولاسيما في العراق- كانت وظيفته الأساسية جمع الضرائب وأهدائها سنويا الى اسطنبول، ، وهناك عدة أنواع من الضرائب* ومنها:

1- العمل الإجباري فى الجيش العثماني، وعند مروره كانوا يأخذون الطعام والعلف لدوابهم.
2- الضريبة على المهنة.
3- العشر والكودة لمن لم يخدم العسكرية.
4- كذلك سميت الضريبة على الغنم (الرسوم) بالكودة، وقد سجل (عباس العزاوي) ضمن أحداث سنة 1874م لكل رأس غنم رسوما يساوي 2.5 قرشاً.[187] وهذه كانت في المناطق الريفية غير الرحالة، قلما تصل يد الدولة الى البدو الرحل الذين يكرهون السلطة ومؤسساتها أو حتى المظاهر الحضارية، كالقراءة والكتابة والوسائل الحديثة..

هذه الفئة الواسعة-البدوية والريفية- في العراق التي تصل نسبتها الى70% كان شعورهم الوطني وأوضاعهم الفكرية والسياسية وحتى الثقافة الدينية ضعيفة جدا، ولا يعلمون ما يدور حولهم من العلم والحضارة. جاء في شعر (عبدالمطلب الحلي 1865- 1925):

بني العرب ان العصر بالعلم أزهرا وصبح الهدى من ظلمة الجهل اسفرا

---

182 المصدر. نفسه.. ص 55-58

183 وردي - دراسة في طبيعة.. .. المصدرالسابق ص199

184 شبانة اسم فارس اي حرس ليلي، وهي نوع من مرتزقة، أعيد بناءها في عهد احتلال البريطاني وثم تكون منهم قوة الأمن الداخلي مع (ليفي).

185 فياض - ثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ، ص44

186 المصدر نفسه...ص 55

* وكان فى عهد الممالك تصل أقسام الضرائب على الزراعة والمرور والصناعة والحوانيت الى ثمانية، فكانت تؤخذ أيضاً الجزية على الرأس من الأهل الملل غير المسلمة – ينظر:العراق فى التاريخ ص63

187 العراق بين الأحتلالين .. المصدرالسابق ج8 ص24

تأخرتم عن حقكم وتقدمت به أمم من حقها أن تؤخـرا[188]

وكان هذا الوضع المتخلف يساعد الرؤساء في بسط سيطرتهم على افراد العشائر، لذلك كانت رؤساء العشائر حساسين تجاه أية إثارة أو تحديث تقوم به السلطات أو أية جهة معينة، ولهذا عانى العراقيون منذ عهود بعيدة من فجوة واسعة بينهم وبين السلطة، واعتبروها مجرد أضرار، تتمثل في الضريبة أو التجنيد أو على الأقل لا تجلب أية منفعة، لذلك لا يجبذون حتى الأفندية[189]، لذلك كانت السيطرة الحقيقية للدولة محصورة فى المدن الرئيسية كبغداد، وبصرة، والموصل، وكان العامل الديني هو الوحيد بإمكانه فك هذا الكونكريت المحيط بالعشيرة، ففي سنة 1910م صدرت الفتوى من فقهاء الشيعة والسنة بالتعاون مع ناظم باشا والي بغداد لتحريم القتال والإغارة وقطع الطريق والغزو.. جاء فيها: ((ان الغزو من عادات الجاهلية التي حرمها الإسلام.))، وقد توقفت هذه الظاهرة مدة لا بأس بها[190]، لكن بعد تبيان الإنحرافات والصراعات السياسية الدائرة على السلطة وتصرفات بعض السلاطين والولاة بالإضافة الى التخلف فى الوعي الإسلامي لدىالبدو أدى الى عودتهم الى القيم العشائرية العمودية، وحلت محل الأثر الإسلامي والفتاوي.. العادات والتقاليد العشائرية البادية مثل: (الشجاعة، روح الأنتقام، الإغارة، نصر الأخ إن كان ظالما أو مظلوما، قطع الطريق، السلب، النظر الى الغير من افراد العشيرة كأنه فريسة- بيكانة-)، لذلك انتشرت في بعض المناطق ظاهرة الكمارك والأتاوة والضرائب على الآخرين، اما رئيس العشيرة عليه أن يقترب من السلطة في سبيل سد الجانب القانوني على ما يرتكبه أفراد عشيرته، وحصل على تفويض شرعي وجماهيري بالإتصال بأية سلطة.. وهذا ما أدى الى فتح الإتصال مع المحتل كذلك.

أما العشائر التي تفاعلت مع المراكز والمدارس الدينية كانت وضعيتها تختلف، وهذا يوضح أكثر في المناطق الشيعية، حيث ان أثر مرجعياتهم أكثر قوة على الرؤساء أحياناً.

وفي كوردستان كان اثر المدارس وفتاوى (الملا) قوياً، وجعل سلطة الأقطاع ورؤساء العشائر تنحصر في بعض الأمور العشائرية، وترك مجالاً واسعاً للدين، فكانت كلمات (كوناحه، عه يبه، بى شه رعيه) قوية جداً، لذلك وصف (بنزنكة- الروسي) النظام الأقطاعي في كوردستان بنصف اقطاعي.[191] وكانت مناطق معينة في كوردستان ومناطق واسعة في الوسط السني العربي لا تملك جوامع ومدارس دينية لذلك كانت أكثر تأخراً، قال كوتلوف: ((في مناطق موصل يستغل الأقطاعي حتى أراضي الوقف الديني)).[192] هذه الخريطة -أي خريطة الأثر الديني فيهم- تلعب دورا هاما في:

1- مصير العراق ان كان ذلك في المقاومة والثورة أوالمساومة والإرتباط بالمحتلين.

2- الطبيعة الشخصية وتكوين ارادتها السياسة بمعزل عن الديرة ورئيسها ،حتى بعد الإحتلال والثورة عليه ، كما جاء في كتاب (دور المثقفين فى ثورة العشرين) حول تقييم الإستفتاء ونقل آراء خبراء البريطانيين مايلى: ((في هذا الإستفتاء اعتبر سواد الناس ليس لهم رأي خاص، أو هم في وضع لا يمكن أن يكونوا فيه رأياً، فهؤلاء لا يقدرون إلا ما يرتأيه رؤسائهم، لذلك من الأنفع ان تحال الأسئلة الى رؤسائهم فقط))[193]، وكانت تلك إحدى حجج الإتحاديين برفض إعطاء النواب للعراقيين في البداية، كما كانت

---

[188] دور المثقفين.. .. المصدرالسابق ص 138
[189] وردي -دراسة في الطبيعة .. المصدرالسابق . ص7
[190] المصدر نفسه -- ص 167،
[191] كوتلوف .. المصدرالسابق - ص 54
[192] المصدر نفسه.. - ص 65
[193] أنور على الجبورى .. المصدرالسابق - ص50

الحجة نفسها تستخدم في ما بعد من قبل البريطانيين في مرحلة الحكم المباشر[194]، لذلك دافع المؤتمر العربي في باريس عام 1912م عن العراقين وحقهم وحكم أنفسهم كما جاء في كلمة (عبدالغني العريس)[195].

وبدأ مزيد من الإنفتاح العراقى على العالم بعد دخوله الى السوق العالمية وربطها بسكك الحديد.. ادى ذلك الى كثير من النتائج، كظهور أهمية المدن، وكسر قدسية الريف والديرة، وازد ياد الإهتمام بالزراعة والتجارة، والسفر والإتصالات، والقراءة والكتابة.. وكسب المعلومات حول العالم، وأدى هذا بدوره الى شعور بوجود حضارة وأمم وأقوام أخرى، وايقاظ الشعور بالإنتماء الوطني والقومي، وارتقى هذا الشعور كلما دخلت الصناعات الجديدة والمنتوجات الأجنبية الى العراق، رغم انها اثرت على الصناعات المحلية عكسيا بسبب جودتها مقارنةً بالصناعة البدائية في العراق، ففي سنة 1910م وصف الإقتصادي الإيطالي الوضع الصناعي بأنه بدائي وفي حالة الإنحلال، [196] فقد انخفض عدد ورش النسيج في بغداد من 12000 ورشة في منتصف قرن (19) الى بضع مئات في بداية القرن العشرين، وجاء في كتاب (تغلغل النفوذ البريطانى..) ان الأستيراد ومنافسة الصنائع الأجنبية قضى على معظم هذه الصناعات، [197] لكن نشأت في مكانها المعامل التجارية كمعمل السكاير في الموصل ومعمل الجلود في بغداد ومعمل السفن في البصرة.. بذلك ظهرت طبقة من التجار النشطة[198] على أساس المصالح الإقتصادية بدل الطبقات العشائرية، هذه الطبقة- الكومبرادوريةو البرجوازية- لعبت في النهاية دوراً مهما في مصير العراق، وكان أكثرهم من غير العرب، [199] فمن بين عشرين من كبار مصدري التمور ستة منهم عرباً فقط، وكانت غالبية تجار البصرة من اليهود، والأمر مشابه في كوردستان في هذه الناحية..لذا لم يؤثر في الشعور الوطني كثيراً، ولم تشمل تلك النهضة بقية العراقين الذين وصفوا بأنهم نائمون ومنعزلون عن الحضارة حتى بعد الحرب العالمية الأولى.

اما التجار الكورد والعرب في أغلب الأحيان لعبوا دور الوسيط داخل العراق أو بالأحرى بين المدينة والقرية[200].. بذلك بدأ تفاعل أكثر سرعة بين القرية والمدينة، والمدينة مع المدينة، ففي حوالي 1896م أسس تاجر أرمني في البصرة شركة العربات بالخيل، لنقل الناس بين البصرة والعشار، [201] وأول سيارة دخلت العراق في سنة 1908م. وبحلول عام 1913م بدأت السيارات لأول مرة بنقل المسافرين بين بغداد وديالى، [202] أدت هذه الخطوة الى تحولات كثيرة وعميقة أهمها ربط القرى بالمدن الرئيسية، ثم اثرت في النتائج السياسية والوطنية وترقية الوعي السياسى.

---

[194] ينظر:أ-حركة الأستقلال العربي .. المصدرالسابق - ص93 ب- دور المثقفين .. المصدرالسابق ص 45

[195]. المصدرنفسه. ص 45، وحركة الأستقلال .. المصدرالسابق ص 212

[196]د. نظمي. .. المصدرالسابق . ص 8.. هناك روايات لأبن بطوطة وابن جبير وغيرهما تؤكد ان أهل العراق كانوا يصنعون القماش من القطن والحرير، رغم تدميرها أثناء حملات المغول لكن بقى حتى الآونة الأخيرة.. ينظر:بغداد القديمة- .. المصدرالسابق ص51.

[197] تغلغل.. .. المصدرالسابق ص 22.. مثلا كان عدد الحياك العراقيين في أواخر القرن (19) يبلغ (3500، وهبط هذه العدد في 1920 الى بضع مئات.ينظر: د. نظمي .. المصدرالسابق ص71.

[198] د. وردى- دراسة فى الطبيعة.. المصدرالسابق 339-340

[199] المصدر نفسه.. ص 22

[200] كوتلوف .. المصدرالسابق ص92-93

[201] د.كمال مظهر - طبقة العاملة .. المصدرالسابق ص 23

[202] المصدر نفسه...ص 23

ولكن خطوات التصنيع الأخرى لم تكن بتلك السرعة التي حصلت مع السيارة، ففي عهد (داود باشا) وصلت الى العراق أول مضخة للمياه وأول ماكنة للطباعة، وفي عهده بدأ تصنيع البنادق والمدافع وا لمنسوجات القطنية والصوفية، [203] وفي عهد مدحت باشا- والي بغداد من فترة 1869-1872- فتحت معامل النسيج والطحين والثلج ومعمل لتصفية النفط المستخرج من مندلي، ومعملا لأصلاح البواخر في البصرة، [204] ولكن كما ذكرنا الأستيراد والمنافسة على الصنائع الأجنبية قضى على معظم هذه المعامل، [205]

ووصلت أول طابعة الى العراق في عهد مدحت باشا سنة 1869م، وطبعت أول جريدة بإسم (الزوراء) في 1869[206]، ولكن قلما تجد آخرين يقرأونها ماعدا الأفندية ، والأفندية كانت رابطتهم الثقافية (المدنية) اقرب الى الأقليات غير عربية في المدينة، وكانوا على عكس قيم البدوية يخالطون الحضارة ويدعون الى السفور، [207] والتحديث وفلسفة الواقع.. وبدأ يندلع صراع بينهما مشابه لما جرى في أوروبا.. حيث ظهر في المناطق الأكثر تخلفاً في العراق الأئمة ورجال الدين يناهضون الحداثة والصناعة.. وقد حرموا كل شيء تقريبا بحجة انه من الإنكليز الكفار، حتى قراءة الجريدة، أو الجلوس على الكرسي، والدخول الى المدرسة - علم الشيطان- وقضايا علمية أخرى، نقلت عدة مصادر رواية بين عالم ديني وشخص أراد أن يشتري راديو لمتابعة الأخبار، ولكن العالم حرم ذلك، بدعوة انه عند بحثه عن الأخبار وتحريك الموجة بحثاً عن إذاعات تبث الموسيقا، والموسيقا حرام، اذن هذا العمل وشراء الراديو حرام..[208]

مثال آخر جدير بالوقفة: دارجدل حول نظام دورة المياه فى الطبيعة وما يسببه من سقوط الأمطار.. وكان رجال الدين ينكرون أية علاقة بين البخار والمطر، وصدر في حينه كتاب وفتوى عنوانه (السيف البتار على الكفار الذين يقولون المطر من البخار)، [209] وكلما ينفتح العراق على الحضارة والحداثة كلما تتزعزع قوة فتاواهم وتتساقط الموانع الحضارية، ورافقت هذه العملية تحولات إجتماعية وفكرية.. بدأ الرحالة والبدويون يستوطنون، والفلاحون يهتمون بالزراعته، وبعض الأقطاع والرؤساء يتجهون نحو التجارة وتقلص نظام الديرة.

وبأكتشاف النفط منذ سنة 1907م في ولاية الموصل والبصرة بكميات هائلة، دخل العراق الى أهمية دولية جديدة، وبدأ الصراع، وتنافس الشركات حوله، أول محاولة لتطوير النفط في العراق كانت في عهد مدحت باشا (1865- 1872م) بمساعدة خبراء المان، وأنشأوا مصفاة في بعقوبة، وكان الألمان أول من تنبأ الى أهمية النفط ووصف نفط العراق بالبحيرة، [210] ولم تهتم بريطانيا بالنفط إلا بعد عام 1900م، والسبب ان مكائنها تتخذ من الفحم الحجري وقودا، وبدأ العامل الإقتصادي دوراًفاعلاً في

---

[203] تغلغل. .. المصدرالسابق . ص 22

[204] د.نظمي. .. المصدرالسابق . ص 38

[205] تغلغل. .. المصدرالسابق . ص 22

[206] يوسف على بديوى - 11500 سؤال وجواب –اليمامة-دمشق، ط1 \2005م ص732، ولكن أول صحيفة عربية صدرت في فرنسا في 1858م بأسم (عطارد) أي بنحو (11) سنة قبلها.

[207] وردي - دراسة في طبيعة .. المصدرالسابق .. ص343

[208] عادل رؤوف- العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية- .. المصدرالسابق ص24

[209] دراسة فى الطبيعية. .. المصدرالسابق ص342

[210] تأريخ السياسي لأمتيازات النفط في العراق .. المصدرالسابق ص 16-17... رغم انني نقلت هذه الأرقام القياسية (أول من تنبأ..)، لكن يجب أن ننبه أن الغرب في عاداتهم يحتكرون هذه الأرقام الارقام القياسيةلأنفسهم.. وإلا موجود في كتاب (معجم البلدان- ج2 ص)340 موضوع (خانقين) ويقول فيه (عين للنفط عظيمة كثيرة الدخل)، اذن أيهما أول من تنبأ به؟!

العراق وبخاصة في الصراع السياسي الدولي، وفتح آفاق تغيرات متباينة في ما بعد، سياسياً وفكرياً واداريا ووطنيا وإجتماعيا، وفي ظل عدم وجود أي رادع للفكر الغربي، أزداد التباين الفكري والثقافي والسياسي بالإضافة الى تبايناتهم الإجتماعية والمذهبية والقومية والوطنية والعشائرية.. أدى الى بروز صراع جديد بين من أدعى بالتجديد والتحديث مع التقليديين بكل فئاتهم، وهذا بناء للفكر التغريبي العلماني المخالف للفكر الإسلامي.

المطلب الثاني:

ب- الوضع الإداري والسياسي

في مواضيع سابقة اشرنا وسنشير الى المزيد حول موضوع عدم إنشغال أهل العراق بالعلوم وممارسة السياسة والإدارة...، والأمور العامة الأخرى، بذلك يشمل ذلك الجزء من الدراسة كل من: تقسيم الولايات، والوضع السياسي البحث والوعي السياسي القومي (الوطني) والمكونات الإجتماعية والسياسية في العراق وآخيرا النشاطات السياسية في الجمعيات والمؤتمرات والصحف..، كالآتي:

أ/ الوضع الإداري:

إنقسم العراق فى عهد العثمانية الى ثلاث ولايات، بهذه العبارة يبدأ معظم الباحثين القومين فى دراستهم للتاريخ العراقي، ولكن قليل من علم التأريخ يبين عدم دقتها، لأن العراق - بحجمه الحالي- لم يكن كياناً سياسيا أو كيانا جغرافيا او تاريخيا اوإجتماعياً أو ..- كما يقول لونكرينك وحنا بطاطو واخرين- لم يكن العراقيون شعباً واحداً أو جماعة سياسية واحدة على مدى التاريخ[211]، وفي الحقيقة نجد ان بريطانيا هي التي كونت العراق السياسي من الولايات المذكورة، ففي البداية وحّدت بين بغداد وبصرة عام1917م، ثم دامت عملية الوحدة بينهما وبين ولاية الموصل حتى سنة 1925[212] ، وهذه الولايات كانت ضمن أثنين وثلاثين ولاية وإيالة في العهد العثماني، ومن ابرز الولايات العربية: الموصل، بغداد، البصرة، شهرزور[213]، حلب، دمشق، طرابلس الشام، بيروت، مصر، حجاز، يمن، طرابلس الغرب، تونس، جزائر[214].. ولم تكن هذه التقسيمات على أساس قومي أو اقليمي قطري أو طائفي، بل كان تقسيماً إدارياً صرفاً.

رغم هذا التوضيح، لابد أن نسير على هذا المفهوم الخاطىءوالتركيز على الولايات الثلاثة طالما في النهاية تشكل العراق منها ، وأحياناً أصبحت اربع ولايات (الموصل، شهرزور، بغداد، البصرة)[215] أو ولايتين، وكانت ولاية شهرزور -من خلال سلطة الإمارات الكوردية - تشمل الموصل وأحياناً تشمل بغداد أو العكس أحياناً أخرى، هذه التغيرات في الولاية وحدودها تجري بإستمرار[216]، والآن سنأتي على الولايات حسب أهميتها، كالتالي:

---

[211] خنا البطاطو - العراق. .. المصدرالسابق ، ج1ص 31 كذلك وردت هذة الحقائق لدى معظم مؤرخين .

[212] فورستر. .. المصدرالسابق . ص108

[213] على الأقل هذه الولاية ليست عربية، بل كوردية، وكان في عهد العثماني ولاية شهرزور– مركزها كركوك- تصل سلطته بالإضافة الى كوردستان أحياناً موصل وبغداد.

[214] بقايا وجذور تكوينات العربية .. المصدرالسابق . ص79

[215] تغلغل.. .. المصدرالسابق ص 13

[216] للتفصيل اكثر ينظر: لونكرينك – اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص336.

1) ولاية بغداد:

بغداد اسم عجمى، مركب من كلمتين، (باخ-داد) ويعنى حديقة العدالة- باخداد،[217] اي قبل ان يبنيها ابو جعفر المنصور في 145هـ، [218]و تصبح عاصمة الخلافة العباسية ، وبعدهاسميت بمدينةالمنصور أودار السلام0

وقد جاءت روايات حول ذم بغداد في الأحاديث النبوية : ((ستبقى مدائن-وهي بغداد وما حولها- حسب السيوطي) بين النهرين، من المشرق يحشر إليها خزائن الأرض وكنوزها يسكنها شرار خلق الله، يخسف الله بها بعد ما تعذب بالسيف.))[219]. وحسب الروايات ابتعد المؤمنون عن هذا المكان بعد التحقق من هذا الحديث.[220]

أستمرت مدينة بغداد عاصمةً حتى إحتلال المغولى في سنة 1258م، وفي عهد السلطنة العثمانية عادت واصبحت مركز ولاية بغداد، بعد أن عين سليمان باشا فيها، وشملت الألوية و(السناجيق) التالية:

1- بغداد : ويشمل (11) قضاءاً وهي: الكاظمية، العزيزية، العانة، الدليم، الكوت، الجزيرة، مندلي، خانقين، بدرة، جسان، سامراء.

2- سنجاق كربلاء: ويشمل النجف، الرزازة، الهندية.

3- الديوانية: تشمل الحلة، السماوة، الشامية.[221] 0

وبسبب عدم أهمية بغداد والمناطق المجاورة لها كانت تتغيرفيها الولاة بسرعة، ففى فترة1639-1704م تغير 39واليا[222]، ومنذ 1908م الى نهاية العثمانية 1917م تغير (15) والياً عليها، وهم (ابوبكر حازم بك- 1907)، (نجم الدين ملا بك- 1908)، (محمد شوكت باشا- 1909)، (ناظم باشا- 1910)، (يوسف اكاه ياسا 1910)، (جمال بك- 1911)، (محمد زكي باشا- 1912)، (جستو جلال بك- 1913)، (محمد فاضل داغستاني- 1913)، (جاويد باشا- 1914)، رشيد بك- 1915)، (سليمان نظيف بك- 1915)، (نورالدين بك- 1915)، (خليل بك- 1916)، وآخر والي هو (ممدوح بك- 1917)، [223] وتكرر بعضهم في هذه المدة.

ويتكون المجتمع البغدادي بالإضافةالى العرب والكورد والفرس ومن الأقليات الدينية والعرقية أيضاً، وقدر- فورستر- اليهود فيها بثلث السكان[224].

وفى الإنتخابات عام1900م لترشيح النواب المبعوثين في بغداد -اي البرلمان العثماني- رشح كل من: اسماعيل حقي بابان(كوردي)، ساسون حسقيل (يهودي) ومحمودآلوسي (عربي)، وذلك يشير بوضوح الى حقيقية مكونات بغداد، وتلاحظ ذلك ايضاً في استفتاء للأسئلة الثلاثة حول مستقبل البلاد في 23/كانون الثاني/ 1919، حيث حضر نواب بغداد وكان عددهم (55) نائبا

---

[217] ياقوت الحموي - معجم البلدان.. .. المصدرالسابق ج1 ص456.. وهناك روايات أخرى حول اصل هذا الأسم نبحثها فى فصل الثالث.

[218] بغداد القديمة. .. المصدرالسابق . ص 13

[219] العراق في أحاديث وآثار الفتن .. المصدرالسابق - ص499

[220] المصدر نفسه ص 479. يجب التحقيق في هذه الأحاديث ما إذا كانت حقيقية أم موضوعة لاسيما بعد الصراع مؤلم داخل الخلافة الإسلامية بين (آل علي وآل معاوية)، لأن المنطق الإسلامي لا يوافق ذم مدينة أو مجتمع بالكامل.

[221] ينظر: أحوال العراق في المشروطية .. المصدرالسابق ، ملحق رقم (1)ص292، وملحق رقم (3) ص 303-302.

[222] العراق فى التاريخ-بغداد 1983م ص586

[223]ينظر:أ- نفس المصادر والملاحق السابقة.ب- بغداد الجديدة .. المصدرالسابق ص265-266

[224] فورستر... المصدرالسابق ص 115.

ليدلوا بأصواتهم حول هذه أسئلة، فقد حضر 25مسلماً بينما حضر 30 من غير المسلمين (يهودي ومسيحي)[225]، وهذا يتضح أكثرمن خلال نسبة التجار في بغداد اذ بلغت نسبة اليهود فيها 95% [226]، لذلك طبيعة المجتمع البغدادي تختلف عن محيطه أو حتى عن بقية الولايات، وبخلاف العام كان يوم السبت يوم الراحة وتعطيل الد كاكين بدل يوم الجمعة، حتى لدى المسلمين، [227] لذلك لم تتمتع بغداد بأية مميزات سوى ما أمتازت به فى عهد الدولة العباسية، ولم تكن مركزاً للعراق أو للولايات الثلاثة فى النواحى الإجتماعية والسياسية والقانونية بالضرورة حتى عام 1918، [228] لذلك فإن أحصاء عام 1908 خص بغداد فقط ووصل عددهم الى150.000 نسمة [229]و اليهود فيه 53.000 نسمة، وقد وصل سكان بغداد- في سنة 1917 الى 200.000 نسمة بعد الإحتلال.

2) ولاية البصرة:

سميت البصرة قديماً بأرض الهند بسبب التجارة مع الهند[230]، وحملت أسماء أخرى (الخريبة، تدمر، مؤتفكة).[231] اذ كان العراق العربي -في فترة ما- يحدد بالبصرة وما حولها، [232] يبدو انه في فترات أخرى خارج نطاق العراق، لأن أحاديث الذم التي شملت العراق لم تشمل البصرة، بل على العكس تمدح هذه المدينة، وذلك على اختلاف بينهما وعدم عائدية البصرة الى العراق.[233]

ولكن عاد الإمام على وذم أهل البصرة- عقب الاقتتال بين جيش معاوية وجيش الإمام علي- وقال: يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود، يا أتباع البهيمة، يا جند المرأة.[234]

وجاء في عدة مصادر ذكر اسم (بصرتين) وهما الكوفة والبصرة، [235] أي انه كان هناك علاقةدائمة بين البصرة والكوفة وليس مع بغداد، ولكن لا يعني انعدام وجود أية علاقة، بل كانت هناك تجارة نشطة من دياربكر مرورا ببغداد والى البصرة والخليج، لاسيما بعد فتح دجلة والفرات للبواخر في العهد العثماني ومن ثم من قبل (شركة لنج) البريطانية.[236] والمقصود هو ان علاقة البصرة ببغداد لا تعود الى كونهما ضمن اطار عراق واحد.

---

[225] دور المثقفين في الثورة العشرين .. المصدرالسابق .. ص53

[226] المدارس اليهودية والأيرانية في العراق .. المصدرالسابق ص53.

[227] د.على الوردى – لمحات .. المصدرالسابق . ج5 ص127

[228] فورستر .. المصدرالسابق ص108

[229] حنا بطاطو-- العراق- .. المصدرالسابق ج1 ص 54 (انظر جدول 2-2 سكان بغداد والموصل والبصرة).

[230] ياقوت الحموي- معجم البلدان- .. المصدرالسابق ج1ص432، كذلك سميت الخليج أُنذاك ببحر الهند.

[231] العراق في آثار.. .. المصدرالسابق ص329-357.

[232] كما دلّ ذلك في معنى العراق، وكذلك في وصف علاقة بين بصرة والعراق في معجم البلدان، انظركذلك خريطة ابن الحوقل فى(د.أحمد سوسه -العراق فى الخوارط القديمة-مطبعة المعارف –بغداد 1959م-خارطة رقم:19

[233] العراق في أحاديث. .. المصدرالسابق . ص331

[234] المصدر نفسه.. ص436. يذكر ان كثير من المصادر نقل مدح منطقة وذم آخرى، مدح الشام وذم العراق مثلاً، ولكن لا يعقل ان امام علي يحكم بهذه الطريقة على مدينة أو منطقةبشكل المطلق.

[235] ياقوت الحموي- معجم البلدان- .. المصدرالسابق ج1 ص432.

[236] د.كمال مظهر- طبقة العاملة .. المصدرالسابق . ص19

وهكذا يتبين من الحدود الإدارية والسياسية لهذه الولاية، في تعاملها ومنطلقهاو إنتمائها الخليجى، فعلى سبيل المثال في عام 1913م تباحث (طالب باشا- الرجل القوي في البصرة) مع شيخي المحمرة والكويت لبحث إمكانية تشكيل إتحاد كونفدرالي معهم، [237] وكانت كل من: كويت والمحمرةو عربستان والأحساء ضمن ولاية البصرة، [238] لاسيما في عهد (داود باشا) حيث شملت بالإضافة الى المدن المذكورة النجد أيضاً.[239]

وكذلك جاءت هذه الحقيقة في مجموعة تصورات بريطانية للمنطقة مكونة من 13 نقطة[240]، وحسب المؤرخ (روبرت منتران) كانت ولاية البصرة تشمل 17 سنجاقا، [241] لذلك نرى أحياناً أطلاق اسم الخليج بالكامل على خليج البصرة، ومن حيث الثقافة والعادات والتقاليد حتى الأوزان والمقايس المستخدمة في ولاية البصرة كانت تختلف عما كانت عليه في بغداد، كذلك فإن نشاطها السياسى متميزا عن بغداد أيضاً.

كانت ولاية البصرة في حوالي قرن (19) تضم أربعة سناجق وهي: البصرة (وكان كويت أحد اقضيتها)، المنتفك، العمارة، القطيب (قطر).[242]

3) ولاية الموصل:

وكانت بالأصل اسمها(نو اردشير)، وسميت فيما بعد الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق[243]، كما ذكرنا سابقا حول (بصران) وما دل على معاني وطنية وجغرافية، وتمتاز الموصل بشيء من هذا القبيل وتسمى (موصلان) وكانت تعني الجزيرة والموصل، [244] وهذا يعني ان الموصل كانت في تعاملها وانتمائها التأريخى ضمن كوردستان أكثر من بغداد، وتشير معظم الأبحاث الى ما يدل على ذلك، بما فيها العربية، [245] نلخصها فى رأى عبدالرحمن البزاز حيث يقول: ((تأريخ الموصل وثيق الصلة بتاريخ ماردين ودياربكر وجزيرة ابن عمر))[246]،ويذهب البعض الى ابعد من ذلك ويقولون ان اصل كلمة (موصل)ليس عربيا بل جاء من (موسيلا)كما سجل زينفون، ومما يرسخ هذه التوجهات عندما كان اسم (موسيلا)سائدة يوازيها اسم عربى(خولان) كما جاء

---

[237] نظمي- تطور السياسي المعاصر في العراق .. المصدرالسابق . ص50-

[238] وهي احد مبرر تأريخي لمطالبة بالكويت كجزء من أراضي العراقية.

[239] بزاز - العراق من الأحتلال الى الأستقلال.. .. المصدرالسابق ص 38

[240] عبد الرزاق محمد أسود - الموسوعة العراق السياسى –دار العربية للموسوعات –بيروت ط1 1986م – ج2ص93

[241] بقايا وجذور.. .. المصدرالسابق ص279

[242] ملحق رقم (1) في - أحوال العراق في مرحلة مشروطية .. المصدرالسابق ص292

[243] ياقوت الحموي .. المصدرالسابق ص224، ج5

[244] المصدر نفسه..- ج5ص224،

[245] انظر:أ-نظمي- التطور السياسي.. المصدرالسابق ص46 (فقرة-د، هـ مثلاً)، ب-مشكلة موصل.. المصدرالسابق ص70-76

[246] العراق من الأحتلال الى الأستقلال .. المصدرالسابق ص 31، فى سبيل مزيد من التأكيد ينظر الى مصادر والمراجع التالية:1- تقريرلجنة عصبة الأمم الخاصة بحل النزاع التركى البريطانى حولة ولاية الموصل ص219) 2- بلاذري(279 ه) "فتوح البلدان ص407" 3- كىليسترنغ-بلدان الخلافة الشرقية ص116) 4-كؤن هامر ى - (تاريخ الدولة العثمانية ج4ص28) (معجم البلدان- حموي- ج2 ص134-135)...

من(مقدسى) و(كى ليسترنك)[247]، ويقول لونكرينك : (ان موصل هى عاصمة الطبيعية للجزيرة وقاعدة مدن كردستانية الوسطى)[248] ،علما ان اسم الارامى لها هى (عبوريا).

وعلى عكس بغداد ظهر في الموصل نوع من الإستقلال، ليس فقط من قبل الإمارات الكوردية العريقة، بل حتى داخل الموصل، لاسيما اثناء انحسار السلطة المركزية العثمانية[249]، لذلك فإن ولاية الموصل لم تكن ضمن العراق حتى في اتفاقية سايكس-بيكو1916م، وجاءت حجة تركيا في مشكلة الموصل أنها جزء من الجزيرة وكوردستان.[250] وأثناء الأستطلاع من قبل لجنة تحكيم الموصل عام 1924-1925 ظهر أن أهالي الموصل لم يسمعوا بكلمة العراق، وقد تكرر الطلب من قبل شريف باشا (الكوردي) في 1919م بالولاية كجزء من كوردستان، واستند شريف باشا في دعواه على دائرتي المعارف البريطانية والفرنسية[251] ، وبالمصادر التأريخية والواقعية الأخرى بالإضافة الى بيانه السكانى، ولم تحمل هذه المنطقة تاريخيا إسماً معيناً، وجاء في تقرير لجنة التحكيم: لم يكن لهذه المنطقة اسم خاص، إلا مرة واحدة وهو بلاد آشور. وكانت تابعة للولايات المجاورة[252]، لذلك خرجت اللجنة -التابعة لعصبة الأمم التي اتت لفض النزاع حول الموصل- بالقرار: ((اذا اعتبرت الحجة العنصرية عاملا حاسما في مشكلة الموصل، فيجب ايجاد دولة كوردية مستقلة فيها، لأن الكورد يشكلون سبعة أثمان السكان.))[253] لذلك تشمل حدود هذه الولاية معظم الأقسام الشرقية والجنوبية لكوردستان. وهي:

1- الموصل، دهوك، زاخو، عمادية، سنجار، عقرة.

2- كركوك: وهي (اربيل، رواندز، كويسنجق، رانية، كفري).

3- السليمانية- جمجمال، خورمال، شهربازير، بشدر[254].

وقد كتب الرحالة القدماء عن الموصل كمدينة كوردية[255]، فقد جاء في (معجم البلدان) في شرح جزيرة آقور[256]: .. بين دجلة والفرات، من أمهات مدنها حران، الرخة، رأس العين، نيصبين، سنجار، خابور، آمد، ميافارقين، الموصل[257]. وفي بداية قرن (19) عندما زار (اوليفر) الموصل قدر سكان المدينة على النحو التالي: (8000 مسيحي، 1000 يهودي، 2500 عرب، 16000 أكراد،

---

[247] كى ليسترنك-بلدان خلافة الشرقية ص116 .

[248] ستيفن لونكرينك –اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ت :جعفر الخياط ط4، ص24 .

[249] بقايا وجذو .. المصدرالسابق . ص322

[250] مشكلة موصل .. المصدرالسابق . ص 76

[251] المصدر نفسه.. ص76

[252] تقريرلجنة عصبة الأمم الخاصة بحل النزاع التركى البريطانى حولة ولاية الموصل ت عبدالرزاق القيسى ص219ا وكذلك ينظر: المصدر نفسه.. ص80.

[253] تقرير ولاية الموصل – قسم الأستناجات ص154

[254] ملحق (1) أحوال العراق. .. المصدرالسابق . ص292

[255] منها الرحالة راولف في قرن 16، وجاكسون في رحلته 1797م، واوليا جلبي في سياحتنامه، جلبي حاجي خليفة في (جهان نما)، ومستر بينج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) وحتى تصل الى رأي لجنة تحكيم موصل في 1925، حيث أعتبر 7\8 سكان كورديا... أنظر المزيد : (حدود كردستان جنوبية- ص162-163)

[256] وهي احد أقاليم كوردية معروفة انذاك.

[257] ياقوت الحموى -معجم البلدان ج2 ص134-135.

1600 اتراك[258]. وفي خرائط العثمانية[259] والموسوعة الغثمانية (بإسم:قاموس الأعلام-شمس الدين سامى)،وكذلك سياحتنامة العثمانية، وتصورات أخرى كما جاءت في كتاب (شرفنامة) حوالي القرن 17 موثقة بالخرائط فإن مدينة الموصل تنتمي الى كوردستان بل في عمقها..[260]

وقد جاءت - حتى في الآونة الأخيرة- بمناسبة تحقيق في (اتفاقية سيفر وموادها: 62، 63، 64، من قبل كتاب العرب ايضاً،فقد وردفى كتاب (تأريخ الوزرات العراقية) مايلى: ((من هنا تتجلى فكرة تكوين دولة كوردية مستقلة تشمل كوردستان بألويتها الخمسة: السليمانية، ديالى، كركوك، أربيل، الموصل.))[261]، وقد عرض نوري سعيد شراء ولاية الموصل من تركيا بـ(500.000 ليرة استرلينية)[262] ، على غرار أمريكا التي اشترت عدد من ولاياتها، وهو دليل على عدم تابعيتها للعراق أوللعشائر العربية، وقد ظهر في تقرير لجنة تحكيم الموصل (فان معظم السكان يفضلون حكم العثمانيين على حكم العرب)[263].

الولايات الثلاث بشكل عام

منذ أن عين (سليمان باشا) كأول والي عثماني في العراق، والأهتمام بالعراق قليل، إلا كمنطقة عازلة بينها وبين الصفوية خلال فترة إمتدت حتى 1910م، وكان الموظفون العثمانيون يكرهون العمل في العراق، إلا الذي لم يكن يجد عملاً كان يشترط العمل في العراق لمدة قصيرة وليجمع الثروة[264]، وأصبح مكان المبعدين والمنفيين أحياناً سمي العراق بـ(سيبريا تركية)، [265] لذلك تغير الولاة كثيراً، في فترة 1839 الى 1910 حيث حكم بغداد (10) ولات وحكم بصرة (17) واليا، [266] وكان الوالى الناجح في العراق -بميزان الباب العالي- هو (صد لأيران، صد غارات القبائل البدو، جمع الجباية، تعمير المساجد).[267]

وفي فترات أخرى يتم إحتلال منصب الوالي أو ينقل بالوراثة، وأحياناً تباع المناصب وتشترى، وفي خطوة أعلى وأغرب، فقد اشترى (افراسياب بن أحمد - احد كتاب الهند) عام 1596م ولاية البصرة من واليها (العثماني) بـ(40000000قرش) وأسس فيها أسرة حكمتها حتى عام 1668م، وكذلك تكرر الأمر في بغداد على يد (بكر سوباشى).[268] لذلك كانوا يضعون الحراسة في الأبنية خوفاً من الغصب، دون أن يلعب المركز والباب العالي دوراًً يذكر، ويتم غض البصر نتيجة الصفقات اللاحقة، وأحياناً أخرى تتسع حدود الولايات وتنكمش حسب سلطة الوالي والإمارة فيها، وكانت لبغداد مكانها فى فترات معينة، بالإضافة الى انها عاصمة للعباسيين، أصبحت أيالة تضم البصرة أو الموصل في بعض الأحيان، لذلك فإن كثيرا من المؤرخين المعاصرين يساوون

---

[258] مشكلة موصل- .. المصدرالسابق ص 95.

[259] ينظر:الخريطة العثمانية لعامى :1893 و1896 -

[260] انظر الخريطة في ص128، مقدمة شرفنامة.

[261] عبدالرزاق حسني .. المصدرالسابق ج1 ص280 ومن المعلوم ان حدود الجنوبية لكوردستان قدوضعت وفق مادة 62من سيفر والتى تنص على ان هذا الحدود تشمل شرقى الفرات .

[262] - المصدر نفسه ص281

[263] العراق في ظل المعاهدات، .. المصدرالسابق ج 2 ص130

[264] د.على الوردى -دراسة في طبيعة.. .. المصدرالسابق ص128

[265] اشارة الى سيبريا الروسية.

[266] أ-د.نظمى- تطور السياسي- .. المصدرالسابق ص9 ب- فياض -ثورة العراقية الكبرى... المصدرالسابق ص74-75.

[267] وردي- دراسة في طبيعة- .. المصدرالسابق ص131

[268]أ- محمود شاكر-التاريخ الإسلامي .. المصدرالسابق ج1 ص16ب-العراق فى التاريخ .. المصدرالسابق ص577

بين العراق الحديث وبغداد، ولكن أحياناً أخرى البصرة هي التي تكون إيالة[269] وليست بغداد، هذه التغيرات مستمرة في الولايات[270]، وبهذا الصدد جاء في كتاب (تغلغل النفوذ البريطانى..): ((بعد تغيرات وتعديلات واضافات والغاءات واغراءات وإغارات..و... نجد الصورة في الفترة مابين 1813 الى1850م تتكون ولاية بغداد من (البصرة وبغداد)، أما ولاية الموصل حيث أقتطعت شهرزور وماردين منها وضمت الى دياربكر في 1835م، كما ان ولاية الموصل الغيت عام 1850م وصارت سنجاقا تابعا لولاية بغداد، وفي العام نفسه صارت البصرة ولاية مستقلة، ثم نزلت مرتبتها مرة ثانية في عام 1862 الى سنجاق تابع لبغداد. فعادت الى ولاية مستقلة في عام 1875، ثم الغيت مرة أخرى عام 1880 والحقت ببغداد، ثم عادت عام 1884 ولاية مستقلة، ومن ثم اصبح العراق[271] مكونا من ثلاثة ولايات حتى الحرب العالمية.))[272]، وكانت الأحداث الإدارية والسياسية تجري دون مبالاة من قبل الباب العالي، ضمن عدم اهتماماتهم بالعراق، يذكر ان الباب العالي عندما باع دجلة الى شركة اللنج، لم يعرف بعد ذلك ما اذا كان المبيع هو دجلة أم الفرات!! ولم يكن فيما بين الولايات الثلاثة تعاون أو تخصص يذكر، حتى اثناء تكوين الدولة العراقية بعد 1921م، يصف الملك فيصل العراق بتكتلات بشرية خيالية وخالية من الوطنية العراقية، ويضيف: (لا يوجد في العراق شعب عراقي بعد).[273] ويلاحظ ذلك فى صفوف الجمعية الواحدة، ففرع بغداد لجمعية العهد يختلف عن فرعها في الموصل، وكذلك عن البصرة، ، بحيث أن فرع الموصل يرى التحالف مع الكمالية انقاذاً، بينما فرع بغداد يرى التحالف مع بريطانيا هو الأنقاذ[274].

وكانت البصرة متجهة اكثر نحو الخليج، والوسط مع ايران وهند، والموصل كان وجهها الإجتماعي نحو الشرق والشمال وتجارتها مع الشام، يقول عبدالرحمن البزاز: ((تأريخ الموصل وثيق الصلة بتأريخ ماردين ودياربكر وجزيرة ابن عمر، وكان مصير الأجزاء الشرقية مقرونة في الغالب بمصير الإمارات الإيرانية أو العربية المجاورة، أما الأجزاء الغربية من العراق فمرتبطة كل الأرتباط ببلاد الشام)).[275]

بالإضافة الى الإختلاف في التكوين الإجتماعي والسياسي والثقافى بل وحتى في العادات والمقاييس والأوزان والنقود والطقس مختلفة فيما بين الولايات الثلاثة.[276] ويقول فورستر ان بعض القوانين كان يطبق في البصرة بينما لا يطبق في بغداد.[277]هذه التمايز بين الولايات لم تنته إلا بعد عام 1918م على يد بريطانيا لصالح بغداد.[278]

---

[269] إيالة أكبر من ولاية وفيها ممثل عن سلطان.

[270] د.سيار الجميل -تكوينات.. .. المصدرالسابق ص307

[271] ولم يورد الباحث حقائق أكثر عن بغداد، حيث كان خاضعا لحكم كوردستان في عهد بابانيين، وتنصب الوالي بغداد من قبل عبدالرحمن بابان في بداية قرن 19، ولم يضم العراق الولايات الثلاثة إلا بعد أعوام 1917-1918 والتي أزيلت فوارق بين الولايات الثلاثة لصالح بغداد.. (انظر فورستر- ص108)

[272]فواز مطر الدليمى –...المصدر السابق ص 15

[273] حنانابطاطو –العراق .. المصدرالسابق ج1 ص44

[274] د.فياض- .. المصدرالسابق ص 201

[275] أ-العراق من الأحتلال الى الأستقلال .. المصدرالسابق ص31، ب- حنابطاطو .. المصدرالسابق ج1ص47

[276] حنابطاطو- العراق .. المصدرالسابق .ج1 ص35 (وزن طغار فى بغداد: = 2000 كغم، اما فى بصرة= 1538كغم.)

[277] نشأة العراق الحديث .. المصدرالسابق - ص 97

[278] المصدر نفسه. ص108

ويضيف كل من بزاز وحنا بطاطو وغيرهما أن الرؤساء الأداريين حتى عهد قريب ليسو عرباً، [279]، وذلك لدى البعض دليل على تأخر العراق العربي.. وكان في عهدي الإتحاد الترقي وبريطانيا برز الكلام عن عدم كفاءة العراقيين، [280] لذلك جاءت في بيان المؤتمر العربي فى باريس لعام 1913م فقرات ضد هذه الإدعاءات، وعبر كل من (عبداللطيف الحلي 1865-1925و كذلك باقر الحلي) ذلك في الشعر:

هم يطلبون على العراق وصايا عجيب فهل ابناء ايتام..ألخ

وهكذا عدم كفاءة العراقيين أوتهميش دورهم والإختلافات الإدارية والسياسية للولايات، والأمتداد الأقليمي للولايات الثلاثة.. تدل على عدم وجود اي إطار إداري أو وطني أو إجتماعي أو سياسي أو قومي أو أي عامل جامع إضافى يخص هذه الولايات المذكورة ضمن الولايات ال(32) العثمانية، ماعدا إنتمائها العام لدار الإسلام والملة العثمانية.

وكان إحترام التأريخي والجغرافي لبغداد لايعود لأنها عاصمة عراقية، ولم تكن عاصمة عراقية أو مركزاً أعلى للولايات، بل لأنها عاصمة الإمبراطورية العباسية، حتى في مشروع (العراق المقترح) لدى بريطانيالم تكن بغداد الرقم الحاسم فى المعادلة، بدليل : عند دخول بريطانيا الى البصرة أرادوا تكوين العراق فيها فقط، وكانت بريطانيا تعارض أي مشروع ينجز في ولاية البصرة بأعتبارها تابعة لنفوذها منذ نهاية قرن 19، [281] لذلك يمكن القول –فرضيا- لو أن المقاومة الجهادية الكوردية والعربية نجحت في صد الهجوم البريطاني في الشعيبة والكوت لكانت البصرة مستقلة ولا اعتقد أن العراق كان يوجد على الخريطة وفق الشكل الحالي، كما سيتبين في الفصل (3) في مطلب تكوين العراق.

ب- الوضع السياسي و(بداية التكوينات السياسية)

جاء فى البحوث الغربية بأن الحكم الأجنبي على العراق دام حوالي (4) قرون، بينما جاءت هذه المدة في رأي (فورستر) بـ(7) قرون، [282] أما (عبدالرحمن بزاز) يقول: ((منذ ان سقطت بغداد في زمن المعتصم بالله (656هـ-1258م) لم يشهد العراق حاكما عربيا يقود زمامه)).[283] ولكن اذا حكمنا على هذا التاريخ بمقياس وطني يمكن القول بأن العراق لم يحكمه إلا أجنبي منذ آلاف سنين، ومن قبل الإمبراطوريات التالية:

بالإضافة الى الساسانية هناك نظم اخرى حكمت العراق منها: (الأكدية 2334-2154ق.م)، (أور 2112-2004 ق.م)، (بابلي القديم 2004-1162 ق.م)، (آشورية 2000-612 ق.م)، بابلية الحديثة (626-539 ق.م)، (أخميني 539-330 ق.م)، (هلينستى 331-126 ق.م)، (فرثي 227-126 ق.م[284] وأكثريتهم جاؤوا من الخارج احتلوا ثم حكموا. ومن ثم فتح من قبل جيوش الإسلامية التي أتت من الجزيرة (خارج العراق) وعينت الولاة غالباً من غير العراقيين. وبعد ذلك نشطت المعارضة غير العراقية داخل العراق

---

[279] أ-العراق من.. .. المصدرالسابق ص30 ب- حنانا بطاطو –العراق .. المصدرالسابق - ج1 ص47،

[280] دور المثقفين .. المصدرالسابق . ص 45

[281] تغلغل .. المصدرالسابق . ص79

[282] نشأة العراق .. المصدرالسابق . ص49

[283] العراق من الأحتلال. .. المصدرالسابق . ص 30

[284]ينظر:أ- موسوعة العربية- .. المصدرالسابق ج13 ص60 ب- العراق فى التاريخ .. المصدرالسابق -ص63-180، 225، 311، -...ج- الموسوعة العربية العالمية .. المصدرالسابق ج16ص175-183

ضد كل من عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب والأمويين.. وظهرت الحركات التالية في العراق: (الموالون، الشعوبية، الغلاة، الزنادقة، الزنج، القرامطة، العيارين، الصوفية القادرية، الفتوة..).[285] لكن -على ما أعتقد- يحتاج الأمر الى التدقيق أكثر عما اذا كان هؤلاء المعارضين هم فعلا من أهل العراق؟، وكان أهل العراق في أحسن الحال طرفا في الصراع والمعارضة أو أحياناً أصبحوا عاملاً لدعوة طرف أقليمي ضد عدو داخلي أو خارجي، كما جرى في فتح العراق من قبل الدولة العثمانية، عندمااستجابت لطلب أهل السنة العراقيين[286] ضد الصفوية الشيعية، يقول بني مرجة بهذا الصدد: ((ان السنة استغاثوا بدولة المماليك السنية في مصر لنجدة العراق خوفاً من نشر التشيع فيه فلم تنجدهم، ثم توجهوا الى الدولة العثمانية)).[287] ويقول د.علي الوردي: ((ان الصفوية احتلوا العراق في 1508م وأضطهدوا السنة ومقدساتهم، وكان السلطان سليم ياوز انتقم بسبب ذلك من الشيعة في الأناضول وصلب وحصل على الفتوى بقتلهم [288]، ومن ثم جاء السلطان سليمان ابن ياوز وفتح العراق ولكن لم ينتقم، بل عمّر المقدسات السنية والشيعية)).[289] هذا المشهد تكرر مرات عديدة، أوضحها ماقام به والي بغداد ولجأ الى (شاه: شهزادة محمد على مرزا) ضد السلطة البابانية على بغداد في عهد (عبدالرحمن بابان) وأدى الى طرده، [290] واستمر تكرار هذه الظاهرة حتى في الآونة الأخيرة من قبل الجمعيات العربية حيث استنجدوا ببريطانيا وفرنسا ضد العثمانيين، مازال العرب في منازعاتهم يستنجدون بقوى أجنبية كما جرى بين الكويت والعراق عام 1991، هذه الظاهرة جعلت من العراقيين يفقدون الثقة بأنفسهم، ومن هذا المنطلق يأتى طلب من أحد أنجال شريف وغيرها ليحكم العراق[*]، لذلك وصف العراق بالشموخ وبغداد العروبة و.. أوصاف أخرى ليست لها سند علمي قوى. فبغداد منذ نهاية الدولة العباسية -والعراق كذلك- سقطت أكثر من (11) مرة بسهولة بيد غير العراقيين،[291] ففي الحقيقة تأريخ العراق عبارة عن تداول الإحتلال بين الأجانب.

ولم يملك العراقيون سلطة سياسية تذكر، وكانت ولاياتهم تشترى وتباع أوتغتصب، كاد ان تصل الى حالة اتيما(atima)[292] او(ارض لاصاحب لها- res nnullius) ، لذلك كان العراق من بين البلدان[293] المرشحة لتوطين اليهود ضمن مشروع الذى قدم الى

---

[285] وردى - دراسة في طبيعة .. المصدرالسابق . ص368

[286] هناك روايات مضادة أخرى ضد الشيعة، فمثلا حول أسباب سقوط بغداد بيد هولاكو، لدى بعض المؤرخين ترجع الى خيانة الشيعة. (انظر: التاريخ الإسلامي- ج9- الطبعة الرابعة 2000 المكتب الإسلامي ج11ص11-12)

[287] صحوة. .. المصدرالسابق ص 104

[288] يجب أن نلاحظ بدقة ان سليم ياوز كان سلطانا ولكن لم يكن خليفة، راجع فصل الثاني مبحث (الوضع في الخلافة).

[289].. د.علي وردي- دراسة في الطبيعة .. المصدرالسابق ص128

[290] علاء موسى كاظم- حكم المماليك في العراق (1750-1831)، وزارة الإعلام- العراق- دار الحرية- 1975- ص81-220

[*] جانب من هذه المشاهد كانت تتكرر كذلك من قبل أمارات كوردية ضد بعضهم البعض والطلب من قوة اقليمية ما للتدخل، وهي جارية حتى لحظة كتابة هذه السطور.

[291] وهم: هولاكو- دولة الخانية (1258-1340) (الجلائيرية 1340-1410) وفي زمنها استولى تيمور لنك على بغداد، (الدولة قرةقوينلو 1410-1468 التركمانية)، (آق قوينلو 14685-1508)، (الصفوية 1508-1637) في هذه المدة استولى على بغداد الزعيم الكوردي ذوالفقاربن على بك سنة 1527م، لكن بعد ذلك عادوا فارس وطردوا في سنة 1633، و(الدولة العثمانية 1638-1917)، (الأحتلال الأنكليزى في سنة 1917).. ينظر: أ- درويش مقدادي- تأريخ الأمة العربية-، ط2 \1932م، مطبعة معارف بغداد، ص336 0ب- العراق فى التاريخ ص569.

[292] الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية ص19

[293] أمريكا وأفريقا التان ما كانتا فيهما شعب منظم أو سلطة.لذلك مرشحة لتوطين اليهود وانشاء دولة القومية لهم.

بارمستون فى مؤتمر لندن 1840 بعنوان : (ارض بلا شعب لشعب بلا ارض) ، لاسيما بعد رفض السلطان عبدالحميد الموافقة على توطين اليهود في فلسطين والضربة التاريخية التى وجهت لهم من قبل صلاح الدين ، وجاء وفد من (جمعية التوطين اليهودية ICA) عام 1907م الى بغداد لتكوين كيان سياسي يهودي في ولاية بغداد[294].. وعندما سهل حصول ذلك في فلسطين بعد وعد بلفور تغيرت الخطة.

كل ذلك- يجري ولم يكن أهل العراق يهتمون بما حولهم، ولا بالأحداث العالمية، ولم يكن لهم فكر سياسي سوى عند طبقة صغيرة من الإداريين والساسة وبعض الشعراء الذين سموا ب(الأفندية)، بالإضافة الى النشاط اليهودية والمسيحية، اما بعد الحرب العالمية الأولى وما جرى فيها فقد تغيرت الأمور وبدأ الناس يهتمون بالسياسة ومتابعة أحداث العالم[295]0

بناءً على ما ذكر نستطيع رسم الملامح السياسية في العراق قبل الإحتلال البريطاني بالمميزات التالية:

1- بشكل عام غير مهتمين بالسياسة والثقافة والحداثة.

2- أكثريتهم غير منسجمة مع السلطة.

3- إن وحدة التاريخ واللغة والمصلحة والمصير والثقافة والنفسية المشتركة، لم تترك الأثر البالغ في نفوس العراقيين، أو في الحقيقة لم يشعروا بهذه الوحدة، وكان شعورهم القومى بسيطة.

4- علاقتهم بالوطن أو الوطنية العراقية ضعيفة جداً.

5- الذين خالطوا السلطة والسياسة وتعاملوا معهما هم طبقة صغيرة لا تتجاوز 15% وهم أهل المدن، وهذه النسبة كانت أكثريتهم من أقليات غير عربية .

6-. كانت خريطة الولاء السياسي غالباً تطابق الخريطة الإجتماعية.

7- ولما برز النشاط السياسي بشكل علماني رافقته النشاطات اليهودية والمسيحية.

وهكذا نستشرف أجوبة للسؤال التالي: ماهو الشعور الوطني أو القومي لأهل العراق؟

من المعلوم ان فكرة القومية ظهرت في أوروبا بالتوازي مع عصر التنوير وظهور الفكر العلماني والثورة الصناعية والتقدم العلمي، وكانت الفكرة قد أتخذت اتجاهين: الأول وطني وهو طراز فرنسي والآخر قومي وهو طراز ألماني، وفي النهاية معروفة قصة كليهما، وغلبت الفكرة الوطنية على القومية هناك*، ولكن في الشرق لاسيما الشرق الأوسط بما فيه العراق بقيت الفكرة القومية هي الغالبة منذ ان انتقلت اليه في بدايات القرن (20)، يقول (د.نظمي): ((لم يكن العراق في أواخر القرن (19) تربة خصبة لنمو الحركة القومية، فعلى خلاف سوريا ومصر، لم تكن إتصالاته وثيقة بالأفكار الأوروبية أو بالبعثات التبشيرية)).[296] لذلك فإن الأخوة العربية -الكوردية –التركمانية، والسنية- الشيعية، ليست على اساس الرابطة الوطنية - العراقية - كما يتردد ويقال (أن الكوردوالعرب عاشاأخوة فى هذا الوطن منذ ألاف السنين)، والصحيح هو أنهما اخوة لكن على اساس الرابطة الدينية، حتى اشتراك الكورد في الدفاع عن الجنوب اثناء الزحف البريطاني (1914-1918) نحو بغداد كان على أساس دافع ديني محظ .

يقول د. الوردي: ((هناك مبالغات حول الوطنية العراقية ومطالب الإستقلال فيه))، وعلق على كتاب (الحقائق الناصعة)

---

[294] نجدة فتحى صفوة - العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب. – مكتبة دار التربية –بغداد، ط2 1984م ص123-124

[295] دراسة في الطبيعة. .. المصدرالسابق . ص 354-355

[296] التطور السياسي.. .. المصدرالسابق ص43

*يعتبر ثورة أمريكيةلعام 1776م ضد بريطانيين أول صراع بين الوطنية والقومية وفيه غلب الوطنية على القومية، لأنهما(أى الأمريكين والبريطانيين) تنتميان الى القومية واحدة بينما وطنهما مختلف.

لفريق مزهر فرعون الذى زعم ان معارك القبائل مع السلطة العثمانية فى بغداد كانت مطالبة بإستقلال العراق من خلال تعبير (لا نريد الحكومة)، ويسخر وردي بهذا النوع من الآراء، ويقول: ((ماكان لدى أهالي العراق نزعة التحرير والقومية الوطنية العراقية.))[297]، ويستثني د.وردي رجال الدين من هذا الوصف، [298] وكان التعصب لـ(الديرة) أشد من أي بديل أوسع منها في النواحي الإجتماعية والوطنية وربما السياسية أيضاً، بأستثناء العامل الديني، وفي بعض الأحيان تتطور هذه الديرة على شكل إتحادات القبائل أو يتوسع نفوذ شيوخ الديرة الى سلطة شبيه بالحكومة المحلية، التى بلغ عددها أكثر من (63) كياناً فى أنحاء العالم العربى، [299] لكن يلاحظ أن هذه التكوينات لم تنشأ في العراق إلاّ نادراً.

لذلك كان العامل الديني هو عامل الجمع الوحيد بين المكونات المختلفة وليست الوطنية أو القومية، لذلك من الصعب تكيف سكان العراق مع المفاهيم الحديثة، كالمدنية والحداثة والعلمانية والفكر القومي وبالتالى كسب الشعور الوطني.

تقر معظم المصادر الأجنبية والعربية والكوردية والتركية، ان الشعور القومي جاء بعد تحركات جمعية الإتحاد والترقي في أواخر القرن (19) والسيطرة على الدولة العثمانية بعد 1908م ومن ثم اظهار نواياهم الطورانية. يقول د.نظمي: ((ساهم حدثان مهمان دوراً أساسيا في تحديد شكل السياسة والقومية في العراق، الأول هو وصول جماعة الإتحاد والترقي الى السلطة في 1908م وفتح فرعها في السنة نفسها في بغداد، والثاني هو إحتلال العراق خلال أعوام 1914-1921م.))[300]، ويضيف(فورستر) "النشاطات السياسية في الشام" الى هذه المساهمة،[301] اي ان هذا الشعور لم ينبع في صميم أهل العراق بل أتى بفعل عوامل خارجية ان كان ذلك بإثارة -من قبل الإستعمار- أو رد فعل -الإتحاديين- أو أمتدادا من اخوانهم العرب. وربما جميعهم قد أتى من الغرب.

وكانت فلسفة الإنتداب قد جاءت من هذا المنطلق-كما سنأتي عليه في الفصل القادم-، أي عدم أهلية المجتمع المشمول بالإنتداب بعلم الإدارة والتجربة السياسية..الخ. وعدم نضج الشعور القومي والسياسي فيه.[302]

أما الأوضاع فى كوردستان فكانت مختلفة تماماً عن العرب في العراق، فمعظم المصادر تؤكد ان الكورد كانوا يتمتعون بالإستقلال، ويملكون إمارات تصل مجموعها الى (64) أمارة، ولهم الجيش والدولة والسكة.. والشخصية القانونية أحياناً، لذلك كان النشاط السياسي في كوردستان أكثر تقدما بشكل عام، قبل الأحداث المذكورة، ولكن الشعور القومي السياسيى أيضا أتى في المناسبة والتاريخ نفسه –أي بعد انقلاب الإتحاديين-.[303]

بشكل عام ينبع النشاط السياسي من مصدرين اساسيين، هما: 1- من التزاوج بين (الأنتماء) و(الولاء)[304]، فالأول إجتماعي، والثانية سياسى، ونتيجة- لهذه المعادلة- تنتج خريطة سياسية مطابقة للخريطة الإجتماعية 2- النشاطات السياسية التي تبنى على أساس آيديولوجى كما هو في بعض الأديان أو في الفلسفة السياسية كالماركسية مثلا. بدايات النشاط السياسي في العراق تعود

---

[297] دراسة في طبيعة. .. المصدرالسابق . ص 172

[298] المصدر نفسه.. ص 173

[299] بقايا وجذور.. .. المصدرالسابق ص165-، 204-، 221--

[300]تطور العراق.. المصدرالسابق .. ص44

[301] فورستر- نشأة العراق. .. المصدرالسابق ص130

[302] رغم ان عدم وجود الشعور القومي ليس دليلا على التخلف في كل الأحوال، بل الإنحناء بكل رياح هو التخلف، كما قال الإمام علي.

[303] ينظر مقدمة (محمد أمين زكي بك -خلاصة تأريخ كورد وكوردستان-)

[304] هذه الحالة تبرز عندما تشتد التعصب للأنتماء وتؤدي الى الولاء، ويتحول الى حالة سياسية عندما تنظر وتدعو لها.

الى الصنف الأول مع تعديل طفيف، وهو أدخال العامل الطائفي في التركيبة الإجتماعية، اي ان جذور نشاطه السياسى وتكويناته السياسية كانا بأثر طائفي- دينى أكثر من إجتماعي- قومي، على سبيل المثال: الكورد في نسبها أقرب الى الفرس ومنهم الى العثمانيين، والتركمان أقرب من العثمانيين ومنهم الى الفرس، والعرب أبعد من كليهما، بينما نجد في الصراع الصفوي العثماني، انقسام المكونات العراقية سياسيا بالشكل التالي: أكثرية الكورد إنحازوا الى جانب العثمانيين، وأكثرية التركمان الى جانب الصفويين -ماعدا تلعفر-، والعرب السنة مع العثمانيين والعرب الشيعة مع الصفويين، ولم يلعب الشعور القومي والمصلحة الوطنية العراقية اي دور يذكر في بناء هذه التقسيمات كما يؤكد ذلك د.وردي: ((الشيعة مع الصفوين والسنة مع العثمانيين، ما كان الشعور القومي أو الوطني يلعب أي دور كما فعلته الطائفية)).[305]

وكان التقسيم الطائفي والإجتماعي العراقي كالآتي: 51% شيعة، 19.7% سنة العرب، 18.4% كورد السنة، 1.2% شيعة ايرانية، 1.1% تركمان سنة، 0.1% أكراد شيعة (فيلي).، 2.6% اليهود، 0.8% اليزيدية والشبك، 0.2% الصابئة.[306] أما حسب الأحصائية الشيعية فإن نسبة55% شيعة [307]، وهذه الأطياف الطائفية والقومية والعرقية والدينية لعبت في ما بعد دوراً سياسيا مهماً ولحد كتابة هذه السطور أيضاً.

وكان النشاط السياسي- في اطار العراق الحالى - عبارة عن نشاط إمتداد أقليمي لهذه المكونات على الأغلب - رغم ان أصل الشيعة في العراق (من كوفة) كما يقول د.علي وردي -وليس من ايران[308]-. وبدأ أهل العراق يشاركون فى السياسة بشكل متباين ومتباعد -ولو بحجم ضعيف- في المؤتمرات، ومن خلال فتح فروع من جمعيات عربية أو تأسيس الجمعيات، في بغداد والنجف والبصرة ثم الموصل والسليمانية.

تنبيه: ربما يتوهم القارئ أننا نتناول (العراق) كمكون واحد في قراءتنا للوضع السياسي، بل اننا نتجه الى المرحلة التي تأسس فيها العراق من هذه المكونات والولايات الثلاثة.

---

[305] دراسة في طبيعة .. المصدرالسابق - ص130

[306] حنابطاطو- العراق- ط1\1990م، جدول رقم(3-1)-ج1 ص60 (وهذه احصاء لعام 1947- مجموع الكلي 4.554.000)

[307] ينظر: حسن العلوى –الشيعة – .. المصدرالسابق ص 43

[308] دراسة فى الطبيعة المجتمع العراقى .. المصدرالسابق ص226-227 (ان شيعة أصلها من كوفة وليس من فارس كما يقول)(ابن خلدون- كذلك الوردى) : ظهر شيعة في عهد عباسيين، وقدحدث انشقاق بين الشيعة وخرجت منها الشيعة الأصلية والتي سميت بأهل السنة والجماعة.. ولكن يبقى السؤال: هل أهل الكوفة كانوا عرباً أم غير عرب؟ لأن الكوفة داخل العراق العجمي).

المطلب الثالث:

ج- الوضع الفكري والثقافي في العراق

- بدايات الصراع الفكري بين العلماني والإسلامي-

تعرضت الثقافة العراقية الى تأثيرات تأريخية عدة، كالفارسية (زردشتية) وهيلينية -التي جلبها الأسكندر المقدوني ومات في بابل-، والإسلامية، ثم ثقافات مغولية وعثمانية ومماليكية..، وثقافات معارضة لهم.. بالإضافة الى ثقافة بدوية ذاتية، وكان العراق مسرحاً للصراع السياسي والعسكري والفكري، ونشأت منه المعارضة للحكام والسلاطين، وكان موطنا لكثير من أهل الطرق، ويروي التاريخ المواقف المتقلبة فيهم، لذلك لصق به حتى هذه اللحظة الوصف القائل (أهل العراق أهل الشقاق والنفاق)، وجاءت أحاديث كثيرة فيها ذم لأهل العراق، [309]... معظمها ساهمت في تكوين ثقافة العنف والأنشقاق والحيلة والأزدواجية عبر الحروب والإستخدام المفرط للعنف، لذلك يعتبر تاريخ العراق تاريخ حربي -حسب وصف د.وردي[310] أو تأريخ دموي حسب وصف (باقر ياسين) فى كتابه (تأريخ العراق الدموي-)، لذلك ورث أهل العراق ثقافة مختلفة غير متجانسة، وظهرت أفكار وآراء وطبقات ومكونات وكيانات مختلفة ومتباعدة، وصف (عبدالرحمن البزاز) حالة العراق والطبقات الناشئة قبل الإحتلال كالآتي:

1- طبقة صغيرة من دينيين موالية للسلطان، وهم كانوا ضد حركة التقدم والإصلاح والعلمانية.

2- بقايا كبار الموظفين المتقاعدين - وغيرهم- من العثمانيين، وأكثرهم كانوا موالين للإتحاد والترقي.

3- طبقة صغيرة من الشعراء والمثقفين والكتاب - سميت بالأفندية- وهم الذين اتجهوا نحو التغيير والتغريب والتجديد، ذات شعور قومي غامض، وكان لديهم ميول حزبية.

4- أما أكثرية السكان في المدن والقصبات والقرى كانت متخلفة ولم يكن لها تفكير سياسى واضح، إلا ان العاطفة الدينية كانت متأججة فيها.

5- أفراد العشائر الذين كانت طبيعتهم البدوية ضد اية سلطة وكانوا مرتبطين برؤسائهم.

6- أقليات وطرائق دينية أخرى.

وهناك عدة أحداث ونتائج مهمة أثرت مباشرة في يقظتهم، وهي:

1- الحركة المشروطية الأولى 1876 والثانية 1908م.

2- الحرب العالمية الأولى ونتائجها.

3- ثورة العشرين.

---

[309] ينظر المطلب: الوضع الأدارى فى هذا المبحث 0(كيف يمكن تصنيف كل العراقيين بالسلبي واهل الشام بالإيجابي، هذا الحكم المطلق لا ينسجم مع روح الدين الإسلامي، ربما هذه الأحاديث وضعت أثناء المشاكل بين الإمام علي (المتمركز في العراق) والمعاوية (المتمركز في الشام).

[310] وردي.. دراسة- المصدر نفسه ص166

ففي البداية رحب كل من الكورد والعرب والأقوام والمذاهب والأديان الأخرى فضلا عن الإسلاميين والعلمانيين وحتى الجامعة الإسلامية بالمشروطية، [311] وما جلبت معها من الحريات فى ظهور الجمعيات والصحف والتراجم للكتب الغربية والإنفتاح، وأوفدت جمعية الإتحاد جماعة من مرخصيها الى مختلف البلدان العربية لفتح فروعها، وجاء الى النجف ثريا بك وفتح عام 1909 فرعاً للإتحاد الترقي، فإستقبل فيها إستقبالاً حافلاً برئاسة العلماء، وانضمت جمعية العلم - التي كانت تعمل في النجف- الى هذا الفرع [312].

وأعيد العمل بالبرلمان العثماني (المبعوثان) وأصبح للعراق (12) نائباً في هذا المجلس، وبدأت تأتي الى العراق أخبار العالم وما يجري فيه من تحديث.. وهذه كلها ساعدت في أواخر القرن (19) فى نشوء فئة مميزة سميت بالمثقفين أو الأفندية كما ذكرنا، وهم فئة كانت تتميز عن باقي الناس (العوام) من حيث العادة والتقاليد والحياة اليومية من الزي والأكل وأحياناً يتميزون بوضع (السيدارة) على رؤوسهم[313]، يقول (نجدة فتحي صفوة): ((من جملة دلائل لقب (أفندي) كان يمتاز صاحبه عمن يرتدون الملابس الشعبية أو الريفية من كوفية وعقال وعباءة، فإذا ساءلت عن شخص هل هو معمم مثلاً، كان الجواب كلا، بل هو افندي)).[314] وبخلاف التدين والحضور فى الجوامع فإنهم يترددون الى النوادي، وثقافتهم كانت مختلفة ومتأثرة بالثقافة الخارجية، وذلك نتيجة لرد فعل مفرط للثقافة البدوية والريفية لأهل العراق، وكان ذلك بداية لـ(التقزم الثقافي - السياسى) الذي اصابهم ثم أصاب العلمانية، هذا التوجه ادى الى بروز الفجوة واسعة بين المدارس الدينية والمدارس العصرية، واصبحت فيما بعد المدارس الدينية الشعبية تمثل توجه الديني، [315] والآخر توجه الأفندية، وجاء فى كتاب (تغلغل النفوذ فى العراق..): ((افتتحت المدارس العصرية بشكل مكثف (بعد انقلاب 1909 والحرب العالمية) ولعبت دوراً مهماً في اليقظة القومية والعلمانية. يذكر ان عدد المدارس في بغداد عام 1914، بلغت 54 مدرسة، وفي الموصل 42 مدرسة، وفى البصرة 32 مدرسة، كذلك فتحت المدارس الأهلية الاجنبية في بغداد وعددها 57 مدرسة، وفي الموصل 6 مدارس، وفي البصرة مدرسة واحدة))[316]، وكان منهاج المدارس الحديثة يختلف ويتناقض مع المدارس الدينية، وتوصف المدارس الدينيةوطلابها من قبل الأفندية بالرجعية والتخلف، ونتيجة لذلك أصبحت (أي الأفندية) يكرهون عادات وتقاليد وعرف وتأريخ العوام من الناس سواء كان سلبياً أو إيجابياً، وكانوا يعتبرون أن الدين سبباً لإنتاج مثل هذا الشعب -كما وصفوه-، وبالتالي تفاخروا بعدم مبالاتهم بالدين، وبنوا علاقات وحياة ومنظوراً لا دينياً، تقليداً للغرب والأفندية العليا في مراكز الخلافة أمثال زعماء الإتحاد والترقي، أيدوا كل خطوة علمانية وتحديثية في العراق منذ داود باشا ومدحت باشا الى المشروطية الثانية، فقد جاء في كتاب (البقايا والجذور..) :((ان التكوينات العلمانية العربية أتجهت نحو اتباع الدعوات الإصلاح والتحديث لكل من محمد علي باشا في مصر وداود باشا في العراق، وخيرالدين باشا في تونس، وشكيب أفندي في لبنان.. واعتبرت هذه المحاولات بداية للعلمانية، أما القسم الثاني منهم أي الزعامات الدينية على عكس العلمانيين كانوا معارضين للغرب والإستعمار، مثل: محمد بن عبدالوهاب في نجد، محمد بن علي السنوسي في المغرب، محمد المهدي في السودان، محمد بن علي الشوكاني في اليمن.. وغيرهم))[317].

[311] حسني - العراق في دوري .. المصدرالسابق - ص47

[312] المصدر نفسه.. ص 47

[313] كانت يفسر (السيدارة) من قبل العوام على أن حاملها لا يريد رؤية السماء (الله).

[314] خواطر وأحاديث في التأريخ. ط1 1983م، مطبعة أشبيلية الحديثة -بغداد ص 39

[315] لا يشمل هذا التقسيم المدارس الراقية في المدن المقدسة، كذلك بعض المدارس في بغداد والموصل وكوردستان.

[316] فواز مطر الدليمى .. المصدرالسابق .. ص129-130

[317] د.سيار الجميل .. المصدرالسابق .. ص 211

وهؤلاء الأفندية رحبوا بالمشروطية والخطوات التحديثية والتغريبية وكذلك ايدوا خلع السلطان عبدالحميد، حسب (د.نظمي) أول تقسيم علماني-إسلامي -أو تقسيم فكري وسياسي فى العراق - جاء في مسأله المشروطية والإنقلاب، حيث أيدت الطبقة المثقفة (الأفندية) - ذوو الميول القومية العربية - الأجراء المذكور، بينما فريق من رجال الدين -بقيادة خراساني[318] عارضت، [319] وجرت تظاهرات واحتجاجات في كثير من المدن العراقية ضد العلمانية والإتحاديين، لاسيما التظاهرة الرمضانية المشتركة بين الشيعة والسنة[320] في بغداديوم 13/تشرين الأول 1908، أي بعد ثلاثة اشهر من الإنقلاب.[321]

ففي البداية شارك في التظاهرة أمثال (عبدالرحمن النقيب[*]، وصار على رأس المتظاهرين ونادوا (الدين يا محمد)، وشكل حركة بأسم (الشورى) وطالب بدوره بالخلافة.[322]

وبعد تبيان نوايا الإتحاديين ضد الخلافة وميولهم نحو العلمانية أكثر فأكثر بعث العلماء والمراجع فى المدن المقد سة برسالة الى كل من (السلطان محمد رشاد) وعلماءايران والهند وبينوا خطورة هذا الوضع وحثوهم على القيام السياسى[323]0

ونشأت أحزاب إسلامية وعلمانية لأول مرة،إذ ظهر أول حزب إسلامي فى العراق بقيادة محمد داغستاني.[324] وفي هذه الأثناء حلّ الوالي الإتحادي (جمال باشا) محل الوالي (ناظم باشا) في بغداد، وهو –على غير العادة- يرقص مع المرأة الغربية، وصارت ضجة في بغداد ووصفوه بـ(غير الدين)، مما زادت المعارضة الدينية.[325]

وبسبب المعارضة والإحتجاجات ضد استهداف الخلافة دخل كثير من العلماء وأنصارهم الى معتقل لاسيما في النجف وكربلاء، وقد صدرت فتاوى مشابهة من علماء كوردستان، ووصل الامرالى اندلاع الحرب بين الإتحاديين والشيخ عبدالسلام البارزاني0

وكان مع كل خطوة تحديثية فى العراق تجدد الصراع بين الطبقتين المذكورتين، ولم تكن الجبهة الدينية موحدة، فكانت المرجعيات الشيعية أكثر تطلعا وفرقوا بين ماهو علمي محايد يخدم البشرية وما هو منهجي معادي للدين. ولكن في منطقة السنة العرب وكوردستان الأمر يختلف وكانوا بحكم أثر الصوفية عليهم عارضوا بشكل مفرط التحديث، فمنذ عهد داود باشا أدخل- مايحسب على - العلمانية في العراق لأول مرة بإسم الإصلاحات والتحديث، وكان علماء الدين يعارضون ذلك، فلما فتح مستشفى في عهده عارضوا ذلك بحجة ان قدر الله لا يرد، [326]، وشملت معارضتهم فيما بعد استعمال الراديو، الطباعة

---

[318] ولم تكن المعارضة منحصرة في الخراساني أو علماء الشيعة فقط، بل في البداية كان معظم علماء السنة وعلماء الكورد، ضد عملية نسف الخلافة.

[319] التطور العراق السياسى... المصدر السابق ص 39.

[320] ولم يكن بين السنة والشيعة أي إحتكاك يذكر، بل وكان موقفهم موحداً، ومنذ سنة 1743 عقد مؤتمر المصالحة لعلماء الدين الشيعة والسنة في النجف بقيادة عبدالله بن حسين السويدي وتحت رعاية نادر شاه الفارسي.

[321] - حنابطاطو- العراق.. .. المصدرالسابق ج1ص202

[*] الذي اصبح في ما بعد أول رئيس وزراء للحكومة التي أنشأها بريطانيا المحتلة

[322] ينظر:أ-- نجدة فتحي صفوة- (خواطر وأحاديث في التأريخ) .. المصدرالسابق ص21 ب- دور المثقفين .. المصدرالسابق - ص 151

[323] الثورة العراقية الكبرى- .. المصدرالسابق ص 28 وص118

[324] د.محمد بازياني- مستقبل الحركة الإسلامية .. المصدرالسابق ص21

[325] وردي- الدراسة في الطبيعة .. المصدرالسابق - ص140-141

[326]عبدالرحمن بزار .. المصدرالسابق - ص 33-34

والصحف[327]و قراءة الجرائد، والجلوس على الكراسي والأكل بالملعقة..وأنكروا العلاقة بين البخار والمطر كذلك الأمر بالنسبة للمدارس الحديثة وزعمواأنها(علم الشيطان)، وكل الأفكار والثقافات التي يفتخر بها ألافندية[328]، بحيث وصل الامرالى الصيغة المشابهة للصراع العلماني الديني في أوروبا، عندما اطلق على (لائيكية وسيكولارية) باللا إكليركية، أي لادينية، كذلك- في العراق - أطلق على المثقفين بـ(اللادينيين)، وكان الأفندية يبرزون الأفكار الغربية والفلسفة اليونانية ومبادئ الثورة الفرنسية والدولة الدستورية الحديثة ونظريات سياسية جديدة،.. بدل وجهة النظر الدينية والشريعة.. وانحاز التجار الذين يتعاملون مع أوروبا الى جانب الأفندية وشكل منهم أول وفد مؤلف من توفيق السويدي وسليمان عنبر اللذين شاركا في المؤتمر العربي في باريس في سنة 1913، رغم انها مشاركة ضعيفة ولم يأت موفد من قبل أي جهة لكن يعتبر حدثا مهما وبادرة للتغيرات.

السمة المميزة لأهل العراق (العوام) كانت تؤيد الأفندية ورجال الدين فى أن الواحد، وهي أحد عوامل الأزدواجية - قديمة- حسب وصف (د. علي وردي) حيث يقول: ((ان صراعاً بين الأتقياء (المتدينين) والأشقياء (غير المؤمنين) وله أثر إجتماعي قوي، وكان الناس يعجبون بكليهما ويؤخذ من كليهما..))[329] هكذا فإن العوام من المسلمين لم يعد حاجزاً أمام خطوات الأفندية، بل العنصر الحاسم هومن الغالب؟ والغلبة كان تدريجياً لصالح الأفندية مقابل التراجع التدريجي لرجال الدين، وكانت الخطوات تجري كالآتي: في كل خطوة أوعند فتح أية مؤسسة علمية أو طبية أو فكرية أو صناعية، يعارض رجال الدين وتؤيد الأفندية، فالغلبة لهم والتراجع لرجال الدين، واصبحت قاعدة (الهوايتهد) يعاد تطبيقها مرة أخرى في العراق عندما قال: ما من مسالة عرضت فليقل العلم وليسكت الدين.

وأيد رؤساء العشائر الجانب الديني في هذه الخطوة، حفاظاً على مصلحتهم لكي تبقى العشائر متخلفة، [330] وكان أكثرية رجال الدين السنة يميلون نحو الأنعزال من الحياة الجديدة، أو أصبحوا موظفين لدى الدولة وانتهى الأمر، وأكثر من ذلك بعضهم انضم الى المشروع الغربى، مثل عبدالرحمن الكيلاني (نقيب بغداد) واشراف مكة .. انضموا الى جانب العلمانية ومشروعها القومي الموالي للخطة الإستعمارية لتقسيم العالم الإسلامي وبالخصوص العالم العربي.

وكان هذا النمط من الصراع يتمركز أكثر في الوسط السني، لأن الأفندية عند المسلمين الشيعة يحضرون في مجلس العلماء وتقبل اياديهم بأحترام، [331] أما في الوسط السني كانت معادية للملا. لذلك الأفندية والعلمانية نمت وتأصلت فيها، بعكس المنطقة الشيعية التي تأخر هذا التأصيل فيهاحتى بعد نشأة الدولة العراقية الحديثة في 1921 وتوطيد أركانها، بسبب مستواهم العلمي ومنهجهم الدراسي ومخالطتهم مع ايران والهند ولبنان.. وكانوا مطلعين على ما يحدث في العالم، كما ظهر عند المقاومة والثورة في العراق اثناء الإحتلال، كذلك في مواقفهم من أحداث العالم الإسلامي، على سبيل المثال:

كانت الحركة الدينية في النجف وكربلاء تنهض بالمسلمين للدفاع عن طرابلس (ليبيا) ضد ايطاليا وتجهزهم بالمال، وتحضر المجاهدين للدفاع عنها، ومن بين العلماء الذين شاركوا في هذه النهضة كل من (محمد كاظم خراساني، عبدالله مازندراني، حسين نائبني، أبو الحسن الموسوي، شيخ شريعة ألأصفهاني..) ووجهت رسائل الى جهات معينة باللغتين العربية والفارسية[332]، أما

---

[327] دور المثقفين في الثورة العشرين .. المصدرالسابق ... ص 11 وكان أول صحيفة صدرت في عهد مدحت باشا يوم ثلاثاء المصادف 1819/6/15 بإسم (الزوراء)

[328] المصدر نفسه - ص351

[329] المصدر نفسه - ص295-296

[330] حسن العلوى –الشيعةوالدولة القومية .. المصدرالسابق ص58

[331] د.وردي.- لمحات .. المصدرالسابق ج5- ص 39

[332] الثورة العراقية الكبرى- .. المصدرالسابق - ص 24-25

في المناطق الأخرى من العراق فلم يكن هناك مبالاة بهذه الأحداث بتلك الدرجة، لا من طرف الأفندية العلمانية -الذين يدعون القومية- ولا من قبل الرؤساء والشيوخ والتجار، ولا من بقية الشعب ولامن جانب علماء الدين الذين يفتقرون إلى المعلومات الدولية الكافية.

بدأت الأفندية تهيمن على الساحة السياسية أكثر بسبب اطلاعهم الإداري والفكري والقانوني والسياسي، وبات الناس بحاجة إليهم، ففي النهاية أخذ العراقيون الذين لم يهتموا بالسياسة والفكر والحداثة حتى الحرب العالمية الأولى، أصبحوا سياسيين على نمط تقليد الأفندية، وبالتالي وقعوا في حاضنة العلمانية، وأصبح كل من يتبع الدين يتضرر ويتخلف، لذلك حرموا من المناصب الكبرى فى الدولة العراقية الحديثة التي بنيت في ما بعد، فمثلا، افتوا بعدم الدخول الى المدارس.. وبقيت المدارس منحصرة في نطاق طبقة الأفندية والتجار وكبار الملاك والأقطاع والأقليات غير المسلمة.. لذلك اصبح هؤلاء في الطليعة وأحتلوا المناصب العليا وغيرهم في المؤخرة. وأصبح الصراع على النمط الغربي بحيث الملائية (حسب قول وردي) يريدون تطبيق الشريعة في الحكم بينما الأفندية يريدون ابعاد الدين عن السياسة وبالتالي العمل من أجل حكم علماني.[333] وفي اثناء المقاومة والثورة من قبل الإسلاميين، عارضت الأفندية وطالبوا الملالي وعلماء الدين بترك الجهاد ضد المحتل، وبدأ الخلاف يشتد وينتهي -كما يقول وردي- بنفي المجتهدين كما جرى في عام 1923.[334]

لم يؤد هذا التقسيم الى بلورة جمعيات سياسية قبل الحرب، فكان كلاهما -العلماني والإسلامي-أحياناً موجودين في جمعية واحدة أو مؤسسة واحدة، ولكن كانت تبرزالخلافات عقب الأحداث العالمية المميزة، فكان القسم الأول يميل نحو الغرب، بأعتبار التغريب والعلمانية الجهة المتحررة من القيود الدينية الرجعية، بينما الغرب في منظور القوى الدينية هو الإستعمار ولا يأتي من بين أيديه إلا تقسيم العالم الإسلامي والعربي ويجعلهما أكثر تخلفاً. هكذا فإن التيار الديني يختلف عن التيار القومي والعلماني، ومن الخطأ تصنيفهم في خانة واحدة تحت اسم الحركة الوطنية، لأنهما هويتين مختلفتين، وكان العامل الديني الحقيقي لا يفسح مجالاً للقومية التي كانت تثار من قبل الإستعمار في الخارج والعلمانية في الداخل.

يقول (د.فياض) حول مستوى الفكر القومي في العراق قبل الحرب العالمية الأولى: ((يبدو ان الفكرة القومية بمفهومها الحديث لم تكن واضحة في اذهان معظم المشتغلين بالحركة الوطنية في ذلك العهد، ويعود ذلك لتعاظم الروح الإسلامية في نفوس معظمهم، لذلك لم يؤيدوا على نقل الخلافة الإسلامية من آل عثمان وتنصيب حاكم عربي كخليفة إسلامي، وعندما أوفدت جمعية البصرة الإصلاحية (سليمان فيضي) الى الموصل سنة 1913 وجد المسألة مشابهة، وان المؤمنين بالقضية العربية قلائل،وان الترعة الدينية تقف حائلا بينهم وبين التمرد على العثمانية))[335]، ولكن في النهاية تركت العلمانية والمشروع الغربي أثارهما على هذه المناطق لاسيما بعد ان فقد أثر الخلافة فيها، وقد ظهر تيار قومي علماني على نمط وطبيعة عراقية، لذلك -كما لاحظ (لونكرينك)- على خلاف أكثرية الأقطار العربية ظهرت في العراق نخبة من العسكريين الذين لعبوا دوراً مهماً في مصير دولة العراق.[336]

---

[333] د.وردي- لمحات. .. المصدرالسابق ج2 ص315

[334] المصدر نفسه.. ج5 ص24

[335] -الثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ص113

[336] احوال العراقية في مرحلةالمشروطية .. المصدرالسابق . ص178

المبحث الثالث : الإحتلال والمقاومة

المطلب الأول : إحتلال العراق

في 1904/7/28 اندلعت الحرب العالمية الأولى، وكان العالم -أو الدول الأساسية-قد انقسم الى طرفين:
الأول هو دول المركز (أوالمحور أو الوسط): المانيا، النمسا ومن معهما 0
والطرف الثاني دول التحالف : فرنسا، بريطانيا، روسياومن معهم 0
في هذه الفترة كان الثلاثي (انور- طلعت- جمال) مسيطرين على الحكم العثماني، بعد خلع عبدالحميد في 1909م، وكان (انور)[337] أكثر نفوذاً، فقد جاء في مذكرات (علي فؤاد- عسكري تركي): ((كانت العثمانية في قبضة الإتحاديين، والإتحاديون في قبضة المركز العام، والمركز العام في قبضة الحكام الثلاثة، والثلاثة في قبضة (انور) يسوقهم سوقاً عنيفاً))[338]، لذلك جاء اسم تركيا ببلاد انور في كثير من المصادر -لاسيما الألمانية- آنذاك، وهو بدوره معجب بألمانيا، وظن أنها هي المنتصرة في هذه الحرب، لذلك حاول (انور) أن يصلح أوضاع الدولة العثمانية عبر التحالف معها، ومن جهتها كانت ألمانيا بحاجة الى نهضة المسلمين الى جانبها واطلاق الخليفة فتوى الجهاد..[339] هكذا في 1914/11/5 دخلت العثمانية الى هذه الحرب،على رغم من معارضة الخليفة والوزارة[340]، وكان أول رد فعل بريطاني سريع هو التحرك العسكري نحو جنوبي العراق، بذلك بدأت أحداث العراق من الإحتلال والمقاومة والثورة ثم تكوين الدولة، وتحقيق أطماع بريطانيا التأريخية على المنطقة والعراق.

نفوذ وأطماع بريطانيا في العراق:

أطماع الإستعمار فى المنطقة قديمة، وتصاعد منذ منتصف القرن (17) أكثر فأكثر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، [341] تمثلت هذه الأطماع في البداية عبر النشاطات الإقتصادية والتجارية والبعثات الإرسالية والعلمية أو المختلطة، ثم بدأت نشاطاتها السياسية الخفية، حسب كتاب (حضارة العراق)بدأ نشاط الإنكليز في البصرة منذ عام 1788م، أما حسب نظريات أخرى بدأت هذه المحاولات منذ القرنين (14-16) مع التبشير.[342]

بدأت أول بعثة تجارية بريطانية المرور بالفرات في سنة 1583م الى الخليج والهند،[343] على رغم من صعوبة الطريق لكن اكتشفوا أهمية هذا الطريق، [344] وبدأت بإفتتاح مقرات الإقامة والمكاتب والقنصليات في هذه الفترة، من أوائل الأسماءالتى يأتي

---

[337] ويرتبط بالعائلة السلطان بالزواج.

[338] حركة الأستقلال .. المصدرالسابق - ص 130

[339] الشيعة والدولة القومية .. المصدرالسابق ص11-12

[340] بنى مرجة – الصحوة .. المصدرالسابق - ص 75

[341] نخبة من باحثين العراقيين- حضارة العراق - بغداد 1985 بدون سنة الطبع. - ج1ص 59

[342] ينظر: قصة الأنسان .. المصدرالسابق ص 206.. ويقول فيها :((المبشرون طليعة المستعمرون))، وقد انكشف صحة هذه النظرية في بعض الأحداث، فمثلاً قصة المبشر (استفتسن) في الهندية بلواء الحلة.. وعرف نفسه بأنه مبشر امريكي.. بينما ظهر اثناء الحرب العالمية ضابطا بريطانيا ماهراً يتجول في طول ارياق وعرضه.(ينظر : العراق في ظل المعاهدات .. المصدرالسابق ج2ص42)

[343] تغلغل نفوذ البريطانى فى العراق .. المصدرالسابق - ص 30.

ذكرها هو أسم (جيمس مورلى 1766) المعتمد في البصرة، أما في بغداد فكان هناك وكيل وطني في 1781م تحت اسم وعنوان تجاري ولكن كان يلعب أدواراً أخرى، وتابع في ما بعد كل من (هارفور جونز 1798)، (د.جون هين 1806) المسيرة، وأول مقيم في بغداد هو جيمس لويج في سنة 1807.[345]،.. وفي عام 1812م تحولت مقرات الإقامة الى وكالة سياسية، وتابع المسيرة كل من (النقيب نايلور 1822)، (الجنرال هنري 1843)، (ى. راولتسون 1849)، (ارنولد 1851)، (د.هلوب)، (العقيد س.هربرت 1868)، (العقيد ج.ب نكسون 1874).

أما المقيمون فهم :(العقيد ملز 1879)، (تريفر 1882)، (الجنرال نويدي 1882)، (الجنرال تويد 1888)، (مجر نالبوت 1887)، عقيد مولكر 1891)، (مقدم لوخ 1897)، (ميجر ميغل 1897)، (مقدم بنومارس 1902)، (العقيد رفزي 1906).

وفتحت كذلك الممثليات في كربلاء بأسماء إسلامية مثل: (مير قلشان علي 1870)، (احمد علي خان)، (حيدر علي خان)، (محمد تقي خان)، (آغا ابراهيم)، (ميرزا محمد حسن).[346]

وكان هناك نوع من الإتفاق على تقسيم المنطقة مكرساً بين دول التحالف قبل الحرب، حيث ان النشاط الفرنسي كان يتركز على الشام ولبنان، والنشاط البريطاني نحو العراق والجزيرة، ولم تسمح بريطانيا لروسيا بإحتلال منطقة واسعة من الأراضي العثمانية. كذلك هناك منافسة من نوع آخر بين المانيا وبريطانيا، لاسيما على ولايتي بغداد والبصرة بشأن استثمار وتنفيذ المشاريع الصناعية، كانت بريطانيا تتعامل دولياً كأن جنوب العراق نفوذ بريطانية وبالأخص فى نهاية القرن (19)، وعارضت أي مشروع غير بريطاني في هذه المنطقة، كالسكك الحديدية الألمانية مثلاً، وكانت بريطانيا تعزز تواجدها في كل من: 1-الكويت - وذلك بموجب اتفاقية 1898[347]، مع مبارك 2-محمية المحمرة بقيادة الشيخ خزعل، 3-جزيرة العرب 4-ايران، بالإضافة الى ترابط قواته في بحرين[348]، وهناك اتفاقيات اخرىَ مهد لتغلغل البريطانى منها: اتفاقية قطيف(بين بريطانيا مع ال سعود)فى 26/ديسمبر/1915 ، وفى 6/فبراير/1806 مع القواسمة ، وفى /يناير/1820 مع الشيوخ (رأس الخيمة، ابوظبى، بحرين، عجمان، ام القيوين، ..)[349]، أمامن الداخل فكانت نفوذ القنصلية البريطانيا تنافس نفوذ الوالي، وأحياناً تحكم عليه، وبدأت إتصالاتها بالسكان والشيوخ والرؤساء والسياسيين وروجت بينهم العلمانية والفكر القومي، في الحقيقة ان المشروع القومي العربي من حيث التأسيس مشروع إستعماري، وأحياناً أصبح الرتل الخامس للإستعمار، كمايظهرفى تنظيرات (نجيب عازوري- وهو أحد أهم مؤسسي هذا المشروع)[*]، وكذلك نجد أمراً مشابهاً لدى علمانيين ودعاة القومية في العراق بهذا الصدد، وقدموا الطلب الى البريطانيا راجين

---

[344] حاول البريطانيون الوصول الى الهند عن طريق الفرات والخليج، بسبب قربها لاسيما بعد سيطرة برتغاليين على طريقهم فى راس رجاء الصالح في عام 1583، من أجل ذلك خرجت من لندن مجموعة وسلكت طريق البحر الأبيض والفرات والى البصرة، لكن هلكوا جميعاً ماعدا واحد منهم ورجع الى لندن دون الوصول الى الهند، ولكن حمل معه معلومات الطريق وأهميته.

[345] تغلغل-المصدر نفسه ص217

[346] المصدر نفسه - ص 217.

[347] منذ سنة 1898 عقد اتفاقية بريطانية مع مبارك شيخ كويت- وكانت الكويت انذاك قائمقامية تابعة لبصرة- تعهدت بموجبها ألا يؤجر أرضاً أو يمنح امتيازا لأي أحد الا بموافقة بريطانيا (ثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ص 145)

[348] تغلغل .. المصدرالسابق ص60.. عقد معاهدة بين كولونيل (روس) بريطاني مع شيخ عيسى بن علي الخليفة في 1880/1/22 والتي صدقت عليها الحكومة البريطانية في 1881 وتطورت فيما بعد الى ترابط قوات عسكرية بريطانية فيه.

[349]ـ ينظر: ايران والخليج العربى ص42- ويضيف الكاتب بأن معظم تواقيع على الاتفاقية كان بواسطة الاسبع .

[*] موقفه معادي للحركات التحررية ضد الإستعمار، ومؤيد للأنفصال بين العرب والترك، واعتبر كل من ألمانيا وروسيا خطراً على العرب، اذن لم يبق -حسب عازوري -أمام العرب سوى فتح أبوابها لفرنسا وبريطانيا للإنقاذ.

منها الإحتلال، يقول (فورستر): ((ان بريطانيا تلقى الطلبات الملحة من الأشراف المحليين (العراقيين)، ومن العشائر بأنه ينبغي للحكومة البريطانية أن تبسط سلطانها على البلاد))، [350] جاء في مذكرات (مس بيل) كثير من اسماء اللامعين والشخصيات والضباط الذين كانواعلى علاقة مع بريطانيا قبل الحرب العالمية0

وفي الأستانة كان النشاط والنفوذ البريطاني قوياً أيضاً، أحياناً يشارك السلطة في تعيين الولاة لاسيما في العراق، فمثلا ورد في كتاب (تغلغل البريطانى...) ان سليمان باشا قد عُين والياً على بغداد بجهود مستر لاتوش الوكيل البريطانى في البصرة حينذاك[351]، كذلك ورود إسم سعيد حليم باشا (رئيس وزراء العثمانى)ضمن قائمة البريطانية للمرشحين لمنصب ملك العراق،..كل ذلك دليل على ان نفوذ البريطانى بشكل عام ونفوذ(هارفورج جونز-المقيم البريطانى في بغداد في سنة 1789م) قوياً جدا على هذا الوالي، وزاد هذا النفوذ فى فترة حكم الإتحاديين.. والأمر وصل الى ان الحكومة الإتحادية ابدت رغبتها في بيع الإدارة النهرية العثمانية التي تسير بواخرها بين بصرة وبغداد الى شركة لنج البريطانية عام 1909م، وشاع عنهم أنهم بدأوا يبيعون الولايات العربية الأخرى في المزاد العلني[352]، هذه تصرفات لإتحاديين بالإضافة الى توجههم القومي العلماني، كل ذلك كان سببا في ضعف الرابطة الدينية، (الرابط الوحيد) بين الولايات العثمانية المختلفة، وأدى الى مزيد من تعزيز النفوذ البريطاني في العراق.

أوضح وأخطر خطوة تبنتها بريطانيا في العراق على الصعيد العسكري هي عدم قبولها بوضع الإستحكامات العثمانية في الفاو وقصتها كالأتى: ففي سنة 1878م أحتلت بريطانيا قبرص، وفي سنة 1882 مصر، وكلاهما تابعان للعثمانية، وتزايد نفوذها في منطقة الخليج، مما دفع بالعثمانية الى ارسال تعزيزات دفاعية الى الفاو- أقصى جنوب العراق- ولكن (كولونيل موكلر) المعتمد البريطاني في البصرة أخبر بريطانيا بذلك، وأخيراً وافق باب العالي بإزالة هذه الإستحكامات في الفاو، [353] دون أي ضمانات.

وفرض نوع من الحكم الذاتي في ولاية البصرة التي اصبحت إمارة شبيهة بإمارة الكويت والمحمرة التي أنشأتها بريطانيا لهما، ذلك مهدت لبريطانيا الدخول بسهولة بعد أعلان الحرب، وكان طالب باشا -شخصية قوية في الولاية- اتصل بالبريطانيين عن طريق الشيخ خزعل وأبرم اتفاقية في سنة 1913م بينهما شبيهة بالوعود التي أعطيت فيما بعد لشريف مكة، حيث وعدت بريطانيا تنصيب طالب باشاحاكماً على ولاية البصرة مقابل مساهماته الستراتيجية، [354] يذكر ان نائب القنصل البريطاني في البصرة يلقب بـ(الشيخ الأبيض) لنفوذه الكبير وسط شيوخ القبائل.[355] هكذا إزدادت إهتمامات بريطانيا بالعراق، ويمكن أن نلخص أسباب ذلك في النقاط التالية:

1- النفط والثروات الإقتصادية.

2- موقعه الأستراتيجى، كأقرب طريق الى الهند بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح.

3- المنافسة مع النفوذ الإستعماري للدول الأخرى (المانيا، روسيا، فرنسا).

4-سهولة اجراء العمليات العسكرية فيه، وضعف المقابل.

---

[350] هنرى فورستر- نشأة العراق الحديث .. المصدرالسابق . ص93.

[351] تغلغل .. المصدرالسابق ص32-37

[352] ينظر :أ- ثورة العراقية الكبرى- .. المصدرالسابق ص83-86، ب- دور المثقفين. .. المصدرالسابق ص24

[353] تغلغل- .. المصدرالسابق ص 72

[354] ينظر:أ-دور المثقفين .. المصدرالسابق -ص25، ب- العراق في دوري. .. المصدرالسابق ج1 ص50

[355] تغلغل- .. المصدرالسابق ص 40

5- نفوذها القوي فيه.

6- الأرضية الإجتماعية الجيدة لتمرير المخططات الإستعمارية فيها.

7- سداً لأطماع الدول الأخرى مثل روسيا.[356]

وتظهر هذه الأهمية من خلال تصريحات المسؤولين البريطانيين، منذ أواسط القرن (19)، نختار منها:

+ في مذكرة طويلة بعث بها الرائد ولنسون الى سكرتير الدولة للشؤون الخارجية في 1853/6/13 بصدد إمكانية تقسيم الدولة العثمانية، كما حث على إحتلال كامل للمنطقة الممتدة من نهر الزاب الأسفل الى البحرالمتوسط.[357].

+ وجاء في رسالة لمس بيل بتأريخ 1920/4/10 الى الحكومة البريطانية -أثناء ثورة العشرين - أن((ترك العراق يعني ترك ايران والهند،و بالتالي اختلال وضعنا في آسيا بأجمعها)).[358] وقد أختارت (مس بيل) أول زيارة لها الى العراق ضمن زياراتها للبلدان العربية، التى بدأها عام 1909 ثم عادت في أعوام 1910، 1911، 1914 واتصلت بالعشائر.[359]

+ صرح اللورد كيرزن في عام 1911 في مجلس العموم البريطاني أنه من الخطأ الإعتقاد بأن مصالحنا السياسية مقتصرة على منطقة الخليج، ولا حتى المنطقة المحصورة بين البصرة وبغداد، ولكن مصالحنا تمتد الى مدينة بغداد نفسها.[360]

+ شكلت لجنة بريطانية في 15/كانون الثاني 1912، واقترحت هذه اللجنة تعزيز المركز البريطاني في البلاد العربية الواقعة تحت نفوذ الدولة العثمانية، لاسيما العراق،سواء دخلت الحرب أم لم تدخل.. وكان هناك مفاوضات تجري مع دول أخرى حول بلاد العرب.[361]

+ في 1913/6/23 أرسل القنصل البريطاني العام في بغداد الى حكومة الهند والسفير البريطاني بأستنبول برقية جاء فيها: أخبركم بأن أنحلال الدولة العثمانية بات وشيكاً، ويقع التقسيم على نفوذ مجموعة الدول، لذلك على بريطانيا توسيع نفوذها في العراق والخليج.[362]

+وفى 1918/12/10 بعداحتلال بغداد من قبل بريطانيا جاء اهمية هذا الانجاز من خلال برقية ويلسون المرقمة 10973 بتاريخ اعلاه الى وزارة الهند ويقول فيها اننا قدمنعنانهائياً تجمع المسلمين فى الشرق الاوسط.

+ وكان العراق عاملاً مهماً في تأجيج نار الحرب، كما يظهر من خلال رسائل الممثلين والشركات التابعة لبريطانيا والمانيا، [363] وعندما دخلت العثمانية الحرب أصدر المقيم السياسي البريطاني بياناً موجهاً الى حكام العرب في منطقة الخليج العربي، والى رعاياهم يوضح فيه بأن تركيا قد دخلت الحرب بتحريض من المانيا لكي تحطم نفسها، وانه بدا مستحيلاً وجود أي أمل في الحفاظ على الأمبراطورية العثمانية..[364] من هنا تبدأ قصة الهجوم على العراق.

---

[356] ينظر:أ- المصدر نفسه - ص 30، 54، 60 ، ب- عبدالرحمن بزاز. .. المصدرالسابق . ص 43

[357] تغلغل..الصدر نفسه. ص 62

[358] العراق في رسائل مس بيل .. المصدرالسابق - ص130

[359] محسن ابو طبيخ -مذكرات- .. المصدرالسابق ص 56

[360] تغلغل .. المصدرالسابق ص 80

[361] ينظر : موسوعة العراق السياسي- .. المصدرالسابق ص 16

[362] ينظر :أ-عبدالرحمن بزاز .. المصدرالسابق - ص59، ب- تغلغل .. المصدرالسابق - ص80

[363] تغلغل... المصدر نفسه - ص 113

[364] فورستر- .. المصدرالسابق ص 93

العمليات العسكرية

في 1914/6/28 أغتيل (أرشيدوك)، وفي 1914/7/28 اندلعت الحرب العالمية وفي 1914/11/5 انضمت العثمانية الى جانب ألمانيا، وكانت القوات البريطانية موجودة في الخليج بشكل ملفت للنظر قبل إندلاع الحرب، وبقيت الحجاز ونجد وعربستان والكويت الى جانب بريطانيا، والمفاوضات كانت مستمرة مع طالب باشا في البصرة للغرض نفسه، يقول (لورانس): ((انهم كانوا ينوون اشعال الثورة في البصرة بدل الحجاز عن طريق نفوذ طالب باشا، وكانوا ينوون ارسال عزيز علي المصري، [365] الى قيادة الثورة في البصرة والعراق، لكن الخطة تغيرت لأن السلطة الهندية البريطانية تنوي انضمام البصرة الى الهند)).[366]

يبدو ان بريطانيا تعد العدة لهذه العمليات وإن لم تشترك الدولة العثمانية في هذه الحرب، يكشف (فليب ارلاند) عن هذه النية ويقول:((ان أمر إحتلال الفاو والبصرة لم يكن مشروعا جديداً، اذ اقترحته رسمياً اللجنة الخاصة التي أُلّفت لهذا الغرض في 15/كانون الثاني 1912))[367]، لقد بدأت بريطانيا قبل اعلان الحرب بسحب لفيف من المقيمين فى البصرة في 27/تشرين الأول 1914م الى المحمرة التي يحكمها الشيخ خزعل[368]، وارسلت لواءاً مكوناً من أربعة أفواج يتضمن 4558 جنديا و173 ضابطا و12 مدفعاً جبلياً الى البحرين -التي ارتبطت بدورها ببريطانيا منذ 1880/12/22 بمعاهدة جديدة.[369] وكانت الحجة -لهذه الإجراءات هي المحافظة على جنوب فارس والعراق من تهديد الألمان وأطماعهم النفطية، وذلك قبل دخول العثمانية في الحرب في 5/تشرين الثاني 1914.[370] وبدأت الحملة العسكرية بإسم (D) تمجيداً لقائدها دلامين[371]، كالآتي:

-{في 1914/11/3 توجهت قوات بريطانيا من البحرين الى جنوب شط العرب واستولت على الفاو في 1914/11/7. ولم يعرف القائد العثماني في البصرة (صبحى بك)هذا الخبر إلا من خلال فاريين، ولم تكن استعدادات الدولة العثمانية على مايرام، وابدت مقاومة بسيطة، استغرقت الحرب الحقيقية فقط 40 دقيقة ثم أخمد نار القوات العثمانية.[372]

وكانت قوات العثمانية -عقب النفير العام- مؤلفة من فرقة المشاة 38 (وهي عبارة عن سرية خيالة واربع بطريات وستة افواج المشاة) والفوج الأول من الكتيبة 26، وتسعة افواج من الدرك وستة أفواج حدودية وثمانية سرايا حدودية وست بطريات.. أي ان مجموع القوة كان عبارة عن 21721 جنديا و44 مدفعا، وهذه القوة موزعة على الولايات الثلاثة بقيادة (جاويد باشا)، ولكن في البصرة لم يتجاوز 300 مقاتل.[373] أو فرقة واحدة، والبقية سحبت منها من قبل، وهو دليل على عدم دقة معلومات دوائر العثمانية حول نيات بريطانيا في هذه الجبهة.[374]

---

[365] الضابط المشهور من اهل الشركس والمتقاعد في مصر ورئيس جمعية للعهد

[366] أحوال العراق فى مرحلة المشروطية .. المصدرالسابق ص273

[367] الثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ص145

[368] العراق في دوري .. المصدرالسابق - ج1ص 10

[369] ينظر :أ- العراق فى الدوري- .. المصدرالسابق ج1ص10، ب- تغلغل.. .. المصدرالسابق ص 60، ص 41

[370] عبد الرزاق حسنى -العراق فى دورى الأحتلال والأنتداب ج1ص10

[371] عبد الرحمن بزاز- .. المصدرالسابق ص 61

[372] عباس عزاوي - العراق بين الأحتلالين .. المصدرالسابق - ج 8ص260.

[373] ينظر :أ- العراق في دوري .. المصدرالسابق - ج1 ص10، ب- الموسوعة العراق السياسية- .. المصدرالسابق ص27

[374] فياض.. المصدرالسابق - ص 148

+ في 19/ كانون الأول/ 1914 سلم القائد العثماني صبحي بك نفسه في القرنة مع 989 من جنوده الى بريطانيا دون قتال يذكر، عندهااتجه قسم من القوات البريطانية نحو عربستان.

+ وفي 22/تشرين الثاني 1914 دخلت بريطانيا مدينة البصرة، ورفعت علمها بإحتفال رسمي وألقى برسي كوكس[375] خطابا باللغة العربية.

+ واصدر (برسي كوكس) بيانا الى البصرة جاء فيه ان هذه العملية العسكرية ليست عدائية بل أعدكم بمستقبل زاهر، وعين (براونلو) حاكما عسكريا في البصرة.

+ وفي 1915/6/12 دخلت الشعيبة.

+ عندها بدأت العثمانية تعيد النظر فى حساباتها ، وأرسل الى العراق القائد العسكري (سليمان عسكري بك) مكان جاويد باشا، وفي هذه الأثناء هب المجاهدون ولبوا نداء الجهاد وتعاونوا مع سليمان بك، وأعاقوا تقدم القوات البريطانية -كما نأتي عليه فيما بعد-، وحاولت العثمانية تحرير الشعيبة ثم البصرة، لكن خانوا وأخفقوا، وتراجعت القوات العثمانية الى الكوت والناصرية. وجراء هذه الخيانة من قبل العشائر والضباط العراقيين، أطلق سليمان العسكري النار على نفسه في 1915/4/15 منتحرا.

وبدأت بريطانيا تعاود حملتها من جديد.

+ في 1915/6/3 أحتلت العمارة.

+ في 1915/7/25 احتلت الناصرية.

وقد تحول مجرى الحرب لصالح بريطانيا أكثر عندما بدأ يتصل رؤساء العشائر والضباط العراقيون في صفوف القوات العثمانية بشكل واسع ببريطانيا، [376] بذلك تغيرت خطة بريطانية لتوسيع سيطرتها نحو بغداد، وخول ديكسون من أجل ذلك والذي عين قائدا عاماً للحملة في 1915/10/23، وبدأ حملته من سلمان باك واستولى عليها في 1915/12/10، وأكمل إحتلال المناطق الجنوبية في 1915/12/22.

اما فى الجانب العثماني فقد جرت مرة اخرى تغييرات في الخطة العسكرية، وجاءت تعزيزات جديدة بقيادة (نورالدين بك) ثم (خليل باشا) ومعه الجنرال الألماني (فول كولتز)، وبدأت العثمانية بهجوم مضاد وحاصرت القوات البريطانية بقيادة جنرال طاوزند في الكوت اكثر من (5) أشهر ، من 13 تشرين الثاني 1915 وحتى 29 نيسان 1916، وحاولت بريطانيا فك الحصار بوسائل شتى منها عسكرية ودبلوماسية وحتى الرشوة (حيث عرضت مبلغ قدره مليون ليرة من أجل ذلك)[377]،وفي النهاية استسلم طاوزند مع قواته، وبلغ عدد الخسائر البريطانية منذ بداية الحرب 40.000 جندى،يتحدث (لورانس) عن تلك الفترة بالمخيب للأمال واضطرارهم الى معاودة المفاوضة مع شريف بن الحسين[378] ، وبعدها ساد الهدوء في الجبهات حتى عام 1916م، ولكن اقتراب قوات روسيا من ناحية الشمال نحو بغداد، وعقد اتفاقية سايكس-بيكو 1916 واندلاع ثورة الشريف ضد العثمانية وتبديد

---

[375] وجود كوكس فيه أهمية سياسية كبيرة وهو على علاقة مباشرة بالإدارة والملك البريطانى، ولعب فيما بعد دورا مهما في مصير العراق.

[376] العراق في دوري .. المصدرالسابق - ج 1ص 22

[377]ينظر: العراق من دوري .. المصدرالسابق ص30

[378] لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963 ص28 .

فتوى الجهاد.. ذلك كله دفع ببريطانيا الى معاودة حملاتها بأتجاه بغداد*[379] واستولت عليها في 1917/3/11 بقيادة الجنرال مود دون مقاومة تذكر، أول من دخل بغداد هو (كابتن كاسب) في الساعة (1000) وهتفت الجماهير المحتشدة بحياتهم.[380] وأصدر مود بيانه التأريخي في 1917/3/19 تحدث عن ارجاع امجادالعرب وبث كراهية ضد الترك والالمان، وتكررت وعوده بأنهم محررين للعرب وليسو فاتحين[381]، وكان سقوط بغداد ترك اثراً عميقاً على المسلمين لاسيما العلماء الى حد البكاء، وقالوا: سقوط بغداد كسقوط الإسلام من السماء الى الأرض، [382] والبعض الآخر قالوا منذ ذلك الوقت وحتى الآن تعد بغداد ساقطةً، وحزن الإسلاميون وهيأوا أنفسهم لمرحلة أخرى من المقاومة والثورة، اما العلمانية هيأت نفسها للأشتراك مع المحتل لتقسيم الغنيمة وأخذ المناصب العليا، بذلك لم تبق مقاومةً تذكر أمام القوات البريطانية.

وتابع التقدم بإتجاه الموصل وديالى، ووصلت القوات البريطانية الى مقربة من موصل في 1918/10/28. وكانت جبهات الحرب العالمية تميل لصالح الحلفاء، وبدأ تتصدع وحدة دول المركز وتقف الحرب عبر الهدنات المنفردة دون اتفاق فيما بينهم، وهذا دليل عسكري لأنهيار التحالف بينهم، حيث أبرمت مع العثمانية الهدنة المشهور بهدنة (موندرس) في 1918/10/31. ولم تقترب القوات البريطانية بأتجاه المناطق الكوردية وبقيت خلف جبل حمرين بناءاً على توجيه (اسكويت) رئيس الوزراء البريطاني طالباً من قواته بعدم التقرب من كوردستان خشية خلق المتاعب كما جرت مع قبائل الباتان في الهند)[383],جاء هذه الحقيقة ايضاً من مذكرات قادة البريطانين ويقولون فيها تسلمنا توجيهات عسكرية صارمة بأن لن نتجاوز حدود حمرين بإتجاه كوردستان خشية مقاومة شديدة[384] .

وبعد توقيع الهدنة عادت القوات العثمانية الى الموصل بعد انسحابها منها، ولم تقبل بريطانيا ذلك وطلبت منها الخروج من الموصل بموجب مادة (16) من هذه الهدنة التي جاء فيها: تسليم جميع المواقع العسكرية المحافظة التي في سورية والحجاز والعسير واليمن ومابين النهرين الى أكبر قائد من دول الأئتلاف وانسحاب القطعات التركية. وبقيت بريطانيا مدة في الأنتظار ربما لأن ولاية الموصل كانت تابعة لنفوذ الفرنسي بموجب اتفاقية سايكس-بيكو 1916 ، وتحركت بريطانيا في 11/13/ ودخلت مدينة

---

[379] ظهرالطائرات البريطانية لأول مرة في سماء بغداد في يوم الأربعاء عام 1915 وذعرالأهالي فيها، ينظر(بغداد القديمة .. المصدرالسابق ص 252 والتاريخ : 27/ذي القعدة 1334)

[380] موسوعة العراق السياسية- .. المصدرالسابق ص91

[381] ينظر: أ- بزاز .. المصدرالسابق ص65 ب- حركة الوطنية .. المصدرالسابق ص20.وكان هذا البيان أتي من لندن وأعده السير مارك سايكس، مخطط سايكس- بيكو.

[382] الشيعة والدولة القومية. .. المصدرالسابق . ص 57

[383] د.عثمان علي- دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة- دراسة تاريخية وثائقية .. المصدرالسابق ص268.

[384] Briton Cooper Bush, Britain, India and Arabs, P.40; and Marian Kent, Oil and Empire, P.120.

[384] ينظر: أ-العراق فى التاريخ ... المصدر السابق ص667 ب-موسوعة العراق السياس... ص411

الموصل ،وبذلك أكملت الأهداف المرسومة، وبخسارة 100.000 قتيل وجريح، وخسائر مادية بمئات الملايين، حسب إعتراف لويد جورج في المؤتمر الصحفي عند انتهاء الحرب1918.}[385]

المطلب الثاني: مقاومة الإحتلال (الجهاد والمجاهدين)

كثرت الكتابات عن مسألة مقاومة أهل العراق للإحتلال البريطاني، ولكنها لم تحدد بشكل دقيق من الذي قام بالمقاومة والثورة؟ وماهي الدوافع؟ هل كانت بدافع وطني أم قومي أم بدافع ديني؟ ثم هل الذين قاموا بها هم علمانيون أم إسلاميون؟ وما الهدف منها، هل كان دفاعاً عن العراق أم عن العرب أم عن الإسلام؟ فالأول يعني الوطنية والثاني يعني القومية والثالث يعني الإسلامية.

أكثرية الباحثين خلطوا بين الصنوف الثلاثة، واطلق عليها اسم الحركة الوطنية، لكن سرعان ما يظهر التناقض، فكيف يمكن الجمع بين من يقاوم ومن يساوم؟، ثم ماذا تعني: الحركة الوطنية تؤيدوتقاوم مشروع الوطنية في آن واحد؟ لابد أن نقر بأن ما يقوم به المحتلون هو مشروع إستعماري نابع من مخططات سايكس-بيكو، ويستهدف تقسيم العرب والمسلمين الى دويلات وطنية، وهو بطبيعته معاديا لروح الدين الإسلامي، بينما لا تعارض مفهوم الوطنية لدى العلمانية المحلية، كما نجد فيما بعد توافقا لابأس به بين هؤلاء الوطنيين العلمانيين والمشروع الإستعماري لتقسيم العالم الإسلامي والعربي على هذا الأساس، لاسيما في العراق، ورضوا بهذه الخطة وأنجز هذا المشروع لتكوين دويلات وكيانات مجزأة وهزيلة، ولاتزال هذه الخارطة السياسية سائدة في العالم الإسلامي.

هناك فرق واضح في المنهج والدافع والهدف بين المقاومة والمساومة لهذه الخطة، لا يمكن الخلط بينهما، في الحقيقة أكثرية الباحثين لم يفصلوا بشكل جيد بين نقطتين أساسيتين:

1-أعطوا جهود الإسلاميين من المقاومة والثورة طابعاً وطنياً وقومياً وأحياناً علمانياً، وكذلك صنفت (مشاكل العشائر مع السلطة وعدم انسجامها مع الحضارة) ضمن الحركة من أجل الإستقلال، رغم ان د.علي وردي عارض بشدة هذا التحوير ويقول بسخرية ان معارك العشائر مع الحكومات لم تكن في سبيل إستقلال العراق.[386]

2- ضخمت بعض الإحتجاجات من قبل الوطنيين والعلمانيين فى العراق أثناء فترة الإحتلال البريطانى وسمي ذلك بالحركة الوطنية وربطوا نشوء الحكم الأهلي في العراق بذلك السهولة، ثم الإقرار بأن الدولة العراقية نتاج الحركة الوطنية، وهو إقرار غير دقيق، ويحتاج الى اعادة النظر فيه كلياً.

---

[385] أقتبسنا مراحل الإحتلال من كتب التالية : (العراق في دوري- .. المصدرالسابق ص10-) (حركة الوطنية .. المصدرالسابق ص 19)، (العراق من الإحتلال الى أستقلال .. المصدرالسابق ص10)، (فورستر- نشأة العراق- .. المصدرالسابق ص74-77)، (الثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ص147-166)، العراق فى التاريخ – .. المصدرالسابق ص663-664 كمصادر لمجرى عمليات عسكرية التى جاء بين القوسين { } بالأضافة الى المصادر التى ثبتت.

[386] دراسة في الطبيعة.. .. المصدرالسابق - ص172

الحقيقة ان -كما يظهر فيما بعد أكثر فأكثر- التيار الغالب في العلمانية القومية بدأ تدريجيا -ومع تعزيز النفوذ البريطانى- يتعاون مع المحتل ويشارك معه في خطة بناء دويلة وطنية، ثم أصبح جزءاً من هذا المشروع، وأحياناً يعادي المقاومة والثورة، كما جاء في رسالة مؤتمر دمشق، وعداء كل من نوري سعيد وطالب باشا، وخزعل شيخ المحمرة... وغيرهم للثورة.[387]

أما التيار الغالب في الإسلامية قام بالمقاومة والثورة ضد هذا المشروع، ولكن في النهاية أخفق ونجح المشروع الإستعماري ال(سايكس-بيكو)ى والتيار العلماني القومي، وبرزت الدويلات، وتم تقسيم العالم الإسلامي والعربي شرّ تقسيم0

هذا لا يعني عدم مشاركة القوميين والعلمانيين -بالأخص التيار الجامعي العربي- للمقاومة، كذلك لا يعني ان الإسلاميين أو علماء الدين لاسيما في مناطق السنة لم يشاركوا في المشروع الإستعماري المذكور، وكذلك الأمربالنسبة للمكونات على الأساس العرقى والقومي والطائفي، فهناك تفاوت واضح بينهم حول الإحتلال، بحيث ان اكثرية أهالي الجنوب[388] والشيعة وأهالي الشمال (الكورد) قاوموا الإحتلال، وأكثرية أهالى الوسط -السني العربي-[389] ساوموا مع الإحتلال ولم يقاوموا، هذا التباين ترك أثراً هائلاً في ما بعد لتكريس الحكم العرقي والطائفي بين السلطات البريطانية المحتلة مع المساومين معها، وحرم الشيعة والكورد من المناصب الحساسة في الحكومة لاسيما في العهود الأخيرة.[390]

هذه التقسيمات والمصطلحات مثل : المقاومون والمساومون، ومشروع الدويلات، وتقسيم العالم الإسلامي... لا معنى لها في قواميس والموازين الوطنية والقومية والعلمانية، بل فيها معنى بالموازين الدينية، لذلك جاء ذكر المدن المقدسة مرادفاً للمقاومة لاسيما النجف والكربلاء والكاظمية، كما أشار كل من فورستر ومس بيل وبرسي كوكس وغيرهم من المسؤولين البريطانيين في العراق، يقول فورستر بهذا الصدد: ((ان رجال الدين في النجف وكربلاء قد بذلوا كل ما بوسعهم لأثارة المقاومة بوجه الأنكليز))، [391] وقال برسى كوكس: ((ان المشكلة المعقدة ليست كثرة القبائل في الفرات، انما وجود مدينتي كربلاء والنجف)).[392]

أما المناطق الواقعة بين بغداد والموصل وصفت بالمناطق المعتدلة وبمثابة مادة الدولة، أو كما قال (عباس العزاوي) المنطقة التي لم تبال بما يحدث. وقد حدد (حسن العلوي) جغرافية الجهاد وهي تمتد من النجف حتى الناصرية، ومن الكاظمية حتى البصرة.[393]

على رغم من ان هذه الجغرافية ليست وحيدة ولا دقيقة، هناك مناطق أخرى لم يذكرها العلوي، لاسيما المناطق الكوردية التي شاركت المقاومة والثورة، بينما لم يذكرها هو في كتابه، ثم ان كثيراً من العلماء السنة ساهموا في المقاومة والثورة، ألم يكن

---

[387] انظر مبحث (2) في الفصل الثالث من هذه الرسالة (مسألة هوية الثورة).

[388] هذه المتباينة لا يشمل بصرة.

[389] في الحقيقة هذا المصطلح خاطئ، لأن هذه المنطقة يتكون من اطياف متعددة، فقط الملتزمين بعقيدة السنة محسوبة على السنة، وهي قليلة لكن موقفهم بقي جيدة من المقاومة والثورة وحتى بعد الدولة كما جاء في قضية خطباء بغداد والذين عارضوا نشوء دولة العراقية ودعوا للخلافة. (انظر موضوع ادخال العراق في عصبة الأمم في فصل الثالث من هذا البحث)

[390] أوضح دليل ان العراق منذ تأسيسها في عام 1921م حتى عام 2003م لم يشهد العراق رئيسا من الشيعة أو الكورد وهم أكثرية ساحقة.

[391] فورستر .. المصدرالسابق ص 94

[392] المصدر نفسه..ص 99.

[393] الشيعة والدولة القومية. .. المصدرالسابق . ص 81

علماء السنة في بغداد حتى عام 1924 يدعون للخلافة في يوم الجمعة ولا يدعون في خطبهم للملك؟ وكان الإسلاميون بشكل عام مع المقاومة، وتبلور فى النهاية صنفان:

أولهما امتداد لطبقة الأفندية والتجار والساسة القومين العلمانيين الذين بقوا على الوعود الغربية بتحرير وتكوين حكومات عربية، وشاركت معهم الفئات المصلحية (أو النفعيين حسب قول عبدالرزاق حسني) والأنتهازيون من الرؤساء وبعض رجال الدين المتنفذين بعد أن أصبح المحتل هو الغالب.

وورد عن عبدالرحمن النقيب بصراحة أكثر قوله: أنا مع الغالب[394]، ثم شاع تردد هذا القول في الوسط الشعبي أيضاً، لذلك قال(الجنرال فون كولتز):((... أما العرب فكانوا ينتظرون نتيجة المعركة لينظموا الى جانب الرابح)).[395] لكن هذا الوصف والتعميم يمثل أناس الذين يحيطون بالمحتل وليس كل العرب، ربما تشمل النفعيين وشيوخ ورؤساء العشائر والبدوية.. والتيارات العلمانية في السياسة والفئة الأفندية، فقد تقلب هؤلاء عدة مرات حسب الظروف، وقد ضرب الشاعر المشهور (جميل صدقي الزهاوي) الرقم القياسى في هذا التقلب، فهو قد مدح الأنكليز قبل الحرب، ثم يمدح الأتراك ضد الأنكليز، ثم يذم الأتراك ويمدح الأنكليز، وفي اثناء الثورة نظم قصيدة في رثاء شهداء الرميثة، وعند مجئ كوكس الى العراق نظم قصيدة برمتها فيها مدح الأنكليز ويذم الثورة.[396] أما التيار الديني العربي يستثنى من هذه الأوصاف وخير دليل هو الثورة، كذلك هناك بعض عناصر قومية مخلصة للوطن، بيد أنه بشكل عام لم يكن الشعور الوطني يتجاوز حاضنه المحتل، وان وجد هذا الشعور لا يشكل أي تهديد للإحتلال وخطة الإستعمار، بل يتوافق معه، وكانت تثار من قبل المحتل، وتدخل الى العراق عبر قناتين:

1-مباشرة من قبل الإحتلال البريطاني من خلال المنشورات والوعود والجرائد التي اسسها، فمثلا جاء في جريدة (العرب)[397] عدد (14) مصادف 16/ /1918: ((الحكومة البريطانية ترمى دائماً الى تنشيط الروح الوطنية والإستقلال في حدود نفوذها)).[398] يقول (جورج كيرك)صاحب الكتاب (موجز تاريخ الشرق الاوسط- A short History Of the Middia East) ان العروبة والمشروع القومى العربى (احياناًالجامعة العربية ايضاً)قد صممت من قبل (دار المندوب السامي البريطاني).

2- عبر الجمعيات والمؤتمرات العربية، وأغلبها نشط بدعم غربي[399]... وبالتالي الشعور الوطني والسياسي لم ينبع من صميم أهالي العراق، بل جاء مع مجئ الغرب، لذلك هؤلاء في أغلب الأحيان يميلون نحو المساومة مع المحتل ولم يصبحوا قوة حقيقية لحد الأن، بينما الإسلاميون إتجهوا نحو المقاومة، وكانت جذور هذا الإختلاف تمتد الى ما قبل الإحتلال، ففي مسألة طرابلس[400] (ليبيا) وجدنا أن الصنف الأفندي والعلماني في العالم العربي وفي العراق يعقدون صفقات في باريس ولندن فى

---

[394] حنا بطاطو-المصدر السابق..ج1ص203

[395]د. فياض .. المصدرالسابق - ص313

[396]ينظر:د. وردي- لمحات- .. المصدرالسابق ج5 ص 47، كذلك انظر (تقلبات عبدالرحمن النقيب في مسألة تنصيب ملك وثم انظر برقيته.فى مبحث الثالث من هذا الفصل.)

[397] جريدة العرب، جريدة موالية للأنكليز

[398] العراق في دوري... .. المصدرالسابق ج1 ص 67، كذلك انظر أول بيانهم في بصرة وبغداد، ومادة (1، 2)من سايكس- بيكو. وتصريح فرنسي بريطاني مشترك.

[399] ينظر:الأحزاب السياسية في العراق. .. المصدرالسابق . ص 21.

[400] يقصد به عندما احتل من قبل ايطاليا.

ضوء خطة تقسيم العالم الإسلامي والعربي،[401] وبدأوا يخاطبون الجماهير لصالح الإحتلال، وكتب (أحمد لطفي سيد) مقالة بعنوان: (سياسة المنافع لا سياسة العواطف)، وقد سأل فيهاما الفائدة للشعب المصري من الجهاد ضد ايطاليا فى ليبيا؟ ووصف المجاهدين ب (بان إسلامي)، ودعا الى جعل مصر فوق أي مصلحة أخرى، وشارك معه نجيب عازوري وغيره من العلمانين الليبراليين،[402] بينما نجد الصنف الإسلامي كان يعد العدة للجهاد بالمال والنفس ضد الإحتلال الإيطالي فى ليبيا، حيث اصبح قاعدة شبه عامة، ان العلمانية تسبب الإحتلال، إما بمساهماتها مباشرة أو من خلال دعوتها ومباركتها الإحتلال مقابل الذهب والمناصب، قال شيخ علي يوسف: ((ان حركات من هذا القبيل أدت الى وقوع تونس تحت الإحتلال الفرنسي، ومصر لبريطانيا، ...الخ)).[403] بينما الإسلامية كانت تقاوم في أنحاء الوطن العربي، أمثال الحركات المهدية والسنوسية والشاذلية والباديسية وثورات الشيخ عبدالقادر وعمر المختار وعبدالكريم الخطابي في أفريقيا ثم ثورة العشرين في العراق.[404]

ومنذ الإنقلاب 1908-1909م أتضح هذان الخطان، حيث جرت في العراق المظاهرات المعادية للأنقلاب، بينما طبقة المثقفين والعلمانين-القومين ترحب به، وتعتبر بريطانيا منقذاً والعثمانية محتلاً، بينمالدى الإسلاميون العكس هو الصحيح ، فالأول مال الى جانب بريطانيا بينما الثاني الى جانب العثمانية، وعلى هذا الأساس وبعد فترة وجيزة من دخول القوات البريطانيا الى العراق (من الفاو)، صدر من قبل (شيخ الإسلام خيري افندي) مع ثلاثين من العلماء بمشاركة السلطان محمد رشاد[405] في الأستانة فتوى الجهاد في 1917/11/7 وأعلنه (كفرض عين) على جميع المسلمين في العالم ضد دول بريطانيا وفرنسا وروسيا.[406] رغم وصول صداها الى الهند وافريقيا، ولكن استجابتها لم تكن على مايرام ،ولاسيما في مناطق النفوذ البريطاني فى الخليج والجزيرة ونجد والشام قليلة، وكذلك علماء الموصل وبغداد والبصرة التابعين لمؤسسة الوقف العثماني لم يستجيبوا لهذه الفتوى، [407] أوكانت الأستجابتهم ضعيفة.

وذلك لعدة اسباب، اهمها :

1- كان الحلفاء -لاسيما بريطانيا- يعملون من أجل تحجيم صدى الجهاد وتحفيف خطورته قبل أعلانه.

2- تصرفات السلاطين والولاة والشبهات على الإتحاديين.. وما جرى من الصراعات السياسية الميكافيلية في أستانة، التي تركت أثراً سلبياً على قدسية تلك الفتاوى، ويذكر أنه شاع ان شيخ الإسلام اصدر هذه الفتوى تحت ضغط سلطات الإتحاديين العلمانيين لاسيما وأن شيخ الإسلام قد شارك معهم في خلع عبدالحميد.

---

[401] فقد انكشف فيما بعد ان كل من (ابن سعود، ملك ادريس، شريف حسين، وفهد هذال) لهم راتب سنوي ضخم.. وهناك آخرين لم يكشف.

[402] - الصحوة.. .. المصدرالسابق ص156

[403] ينظر: صحوة- .. المصدرالسابق ص133

[404] هذه القاعدة لازالت سارية المفعول، أنظر تاريخ فلسطين، كذلك مسالة جنوب لبنان (1980-2000)، كذلك أحداث العراق فيمابين (2003-2006) –و حتى لحظة كتابة هذه السطور.

[405] أحوال العراق في المشروطية .. المصدرالسابق - ص196

[406] حسن العلوي- الشيعة والدولة القومية- .. المصدرالسابق - ص61-62. (كذلك نقل جورج انطونيوس هذه الفتوى في كتابه (يقظة العرب) ص222 طبعة سابعة، 1982.

[407] الشيعة والدولة القومية .. المصدرالسابق ص62-64

لهذاولأسباب أخرى كانت الإستجابة ضعيفة في العراق ومحصورة اكثر في المراكز الدينية المستقلة، والمدن المقدسة وأجزاء في كوردستان[408]، وبدأت الفتاوى تكثر فى هذه المناطق بوجوب الدفاع عن دار الإسلام ضد هجمات الكفار، جاء في كتاب (دور المثقفين): ((أول رد فعل لإحتلال العراق من قبل بريطانيا هو حركة الجهاد التي قادها العلماء بناءاً على مناشدة السلطان، وبتنسيق مع شوكت الداغستاني- الذي استشهد في معركة الكوت 1916م- بعد أن تولى قيادة الجيش العشائري في العراق))،[409] حيث ان التناقض الشيعي السني والشيعي العثماني لم يعد يعوق الوحدة تجاه الوضع الجديد، رغم انهم -أي الشيعة- تعرضوا أحياناً الى اضطهاد طائفي بالإضافة الى حرمانهم من نعم الدولة العثمانية، وكانت تلك فرصة للتصفيات ان كان ميزان السياسة هو فن الممكن حسب معادلة السياسة الميكافيلية، وكان الإسلاميون الشيعة والسنة غير راضين عن تصرفات الإتحاديين، لكن (كما قال عبدالرزاق حسني) حال العلماء القيام بها-أي الإنتقام- حذرا من حدوث الوهن في كيان الجامعة الإسلامية.[410] مع ذلك طبق بعض العلماء قاعدة ابن طاوس: (الكافر العادل خير من المسلم الجائر) وفضلوا حكم الإنكليز على الأتراك، لكن أغلبية العلماء الثائرين رفضوا هذه القاعدة وفضلوا العثمانية الإسلامية على الأنكليز الكافرين[411]، وقد انتهز كثير من العلمانيين والقوميين هذه الفرصة للتمرد، رغم انهم أخذوا من نعمة الإتحاديين وايدوهم في الأنقلاب، جاء في كتاب (دور المثقفين): ((وقد ظل أغلب العلمانيين-فى العراق- بلا نشاط يذكر الى ان أحتلت القوات البريطانية الكوت في 1916، وعندها عقد الوجهاء والمثقفون من الطبقة الوسطى اجتماعا حضره كل من (موسى كاظم باجةجي، عبدالرحمن جميل، يوسف سويدي، يوسف باجةجى، عبدالرحمن النقيب، عبداللطيف تيتان، رشيد الهاشمي..)وبموافقة الجميع بعثوا برسالة الى بريطانيا عرضوا عليها المساعدة، وقسم آخر من الضباط إلتحقوا بالصفوف البريطانية، ومن هؤلاء :مولود مخلص، علي جودت أيوبي، عبدالله دليمي.. وآخرون))[412] .

رغم ان شأن الجهاد كشأن باقي الأصول الفقهية لم يكن على مايرام، لكن الفقه الشيعي والسني كانا متحمسين للجهاد في الحالة الدفاعية، لذلك لم تمنع المعوقات التأريخية والفقهية والمذهبية من تلبية نداء الجهاد الذي أصدره شيخ الإسلام.

في الحقيقة ان المسلمين الشيعة يعتبرون العثمانية أو أية فئة سنية من الأموية والعباسية، حتى الحكومات المعاصرة غاصبة للحكم من الأئمة الإثنى عشر، ولكن الغالبية العظمى من مجتهديهم يجيزون الجهاد الدفاعي تحت راية هؤلاء المغتصبين، على هذا الأساس اصدر معظم مجتهدي الشيعة في العراق فتاواهم بوجوب قتال الأنكليز تحت الراية العثمانية[413]، حتى ابعدهم عن السياسة مثل كاظم اليزدي- المجتهد الكبير آنذاك، واكثر من ذلك ارسلوا ندائاتهم وفتاواهم الى خزعل وعشائرالموجودة هناك للدفاع ومحاربة انكليز ،ووقع على الفتوى فى 1914/11/22كل من(محمدكاظم الطباطبائى –محمدحسين المهدى –شيخ الشريعة الاصفهانى –زادة خراسانى –على تبريزى) .

وكان العراق في صدارة المستجبين لنداء فتوى الجهاد في المنطقة، قلما يذ كر الباحثون هذه المقارنة بين تخلف العراق من النواحي الإدارية والسياسية والوطنية.. بينما تقدمهم في استجابة لهذا النوع من النداءات. وهذا اقوى دليل على ان الدين هو

---

[408] ينظر:سروة أحمد صابر –كوردستان من بداية الحرب العالمية الى النهاية مشكلة الموصل –ط1 2000م\مطبعةوزارة التربية –أربيل ص38

[409]أنور على الجبورى .. المصدرالسابق .. ص 28-29

[410] العراق في دوري. .. المصدرالسابق . ج1- ص54

[411] ينظر: د.على الوردى -لمحات. .. المصدرالسابق .. ج6 ص 43

[412] أنور على الجبورى -، المصدر نفسه ص 33-35

[413] د. فياض .. المصدرالسابق - ص 114

العامل الرئيس للتعبئة، وليس الوطنية والقومية، ولابد من الإشارة الى المدارس الدينية التي تتواجد في الجنوب بثقل اكبر من الوسط والشمال، وكان فقه المذهب الجعفري يعتمد على الخمس والوقف والأودي[414]، لذلك كانت مدارسها وأئمتها مستقلة عن الأثر السياسي للسلطة، يقول علي الوردي: ((ابتداءا من 1821م كانت مدارسها نحو أزدهار علمي وتجاوز عدد الطلاب 10.000 طالب من مسلمي العالم. ويتخرج (الملا) من هذه المدارس ويُرسل الى القرى ليلتحق بالكتاتيب[415]))، ويقول د.فياض ان أهالي الفرات الأوسط أكثر وعياً من بقية أهل العراق[416]، ويذهب (امين ريحانى)الى ابعد ويقول ان وصف بغداد بكثرة الجوامع والحمامات مبالغ فيها، ويضيف(هل يعقل بوجود10الاف حمامات و30 الفاًمن الجوامع؟ كلا ,مبالغ فيها ,الحقيقة هناك مقاهى والناس منشغلين بالطاولة والدومينة ،ربما يوجد فيها حوالى 50 مسجداً)[417]، وتأتي مدارس الدينية فى كوردستان في المرتبة الثانية، حيث تموّل من قبل الأهالي بما يكفي لأستمرارها عن طريق الزكاة والصدقة والوقف وخدمات مدنية أخرى، وقد جاء في ملحق رقم (6) في كتاب (كورد وكوردستان- لواسيلى تيكتين) حول المدارس مايلي: عدد المدارس أو المراكز الرئيسة للتدريس ولتخريج الأئمة يصل الى 75 مدرسة رئيسة في أنحاء كوردستان[418]، بالإضافة الى مئات المدارس الصغيرة لذلك لبي علماء وزعماء الكورد نداء الجهاد سوية والتفوا حول الشيخ محمود لمقاتلة الأنكليز فى جنوب العراق [419]، أما في المنطقة العربية التي تمتد من الرمادي الى ضواحي الموصل، كان مستوى المدارس ضعيفاً جداً، بإستثناء عدد من المدارس في المدن الرئيسة السنية التى شارك علماؤها مع أخوانهم الكورد والشيعة فى أعداد المقاومة، ولكن مشاركتهم كانت قليلة[420]، جاء في (الشيعة والدولة القومية) بأنه منذ سبعين عاما لم يصدر كتاب من علماء بغداد – يقصد علماء السنة - لتحليل التكيف الشرعي الذي يمكن أن يستخدم بشأن الوضع الراهن[421] .لذلك وجدنا ان الوعي الإسلامي ضعيف في هذه المنطقة، كما تبين اكثر من خلال استطلاع للرأى ظهر أن من بين 188 شاهداً فقط ثلاثة منهم أيد الحكومة الإسلامية[422]. وكان معظم علماء الدين في هذه المنطقة يتلقون الرواتب من السلطة وبالتالي أصبحوا موظفين قريبين من الأفندية، لاسيما في عهد الإتحاديين، حيث لم تدرس مادة اللغة العربية والتربية الإسلامية إلا شكلياً، وجاء تأكيد هذه الحقيقة من قبل مصادر علماء السنة ايضاً، كما ورد في كتاب (الإمام أمجد..) بصدد ذلك مايلي: ((في مناطق السنة أغلقت المراكز الدينية بعد استيلاء الدولة على سائر ممتلكات الأوقاف، وتحويل سائر العلماء السنة الى موظفين لدى الدولة، لكن في مناطق الشيعة بقيت الحوزات والمدارس في النجف وكربلاء وسامراء والكاظمية على نهجها بسبب إستقلال مواردها، كما ان حال العلماء والمدارس الشرعية في كوردستان أحسن بسبب تلبية احتياجاتهم من قبل المسلمين الكورد لإدامة

---

[414] كان تأتي أموالاً من الشيعة الهند على شكل الصدقة الى نجف وكربلاء تسمى (أودي).

[415] ينظر:أ- لمحات اجتماعية. .. المصدرالسابق . ج3 ص79، ب- الشيعة والدولة القومية .. المصدرالسابق ص27-29

[416] ثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابق ص307

[417] امين ريحانى –قلب العراق رحلات وتاريخ،دارنشر الهنداوى -2021م قاهرة ص15-16.

[418] واسيلى نيكتين - كورد وكوردستان-، الترجمة الفارسة الى الكوردية: خالد حسامي، الطبعة الأولى 1997، مطبعة اربيل / جامعة صلاح الدين –ملحق رقم-6-

[419] سروة أحمد صابر .. المصدرالسابق ص38

[420] فورستر .. المصدرالسابق ص131

[421] الشيعة والدولة القومية- .. المصدرالسابق ص65

[422] مشكلة موصل .. المصدرالسابق ص122

المدارس والطلاب، لذلك كانت كوردستان ولاتزال تمثل منبعاً وموردأ للعلماء والفقهاء السنة خاصة في المذهب الشافعي والعلوم العربية)).[423]

هذا الضعف في الوعي السياسي الإسلامي في مناطق السنة العرب كان ينعكس فى الموقف تجاه الجهاد ضد الإحتلال، ففي مركز الوثائق ببغداد عثرت على برقيات واردة الى وزارة الداخلية في المحافظات تذكر فيها أخبار الفتاوى التي اصدرت بعد الإحتلال ضد محاولات بريطانية لتأسيس الحكومة للعراق، وتذكر البرقيات وجود هذه الفتاوى في النجف وكربلاء وبغداد والكاظمية، أما الموصل –كمثال على ذلك- جاء فيه: (تحرينا القادمين فلم نعثر على الفتاوى)[424] . لذلك تأصل التعليم العلماني بسهولة فى منطقة السنة، بسبب ضعف صلتهم بالدين وبعلمائه [425]، وساعد ذلك في ظهور الطبقة العلمانية، وزوال أي مانع لدى رؤساء العشائر للإتصال بالمحتل وعدم مقاومته رغم أن العلماء والمدارس والمساجد السنية شاركت فى المظاهرات والإحتفالات الدينية الجهادية بالتعاون مع العلماء الشيعة ضد الإحتلال.[426]

ان قلة المدارس الدينية والملالي في البادية كانت أيضاً سبباً في تشيع العشائر السنية التالية: تميم، خزعل، زبيد، كعب، ربيعة، البوحمد، بني عمير، خزرج، شمرطوقة، دفافعة، بنى لام، آل قرع، آل بدير، عفك، جبور،... وكان هذا التحول تجرى فى ظل حكم العثمانى السنى ، ذلك دفع بوالى بغداد عام 1862م بإشعار الخليفة على تلك الظاهرة ، وكان للفرمان العثمانى (معاريف عمومية نظامنامة)الصادر عام 1869 اثراًاضافياً،حيث جاء فيها ان النفقات المدارس تقع على عاتق السكان،بذلك انتشرت ظاهرةالتشيع اكثر بسبب اعتمادهم على انفس بعكس منطقة السنة، ثم قدم محمد نامق ثاشا طلباً رسمياً الى استانة بإرسال العلماء السنة لتطويق ظاهرة التشيع ، ولم يتمكنوا[427] ،لان البدوية اذا بقوا على حالهم متمسكين بمذهبهم التقليدى اما اذا تحضروا فلم يكن امامهم سوى التشيع بسبب غياب علماء فيما بينهم ،ويقول د.على الوردي بهذا الصدد: ((إن هذا التحول كان بفضل المدارس الدينية الشيعية والخطباء))[428] . ويضيف حسن العلوي: كانت المدارس والتعليم الشيعي يحول البدوية الى مدنية[429]، اي ان المناطق التي لا توجد فيها مدارس دينية إما تتحول الى الشيعة أو تبقى بدوية بجميع صفاتها، لاسيما صفة التقلب بالغلبة، وكانت انتصارات بريطانيا واستيلائها على ولاية البصرة أدى الى بروز صوت المقاومة والمساومة في آن واحد، وبدأت خرائط الولاءات والأهميات تتغير، فكانت بغداد هي المهمة والكاظمية مهملة،اما بعد اعلان الجهاد والمقاومة، أصبحت الكاظمية مركز الأهتمام لدى السلطان والوالي بدلا من بغداد نفسها[430] لذلك عند زيارة أنورباشا لبغدادشملت الكاضمية لأول مرة .[431]

---

[423] كاظم احمد المشايخي -(الإمام أمجد بن محمد الزهاوي)-، تقديم: د.طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- امريكا- الطبعة الأولى 1996م ص16-17

[424] الحركة الوطنية.. .. المصدرالسابق - ص122

[425] (الإمام امجد...) المصدر السابق- ص15

[426] ينظر: فورستر .. المصدرالسابق ص131.

[427] سعد سلوم-السياسات والاثنيات فى العراق(منذ الحكم العثمانى حتى الوقت الراهن) ص62 .

[428] دراسة في الطبيعة- .. المصدرالسابق ج1 ص235

[429] الشيعة والدولة القومية .. المصدرالسابق - ص 41

[430] المصدر نفسه..ص 72

[431] تأريخ بغداد .. المصدرالسابق - ص257

هذه الخارطة الدينية وفعالياتها لها أثر حاسم في تحديد خريطة المقاومة والثورة في ما بعد ضد السلطة المشتركة بين العلمانيين العراقيين والبريطانيين، ويمكن تحديد هذه الخريطة بوضوح أكثر، بتحديد المناطق التي لم تشترك في المقاومة والثورة، وهي المناطق التي غلب عليها فكر العروبة كما حدده (حنابطاطو) بالأخص مناطق في شمال وغرب بغداد -أي الذين كانوا متأثرين بفكر الشام وفلسطين وبالعروبة العلمانية، وهم أيدوا المنتصر مقابل الحصول على الحكومة، وحسب (هنري دوبس) هؤلاء هم مادة الدولة وحددهم بدوره بالمنطقة الممتدة من سامراء الى الكوت[432]، وهذه الفكرة العروبية القومية (العلمانية) أصبحت بؤرة المشاكل فيما بعد كما قال حنا بطاطو: ((مشكلة العراق جاءت مع بروز العامل القومي. ان الولاء القومي الجديد، لايزال ضبابيا غير واثق الإتجاه (عراقياً أم قومياً عربياً عريضاً) وكان ذلك غير مقبول لدى الكورد وضعيف الأمتصاص لدى الشيعة)).[433]

هؤلاء لم تهزهم فتوى الجهاد أو كرامة الوطن، لذلك دخل الإحتلال الى هذه المنطقة بسهولة على عكس مناطق الشيعة والكورد، ويمكن أن نلخص ذلك ضمن أسباب تباين حدة المقاومة والثورة، من منطقة الى منطقة أخرى. ويبدو ان هناك أسباب أخرى وراء ضعف المقاومة في مناطق السنة العرب أكثر من المناطق الأخرى ومنها:

1- التخلف والجهل الذى ساد صفوفهم، وكانوا يتلقون اخبار العالم من خلال رؤساء (الديرة) التي لا يصدق معهم إلا في سبيل مصلحته.

2- طبائع العشائرية غير المدنية في التفكير، أي تفكير جماعي، وهو الطابع الذي حلله (ميكافيلي) و(دوركايم) وما أدى من المعاني العوام وتفكير القطيع.

3- عدم مبالاة السلطة بهم، وتعامل مع رؤسائهم، لذلك بقوا منعزلين عن وسائل العصر والحداثة.

4- اشمئزاز الناس من السلطة ومكرها وأضرارها، أدى الى مزيد من الإنعزال وعدم مبالاة.

5- عدم وجود الشعور الوطني أو القومي أو أي ربط بين التعبد والسياسة من خلال الخطب الدينية، وهذه نقطة جوهرية اتبعتها سلطات مع الرؤساء، حتى بعد تكوين الدولة العراقية، يؤكد ملك فيصل على هذا النوع من السياسة –العلمانية الميكافيلية - أي فصل الدين عن السياسة[434]، يؤدى الى عدم شعوربالإحتلال والمقاومة ضده.

6- عدم امتلاكهم مرجعية دينية، لذلك تعددت الفتاوي والآراء عندهم، منها جهادية ومنها العكس. مثلا تبنت طريقة (احمد خان) داعية الإصلاح في الهند في ظل المسالمة مع المحتل البريطاني، وقد أيد (الشيخ محمد عبدة وغيره) هذه الطريقة..[435] وظهرفى معظم الأقطارالإسلامية هذا النوع من التقاعس الديني بجانب العمل الدينى الجهادى.

كان صدى(الكافر إحتل دار الإسلام) كبيراً، ويثير الرأي العام حتى القاعدين منهم، لذلك هب علماء الدين فى العراق الإصدار فتاوى بوجوب الدفاع عن دار الإسلام، وبدأ تحرك المقاومة الإسلامية فيها بعد ان عزلت جاويد باشا وعهدت بهذه القيادة الى سليمان العسكري، ووصل الى بغداد في فترة 20-1914/12/21 معه الفوج المسمى (عثمان بخق طابوري)[436]، وتحرك العلماء والعشائر الملتزمون في الجنوب والشمال، بأموالهم وبأنفسهم للجهاد كما قال (عبدالرزاق حسني) :((..ولم يكتفي

---

432 حنابطاطو –العراق- .. المصدرالسابق ج1 ص43

433 المصدر نفسه ص47

434 ينظر نص رسالة ملك فيصل الى كوكس فى:ـ الحركة الوطنية.. .. المصدرالسابق ص123

435 صحوة- .. المصدرالسابق ص202

436 العراق في دوري. .. المصدرالسابق . ج1 ص19

العلماء بما افتوا، بل قرروا الإشتراك في الجبهات، وتألفت منهم جبهات الشعيبة والقرنه من جهة عربستان، وكان عددهم كثيراً جداً يقدر ب12000 مجاهد، وعدد الكورد فيه 1500-3000))، [437] أما بحسب المصادر الكوردية فقد بلغ عددها عشرة آلاف بقيادة علماء كوردستان والشيخ محمود ومن بينهم ألف من الخيالة يدفعهم الحماس الديني بأندفاع ذاتي، [438] وهناك أهزوجة شعرية تقول: ثلثين الجنة لهادينا*، وثلث للشيخ أحمد وأكراده.[439]

أما بحسب (موسوعة العراق السياسي) فإن عدد المجاهدين الكورد والعرب زهاء ثمانين الف مجاهدا وبقوا هناك(3) شهرا.[440] وفي احصائيات أخرى عددهم 18000 أو 40000، [441] وحسب كتاب (صحوة الرجل المريض) فأن القوات التركية ليست سوى ثلث قوات المجاهدين، وحسب (طاوزند- القائد البريطاني في الجبهة) عدد المجاهدين الكورد والعرب الذين شاركوا فى المقاومة وبشدة زهاء 20.000، [442] وجاء في مذكرات القادة البريطانيين (من بينهم لورانس)ان الصعوبات تأتي من هذه القوة، وبدأت أول معركة رئيسية في الشعيبة، وكان العلماء المشاركون الى جانب قوات الكوردية هم: محمد سعيد الحبوبي، باقر الحيدري، محسن الحكيم من الجناح الأيمن، وفي الجناح الأيسر: مهدي الخالصي، عمر خالصي، جعفر الشيخ الراضي، عبدالكريم الجزائري، عيسى كمال الدين، اما جناح الوسط فهم: مهدي حيدري، شيخ الشريعة، مصطفى كاشانى، على الداماد وعبدالرزاق الحلو، [443] وتشكلت مجموعات أخرى لخوض حرب العصابات داخل المدن المحتلة، وقد سجل الجنرال طاوزند إعجابه بهذه القوة من الأداء الحربي، وتغير ميزان القوة وتوقف الزحف البريطانى، حيث خسرت بريطانيا 4490 قتيلا وجريحا، ومن بينهم 310 ظباطا فقد منهم 130 بين قتيل وجريح، ومن ضباط الهنود 124 اصابة.

وكانت مشاركة المجاهدين قوية، أحياناً ينفردون في ساحات القتال، فعند تراجع القوات العثمانية من جبهة الكوت، بقيت مقاومة المجاهدين لوحدهم، عندها وصلت تعزيزات إضافية من المجاهدين بقيادة العلماء أمثال العلامة صالح كمال الدين، جواد الجواهري، موسى تقى أزاير، حسن القطيف.. ولكن في النهاية بدأت تتضح بوادر الأنهيار فى الجبهات العثمانية، لذلك أخفق المجاهدون في صد القوات الغازية، وتبددت هذه المنظومة من المجاهدين والعثمانية، ولم يبق سوى حرب العصابات0

يعود اخفاق المجاهدين الى الأسباب التالية على ما اعتقد:

1- قبل كل شيء عدم التوازن بين التكنولوجيا العسكرية البريطانية العالية وأسلحة المجاهدين البسيطة، يقول عبدالرزاق حسني فى وصف اسلحة المجاهدين: ((ان أسلحتهم عبارة عن بندقية ماهوزر وإنجليزة ومنهم من كان يحارب بالسيف)).[444]

---

[437] المصدرنفسه..ص17

[438] د.كمال مظهر - كوردستان في سنوات الحرب .. المصدرالسابق . ص178

* يقصد بـ(هادينا) هادى زوين وهو شارك المقاومة والجهاد بأمواله وبأنفسه ومع جيش العثماني. ينظر: شيخ عبود الهيمص- ذكريات وخواطر.. .. المصدرالسابق ص56

[439] د.كمال- كوردستان في سنوات. .. المصدرالسابق . ص178

[440] عبدالرزاق محمد أسود .. المصدرالسابق ص41

[441] الشيعة والدولة القومية .. المصدرالسابق ص67

[442] ينظر :أ- موفق بنى مرجة .. المصدرالسابق - ص99 ب- العراق فى دوري .. المصدرالسابق ج1 ص19

[443] الحسنى- المصدر نفسه..ص16-17

[444] المصدر نفسه.. ص17

2- التعامل السيء الذي ابداه الضباط الإتحاديون(تابعة للعثمانية)، وكانوا يعممون الخيانة على كل العرب عندما يرتكب خطأً ولاسيما أثناء خيانة ضباط العهد، هذا السبب بنظر (عبدالرزاق الحسني) هو الأساس لعودة المجاهدين الى بيوتهم.[445]

3- كشفت تدريجياً بأن العثمانية في العهد الإتحادي ليست العثمانية الإسلامية، بل أصبحت ذات توجه قومي علماني معاد للشعوب العربية والكردية.

4- خيانة الضباط العراقيين وإتصالهم بالقوات البريطانية في ساحات القتال، كذلك المثقفون والعشائر حذوا حذو العسكريين[446](*)

5- جاءت حركة الشريف (التي سميت بالثورة العربية الكبرى) في مكة بالتعاون مع بريطانيا في 1916/6/12[447] ضد الخلافة، وتوسعت فيما بعد الى الشام، وصدر منشور (شريفي- بريطاني) مشترك، وزع على الجبهات عام 1917م بواسطة الطائرات ودعوا ما تبقي من الضباط والجنود العرب من الجيش العثماني التهرب والإلتحاق بالثورة، وأصبحت القوات العربية بجانب بريطانيا، لاسيما الشريف بن حسين، الذي كان أحد أقطاب الجامعة الإسلامية، هذا ما حدث كذلك في جبهة عربستان، حيث جرى

---

[445] المصدر نفسه.. ص19

(*)جاء في كتاب (دور المثقفين) في أوائل 1915 ساورت بعض الضباط العراقيين وخاصة أعضاء في حزب العهد، فكرة التمرد ضد السلطات العثمانية، في معركة الشعبية 1915/4/4 على أن يتصلوا بالقائد البريطاني، وقسم آخر فعلا قرر الألتحاق بالبريطانيين.. ومن هؤلاء (مولود مخلص)، (علي جودت أيوبي)، (عبدالله دليمي)، ويضيف الباحث ان الغرض من هذه الأتصالات كان لكسب التأييد البريطاني من أجل تكوين دولة عربية مستقلة!.. ولكن بعد قليل من الأمعان يظهر عدم دقة هذا الأدعاء، كما رد علي الوردي الأدعاء المماثل لفريق مزهر فرعون.. كما ذكرناه قبل قليل، ومن العسكريين الذين التحقوا عن طريق شريف مكة بالقوات البريطانية وهم (أسرى) كل من: جعفر عسكري، نوري سعيد، ياسين هاشمي، طه هاشمي، ناجى شوكت، صبيح نجيب، جميل الراوي، عارف فقطان، عبدالرزاق حلي، سامي الأرفلي، محمد أمين زكي، رشيد خوجه.. والآخرون هربوا في ميدان المعركة، حيث وصل عددهم الى 30.000، والسبب هو ان في المعارك السابقة كانت كل من يذهب قلما يرجع، ففي معركة قفقاسيا لمواجهة الروس من بين 10.000 جنود عراقيين، لم يرجع سوى مفرزة صغيرة. هذه المعركة مشهورة بـ(طوقان اوج- أي ثلاث وتسعون) في سنة 1877م.. وقد اشتهرت هذه الحرب لدى العراقيين بحرب (صفن دوز) وفي كوردستان بـ(دقنانوس على ماأظن. أما من جهة المثقفين، جاء في نفس الكتاب: ((وقد ظل المثقفون في العراق -أغلبهم بلا نشاط تذكر، الى أن احتلت بريطانيا كوت عام 1916، وبدأوا بالنشاط وبعثوا برسائل إلى القادة البريطانيين ويعرضون فيها المساعدة، وجاءت أسماء كل من موسى كاظم باجةجى، وعبدالرحمن جميل، ويوسف سويدي، ويوسف باجةجى، وعبدالرحمن النقيب، وعبداللطيف قبان، ورشيد هاشمي.

أما من الناحية العشائرية يقول عبدالرزاق حسني: ان عشائر بني لام وعلى رأسهم غضبان البنية انقلبت على القوات العثمانية وسلمت المنطقة بأسلحتها الى بريطانيا، كذلك اتصلت عشائر شمر بزعامة عجيل ياور، والدليم- بزعامة علي سليمان، وعنزة- بزعامة فهد هذال (وكان الأخير يتقاضى راتب شهري من بريطانيا سريا قدره 7.000 باوند). وكانت الاتصالات تجري على أغلب المستويات، وشملت الجمعيات والشخصيات والرؤساء العشائر والضباط، على رأسهم (عبدالرحمن نقيب- نقيب الأشراف بغداد-)، وهؤلاء كانت معتمدين لدى الإتحاد الترقي والعثمانية، لذلك انتحر القائد العثماني (سليمان باشا بك) في معركة الشعيبة، وترك ذلك أثرا بالغا في نفوس المجاهدين، وفقدان الثقة المتبادلة بين القيادة العثمانية والمجاهدين.

[447] بقايا وجذور .. المصدرالسابق . ص 28

القتال بين قوات شيخ خزعل مع المجاهدين، كذلك عمل طالب باشا شيئاً مماثلا في البصرة، كل ذلك شكل أول انتصارحاسم لبريطانيا على عثمانية وذلك فى البلاد العربية.[448]

6- من جهة الشمال تقدمت القوات الروسية بقيادة (باراتوف) ووصلت الى رواندز من جهة الشمال، والى مشارف خانقين من الجهة الإيرانية، وصدّت في حوالي (مريوان)، إلا أنها تمكنت -حسب رأي عباس العزاوي- من الوصول الى مشارف بنجوين.[449] وأدت الى عودة المجاهدين الكورد الى كوردستان.

7-لم يكن الأهالي والعلماء جميعهم متفقين على الجهاد، بعضهم يفضل الحكم البريطاني على التركي حسب قاعدة ابن طاوس (الكافر العادل خير من المسلم الجائر) وبذريعة ضعف المسلمين وقلة الإستعداد، وفضلوا عدم المشاركة..*[450] فهذا التردد ترك أثراً نفسياً بالغاًً على بقية المجاهدين، عادةً هذه الأسباب تبلغ أثرها عند النكسة.

8- الوضع الإقتصادي لأهالي العراق كان بالأصل ضعيفا، وأدى استمرار الحرب وتقهقر القوات العثمانية بغير انتظام إلى تقليص المواد الغذائية، وبدأ الجيش يأخذ الطعام من الناس جبرياً، وشاعت (الشحة - طراني).. وشملت هذه الحالة المناطق الخاضعة للنفوذ العثماني، بينما تختلف المناطق التي تحت الإحتلال البريطاني، وكانت المقارنة بين بغداد والبصرة من هذه الناحية مادة دعائية واعلامية قوية، جاء في كتاب (دور المثقفين فى ثورة العشرين):((برز انطباع عام بأن إحتلال بغداد هو العلاج لهذه (الشحة) وكانت أحوال الموصل أسوأ، حيث يجوب عمال البلدية لجمع الجثث المرمية في الشوارع جوعاً)).[451]

9- وكانت هزائم العثمانية قد خلقت اضطراب الحالة الأمنية خلف الجبهات وأدت إلى تمرد وظهور الحركات الانفصالية0

وقد جاءت أسباب إخفاق المجاهدين في منظور كتاب (أحوال العراق في مرحلة المشروطية) الى :((1- سوء الإدارة والفساد -2- نظرة التعالي التركي. -3- ظهور الاختلاف القومي وضعف الرابطة الإسلامية. -4- مشكلة التجنيد والضريبة. -5- نشاط العملاء البريطانيين. -6- الهروب من العسكرية. -7- الأوضاع الإقتصادية السيئة. -8- علاقة العثمانية بأهل العراق. -9- ظهور حركات وكيانات أمثال ثورة النجف وحوادث الحلة وكربلاء وحركات طالب باشا في البصرة)).[452]

وهناك أسباب أخرى كثيرةعلى ما أعتقد، فمثلا تفشى أسرار فتوى الجهاد من قبل شيخ الإسلام، وتبين أن كثير من الفتاوى تصدر على هوى العائلة السلطانيةعلى اكثر الأحيان، والتراجع عنه أحياناً أخرى، كماجرت حول مسألة المطبعة ، لذلك مصداقية الفتوى كانت غير رصينة. لا سيما بعد أن تبين أن الخليفة محمد رشاد وكذلك عبدالحميد لم يرضيا بدخول الحرب، بالإضافة الى بروز تقسيرات وفرق بين ماهو خط الجامعة الإسلامية والجامعة القومية في مركز الأستانة.. وكان من خلف الجبهات تدور حرب

---

[448] موسوعة العربية- .. المصدرالسابق ج8- ص159-162

[449] عباس العزاوي- العراق بين الأحتلالين- .. المصدرالسابق ج8- ص307

[450] حسب رأي حسن العلوي فإن من بين الذين استحقوا المشاركة في الجهاد ولم يشاركوا، هم من العلماء: (عبدالرحمن نقيب، محمود درويش الآلوسي، نجم الدين الواعظ، أمجد الزهاوي، عبدالوهاب النائب، محمد سعيد نقشبندي، محمود شكري آلوسي، على الآلوسي، قاسم القيسي، عثمان ديوةجي)، وكذلك لم يشارك ممثلي العراق في مجلس المبعوثان، وكذلك لم يشترك العشائر الذين اعتمد عليهم العثمانية وهم (شمر، الدليم، عنز)، والأسر المشهورة: (الكيلاني، آل جميل، الآلوسي، السنوي، الحديري)..(الشيعة والدولة القومية ص63).

[451] أنور على الجبورى .. المصدرالسابق - ص 32-33

[452] شكرى محمود نديم .. المصدرالسابق - ص279

الدعايات، من جانب الحلفاء حول الوعود بتقرير المصير للشعوب وتكوين دويلات.. الأمر الذي أدى الى اخفاق الجهاد في هذه المرحلة،[453] ودخلت المنطقة مرحلة جديدة، وتعززت العلمانية وتراجعت الإسلامية خطوة أخرى.

المطلب الثالث: العلمانية والإسلامية في ظل الإحتلال

منذ المشروطيةالأولى عام 1876م وانقلاب 1908-1909 على الخلافة، احتدم الجدل والخلاف بين المؤيد والمعارض لذلك الإجراء في أنحاء العالم الإسلامي، امتد هذا الخلاف الى الميادين الفكرية والسياسية والثقافية والوطنية، وأصبح التيار المؤيد لهذا الإجراء داعيا للحداثة والتجديد والحضارة، واختلط مع الطبقة المصلحية التي تعاملت مع الخلافة العثمانية، ثم تراجع عنها وأيد الإتحاديين.. واصبحت فيما بعد قوة متجولة مع الغالب، ولم تقتصر هذه الصفة على قسم من الساسة المثقفين (الأفندية) الذين أنتهجوا الليبرالية المصلحية، بل امتد الى الشيوخ ورؤساء العشائر وحتى بعض رجال الدين، الى حد وكان القول(أنا مع الغالب) سائدا في وسط هذه الفئة، بحيث ربطوا إرادتهم بإرادة المنتصر، وان كان هذا المنتصر محتلا كما جاء في الحديث الدائر بين الملك فيصل وبعض رؤساء العشائرالذى نقله (حنابطاطو) ونص الحديث هو:((عندما قام الملك بزيارة مشايخ الدليم وعنزة على الفرات في 1921/7/31 م قال هؤلاء: يا فيصل اننا نقسم على الإخلاص لك لأنك مقبول للحكومة البريطانية)).[454]

اطلق على هذه الطبقة من قبل البريطانيين بالمعتدلين[*]، أما المتطرفون هم تيار ودعاة الوحدة العربية والإسلامية، فكان الأول مؤيد للمحتل والثاني معارض له في الأغلب، وعندما احتل اراضي دار الإسلام في افريقا، بدأ الإسلاميون يعدون العدة للجهاد ومناصرتهم، بينما العلمانية في غمرة إتصال بالمحتل ودعوتهم الى إحتلال أوطانهم، لذلك قلما نجد في برنامج الجمعيات العربية والأتفاقيات والصفقات المعقودة ذكر اسم البلدان العربية الأفريقية، وفي بغداد بمناسبة شهر رمضان الوافق 1908/11/13 كانت تسير تظاهرات ضد الأنقلاب على خلافة السلطان عبدالحميد وتصرفات الإتحاديين، وطالبوا بتطبيق الشريعة، أما الطبقة العلمانية تحتفل وتفتتح فروعا للإتحادوالترقي ورحبوا بالإنقلاب ومنهم: (معروف الرصافي، جميل صدقي زهاوي، محمد رضا شبيبي، محمد حبيب ال.....)، [455]، في الحقيقة ان حكام وقادة العرب انقسموا الى قسمين، القسم الأعظم منهم كان يتكيف مع الغالب انطلاقا من مصلحته الخاصة، ويعقد صفقات إما بالذهب والمال أو بالمناصب، أما القسم الثاني- فهو على الأغلب الخط الجامعي الإسلامي - وكان يقاوم الإستعمار والمحتلين ويرفض التعامل مع الأمر الواقع.

هكذا دخلت هذه الإختلافات بأكثر حدة بعد إحتلال المنطقة أثناء الحرب العالمية ، ففى حين كان الإسلاميون في حالة الجهاد والدفاع عن العراق(مثلاً) ضد المحتل البريطاني، بينما منذ البداية تعاون أمراء العرب فى الجزيرة والبحرين والكويت

---

[453] جاء في كتاب (التطور السياسي المعاصر في العراق) الترتيب على نحو التالي: ان رد الفعل الجمهور العراقي تجاه الغزو البريطاني هو توجس وسخطين الا انه قبل مرور عامين، بدأ الأنقسام يظهر في تكتل العربي-التركي، فالهزائم العسكرية تحول الى سياسة عدائية للعرب، وانتشار المجاعة، والمشاعر المناوئة للحرب، وشنق القوميين العرب في سوريا، وثورة الحجاز، وانتفاضات النجف وكربلاء والحلة. بددت أوهام التضامن التركي العربي، وشجعت بعض العناصر على التقرب في الأنكليز.. (د.نظمي واخرين ص52-).

[454] حنابطاطو- العراق-.. المصدر السابق ج1 ص126

[*] في العلن، أما سرياً سميهم موالون.

[455] دور المثقفين.. .. المصدرالسابق ص15-16

وشيخ المحمرة مع قوات بريطانيا لإحتلال المنطقة، كذلك أبدت الجمعيات العربية التعاون نفسه، مثلا (عزيز علي المصري) رئيس جمعية العهد هو اول من اتصل بالبريطانين حسب مذكرات لورانس،و[456]كان ضمن الخطة مع طالب باشا بإشتعال الثورة في البصرة على غرار الثورة العربية الكبرى بمساعدة بريطانيا، والضباط العراقيون الذين تخرجوا من المدرسة العسكرية في استنبول بقيادة نوري سعيد ينتمون للجمعية نفسها وكانوا يتقدمون[457] تحت راية القوات البريطانية نحو الشام لفتح القدس*[458]* وفلسطين، وفيما بعد عادوا الى العراق ليلعبوا دوراً مهماً في صد المقاومة الإسلامية بالتعاون مع الإحتلال، بالإضافة الى دعوتهم مع الطبقة العلمانية الدول الغربية لإحتلال وطنهم، كما أن (عازورى و انطونيوس)، في كتاباتهما دعوا فرنسا الى إحتلال لبنان و(لطفي السيد) يدعو بريطانيا لإحتلال مصر، ومن جهته بعث كل من (ميشيل تويني، يوسف هاني، بترو طراد، د.أيوب ثابت، رزق الله أرقش، خليل زينيه)، وهم مؤسسوا العلمانية القومية العربية وممثلين عن نصارى الشام، برسالة إلى فرنسا وطالبوا فيها بإحتلال سوريا، وتضمن إستقلال لبنان، كذلك نجد أن العراقين من هذا الصنف طلبوامن بريطانيا إحتلال العراق، جاء في كتاب (الدولة العثمانية): ((تعاونت جمعية الإصلاحية في بيروت مع جمعية النهضة فقدمتا رسالة مشتركة الى حكومة فرنسا عام 1331ه-1913م التمستا فيها منها إحتلال سوريا ولبنان، بينما اتجه بعض المثقفين العراقين نحو الأنكليز))[459]، وقد اجتمعت مجموعة من المثقفين (الأفندية) في بغداد في دار (النقيب) واتصلوا بالبريطانيين لغرض نفسه ، ويكشف كل من فورستر ومس بيل إتصالات مماثلة من قبل عراقيين أخرين.

وفي قلب العثمانية جاء أوضح نموذج للصراع الإسلامي العلماني، حيث وصل في النهاية إلى تبلور السلطة العلمانية في أنقرة، والسلطة العثمانية في استنبول بعد سنوات 1918 وانتهى الصراع بإنتصار العلمانية وهزيمة الإسلامية، هذا النموذج تكرر في انحاء العالم الإسلامي، وأدى الى النتيجة نفسها تقريبا، بما فيها العراق، ففي البداية كان الصراع العلماني الإسلامي على مستوى الإمبراطورية العثمانية، ثم تحول هذا الصراع إلى مستوى القطرية، بحيث أن العلمانية المتمثلة في الجمعيات والحركات القومية تسير وتتكيف مع خطة الإستعمار، فمثلاً عندما رأت العلمانية العربية ان تقسيم العالم العربي بات واقعا فيما بين المستعمرين، تخلت أكثريتهم عن دعوتهم للوطن العربي الموحد -أو الأمة العربية-، وتوجهوا الى قطرية واقليمية، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل قرروا انشطار جمعياتهم الى الإقليمية، فقد انشطرت جمعية العهد الى العراقية والشامية والمصرية، وأكثر من ذلك الى البغدادية والموصلية والبصرية،..

---

456 لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963 ص31 .

457 مجموعة أخرى من العلمانين كان عملهم في هذه الأثناء في بغداد ليلياً الحفل والرقص والمشروبات حتى الصباح.. (الشيعة والدولة القومية- ص75) وكان هؤلاء أهون من خيانة فى الجبهات حسب قاعدة ابن تيمية حول المغول الذين رؤى انهم في مجالس السكر في ليالي دمشق، قال انهم أحسن من عمل النهب والسلب والقتل..

** وبالمناسبة قال جنرال لينبي الآن انتهت الحروب الصليبية.(محمد فريد بك المحامى - دولة العلية العثمانية- ط9\ 2003م، دار النفائس –بيروت ص726) ومنذ ذلك الحين ذهبت القدس من العرب دون رجعة.

459 د.علي محمدالصلابى - الدولة العثمانية- ط1، مكتبة الأيمان ص417

بذلك وصلت طلائع الفكر القومي العلماني الى العراق في بداية القرن العشرين[*]، وعلى أثرها برز في العراق الموقفان المنفصلان بين العلمانية والإسلامية وكالآتي:

1- العلمانية الوطنية: الطبقة التي تعاملت مع المحتل بالتدريج، ثم اصبحوا حكاما فيما بعد، ترجع الجذور الفكرية والثقافية لهذه الجماعة الى الفكر القومي العلماني العربي الذي نشأ وترعرع في اعقاب المشروطتين 1876م-، 1908، وكان مسيحيو الشام - بسبب إحساسهم بالتهميش في معادلة العثمانية الإسلامية- سباقين لإيجاد معادلة جديدة يقفون فيها في الصدارة، والمعادلة هي التيار التغريبي، (أو التيار العلماني القومي فيما بعد)، وهؤلاء تعتبر من مؤسسي الفكر القومي العربي، وهم أول من ساهم في تشكيل جمعيات مثل (السورية) و(البيروتية)، وكذلك هم كانوامن وراء مؤتمرات العربية التي تعقد في الغرب،[460] وهم أصحاب الدعوات الى فرنسا وبريطانيا لإحتلال بلاد العرب. وقسم آخر من العرب القوميين كانوا بالأصل معارضين للعثمانية في حدود الإصلاح، وشاركوا في تكوين (تركيا الفتاة) وتوسيعها، ثم انضموا إلى جمعية الإتحاد الترقي.. ولكن بعد كشف نياتهم الطورانية، انسحبوا منها وإنضموا الى التيار القومي العروبي وشاركوا في مؤتمر باريس 1913م، هكذا بدأت تتبلور معالم التيار القومي العروبي.

كثير من الباحثين يعتبرون المؤتمر المذكور هو بداية لتكوين حركة التحرير العربية السياسية أو (الفكر القومي)، وغيرهم يعتبرون هذا التأريخ يرجع الى اواسط القرن (19)، يقول (جورج انطونيوس) في كتابه (يقظة العرب) ان القومية العربية تبدأ مع تأسيس الجمعية العلمية السورية في سنة 1857م[461]، وهناك رأى آخر يزعم ان عبدالرحمن الكواكبي (1854-1902) هوا مؤسس النزعة القومية العربية[462]، وثمة راى أخر يدعى أن بداية القومية تبدأ مع (الثورة العربية الكبرى)..الخ. ولا ننسى أن البعض الآخر يرجعون هذه الجذور الى البابلية أو الى صدر الإسلام[463].

---

[*]التي قطع مسافة طويلة ترجع جذورها (حسب جورج انطونيوس) إلى جمعية العلم السوري عام 1857م وهي أول من رفع الشعار العربي قبل الإسلامي، ثم تابعت القومية العلمانية بشعارات مشابهة وغير منسجمة مع الإسلامية، ثم مسايرة مع المشروع الاستعماري في العالم العربي.

[460] يلاحظ أن جيل الأول من مؤسسي القومية لم يكن من القوم نفسه، فكان أغلبية مؤسسي فكر القومي العربي مسيحيون أمثال(جورج أنطونيوس، نجيب عازوري، شبلي شميل، أنطوان سعادة، ...) 0

أما مؤسسي فكر القومي التركي كذلك أغلبيتهم المطلقة غير تركية. فالمؤسسي الإتحاد والترقي كانوا أربعة طلاب وهم: (محمد رشيد جركس، د.عبدالله جودت- كوردي، د.اسحاق سكوتلي- كوردي، ابراهيم تمو- الباني أو روماني حسب بعض المصادر. ويقولون بأن هناك الشخص الخامس شارك في تأسيسها باسم (علي حسن زادة) وهو من اصول باكو، أما شخصيات مؤثرة أخرى: احمد رضا بك رئيس الإتحاد والترقي ورئيس مجلس مبعوثان من أصل انكليزى، وطلعت باشا أصله غجري، جاويد باشا (يهودي الأصل)، كمال اتاتورك من عائلة (ريس) يونانية، وضياء الب كؤك كوردي وكوئيز كوهين يهودي ويعتبر مؤسس الطورانية باسم (نكتين الب)، ويمكن القول: (ان حكام في الخلافة ومعارضين كذلك 90% منهم ليسوا تركاً... وكان مادة (16) من عقيدة دونمة التي وصفه شيتان زيفي= =تؤكد وجود تطبيق عادات الأتراك بدقة. من أجل ذتك. (انظر المصادر التالية: الصحوة - ص230-257، الموسوعة العربية- مادة كمال اتاتورك، الدولة العثمانية ص399-410).

[461] حركة الأستقلال.. .. المصدرالسابق ص 15

[462] المصدر نفسه - ص26

[463] أنظر: العراق فى تاريخ .. المصدرالسابق ص321.

ولكن من المرجح ان التأريخ الحقيقي لظهور الفكر القومي يرجع الى قبل القرن (20) بقليل مع تطور تركيا الفتاة، لأن أصل الفكرة غربية، وكان ساسة المسيحيين على علاقة بالغرب لاسيما فرنسا، وكانوا يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي آنذاك، وتأتي اليهم الحضارة والثقافة الغربية قبل الآخرين، فقد فتحت أول مطبعة هناك منذ عام (1610م) رغم معارضة علماء الأستانة، وكانوا يبحثون عن الجو الذي يكونون فيه غير مهمشين، وهذا يتحقق في العلمانية والفكر القومي، وبدأ ذلك بشعار (أنا عربي أولاً)، تأريخ هذه المحاولات تعتبر جذورا للفكر العلماني القومي الذي بدأ يتجسد قبل القرن العشرين بقليل، وفي العراق كذلك أول من استقبل المشروطية وانقلاب 1908 ثم القوات البريطانية هم أقليات دينية من المسيحية واليهودية بإحتفال مهيب، [464] وهذا تعبير واقعي عن المصلحة..، في الحقيقة ان الخلافة ليست من مصلحة أقليات (المسيسة) غير المسلمة، وهذا ما يلاحظ في نشاطهم العالمي، لذلك يذهب البعض (لاسيما الإسلاميون)، ان الفكر القومي – العلماني هو مؤامرة ثلاثية غربية (ماسونية، إستعمارية، صهيونية).[465] لتقسيم العالم الإسلامي والعربي، ففي المرحلة الأولى روجوا فكرتهم على شكل قومي عريض، ثم تحولوا إلى فكرة الأقليمية أو الوطنية القطرية، وكانت هذه أكثر إنسجاماً مع مصلحة الأقليات الدينية..

وإذا لاحظنا بدقة مراحل فكر (نجيب عازوري الذي يعتبر من مؤسسي الفكر القومي العربي) تصدق هذا الإدعاء، ففي البداية كانت دعواته تتركز على (الوطن العربي الكبير) ثم المنطقة الواقعة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط[*]، ثم إستبعاد مصر والعراق عن هذه الوحدة.. وإبقاء سورية وحدها[**]، هكذا أظهر عازوري- ان له نزعة اقليمية سورية (الموافقة مع الخطة الإستعمارية) على الرغم من انه ندد أكثر من مرة بالطائفية وآثارها على الوحدة العربية.[466]

وبالطريقة نفسها قطع أعضاء جمعية العهد (الذين أصبحوا حكاما على العراق فيما بعد) المراحل الذكورة، كذلك (الثورة العربية الكبرى) كانت في البداية أهدافها هي إرجاع الخلافة للعرب، ثم تنازلت إلى سقف تكوين الوطن العربي الكبير، ثم وحدة الوطن العربي جزء آسيا كما جرت في مبايعة الملك فيصل على أساسها في 1920/3/8[467]، ثم رضخوا لمشروع الدويلات الإقليمية وأخذ أبناء الشريف حسين –قائد هذه الثورة –منصب الحاكم الأعلى لهذه الدويلات.

دخلت هذه التطورات والأفكار القومية العلمانية الى العراق عن طريق الشام ومن منبعها لبنان، وتعتبر مشاركة كل من (توفيق السويدي وسليمان عنبر) في مؤتمر باريس عام 1913م أول نشاط عالمي للقومية العلمانية العراقية، وبسبب تلك المشاركة العراقية تغير اسم المؤتمر من (مؤتمر الشامية) الى المؤتمر العربي، وبدأت تفتتح فروع الجمعيات العربية العلمانية فيها، ولم يكن في العراق آنذاك سوى جمعية[468] إصلاحية في البصرة.

---

[464]. د.وردي- لمحات اجتماعية- .. المصدرالسابق ج4 ص300 (قام يهوديون في مدرسة الألبان الإسرائيلية في بغداد في 1917/11/14 حفل تكريم لجنرال مود، كذلك جاء حق التمثيل بعد المشروطة 1876م، فكان مياثيم دانيال أحد ممثلين اثنين عن بغداد، وثم ساسون حسقيل قلد عدة مناصب مهمة في العثمانية.(مأخوذ من كتاب -مختصر تاريخ بغداد- عن ظريف الأعظمي.. 1924-ص 179

[465] وهناك تحقيق يثبت ان مؤسس الطورانية -أي قومي التركي- كذلك هو غير مسلم وغير تركي، وهو موش كوهين، والذي غير اسمه إلى (تكين ألب) (انظر: عبدالله جودت والقومية الكوردية – ص 120).

[*] وهذه المنطقة تمثل المشروع البريطاني مع شريف مكة والذي تحول فيما بعد إلى تقسيمات سايكس – بيكو.

[**]يعود الى انه كان يخشى قيام وحدة سياسية أكبر يتحول مسيحي الشام فيها الى أقلية.

[466] حركة الأستقلال.. .. المصدرالسابق ص33

[467] تأريخ الأمةالعربية- .. المصدرالسابق ص513

[468] بالطبع يقصد جمعيات التي تصنف على العلمانية.

ومن بين الجمعيات الأكثر تأثيراً على مصير العراق هي جمعية العهد، والتي ينضوي تحتها الضباط العراقيون الذين شاركوا في الثورة العربية الكبرى، وتمركزوا في الشام مع قوات فيصل ملك العراق لاحقاً، وكانت هذه الجمعيات والفئات العلمانية بشكل عام في إنتظار ما يحدث بعد الحرب وإحتلال العراق، وكانت الوعود البريطانية بشكل عام، تتغير على وفق مراحل تغير مسار الحرب وكالآتي:

1- ففي البداية بدأ الحديث البريطاني على مستوى نقل الخلافة من العجم الى العرب (ويرددون دائماً الأئمة من قريش)[469]، ووعد سراً وعلناً، بمجموعة من قادة العرب من أمثال: (ملك مصر،[470] جمال الدين الأفغاني، آل سعود، آل العظم في سوريا، شريف مكة...[471]

2- وفي الوقت نفسه وعدت بريطانيا الفئات الأخرى لأنهاء الخلافة وفصل العرب عن الترك، حيث وعدت القوميين ورجال الدين العرب الذين يميلون الى العروبة بإنشاء وطن عربي موحد لهم، وشجعت كل ماهو مخالف لبنية الخلافة، حيث شجعت الفرعونية والكنعانية، والفينقية،[472] لكي تقوى جذور القومية العربية خارج أطارالحضارة الإسلامية.

يقول المستشرق (جيب): ((..وقد كانت من أهم المظاهر السياسية للتغريب العلماني في العالم الإسلامي تنمية الإهتمام ببعث الحضارات القديمة، لكي تلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية القوميات المحلية)).[473] وقد أرسلت بعثات بريطانيا الى العراق لتنقيب في (بابل) و(أور) لكي يربط السكان بهذه الحضارات والتفاخر بها وتشجيع الأقليمية على خلاف الإسلامية.[474]

3- وبعد أن تغير ميزان القوة لصالح الحلفاء تغيرت الوعود إلى نوع آخر شملت تقسيم العرب بين آسيا وأفريقيا، حيث وعد الآخرين من العرب (من بينهم الشريف علي بن حسين شريف مكة) بوطن يمتد من شرقي البحر المتوسط الى السويس والجزيرة، ووعد فئة أخرى من الرؤساء والملوك بالحكم على بلدهم، وكانت لكل فئة أهميتها حسب متطلبات مرحلتها، فكان قبل الحرب العالمية وحتى صدور فتوى الجهاد وما بعده، الفئة الأولى المكلفة بالكلام عن نقل الخلافة، ثم جاء دور الفئة الثانية، وأخيرا جاء دور الإقليمية التي انسجمت مع مخططات الإستعمار، وكانت تطلق تصريحات لهذا الغرض بأسم تقرير المصير، حيث اطلق ولسون في 1918 (14) مبدأ لتقرير المصير للشعوب غير التركية[475]، كذلك التصريح البريطاني الفرنسي صادر في 1918م لنفس الغرض، كذلك تكررت هذه الوعود من خلال البيانات التي تلاها الجنرال ديلامين في البصرة والجنرال مود في بغداد.

أزاء هذه الوعود العلنية والسرية كان القادة السياسيون والعلمانيون العرب يسايرون ويكرسون برامجهم على وفق خطاب الحلفاء(كماذكرنا قبل قليل جانبا منه)، ففي البداية كان الخطاب نحو أحقية العرب بالخلافة، لاسيما من قبل الشريفيين

---

[469] حركة الأستقلال .. المصدرالسابق - ص14

[470] جاء في مذكرة عبدالحميد ان بريطانيا تحاول نقل الخلافة الى خديوي مصر لأضعاف المسلمين.. (الدولة العثمانية. ص377.)

[471] هذه الوعود أعطيت لغير العرب كذلك، فمثلا اتفق مع استانة نقل وانحصار الخلافة في استانة على شكل فاتيكان.

[472] فقد جاء في رسالة عام 1609 من بابا بولص الخامس الى فخرالدين المعنى الثاني الدرزي بشأن علاقته بالمسيحيين جاء في مقدمة ذكر اسمه (الى فخرالدين أمير الدروز ونيقوميدية وفلسطين وفينقية) (- صحوة .. المصدرالسابق ص404)

[473] الموسوعة الميسرة .. المصدرالسابق - ص151

[474] محمود شاكر - تأريخ الإسلامي - .. المصدرالسابق ج11-ص23

[475] ينظر نص المبادىءفى : هيرمن كندر –تاريخ العالم –تعريب:ألياس عبرو الحلو، ط12003م \ بيروت ج2ص409

والوهابيين[476]، فتحول بعد ذلك إلى الحديث عن الوطن العربي الكبير. فمثلا جمعية الإخاء العربي العثماني التي تأسست عام 1908، لم تكن شروط الإنتماء إليها تعتمد على الدين أو المذهب أو الولاية، بل على أن يكون المنتمي عربي المولد.[477]وبناء على المنطلق نفسه أسس نجيب عازورى [478] (1881-1916م) حزبا قوميا عربيا أطلق عليه (جامعة الوطن العربي) في باريس وأصدر جريدة (الإستقلال العربي)، وآمن بأصالة الحضارة العربية وتراثها الروحي والربط بين العروبة والمسيحية.[479]وهذه المبادىء نجدها أيضاً في الفصل الأول من باب الأول- غاية (جمعية العربية الفتاة)- : وهي الإستقلال التام للبلاد العربية، وجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية.[480]

ثم أخذت هذه الخطابات تتوجه وتتحصر في شرقي بحر الأبيض المتوسط، حيث دعا العازورى بعد ذلك إلى دولة عربية ممتدة من الفرات الى خليج سويس، [481] وقد أصبحت هذه الدعوة هدفاً لحزب الجزيرة* وميثاق دمشق وحزب العهد اللبناني، وجمعية العربية الفتاة 1905[482]. وأخيرا ثبت التوجه الإقليمي، [483] وأحياناً ينتظرون ما تتمخض منه الحرب ونتائجها، وبالتالي ربطوا أنفسهم بالمشروع الإستعماري ومتطلباته، ومن ذلك سهلت أنجاح معاهدة (سايكس-بيكو 1916) ومن ثم وعد بلفور 1917 بإنشاء كيان سياسي لليهود في فلسطين0

وتجسيداً للإقليمية بدأت الشعارات التي تمجد القطرية وتبرز أسماء للأقطارعبر الشعارات كـ(سوريا فوق الجميع، المصر للمصريين، العراق للعراقيين..)، وكان في لبنان تمجيد للفينيقية، وفي سوريا للأموية وفي العراق للآشورية والبابلية أو العباسية. جاء في مذكرات (المنقبين): ((اننا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، لكي يذبذب ولاء المسلمين بين الإسلام وبين تلك الحضارات)).[484]

---

[476] جاء هذه المسالة من مذكرات عبدالحميد، وجاء نقل الخلافة الى (الشريف) والى خديوي مصر (بلنت) من مؤلف كتاب (مستقبل الإسلام) في الوزارة الخارجية الإنجليزة.المصدر: د.علي محمد-دولة العثمانية -ص377-181.

[477] حركة الأستقلال. .. المصدرالسابق . ص56.. (وقد عرف -الجمعية المذكورة -العربي بأنه الشخص المولود في بلاد العرب والمتكلم باللغة العربية، ويتخذ من بلاد العرب وطناً له).

[478] ولد في بيروت في 1881/12/25، تقلد عدة مناصب، وذهب الى باريس 1904، له مؤلفات، خدم في وزارة خارجية فرنسا، عاد الى قاهرة وتوفي فيها سنة1916م.

[479] المصدر نفسه.. ص30-31

[480] انظر نص منهاج عربي الفتاة في (صحوة .. المصدرالسابق ص422)

[481] حركة الاستقلال .. المصدرالسابق - ص31

* هذا الحزب تشكلت عام 1920 على ضوء طموحات شريف حسين بن علي.

[482] المصدر نفسه ص41،

[483] انظر منهاج حزب بيروت السرية.. وشعارات سوريا فوق الجميع. وقد برزوا القطرية والإقليمية بواسطة شعارات واستخدام التأريخ من أجل واقع التجزئة، فكان ان اهتم السوريون بالأمويين، وأهتم العراقيون بالعباسيين، وأهتم المصريون بالفاطميين، وأهتم التونسيون بالقرطاجة.الخ. (ص44- بقايا وجذور..)

[484] د.على محمد- الدولة العثمانية .. المصدرالسابق . ص446

هكذا ظروف كل قطر أخذت مسارها الخاص، وأخذت الأحزاب والجمعيات تتحول الأسماؤهم الى ذلك القطر الذي تنتمي اليه[*]، وكانت نشأة وتطور جمعية العهد وانشطارها خير دليل على ذلك، وهي الجمعية التي لعب فيها الضباط العراقيون دوراً أساسياً، ومن أبرز اعضائها: طه الهاشمي، ياسين الهاشمي، علي جودة الأيوبي، مولود مخلص، نوري سعيد، عبدالله الدليمي، تأسست هذه الجمعية في الأستانة عام 1913م على يد (عزيز علي المصري- ذو الأصل الجركسي)، كان شعارها في البداية اصلاحيا ضمن الدولة العثمانية، ثم تحول الى شعار الفدرالية العربية تركية في ظل العثمانية على شكل (النمسا والمجر) ثم الى خلافة عربية، ثم عربية عريضة، ومن ثم تحول الى القطرية، وقد صدر في أوائل 1918م بيان للشعب العربي بهذا الصدد، جاء فيه: ((إلا أن دول التحالف لا توافق على تأليف دولة عربية مستقلة، لذلك رأى رجال العهد أن ينقسموا الى شطرين، كل منهما يبذل الجهد في سبيل تحرير البلد الذي ينتمي اليه)). ونشروا منهاجا في عام 1919م الذي تتضمن الإستقلال للعراق، [485] وفي النهاية أخذت مواقف فرع الموصل تتباين مع بغداد.. بحيث أن فرع الموصل يميل الى التقارب مع تركيا والمشروع الكمالي السنوسي، [486] وبقى فرع بغداد أكثر وفاءاً لبريطانيا، يقول (كوتلوف) انه -أي هذا الفرع- كان قبل الحرب على علاقة ببريطانيا ومخططاتها وفي ما بعد أصبح أداة مباشرة ضمن خطة بريطانيا في العراق[487].

هذا التفاوت والخصوصية عبرت بشكل آخر في مدن عراقية، فكان استقبال البصرة وجزء من بغداد لبريطانيا جيدا ومختلفا عن استقبال النجف وكربلاء والكاظمية والسليمانية، وعند قدوم كوكس احتفلوا في بغداد بمشاركة فئة العلمانية ورؤساء العشائر والشيوخ والضباط القدماء والجدد، وذلك في بيت رئيس البلدية الأسبق ورئيس الوزراء اللاحق (عبدالرحمن النقيب الكيلاني)،وكان العراق على خلاف الشام الذي انتج علمانية مدنية، بينما في العراق بحكم هيمنة الثقافة البدوية فإن العسكرية هي المفضلة لديهم،لذا نجد أن أكثرية الطلاب العراقيين كانوا من الكلية العسكرية وكان عدد الطلاب العراقيين 1338 طالبا في المدارس العسكرية العثمانية بالتالى برزت علمانية عسكرية وأكثريتهم منضوية تحت لواء حزب العهد[488].

هذه الجمعيات لم تكن تعرف مصير العراق بدقة، لذلك كانوا يتناوبون بين المساومة والمقاومة، وثقتهم بالشعب أو الأمة العربية ضعيفة جدا، بينما ثقتهم ببريطانيا تتزايد، وكانوا يتوقعون ان تؤسس مملكة للشريف حسين بن علي وأبنائه في كامل الشرق الأوسط، حسب وعد ماكماهون-شريف[489]، وظنوا أن الأمبراطورية تحل محل إمبراطورية أخرى وليس لديهم

---

[*] نحن لا نزال نخوض في موضوع علمانية العراق، لكن في ذلك الوقت لم يكن العراق دولة أو ضمن إطار سياسي معين، بل كان أرضا مفتوحا لدخول الآراء ومشاريع من جهات تركيا وشام وجزيرة وإيران... إلخ ولذلك لازال يظهر أن هذه الكتابة كأنها متبعثر وغير منتظم.

[485] أ-دور المثقفين في. .. المصدرالسابق .. ص54-55، ب-حركة الأستقلال العربي .. المصدرالسابق - ص121

[486] هرب (أحمد سنوسي) من بطش أخيه إدريس السنوسي إلى تركيا في عهد كمال أتاتورك، واتفقا على أن ينصب (السنوسي) ملكا على عراق الشمالي في ولاية الموصل، بالتعاون مع الكمالية.

[487]ثورة العشرين .. المصدرالسابق ص184

[488] دور المثقفين .. المصدرالسابق - ص36

[489] في الحقيقة لم يكن هذه الوعود موقعة بينهما، بل الصحيح هو ان هذا المشروع كتب من قبل أطراف (ميثاق دمشق) وعلى طريق شريف مكة قدمت الى بريطانيا دون جواب واضح منها، وليست بالأتفاق بين الطرفين أي هي فقط مقترحات من قبل العرب ، وقد بين الرسالة المؤرخة بتاريخ 24 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1915 الحدود الممنوحة للدولة العربية الموعودة:إن ولايتي مرسين وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال أنها عربيةً محضة وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة – لمزيد ينظر: سليمان الموسى- المراسلات التاريخية 1914 -1918. الثورة العربية الكبرى، عمان 1973م ص39. وكذلك (لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963) .

معلومات كافية عن الخطة وفكرة الدويلات، كما يتبين من خلال المشروع الذي طرحته جمعيتا الفتاة والعهد بأسم (ميثاق دمشق) الى بريطانيا من خلال رسائل (شريف- ماكماهون).

وكانت نشاطات هذه الجمعيات والفئة العلمانية القومية لم متفقة مع جوهر الخطة الإستعمارية، كما يلاحظ في التحركات السياسية والعسكرية للضباط العراقيين في الشام الى حين عودتهم، رغم ان كثيراً من الباحثين يعتبر ان هذه النشاطات أدت الى نشأة الدولة العراقية – وهذا ماسنتناول لاحقاً-، لكن من الواضح ان القرار صدر من قبل الحلفاء مسبقا بـ(تكوين دويلات وتطبيق العلمانية فيها)، يقول (محمد مهدي شمس الدين): ((يضمن الإستعمار ديمومة الإحتلال بإدخال العلمانية الى المجتمع الإسلامي)).[490]

اما الفئات العلمانية المدنية داخل العراق لم تنخرط فى السياسة أو الثقافة الاختصاصية إلا قليلاً، ومن الممكن تصنيف الجيل الأول منهم كالآتي:

1- الشعراء: ومن أشهرهم (جميل صدقي الزهاوي، معروف الرصافي) كان ولاؤهم يتغير بأستمرار إذ كانوا فى البداية موالين للإصلاح ضمن الدولة العثمانية ثم مع بريطانيا، ومن ثم دعموا الثورة ثم ضد الثورة.

2- الكتّاب:من أمثال (فهمي المدرس 1873-1944)، (محمد شكري الآلوسي 1857- 1924)، (علي علاء الدين الآلوسي 1866-1922) وكان بعضهم ذا توجه ديني تقليدي، أما (أب انستاي مارس الكرملي 1866-1947) فهو مسيحي وعلماني صاحب مجلة (لغة العرب) يخدم المشروع البريطانى.

3- المؤرخون: (أحمد عزة الأعظمي 1880-1936) وهو مؤلف تأريخ القضية العربية، (علي ظريف الأعظمي (1883-1958) مؤلف (مختصر تاريخ بغداد)، (عبداللطيف ملالي 1883-1928) مؤرخ قومي.

4- الصحفيون: أمثال عطاء الخطيب، وعبداللطيف ثنيات، وداود صليوا[491] ، بالإضافة الى أسماء أخرى لامعة ذكرناها في سياق البحث.

هكذا تعاملت بريطانيا مع الفئة العلمانية في سبيل تمرير هذا المشروع وتكوين دويلات علمانية غير دينية، ومجزأة واطلق عليهم بالمعتدلين أو العقلانيين، وأبرزوا على الساحة السياسية العراقية .

2- الإسلاميون:

بشكل عام لم يكن هناك انفصال واضح بين الإسلامي والعلماني (ما عدا المسيحية القومية- أو مشروع عازورى)، الا بعد تواجد الكثيف للحلفاء في المنطقة، عندها انشقت العلمانية القومية لصالح المحتل، وحدث ذلك في أنحاء العالم الإسلامي، بحيث اتجهت العلمانية نحو الخط العام الإستعماري وشاركت فى تأسيس الدويلات الحديثة. اما الإسلامية بعكسها أخذت طريق المعارضة والإبتعاد عن الساحة القانونية، وأصبح في الوطن العربي العلماني القومي العربي -الذي يحكم حتى الآن- جزء من المشروع الإستعماري و(سايكس-بيكو وخطة الدويلات الحديثة) كأن بقاء كوكباتها مرهون بدورانها حول نجم (الصهيونية) وفي فضاء الغرب.

في الحقيقة الخطة الإستعمارية -كما نظمت في (سايكس-بيكو) رسمياً- كانت تستهدف مجموعة من الأسس في العالم الإسلامي والعربي، أولها تقسيم الأمة الإسلامية الى أمم وقوميات[492]، ثم التحويل والتقزيم من إمبراطورية الى دويلات صغيرة

---

[490] العلمانية-- .. المصدرالسابق ص86

[491] تغلغل.. .. المصدرالسابق ص133-135

وهزيلة، ومن ثم الحقت بركبهم من خلال فقدان المقومات الإستقلالية، وكان هذا التقسيم يشمل الكورد والعرب حتى تركيا نفسها -كما سنأتي عليها في مقاصد الدويلات-، وقد تمكن الإستعمار من استغلال بعض علماء الإسلام في انحاء بلاد الإسلام والوطن العربي والعراق لاسيما في صفوف العلماء الذين تأثروا بالفكر القومي العروبي، وعلى سبيل المثال: (القاديانية في الهند) التى بنيت كل عقائدها على رفض الجهاد لصالح الإحتلال البريطاني[493]، كذلك دور تحالف – آل سعود - الوهابية في الجزيرة، والدور الغامض لجمال الدين الأفغاني وجمعيته العروة الوثقى، وفي العراق كان عبدالرحمن النقيب من مشايخ الطريقة الصوفية وله دراويش، بينما كان بيته موضع إلتقاء المتعاونين مع بريطانيا قبل وصولهم الى بغداد[494]، لذلك وصف (آل نقيب) بالمرتدين[495]، أى لم يكن كل الإسلامين فى الصف المعارض للمشروع الإستعماري، بل ما نقصده هو التيار الغالب في الصف الإسلامي قد قاوم الإستعمار، ولا يمكن وضع التيارين-العلمانية والإسلامية - في سلة واحدة، كما قام به معظم الباحثين والمؤرخين الذين يميلون الى القومية، وجمعوا بين (المساومة على حساب المقاومة) تحت إسم (الحركة الوطنية) ، وربط هذه الحركة بتكوين الدولة العراقية، لذلك حور كثير من الحقائق، فمثلا : سرعة استجابة القوة الإسلامية في العراق بعد إحتلال الفاو للجهاد أدى بالباحثين القوميين -أو العلمانيين- الى اعتبار الشعور الوطني هو السبب لهذه السرعة، كما جاء في كتاب (بغداد القديمةفى الصفحة 241): بعد ان سقطت مدينة البصرة، أصدرت المشيخة فتوى الجهاد..، وحكمت كتاب (دور المثقفين) كما يلى : أول ردفعل لإحتلال العراق هو اعلان الجهاد من قبل علماء العراق..، ولكن بعد تحقيق أولي يظهر ما يخالف ذلك، فلم تكن فتوى الجهاد التي صدرت يوم 1914/11/7م بسبب إحتلال الفاو، بل صادفه، وإنما احتلت الفاو ولم يعرف الوالي إلا عندما وصل الفارّون من الفاو الى بغداد[496]، لذلك لا علاقة توقيتية بين إحتلال الفاو وفتوى الجهاد لعلماء النجف وكربلاء، ومن المعروف ان القوة الإسلامية استجابت لنداء الجهاد الذي صدر في الأستانة بعد يومين من دخولهم الى الحرب العالمية، وليس من والي البصرة أو الفاو، إذن الإستجابة القوة الإسلامية العراقية كانت للفتوى وليست للفاو، وكان الدافع هو إسلامي وليس

---

[492] جاء في مذكرات عبدالحميد ان الأنكليز افسد عقول المصريين لأن البعض اصبح يقدم القومية على الدين، ويضيف: انجلترا تهدف من نشر الفكر القومي في البلاد الإسلامية الى هز عرشي... (د. على محمد -الدولة العثمانية- ص377)

[493] ينظر:أ د. علي محمد- الدولة العثمانية- .. المصدرالسابق - ص465، ب-الموسوعة الميسرة... .. المصدرالسابق – ص 416).

[494] كان عائلة نقيب من محبى سلطان ، ففى 1879اصدر سلطان عبدالحميد فرمانابإعفاء عائلة النقيب بغداد من تجنيد الاجبارى ووعين مستشارا لوالى بغداد وعضوا دائما فى مجلس ادارة ولاية .ينظر:سعد سلوم-السياسات والاثنيات فى العراق(منذ الحكم العثمانى حتى الوقت الراهن) ص53.

[495] الحركة الوطنية. .. المصدرالسابق . ص119

[496] ينظر:التفاصيل فالمطلب السابق (العمليات العسكرية)

وطني (الوطنية العراقية)، وانضمام قوميات أخرى من الترك والكورد[*] والإيرانيين الى هذه الجبهة وعدم اشتراك قطاع واسع من العرب والعراقيين أو هروب أو خيانة الضباط والعشائر العرب في ساحة المعركة فيه خير دليل على عكس ذلك، وكانت هذه الوحدة والمشاعر المشتركة بين شعوب المنطقة آخر وحدة إسلامية.، ويمكن القول أن أخفاق المقاومة الإسلامية في صد الهجوم البريطاني لم يكن بسبب ضخامة وعظمة قوة بريطانيا فقط، بل تتحمل العلمانية والتيار القومي العروبي والعشائر والتجار النفعيون قسطاً هاماً نتيجة تعاونهم مع المحتل0 في الحقيقة واجه الإسلاميون عدة تحديات داخلية وخارجية، أولاً إخفاقهم في المقاومة ووقوع العراق تدريجياً تحت الإحتلال البريطاني، وثانياً تعامل الضباط العثمانيين السيئة مع الأهالي والمجاهدين.. أوصلوهم الى حالة حرجة، ويذكر ان تعامل حكومة الإتحاديين مع الإسلاميين -لاسيما المراجع والعلماء الشيعة- ومع الكورد ليست جيدة قبل دخول بريطانيا الى المنطقة، ففي كوردستان هجمت على منطقة بارزان ورئيسهم (الشيخ عبدالسلام)، وفي الجنوب وبغداد اعتقلت زعماءهم عقب إحتجاجات ضد اجراءات الإتحاديين بشأن الخليفة والخلافة، يقول عبدالرزاق الحسني: ((الجانب الإسلامي في العراق لم يرض بالحكم الإتحادي (العلماني) بعد الإنقلاب، لذلك اعتقل كثير من زعمائهم بسبب فتاواهم ومواقفهم، وأطلق صراحهم اثناء الهجوم البريطاني عبر اتفاق بينهما))، [497] بالإضافة الى سوء مواقف الإتحاديين تجاه قضايا أخرى مثل الإنقلاب على الخلافة وبيع الولايات الى الغرب والتوجه القومي.. واستخدام العنف المفرط تجاه المعارضين العرب.. كان كل ذلك تبريرا لما قام به الضباط وبعض العشائر العراقية بترك ساحة القتال واستسلامهم لبريطانيا وتغير الولاء الى الغرب، رغم انهم -أي الضباط- كانوا على علاقة ببريطانيا قبل الحرب، مع فئة من الإقطاعيين والتجار والرؤساء الإنتهازيين.[498] لذلك واجهت المقاومة الإسلامية أزمة حقيقية في هذا الواقع المعقد والمتناقض، أدت الى تبدد شرعية الجهاد التي أعلنها شيخ الإسلام.

وبسبب من ضعف الشعور الوطني لم تستطيع التيارات غير الإسلامية- فى أحسن حالها - تعبئة الرأي العام والقيام بالمقاومة والثورة فى العراق، يقول (فورستر): ((ان سبعة قرون من أخضاع العراقيين جعلهم يميلون الى جانب المنتصر والمصلحة)) [499]، وذلك ينعكس من خلال نشاطات علمانية بوجودها تارة الى صف المقاومة وتارة أخرى الى صف المحتل، وجاء

---

[*]هناك نظريات حول دافع قدوم القوة الكوردية بقيادة شيخ محمود الى جنوب للدفاع ضد حملة بريطانيا، من بينها:1- نظرية الإجبار: أي ذهب الى الجبهة تحت ضغط العثماني، 2- نظرية واقع الوطني العراقي وهي نظرية تثار من قبل القوميون العرب في العراق والوطن العربي، لتأصيل العراق وهوية العراقية للكورد. 3- نظرية الشخصية، وكان الرؤساء يشتركون في هذا النوع من القتال بدافع شخصي والشهرة. 4- نظرية الدافع الديني.. ولكن:

-كما أعتقد- لو كان اجبارية لما ترى فيما بعد شيخ محمود يقارع الأنكليز، ثم ان سلطة العثمانية ضعيفة لاسيما في سليمانية، وان قوات أخرى مرتبطة بالعثمانية في بغداد وموصل لم تشارك.. اذا ليس اجباريا.. لو كان وطنيا بمعنى العراقي فلم يكن هذا الشعور موجودة لدى العرب فكيف للكورد، وما كان العراق كيانا أو وطنا آنذاك حتى تدافع عنه، ذلك دفع ببعض المؤرخين الكورد إلى إبراز نظرية (الإجبارية) رداً على هذه الدعوة ولكي يتلاشى هذا الأثر العراقي في دافع الكوردي للجهاد، يبدوا أنالنظرية ضعيفة لأن شعور الكوردستاني ضعيف، فكيف العراقي..؟ ولكن النظرية السليمة هي بدافع الديني، كما جاء في الأهازيج: (وثلث للكاكائية...).

[497] العراق فى دوري.. .. المصدرالسابق ص53

[498] كوتلوف.. المصدرالسابق ص182-

[499] نشأت الدولة العراقية. .. المصدرالسابق . ص99

في كتاب (الشيعة والدولة القومية) ان حركة الجهاد ثم ثورة العشرين أول حدثين سياسين بارزين في تاريخ العراق[500][(*)] منذ سقوط الدولة العباسية بإستثناء بعض الحركات ذات الطابع المحلي[501]، وبالتالى القوة الحقيقية هى للقوة الإسلامية.

ان علماء وشيوخ الأكراد أول من قاموا بحركات ضد التيار العلماني المتنامي في وسط الخلافة، وأول ثورة مندلعة ضد الحكومة العلمانية هى ثورة الشيخ سعيد بيران، ومعظم الحركات الكوردية آنذاك في جميع الأجزاء كانت ذات محتوى ديني، وكانت مطالبيهم إما عودة الخلافة أو منح الحرية لكوردستان، لذلك كانت حركة شيخ محمود ودفاعه عن دار الإسلام في جنوب العراق بدافع ديني[502] لا علاقة له بالعراقية ولم يكن عراقيا، بل كان معنى الإنتماء العراقي غير ملموس، وانتهت هذه الوحدة (أي الوحدة على أساس الإنتماء إلى الأمة الإسلامية ودار الإسلام) بعد ان تعاظم الدور العلماني في المنطقة. لذلك كان كثير من المؤرخين يتجاوزون فترة المقاومة المشتركة ويؤكدون ان الشعور الوطني لم ينضج في العراق إلا بعد ثورة العشرين، [503] أو كما جاء في كتاب (دور المثقفين..) تطور هذا الشعور بعد أن نجحت بريطانيا في معركة الكوت حيث بدأ نشاط المثقفين والفئة العلمانية القومية، [504] وهو أقرب الى الصحة على ما أعتقد، لأن هذا الشعور تثار من قبل بريطانيا في سبيل تمرير خططهم ضد ما تبقى من نفوذ الخلافة والجامعة الإسلامية في المنطقة وداخل العراق. ومن جهة أخرى لم يكن الشعور الوطني خارج الدين الإسلامي يعني شيئاً في ظل النظام البدوي الأقطاعي فى (الديرة)، لذلك حاولت بريطانيا قطع هذه الصلة بين العشائر والتعاليم الدينية، وبين العلماء وشيوخ العشائر لكي تبني شعورا غير ديني، وكان هذا هوالعامل الداخلي الوحيد الذى لم يصمد أمام المخططات البريطانية، وعرفت بريطانيا هذه الحقيقة قديما لذلك حددت بريطانيا أعداءها بدقة.[505]

ويقول فورستر: ان الرأي البريطاني هو:((ان كل تحريض معادي للبريطانيين يمكن العثور على اثر له في المدن المقدسة، كربلاء والنجف..))[506] الذين استقلوا في إدارة -شبه حكومية في مركز النجف-لا عثمانية ولا بريطانية[(*)]، منذ 1915[(**)] بعد أن انتفض

[(*)]ولكن ربما يمكن ان تعمم انه أول حادث سياسي في تأريخه، ولكن يجب أن نعرف أن هذه الحادثة ليست وطنية ولا قومية.. ولكن مجموعة من عوامل نادرة شبهت ذلك، وحاول الكاتب (حسن العلوي) اعطاء طابع عراقي أو عربية الى الحركات الشيعية خوفا من اتهامهم بالشعوبية والعجمية.. ولكن الأمر ليس كذلك، وأحسن دليل على ذلك ما جاء في نفس الكتاب وفي ص81: ((ان حركة الجهاد لم تكن مدافعة عن جغرافيا معينة أو دفاعا عن منطقة الشيعة، وان أحداً من العلماء لم يطالب بالقيادة، بل حرضوا المسلمين للأنضمام الى القوات العثمانية)) كذلك مجيء العون الكوردي والإيراني وعدم تعاون العرب مع الثورة دليل آخر يقوم هذ التصور.

[501] حسن العلوي .. المصدرالسابق ص76

[502] ويؤيد ذلك ايضاَ ما جاءفى:سروة أسعد صابر .. المصدرالسابق ص39

[503] ينظر:الحركة الوطنية .. المصدرالسابق ص175 \

[504] دور المثقفين. .. المصدرالسابق . ص33

[505] انظر: الحركة الوطنية. .. المصدرالسابق . ص123

[506] نشأة العراق الحديث .. المصدرالسابق .ص185

[(*)]ماكان شيئا من العثمانية باقية الا الإسم، والا كانت الإتحاد يحكم بمنطلق علماني، وجاء في مذكرات أن كل العثمانية كانت بيد أنور.

الجنود الهاربون ضد الوحدة العسكرية العثمانية هناك***، ولم تحتل بريطانيا هذه المناطق التي شملتها الإنتفاضة في كل من كربلاء والهندية والحلة[507].

وبدأت بعد هذه الفترة حرب الفتاوى ضد بريطانيا بعدم التعاون معها، وبث الكراهية ضدها الى درجة كان الأهالي يغسلون الأشياء التي يستعملها البريطانيون لتناول الطعام، وفرضوا بواسطة هذه الفتاوى شبه مقاطعة إقتصادية وادارية من قبل الإسلاميين، ويقول (د.وردي) هناك فتوى لرجال الدين بعدم الإختلاط مع الأنكليز ولا رد السلام، ولا يؤخذ منهم حضارة.. ولا قراءة جرائدهم وحتى الجلوس على كراسيهم حرام،[508] وكان هذا رداً على مبادرات العلمانية ورجال المصالح وبعض شيوخ او الرؤساء الذين برروا تعاونهم مع المحتل بالمبررات الحضارية والتعليمية أو الحياتية الضرورية.. وكان هناك رد مماثل لكل خطوة بريطانية لتنفيذ مشاريع سايكس-بيكو بإنشاء مؤسسات الدولة العراقية الحديثة بفتوى من قبل علماء الدين بتحريم ذلك، وعلى عكسه كانت العلمانية الوطنية تؤيد وتشارك دون أي مبالاة بالفتوى، وأخيراً صدرت فتوى بأن من يشترك في الحكم العراقي مرتد عن الإسلام.[509]وعلى أثر ذلك بدأ في بادرة فريدة بظهور تنظيم حزب سياسي إسلامي عريض بأسم (جمعية النهضة الإسلامية) في سنة 1918م التي لعبت دوراً مهماً في ثورة العشرين في ما بعد، وكان من أبرز أعضاء الجمعية العاملين: الشيخ محمد جواد الجزائري، والسيد محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد علي الدمشقي، وعباس الخليلي.[510] ودخلت المعارضة الإسلامية مرحلة اقرب الى المواجهة كما سنفصلها في الفصل القادم.

(**)ربما أنشأ هذا الكيان في النجف برضى البريطانيا على ما أعتقد، أو عبر اتفاق سري بينهما عن طريق طرف ثالث، لأن بريطانيا وصلت الى بغداد وأهملت احتلال نجف، لذلك المصلحة للجانبين يقتضي ذلك، كأنه هدنة بينهما الى حين، ودليل اخر نجدها عند قرأة التوصيات البريطانية، فقدورد في فقرة (7)من الوصية حول تصوراتهم للمنطقة، وذلك في برقية يوم 29-4-1917 تؤكد على عدم تدخل لشؤن ادارة الناشئة في الفرات الأوسط وألأماكن المقدسة –(موسوعة العراق السياسي ص93)ولا أملك دليل أزيد على ذلك، ولكن هناك نوع من العلاقة قديمة بين بعض رجال الدين الشيعة وادارة البريطانية في الهند عن طريق مقيمهم في بغداد لغرض نقل (أود)، وضح هذا في كتاب (الشيعة والدولة القومية) ص90: في ربع الأول من قرن (19) بدأت هذه المحاورة لغرض الأتفاق على كيفية توزيع موارد مالية قادمة من مسلمي الهند سنويا على علماء كربلاء ونجف وطلاب العلم، ولما لم يكن هناك طريق لأرسالها، لعدم وجود تحويل مصرفي آنذاك، ولكون الهند كانت مستعمرة بريطانية، فقد وجد الدبلوماسيون البريطانيون فرصتهم من خلال اشرافهم على توزيع هذه الموارد الى المؤسسة الدينية الشيعية، هذه الأموال مسمى (وقف أو خير- خير أود).

*** نتيجة لتصرفاتهم عقب تفتيش والبحث عن الهاربين، ودخلوا البيوت وفتشوا النساء، وردا لذلك استولى أهالي النجف على الحامية العسكرية العثمانية

[507] الشيعة والدولة القومية. .. المصدرالسابق . ص77

[508] دراسة في الطبيعة. .. المصدرالسابق . ص341-342

[509] حركة الوطنية. .. المصدرالسابق ص119

[510] المصدر نفسه.. ص24

الفصل الثاني

نشأة الدولة العراقية

تهيأت ظروف نشأة الدولة العراقية في أعقاب إنتصار الحلفاء وإحتلال العراق من قبل بريطانيا.

في هذه الأثناء برزت عدة نظريات من جانب المراكز البريطانية حول مصير العراق، وحجمه و تركيبة حكمه.. وكانوا يتداولون الآراء فيما بينهم دون استشارة بسكان العراق، ولم يكن دور الضباط والرؤساء والعلمانيين والشيوخ المتعاونين مع بريطانيا فى هذه العملية سوى دور-الدليل-، تجسيداً لنظريتهم تجاه الشعوب الأخرى بإعتبارهم سوبرمان، كما تعاملوا مع الهنود الحمر، الى ان اندلعت ثورتا: 1919- في كوردستان و1920 فى العراق ضد هذه الخطة، ولو ان الثورة لم تنجح، لكنها أدت الى إعادة الحسابات من قبل بريطانيا، ودخل العنصر العراقي في نظرياتها حول مصير العراق، وهذا التغير مهد الفرص أكثر لإشتراك العلمانيين في تكوين الدولة العراقيةعلى وفق دوائر سايكس-بيكو 1916م، وهي نفسها التى ستنجزفيها دولة يهودية في فلسطين على وفق وعد بلفور1917، لذلك كانت عملية تكوين الدولة العراقية في صلب الإستراتيجيات الإستعمارية وفق خطة مدروسة ومسبقة ضمن معاهدات ومقررات ذات اهداف ودوافع متعددة، وأخذت مراحل: من النظريةطريقها الى التنفيذ، ومن الإحتلال الى إنشاء إدارات مؤقتة، ومن الحكم المباشر الى غير المباشر، ومن الإنتداب الى المعاهدات والى الإستقلال الشكلي.

على هذ الأساس نقسم هذا الفصل الى (3) مباحث، في المبحث الأول نتناول الخطة المذكورة في المعاهدات والمقررات السرية والعلنية، وفكرة الدويلات والأغراض منها، وأهم العوامل المساعدة وغير المساعدة لتكوين دولة عراقية، وفى المبحث الثاني نتناول المعارضة الدينية والثورة المندلعة ضد هذه الخطة، وتركيبة وهوية هذه الثورة و آثارها. وفى المبحث الثالث نتناول تكوين مؤسسات الدولة من الحكومة والجيش والملك والدستور..

المبحث الأول: فكرة الدولة بين الإحتلال والمحتل

انتشرت فكرة الدولة الوطنية بداية في اوروبا، أما في العالم الإسلامي (لاسيما في العراق)كانت الفكرة غير معروفة، لذلك لم تكن مطلباً حتى من لدن العلمانيين، كل ما توقعوه أن بريطانيا وعدت العرب بتأسيس دولة –أو إمبراطورية- كبيرة من الفرات الى البحر الأبيض، ومن السويس الى الجزيرة، ولم يعرفوا بدقة مغزى قول الجنرال غورو (القائد الفرنسى)عند وقوفه على قبر صلاح الدين (- ها قد عدنا!)، وتفاصيل أخرى لخطة الإستعمار في المنطقة، لذلك بقى الضباط العراقيون (بعد اشتراكهم في جبهات الشام) متمركزين هناك مع فيصل، و لم يرجعوا الى العراق إلا بعد تبيان ملامح الخارطة الجديدة، والنوايا البريطانية في تكوين دويلات بما فيها الدولة العراقية... كما سيتضح في الفقرات التالية.

المطلب الاول: الدولة العراقية في المشروع البريطاني

في أواخر عصر التنوير تقلصت المسافات أمام العالم المتقدم، وازداد معه التفاعل والأثرالمتبادل، ويعتبر ذلك بدايات العولمة الصناعية والأقتصادية ومرحلة جديدة من الرأسمالية والتى بدورها تتطلب خارطة و نظاما عالميا جديدا لاسيما متطلبات السوق، وكانت الخلافة الإسلامية هى المعوق الأساسى أمام هذه الخارطة التى بني عليها النظام الرأسمالى الإستعمارى ، كما ذكرفى التصريحات والتقارير قبل وبعد انهيار الخلافة، فمثلاً تقرير وزيرالمستعمرات البريطاني (اوميسبى نغو) لرئيس حكومته بتأريخ 19 يناير 1938م جاء فيه : ((ان الحرب علمتنا ان الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذى ينبغى على الأمبراطوريه ان تحذره وتحاربه)). لذلك كرسوا جانباً مهماً من مخططاتهم في سبيل هدم هذه الخلافه واجتثاثها الى الأبد[511]، فقد اكد (لورانس) في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة ـ seven pillars of wisdom): ((ان الجانب البريطاني قد درس-هذه الخطة - بعناية بالغة، وقد خطط لها منذ قرن (18)، وكان لورد كنشر(1850-1916) من المتحمسين لشق الصف العثمانى بإشعال الثورة العربية ضده.. وكانت هذه الفئة ترى ان للبلاد العربية من القوة ما يمكنها من الوقوف بوجه الدوله العثمانية والإنفصال عنها))[512]، ومن ثم يسهل تقسيم العرب أيضا، ويضيف:((انهم كانوا ينوون اشعال نار الثورة في البصرة قبل الحجاز، عن طريق نفوذ طالب باشا، وإرسال(عزيز على المصرى- الضابط المشهور والمتقاعد في مصر) لقيادة هذه الثورة.. لكن الخطة تغيرت بسبب مطامح السلطه الهنديه-البريطانيه لضم ولايه البصرة اليها))[513]، بينما مكتب القاهره (البريطاني) يرغب بتكوين الحكومة المحلية واشعال الثورات فيها ضد العثمانية.[514]

وفى مذكرة طويله بعث بها (ولنسون) الى بريطانيا في 1853/6/13 بصدد امكانية تقسيم الدولة العثمانية، وحثها لإحتلال المنطقة الممتدة من نهر الزاب الأسفل الى نهاية البحر المتوسط مباشرة [515].

---

[511] الموسوعة الميسرة.... المصدر السابق -ص40

[512]

[513] الصحوة ... المصدر السابق ص274

[514] أحوال العراق فى مرحلةالمشروطية... المصدر السابق ص475-257

[515]-تغلغل... المصدر السابق ص62

أما من الجانب الداخلى فقد جاء إقرار أول تقسيم رسمي للخلافه في مؤتمرباريس (4-9)/2/ 1902، وكان المشاركون هم المعارضون للعثمانيه بما فيهم الأتحاد الترقى، وشجعوا فيه الأكراد والأرمن والعرب على الإستقلال والتقسيم[516]، وذلك بأنشاء الجمعيات القوميه (الفتاة) على غرار (تركيا الفتاة) كالعرب الفتاة وسورية الفتاة والجزائر الفتاة والكورد الفتاة.. الخ، وقد تعرضت بعض اجزاء المنطقه الى هذا التقسيم والأخر في طور التنفيذ لاسيما المنطقه العربيه، وأصبح الشرق بشكل عام مقسماً، بحيث أن الهند وبورما وجنوب افريقيا ومصر والسودان وقطاعات مبعثره في آسيا وافريقيا وقعت تحت أيدى بريطانيا، ولفرنسا الهند الصينيه والجزائرو مراكش وتونس ومدغشقروقسم من صحارى السودان، ومستعمرات أخرى مبعثرة هنا وهناك، ولألمانيا قطاعات في غربى افريقيا وجزر الباسفيك، ولأيطاليا طرابلس الغرب والصومال. ولبلجيكا بلاد الكونغو، ولهولندا جزائر الهند، ولروسيا القيصريه قطاعات في آسيا.[517]

ولكى لاتعود الخلافه بدأ الإستعمار بأنشاء الدويلات لكل قطر و أحياناً للمدينة، وأصبحت هذه الخطة سلاحا إستخدم بجانب السلاح النارى في الحرب العالمية ضد الدولة العثمانية،واحياناً بإسم حق تقرير المصير، وجرت محاولات سريه للتوصل الى صيغة تقسيم العالم الإسلامي، ففى سنه 1905 اجتمع في لندن مندوبون عن كل من: (بريطانيا، فرنسا، بلجيكا، هولندا، برتغال، ايطاليا، اسبانيا) وقرروا تجزئه منطقة البحر الأبيض المتوسط، وفصل افريقيا عن آسيا بإقامة كيان إسرائيل المصطنع فيها[518]، وفى سنة 1907 اتفقت روسيا وبريطانيا على هذا التقسيم، و بموجبه حصلت روسيا على ولايات تركية وكوردستان والثلث الشمالى من بلاد فارس، وحصلت فرنسا على منطقه الشام وولاية الموصل، اما حصة بريطانيا فهى منطقه تمتد من مصر الى بغداد والثلث الجنوبي من بلاد فارس، وفي 1915/3/18 عقدت إتفاقية سرية أخرى بين فرنسا وبريطانيا و روسيا، فيما يلى الجانب الذى يخص الدولة العثمانيه من هذه الإتفاقية:

أ- جعل قسطنطينيه (استانه) ميناءً حراً للحلفاء.

ب- موافقه روسيا على الإعتراف بحقوق بريطانيا وفرنسا الخاصة في آسيا العثمانية بعقد إتفاقية منفصلة.

ج- اقتطاع البلاد الإسلامية المقدسة من الدولة العثمانيه.. وعدد من البنود الأخرى[519].

وجرت إتفاقيات أخرى كإتفاقية القسطنطينية 1915، وإتفاقية لندن1915م[520]، والإتفاق الروسى الفرنسى في آذار 1915، ومعاهدة أخرى ل(سازانوف – بالبوخ) في 1916/4/26 التى حددت الحصص الفرنسية الروسية في آسيا، تمهيدًا لإتفاقية (سايكس- بيكو)، ومن أجل ذلك بدأ أول تبادل للرسائل بين (أدوار غراى – وزير الخارجيه البريطانى) والسفير الفرنسى في لندن يوم 1916/5/15 حول إيجاد حكومه عربيه [521].

إستمرت المشاورات والتعديلات عبر الرسائل المتبادلة في سبيل التوصل الى صيغه نهائيه للإتفاق، ووصل عددها الى (11) رسالة[522]، حينها توصلوا الى إتفاقية (سايكس- بيكو) 1916/5/16، بحضور (السير مارك سايكس) البريطاني والسير(جورج

---

[516]-موسوعة السفير... المصدر السابق ج18ص75

[517] قصة الأنسان... المصدر السابق ص205

[518] عبدالرزاق حسنى-تاريخ الوزارات ط7\1988م دارالشؤون الثقافة العامة-بغداد ج 2 ص249،

[519] موسوعه العراق السياسى- ... المصدر السابق ص20-21،

[520] العراق والحركه الكماليه... المصدر السابق ص12

[521] فورستر- نشأة العراق الحديث .. المصدر السابق - ص80، كذلك انظر(مقدمة الأتفاقية).

[522] الموسوعه السياسيه- ... المصدر السابق مادة: (اتفاقيه سايكس- بيكو)، ص22.

بيكو) الفرنسى، مكونة من(12) مادة، وقسمت العالم العربى (جزء آسيا) الى اكثر من(5) مناطق[523]، وهى تتمة للإتفاقيات الثلاثية بين (روسية- بريطانية- فرنسة).

تعتبرهذه الإتفاقية اكبر وثيقة تأريخيه وأعظم أثراً على المنطقة، وقسمت العرب شر تقسيم، وتمخضت عنها القضيتان الفلسطينية و الكوردستانية . ولم يكن هذا التقسيم على أى أساس تأريخي او جغرافي او وطني أو قومي.. الخ بل كان تقيسماًإستعمارياً وفق حروف a b c و الألوان (الحمراء، الزرقاء، والسمراء) بحيث أن مناطق (a) و(الحمراء) لبريطانيا، والمناطق المحددة ب(b، والزرقاء)* لفرنسا، والمنطقة السمراء- فلسطين- وضعت في حالة خاصة[524]، وجاءت في مادة(1) اشارة الى نشأة الدويلتين (سوريا) و(العراق)، بحيث أن الأخيرمحدد في المنطقه الحمراء الممتدة من بغداد الى البصرة وشرقي النجف، التى حددت في المادة (2).

ولم يكن هذا التقسيم الذى أحدثته اتفاقية سايكس- بيكو مفاجئاً وجديداً، بل أقيم بنيانه النظري منذ مدة، بتوجه الفرنسى نحو الشام، والبريطاني نحو العراق،اذ كانت بريطانيا تتعامل مع البلاد العربية من الجزيرة الى العراق كأنها تابعة لها [525]، وتعارض أى مشروع غير بريطاني فيهالاسيما في نهايه القرن(19).

اما سرية سايكس-بيكو(على ما أظن) ترجع الى خشيتهم من الحلفاء الذين لم يشاركوا فيها من أمثال أمريكا التى احتجت على المشروع أكثر من زعماء العرب والحركات التى سميت بالوطنية، وأرسلت لجنة بإسم(كينج –كراين) لغرض التحقيق فيها، عندها حاولت فرنسا وبريطانيا تخصيص أرمينيا للأنتداب الأمريكى، فرفضت امريكا ذلك، وطالبت بتنفيذ سياسة الباب المفتوح لهذه البلدان،او تحويلها الى ممتلكات عصبة الامم بعدتشكيلها، ولكن لا نجد معارضة جوهرية من قبل(الملك فيصل - ممثل العرب) للمشروع، وشارك في مؤتمر فرساى ثم سيفر الذى كرست فيه إتفاقية سايكس- بيكو وتقسيم العرب وتكوين الدويلات العربية بما فيها الدويلة العراقية التى خصصت لها المادة الثانية، وجاء فيها:((لإنكلترا في المنطقة الحمراء شقة العراق الساحليةمن بغداد حتى خليج فارس وانشاء ما ترغب فيه من شكل الحكم مباشرة او بالواسطة))[526]،تجسد هذه المادة الى مادة 94 من سيفر حول تكوين دولة العراقية ، وقد توالت توجيهات وتصريحات تؤكد على تجسيد هذه الخطة وتكوين الدولة لهم، ففى 1918/11/30 وصلت برقية من حكومة لندن ورد فيها:(يجب ان يعلم الجميع ان مؤتمر الصلح سيبت نهائيا في مستقبل البلاد العربية كلها، وان المطلوب من التصريح البريطاني- الفرنسى أن تساعد بريطانيا من جانبها على تأسيس الحكم المحلى في المناطق التى حررتها)[527]، و قد أكد التصريح البريطاني الفرنسى الصادر في 8/ 1918/11 بإلحاح لتكوين دولة عراقية، ومن ثم في مؤتمر فرساى 29/ 7/ 1919 تمكن(لويد جورج) من أقناع(كلمنصور-رئيس وزراء فرنسا) بإضافة ولاية الموصل الى حصة بريطانيا بسبب خزاناتها النفطية لقاء تعويضات قدرها 23% من مواردها الى فرنسا، كذلك تحويل فلسطين من إدارة دولية الى إدارة بريطانية، وقد رفعواسقف قراراتهم بتكوين الدولة العربية (ومن بينها العراق) الى مستوى عصبة الأمم التى تأسست في نيسان

---

[523] للمزيد من التفاصيل:انظر ملحق رقم(1و2) خريطه التقسيم ونص الأتفاقيه فى هذه الرسالة .

* أستخدم هذه الإشارات بسبب عدم وجود اسماء هذه البلدان بشكل الواضح.

[524] ينظر:خريطة سايكس-بيكو فى ملحق رقم -1-.

[525] تغلغل ... المصدر السابق ص79 .

[526] أنظر: مادة 2 فى نص الأتفاقية فى ملحق رقم -2- من البحث.

[527] دور المثقفين فى الثورة العشرين ... المصدر السابق ص48

1919م[528]،وقد قرر الدول الحلفاء تكوين دويلات العربية فى مؤتمر سيفر كالأتى : ،دولة اسرائيل وفق مادة (95)،سعودية وفق مادة(98-99)،مصروفق مادة(101)،سودان وفق مادة(113)،مغرب وتونس وفق مادة(118) ،ليبيا وفق مادة(121) ،وكوردستان وفق مادة(62-64)، سوريا وميزوبوتامياوفق مادة 94..[529]، وفى مؤتمر سان ريمو 1920 وافقت بريطانيا رسمياً على إنتدابها على العراق وأن تنشيء دولة مستقلة في العراق، وعزز ذلك بمقتضى الفقرة(4) من المادة (22) من الجزء الأول في عهد عصبة الأمم(بسبب اهميتها نص مادة 22 لعهدعصبة الامم مسجلة فى الهامش)[530].

هناك شبه إجماع بريطاني ودولى حول تكوين دويلات للعرب من بينها العراق[*]، ولكن اختلفت المراكز البريطانية حول شكل الدولة وحدودها، فكان مركز القاهرة (وهو مركز مخابراتى) يؤكد تكوين دولة مستقلة لهم كما صارت، أما الإدارة الهندية فكانت ترغب في الحاق (البصرة) بها لمدة طويلة،بينما كان القادة الميدانيون في العراق يرغبون في تكوين العراق ولكن تحت حكمهم المباشر الى مدة طويلة أيضاً، وفى النهاية ساعدت الأحداث الداخلية لاسيما الثورة الإسلامية عام 1920 وبعض المؤثرات

---

[528] صحوة... المصدر السابق ص436

[529] ينظر:نص الإتفاقية فى كتاب بلغة الكوردية(ريكةوتنامةى سيفةرو خويندنةوةيةكى تر- ل99-114

[530] ARTICLE 22: To those colonies and territories which as a consequence of the late war have ceased to be under the sovereignty of the States which formerly governed them and which are inhabited by peoples not yet able to stand by themselves under the strenuous conditions of the modern world, there should be applied the principle that the well-being and development of such peoples form a sacred trust of civilisation and that securities for the performance of this trust should be embodied in this Covenant.

The best method of giving practical effect to this principle is that the tutelage of such peoples should be entrusted to advanced nations who by reason of their resources, their experience or their geographical position can best undertake this responsibility, and who are willing to accept it, and that this tutelage should be exercised by them as Mandatories on behalf of the League.

The character of the mandate must differ according to the stage of the development of the people, the geographical situation of the territory, its economic conditions and other similar circumstances.

Certain communities formerly belonging to the Turkish Empire have reached a stage of development where their existence as independent nations can be provisionally recognized subject to the rendering of administrative advice and assistance by a Mandatory until such time as they are able to stand alone. The wishes of these communities must be a principal consideration in the selection of the Mandatory.

Other peoples, especially those of Central Africa, are at such a stage that the Mandatory must be responsible for the administration of the territory under conditions which will guarantee freedom of conscience and religion, subject only to the maintenance of public order and morals, the prohibition of abuses such as the slave trade, the arms traffic and the liquor traffic, and the prevention of the establishment of fortifications or military and naval bases and of military training of the natives for other than police purposes and the defence of territory, and will also secure equal opportunities for the trade and commerce of other Members of the League.

There are territories, such as South-West Africa and certain of the South Pacific Islands, which, owing to the sparseness of their population, or their small size, or their remoteness from the centres of civilisation, or their geographical contiguity to the territory of the Mandatory, and other circumstances, can be best administered under the laws of the Mandatory as integral portions of its territory, subject to the safeguards above mentioned in the interests of the indigenous population.

In every case of mandate, the Mandatory shall render to the Council an annual report in reference to the territory committed to its charge.

The degree of authority, control, or administration to be exercised by the Mandatory shall, if not previously agreed upon by the Members of the League, be explicitly defined in each case by the Council.

A permanent Commission shall be constituted to receive and examine the annual reports of the Mandatories and to advise the Council on all matters relating to the observance of the mandates.

[*] اننا نجد فى التقرير لجنة كنج –كراين العبارة التالية ((ان حكمة قيام بلد موحد لاتحتاج الى نقاش بنسبة الى قضية العراقية)) هكذا جميع الأطراف ترى حكمة فى نشوءهذه الويلات غنى عن النقاش (فورستر-ص149)

الأقليمية والدولية الأخرى على تغليب رأي القاهرة، وشرعت ببناء الدولة العراقية على أساسها[**]، ولو ان التصريح البريطاني الفرنسى بشأن تقرير المصيرلعام 1918 يؤكد على عدم فرض شكل الحكومة، لكن في الحقيقة فرضت عليهم بواسطة إنتخابات وإستفتاءات صورية، وكان أكثريتهم حتى المتعاونون مع بريطانيا الذين طلبوا من بريطانيا أن يأتى ويحتل العراق لم يعرفوا مستقبل المنطقة إلا من لدن بريطانيين، وربما صدق هذا الأعرابى مع نفسه عندما قال: من الإنكليز تعلمنا الدولة والإستقلال، ونقل د.على الوردي المحادثة التالية بهذا الصدد بين العراقيين ومسؤول بريطاني حول الأسئلة الثلاثة المعروفة فأجابه العراقيون بكل صراحة: ((نحن عشنا قبل هذا مئات السنين في وضع بعيد جدا عن الإستقلال ولكنكم جئتم إلينا أخيراً فأعطيتمونا وعودا بالإستقلال في وقت نحن لم نطلبه منكم ولم نكن نحلم به حتى جئتم فوضعتم الفكرة في رؤوسنا))[531].

وكان كل المدارس والآراء البريطانية المختلفة حول العراق ا لمقترح تجد مؤيدين لها في العراق، ومن ضمن هذه المقترحات حول شكل الدولة وحدودها وحاكمها هو: ولايه البصرة بوحدها، ولايتان، ثم الولايات الثلاث والحكم المباشر، و الحكم غير مباشر... الخ..وبرزت أسماءكل من: برس كوكس، الملك عبدالله، الملك فيصل... ملكاً على العراق.

هكذاشارك القوميون العرب الخطة البريطانية لتقسيم العالم الإسلامي والعربى وضياع فلسطين،..ولازال العرب يعانون من جرائها، وهى أكبر عائق أمام:

1- بعث الخلافة الإسلامية.
2- الوحدة العربية.
3- الحاق العرب بركب الحضارة.
4- انهاء محنة الكورد..
5-اصلاحات لشرق اوسط

وبالمقابل كانت سنداً قوياً ل: 1- العلمانية 2- كيان اسرائيل 3- مشروع الإستعمارفى المنطقة... وستبقى هذه الأزمات مادامت هذه الخريطة باقية، وبالتالى تكوين الدولة العراقية هو مشروع بريطاني –إستعمارى كماسيتبين أكثر في المطلب التالى.

[**] تجرى هذه الأمور والشعب العراقى فى نومه العميق، بأستثناء بعض العلماء الدين المعارضين، اما الفئه المثقفه والساسه فكانو معظمهم بأنتظار ولادة الأدارة بأى شكل لكى تقتطف من ثمارها، بينما الأكثريه العراقيون يكرهون الحكومه بشكل العام، لذلك يجب ان نكون دقيقين عندما نعطى أنجاز بناء الدولة العراقية الى الحركه الوطنيه اوبأرادة الشعب العراقى..ربما نخطىء.

[531] د.وردى-لمحات... المصدر السابق ج6ص308 بعد 80 سنة عادوا الى الطلب نفسه كما نقل السفير بول بريمر ذلك طلب من قبل أحد زعماء العراقيين بجعل العراق الولاية الثالثة والخمسين للولايات الأمريكية-عام قضية فى العراق ص73

المطلب الثاني: فكرة الدويلات وأهدافها

الدولة حاجة إنسانية لها وظائف ومهام، طالما كان الإنسان بوحده لايستطيع ادامة حياته ولايكفي مالديه من متطلبات إقتصادية وإجتماعية وسياسية، فإن كل إنسان بل كل مجموعة من المجموعات الإنسانية بحاجة الى إنشاء علاقات مع أفراد وجماعات أخرى لسد حاجاتها الإقتصادية والتكنيكية والإجتماعية والطبية أولا ثم السياسية والفكرية..، ويحتاج الى جهازأعلى لتنظيم هذه الأمور وحماية الأشياء والمصالح العامة - وكانت كلمة الجمهورية REPOBLIC - اللاتينية والذي إستخدمها أفلاطون- تعني الشيء العام[532].

العيش النموذجي للفرد يحتاج الى دولة حدودها العالم بأكمله، مادامت حاجات الفرد ومتطلباته تمتد الى حدود الكرة الأرضية براً وبحراً وجواً لاسيما في عصر العولمة ، هذا هو المعنى والمقصود من آية: (الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) عندهاتكون العلاقات القائمة بين منافع الأفراد والمنافع العامة كالعلاقة القائمة بين الأفراد الموجودين على متن السفينة*، وتتجلى تلك المسائل بوضوح أكثر في المواضيع والمنافع ذات الإهتمام المشترك، مثل: المحافظة على البيئة والتعاون على منع الكوارث ومنع انتشار الأوبئة والأمراض، بالإضافة الى تبادل الإنتاج والمحافظة على السلم والإستقرار وتنظيم الأوضاع الدولية ومن ثم بناء "القانون" الدولى العام.. الخ، وهذه المنافع العامة في أكثر الأحيان قد لا توافق مصلحة الفرد بل تصتدم معها، ويأتى دور الدولة لفض التصادم والتنظيم بينهما ، عندها تزداد وظيفة الدولة و تؤدي واجبات ووظائف عدة، كالحراسة والحفاظ على الأمن وتحقيق الرفاهية والعدالة، والتوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع، عندهاسيتبين أن الإنسان بحاجة الى دولة عالمية او تعاون دولي او مؤسسة أقوى من الأمم المتحدة، وكان الناس في العصور القديمة قد اكتفوا بعيشهم المتواضع وبالمواد الأساسية دون البحث عن كماليات الحيات والخوض فى المسؤليات العامة، لذلك اكتفوا بحكومة او إدارة محلية، وكان شكل الدولة في بداية حياة الناس عبارة عن مدينة وضواحيها، أما ظهور الإمبراطوريات فيها فلم تكن نتيجة لهذه الحاجات (بالأساس) بل كانت نتيجة نزعات امبراطورية**(تسلطية)، وهي من سلبيات الدولة، عندما تتجاوز حدود واجبها الطبيعي، بيد أن هذا الأمر لايعنى ان الدولة نفسها جهاز سلبى أو في كل الأحوال قمعي، كما ادعت المدرسة الماركسية وغيرها.

ولهذا فإن إقامة إمبراطوريات كبيرة كان سلبيا وخارجا عن مقاصد الدولة والحاجات الإنسانية انذاك، وفي الوقت نفسه نرى وجود السلطة الصغيرة في هذا العصر سلبيا وناقصا بسبب توسع حاجات الإنسان، و لذلك تطلق على هذا النوع من السلطات في هذا العصر بالدويلة، ووصفت (الموسوعة السياسية) الدويلة بأنها:((نتاج الخطة الإستعمارية "التي" نتجت من (إتفاقية سايكس - بيكو) والغرض منها التقسيم والسيطرة، وانها مصطنعة وهزيلة))[533]، وجاء وصف الدويلات من قبل الدوائر البريطانية ب(حكومات محلية)، كما انعكس ذلك في أقوال (لورنس) عند حديثه عن تكوين هذه الدويلات للعرب اذ قال: ((

---

[532] –الموسوعة العربية... المصدر السابق ج7 ص698

* يقصد هذه السفينة التي ضرب في مثل (الحديث النبوي الشريف)

** امبراطور:مصطلح روماني يعني قائد، يذكر ان أول عملية التوسع الأمبراطورى –الأستعمارى –انطلق من اليونان حسب الكتاب (التاريخ العالم... المصدر السابق ص51-)

[533]عبدالوهاب الكيالي ... المصدر السابق –ج2 ص736، مادة، دويلة

تشكيل حكومة محلية واعتبار اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد وتأسيس وحدات عسكرية منهم)[534]، ويلاحظ ان واجباتها كانت محدودة لاتصل الى مستوى واجبات الدولة الأعتيادية، كما يتبين من خلال تسميتها وذلك لصغر شأنها.
فكرة الدويلات من حيث الأصول فكرة علمانية وليست إسلامية، ترجع أصولها الى التجربة اليونانية القديمة، وكان ارسطو وافلاطون يقرران بأن تكون لكل مدينة دولتها، لذلك نرى مصطلحات (المدينة - الدولة – السياسة) متقاربة في الأدبيات اليونانية[535]، واعتبرت اليونانين (دولة المدينة) هي الدولة النموذجية،وقد تحدث أرسطو عن 158نموذج من الدولة المدينة التى تكونت منها اليونان [536]، وعند فحص ومطالعة كتب الرحالة أمثال (ابن بطوطة) و (ياقوت الحموى) و(بطليموس) يظهر ان هذه الحالة كانت سائدة، لذلك تذكر (المعاجم القديمة) المدن وسلاطينها وقلما تذكر البلدان، وللعلم هناك مصادر تقول اول تجربة(دويلات المدن)ترجع الى السومرية [4]، وهناك تقارير بأن الدولة المدن سائدة قبل طوفات[537] .

واكثرية الدول الأوروبية لم تنشأ نتيجة حاجيات الناس، بل بسبب الحروب، فقد تبلورت مسألة الحدود بين فرنسا وبريطانيا نتيجة حرب دامت بينهما (100) عام، وانتهت في عام 1453م، و ادت الى تكوين دولة بريطانية في عهد (هنري الثامن، 1509 - 1547)، وفرنسا في عهد (فرانسوا الاول عام 1516)، واسبانيا عام 1492 عندما استولت على غرناطة[538])، وقد ظهرت الدول الأوروبية الأخرى بعد حرب دامت (30) عاما، وتصالحوا في (وستفاليا عام 1648م)، ولكن مع وجود هذه الحروب والهزات في أوروبا ظهرت دويلات كثيرة، فمثلا في المانيا ظهر أكثر من 300 دويلة و1800 أمراء، ووصفت هذه الحالة من قبل (هيكل) بالكارثة[539]، أي أنها أصبحت الدويلةحالة غير اعتيادية، لذلك لم تستمر أوروبا على حالة الدويلات، وحددفيما بعد مبدأ تقرير المصير كميزان لحدود الدول، على أساس قومي ووطني، وأحياناً ديني وطائفي أو على أسس تاريخية وجغرافية طبيعية، نادرا ما تجد على اساس المصلحة المشتركة آنذاك، وهكذا استقرت الدول الأوروبية بهذه الطريقة، وانتهى بذلك عصر الامبراطوريات، والرابطة الدينية، وأصبحت الخريطة السياسية الجديدة لأوروبا احسن من ذي قبل، وأدى ذلك التحول الى تطور وإزدهار في القارة، بهذه التجارب الغنية رفعت الغرب حلولها للمسألة الشرقية[540*]، حيث نجحوا من قبل في انسلاخ بلدان مثل بلغاريا وصربيا ويونان من الدولة العثمانية، وتكوين دول مستقلة لهم، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، اجتمعت (32) دولة في معاهدة (فرساي) و أنشأت عصبة الامم - ولم يسمح المنتصرون بمشاركة الدول المهزومة - وقرروإعادة خريطة العالم، وفتحوها للدول الناشئة، وظهرت الدول القومية (الوطنية) في اوروبا كفنلندا وبولندا ويوغسلافيا وجيكوسلافيا وتركيا..ثم انشئت دول عربية [541]، كل ذلك تم بعد انتصارهم في الحرب وعبر المعاهدات والمؤتمرات السرية فيما بينهم.

---

[534] كوتلوف-... المصدر السابق ص211

[535] جمهورية افلاطون –... المصدر السابق ص56

[536] ول ديورانت-أبطال فى التاريخ –تعريب: سامى الكعكى ،دار الكتاب العربى –بيروت ص85 ،وص96

[537] طه باقر –مقدمة تاريخ الحضارات القديمة –دار الوراق للنشر2009 ، ط1 ص166.

[538] موسوعة الاديان العالمية ... المصدر السابق، جزء: المسيحية - ص141

[539] معجم الحروب –... المصدر السابق ص353 (وقد تحدث هيكل - عالم الماني معروف) عن نتائج وستفاليا في سنوات 1800-1802بحزن نتيجة لظهور هذه الدويلات.واستمر هذه الحالة لحد سنة 1871 عندها توحدت المانيا على يد بسمارك)

* كانت في اوروبا تطلق على مسألة الخلافة العثمانية وتحدياتها-المسالة الشرقية

[541] موسوعة السياسية ... المصدر السابق ج8ص159-163

تعود(فكرة بريطانيا) الجديدة حول دويلات في العالم الإسلامي [0]الى محاولات (كشنر) التي كانت ترمي الى الفصل بين الشعوب الإسلامية، لاسيما العربية والتركية[542]، وذلك بترويج فكرة انشاء دولة عربية الكبرى، ثم تحويلها الى فكرة دويلات وامارات صغيرة، وكان هو أول بريطاني يفاتح (الشريف بن حسين) في (1914/2/14) بواسطة ابنه (عبدالله) بهدف الثورة وتطبيق الفكرة المذكورة، وهو مسؤول عن تحريك العلمانيين في مصروالشام للغرض نفسه[543]، بموازاة تلك المحاولات لتقسيم العالم الإسلامي وانشاء الدويلات لهم ، جرت محاولات من قبل الأوروبيين لرص صفوفهم ،واول محاولة كانت في عهد (شارلمان) في حوالي 800م، وهو مؤسس دولة فرنسا، ووضع التاج على راسه من قبل الباباتكريما له[544]، وفي حوالي القرن (17) أنشيء في أوروبا مجلس أعلى أثناء الحرب المشهورة التى دامت(30) عاما ، وفي عام 1713م عقد مؤتمر (ترخت) لتشكيل اتحاد أوروبي، وتوالت هذه الدعوات التوحيدية من قبل علمائهم، حيث طالب (عما نوئيل كانت) في عام (1725)م بتشكيل عصبة شبيهة بعصبة الأمم التي تم تشكيلها في القرن العشرين،[545] وهكذا استمرت المحاولات والمؤتمرات حتى كانت النتيجة تشكيل الإتحاد الاوروبي.

أما فى جهة الشرق والعالم الإسلامي فكانوا يحاولون تقسيمه الى دويلات ضعيفة وهزيلة، شبيه بألمانيا بعد وستقاليا 1648 م، ففي أواخر القرن 19 انشئت امارات ومشيخات في الخليج أمثال مسقط وعمان وقطر وبحرين والساحل المهادن ومحميات عدن بمساعدة بريطانيا[546]، هذه التجارب وتجاربهم في اوروبا من (الوحدة والتجزئة) ومن تكوين دول ودويلات، وتجارب دول القوميات.. كل ذلك أعطى معالم في الطريق الى تقسيم العالمي الإسلامي والعربي، ولم يكن التقسيم على أساس قومي أو وطني أو جغرافي أو تاريخي، بل كان على أساس دويلات مصطنعة، ولم يقفوا عند حد تقسيمات ومقاصد اخرى بل زادوها أكثر، ففي الوقت الذي قسم الشام بموجب (سايكس - بيكو) الى اربعة اجزاء[*]* قامت فرنسا بتقسيمه الى سبعة دويلات وهي: 1.جبال لبنان، 2.دولة العلويين، 3.دولة انطاكية في شمال سورية.4. دولة جبل دروز.5. دولة سورية.6. فلسطين.7. امارة شرقي الأردن.[547]

ولكن أعادوا فيما بعد تقسيمها الى 4 دويلات معروفة، وهكذا تم إنشاء دويلات العراق وسوريا والأردن والكويت وقطر.. وفق خطتهم، وتتضح هذه الخطة وأهدافها من خلال قراءة سليمة لعملية انشاء الدولة التركية الحديثة بموجب الشروط الغربية[*]* التي جاءت في مادة(12) من مباديء 14لولسن الصادرفى8-1-1918 ، وتجسدت فى مؤتمر لوزان 1923م، ويتبين لنا أنه

---

[542] لورانس –اعمدة الكم السبعة ط1،بيروت 1963 مقدمة:قاعدة الثورة .

[543] ينظر : 1-حركة الاستقلال ... المصدر السابق ص137 2- لورانس –اعمدة الكم السبعة ط1،بيروت 1963 ص20-

[544]ينظر:أ- العلاقات السياسية الدولية ... المصدر السابق ص10ب- جمهورية افلاطون، مقدمة.

[545] العلاقات.... المصدر نفسه -ص12-15

[546] القانون الدولي العام ... المصدر السابق ص257

[*] 1- جزء Aسوريا الحالية 2.جزء الزرقاء وتشمل لبنان والجزء الشرقي من تركيا وكردستان الشمالية 3.جزء الحمراء وتشمل قسم من فلسطين 4.جزء B الشرقي الاردن.انظرالخريطة سايكس –بيكو من ملحق رقم-2-.

[547] تاريخ امة العربية ... المصدر السابق ص510-516(ملاحظة: كانت اردن وفلسطين ليستا تابعة لفرنسا ولكن نقصد عمليات التقسيم)

[*] *الشروط هي: 1.ان تقطع تركيا الجديدة صلتها بالاسلام.2.ان تلغي الخلافة.3.تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها انصار الخلافة.4.ان تختار تركيا دستورا مدنيا بدلا من دستور العثماني –(صحوة ... المصدر السابق ص268)وأنظر ايضا نص المبادىء 14 لويلسون فى كتاب (التاريخ العالم ... المصدر السابق ص409)

لم يكن في نية الغرب تدمير دولة تركيا بل تحويلها من الخلافة العثمانية الكبيرة الى دولة قومية تركية صغيرة، وإلا كانوا قد سيطروا بعد الحرب العالمية الأولى على عاصمتها، فقد جاء في كتاب (الدولة العلية العثمانية): ((كان الغرب بعامة والانكليز بخاصة يفضلون وجود دولة تركية ضعيفة** الأطراف، بعيدة الفكر والمبدأ عن البلاد العربية المجاورة كما وتصبح سدامنيعا امام روس))، وجاء من لدن (شيخ الإسلام صبري افندي) قوله*** ان اتاتورك كان مكلفا من قبل بريطانيا بإلغاء الخلافة[548] وتطبيق العلمانية، .. وهكذا كان التقسيم وتكوين الدويلات والعلمنة في صلب الخطة الإستعمارية، وقد فرضوا هذين الشرطين اما بقيامهم في البلدان التي كانت تحت ايديهم كالبلدان العربية، او من خلال المعاهدات (مثل تركيا)، وقدلقيت هذه الخطة مساندة من قبل الطبقة العلمانية في العالم الإسلامي، كما تبين لنا في مسألة نشأة وتطور العلمانية في تركيا وماجرى من صراعاتهم ووصولهم الى تركيا الحديثة، ويعتبر الغرب هو صاحب فكرة تكوين الدويلات، اما العلمانيون العرب فكانوا قد كرسوا هذه الفكرة من خلال التنظير لهابخلاف مفهوم دار الإسلام، وابتدعوا الأساس الفكري والتاريخي والجغرافي للاقليمية والدويلات فيها، فمثلا: في لبنان دعوا الى إحياء أمجاد الفينيقية، وفي سوريا دعوا للأموية، وفي مصرللفرعونية، وفى العراق العباسية والبابلية.

وأحياناً اخرى تناولوا موضوع هوية (سوريا، لبنان، مصر) ونسبوهم الى أصول غير إسلامية، وبدأت تروج الأفكار الاقليمية او حتى (كوروية *)، و تدعولإشغال كل ببلده وشؤونه الخاصة، وأول من إعتزل بنفسه ونشد لقضيته الأقليمية هم المصريون[549]، وأحياناً اخرى تستغل قضية مفتعلة من أجل ذلك، كما وقع ذلك في الحرب الطائفية التي حدثت بين الدروز والنصارى عام(1860)م، وأدى ذلك الى تدخل الغرب وجعل لبنان منفصلة عن بلاد الشام وتمتعها بنوع من الحكم الذاتي الخاص بالمسيحيين في عام 1864م[550]، ولم يقتصر الغرب في هذه الناحية على اصدار القرارات حسب، بل بدأ بتكوين المؤسسات لهم وبذل جهوداً وصرف اموالاً لإعداد الطبقة الحاكمة من العرب، و بذل أيضًا جهوداً كبيرة على الصعيد الخارجى لكي تتم شروط الدولة العصرية تمهيداً لإدخالها الى عصبة الأمم، و من الملاحظ ان العصبة المذكورة قبلت عضوية تلك الدويلات دون شروط تذكر، في حين نرى انها رفضت في عام (1930)م قبول عضوية (ليخنشتاين)**، بحجة صغرالمساحة وقلة عدد سكانها،[551] رغم ان لخنشتاين تتمتع بالسيادة الكاملة منذ 1866م[552] على عكس الدويلات العربية، وقد ساعدت عدة أطراف دولية في إنجاح فكرة

** مايؤيد هذا الرأى هو(مبدأالعاشر حول تركيا)من المبادىءالأربعة عشرة لولسون (ينظر:تاريخ العالم ص409).

*** *وهو احد مشايخ الإسلام في الدولة العثمانية.

[548] انظر أ-:د.محمدالصلابى... المصدر السابق ص765، ب- تاريخ دولة العثمانية ... المصدر السابق ص752 ج-عبدالقدير زلوم –كيف هدمت الخلافة ... المصدر السابق ص119-

[549] د عبدالله فياض ... المصدر السابق ص(79-94) و ص102

*مصطلح جغرافى إستخدمه السابقون من أمثال ياقوتالحموى وإبن البطوطة وغيرهما، ويقصدمنه أكبر من ديرة واقل منالمملكة.

[550] حركة الاستقلال ... المصدر السابق ص41

** تقع لخنشتاين في جبال الالب بين سويسرا غربا ونمسا شرقا، تعدادسكانها لازالت لاتتجاوز 40000نسمة، لغتهم المانية، ومساحته 62ميل مربع، عاصمته (فادوز) نمط حكمه ملكي دستورى، صار هذا البلد ذا سيادة منذ عام 1866م، حاليا عضوا في هيئة الامم المتحدة:(موسوعة البلدان العالم ... المصدر السابق ص279 البلد: لخنشتاين).

[551]علاقات السياسية الدولية... المصدر السابق ص57

[552] موسوعة البلدان العالم ... المصدر السابق ص279

الدويلات وتطبيقهافي العالم العربي والإسلامي، وان التناقضات الدولية المتوسطة والحادة لم تكن مانعة أمام التعاون فيما بينها في سبيل تحقيق تلك الفكرة، وكان ابعدها البلشفية*[**] في روسيا، واقربها المنظمات اليهودية التي شاركت في هذه الخطة منذ بدايات المؤامرة على الخلافة، وقد دخلت فيها أكثر فأكثر بعد انقلاب (1908-1909)*[***] م، وقدجاء تصميم وترسيم وظائف هذه الدويلات في بروتوكول (رقم5 -و رقم10) من بروتوكولات حكماء صهيون[553]، وتستقرأ كذلك في البروتوكولات المذكورة آثار اليهود بشكل واضح في كل من:الحرب العالمية الاولى وإتفاقية سايكس - بيكو، وترويج العلمانية وإنشاء الدويلات في العالم الإسلامي، بالإضافة الى وعد بلفور، وقد ساهم يهود العراق بدورهم بالنفس و المال للأمر نفسه عبر المنظمات المحلية، فقد شكلت جمعية أدبية عبرية بقيادة (شلمو رويين حيا) في العراق في ظل الإحتلال البريطاني،[554] وكانوا يلعبون ادوارا عدة في آن واحد، حيث ساهموا في تكوين الدويلات مثل (العراق والأردن... الخ) وفي الوقت نفسه ساعدوا على الإستيطان اليهودي في فلسطين بشراء الأراضي من العرب. وهكذا شاركت في هذه الخطة أطراف عديدة وأحياناً متناقضة.. فما هو السر في ذلك ؟ وما الغرض منها ؟ هل كان ذلك كله كارثة و مؤامرة أم هو الثواب و المساعدة ؟

لكى يدرك أي باحث أسرار وألغاز هذه العملية المعقدة، وليقف قليلا ويتأمل في المشهد التالى: يآتي الإستعمار ويقطع آلاف الأميال ويخوض حروباً شرسةً، ويخسر زهاء 10000 قتيل وجريح فقط في العراق، اضافة الى تكاليف باهظة تقدر سنويا (35) مليون جنيه استرليني(فقط في العراق ايضاً)[555] ، مع ذلك يأتى ويكوَّن دولة(او دويلة) ويأخذ الشروط القانونية في عصبة الأمم ويهديها اليك جاهزةً لتحكم ؟!.حقا هذا شيء مدهش.. لابد ان تكون من وراء ذلك أموراً أخرى وأسرار ومخططات أو(لغم) كبير حسب وصف (البروتوكول العاشر) من بروتوكولات حكماء الصهيون، تأتى اساس لدراسة والبحث عن المكامن وخفايا الإتفاقيات المعقودة من كلمة القاها (ياسين هاشمى)فى 1930/3/13بمناسبة تقديم إستقالة حكومة توفيق السويدى ،حيث قال:((ان صلاتنا ببريطانيا-ليست مبنية على المعاهدة المكتوبةفقط،وانماتوجد مواد لم تكتب أيضاً،ويجب على العراق أن تعترف بها،وعنذلك علمناانا مخدوعون ببيان رسمى وتصريح مندوب السامى))[556] ، ومنذ ذلك الحين يدور الجدل حول ما إذاكان مشروع الغرب للقومية وانشاء الدويلات مكافأة أم محاسبة ؟ هل كان ذلك مكافأة للذين تعاونوا مع الإحتلال والإستعمار، ومحاسبة للذين قاوموا ؟أم هومحاسبة للجميع؟ ويبدو لى إنها محاسبة للكل، كما سيتبين لاحقاً، ويظهر ذلك أيضاً من خلال تجارب أوروبية ولاسيما ألمانية بعد وستفاليا، وكذلك في إقتراح فرنسي عندما خشي من مستقبل ألمانيا المتعاظم مرة ثانية بعد الحرب العالمية الأولى واقترح تقسيمها الى ولايات ودويلات مستقلة(كي لاينهض) كما كان شأنها قبل عام (1871 م)[557] ،وهذا

---

*[*] باللغة الروسية تعنى الأكثرية، وهى اسم أختاره لينين لجناحه الخاص مقابل المنشفية يعنى الأقلية ضمن أنشقاقات الشيوعية. بعد انشاء هذه الدوليات، أعلن دويلة اسرائيل عام (1948) واعترف اتحاد سوفيتى بها، وكان خطوة تأسيس حزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) هي تكريس واعتراف قانوني وفكري وسياسى والثقافي بواقع الدويلات.

[***]* وان رئيس الوفد الذي ابلغ السلطان عبد الحميد يخلعه من العرش، كان يهوديا (اسمه مزراحى قره صو) وهو شارك الوفد الذي زار عبد الحميد لغرض شراء فلسطين، ورفض عبد الحميد(أنظر: صحوة ... المصدر السابق ص214

[553] انظر نص البروتوكولات في كتاب (فلسطين في رسائل عبدالناصر وكندي – ص35-100، مجموع البروتوكولات = 25

[554] د.براك- المدارس الهيودية والايرانية ... المصدر السابق ص54

[555] كوتلوف... المصدر السابق ص177

[556] العراق فى ظل المعاهدات - المصدر السابق ج2ص222

[557] علاقات السياسية الدولية ... المصدر السابق ص 38.(اى قبل توحيدها من قبل بسمارك –موسوعة البلدان –المادة:المانيا)

دليل على ان الهدف من المشروع هو المحاسبة، وفي مناقشة برلمانية بريطانية دعا عدد من المعارضين بأن تكف بريطانيا عن النفاق واظهارنفسها كمحررة ومدافعة عن حقوق الأنسان، بينما هي محتلة وغازية، وأضافوا بأن امبراطوريتنا لم تؤسس على المبادىء الإنسانية[558] وطالبوا بإظهار حقائق ودوافع وأغراض مضمومة في المعاهدات والمؤتمرات السرية، يبدو أن المعارضين كانوا حائرين أيضاً بين النية السيئة والحسنة، والمنكر والمعروف، والمحاسبة والمكافأة من هذه الخطوات في العالم العربي، بينما تجاهل كثير من الباحثين العرب السؤال المذكور، والحق أنّ هؤلاء الباحثين يقرون بأن (الحدود) بين الدول العربية هى من صنع الإستعمار، كذلك يصفون إتفاقية (سايكس - بيكو) ومابني عليها بمؤامرة إستعمارية، ولكن عندما يأتون على بحث الدول التي أنشئت بموجبها لايخوضون في تفاصيلها إلا خوضاً غامضاً، فالإستعمار منذ البداية يهدف الى هذا التقسيم والتقزيم، لقد خططت وقررت الدول الكبرى بالتحديد في مؤتمر لندن عام 1905م تجزئة بلدان شرقي بحر الأبيض المتوسط، وإنشاءالدويلات فيها، وفصل افريقيا عن آسيا بواسطة زرع كيان اسرائيلي بينهما، وقد شكلت لجنة من أخصائيين فرنسيين وبريطانيين منذ عام 1907م[559] لدراسة هذه القضية.

ومن بين الباحثين العرب الذين توقفوا قليلاً عند السؤال المذكور وتحدثوا عن جانب من هذه الأمور هو (عبد الرزاق الحسني) وحدد أهداف تكوين الدويلات في النقاط التالية: 1-لغرض التجزئة2- والتخلف[560] ، ولكن مثله كمثل الباحثين الأخرين لم يتطرق بشكل صريح الى نتائج هذه المخططات وما تمخضت عنه من الدويلات مثل الكويت والعراق وسوريا والأردن، ولايذكرون بعبارة صريحة بأن هذه الدويلات من نتاج مشاريع إستعمارية، وقضايا ستراتيجية مختلفة، من بينها إنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالعثمانية، وتقسيم وسلب خيراتها وتثبيت وعد (بلفور)، واليكم تفاصيل ما أريد من هذه المخططات الاستعمارية :

1. أول هدف أساسي هو تقسيم العالم الإسلامي وإنهاء الخلافة دون عودة، وهوكان من صلب الأستراتيجيات الإستعمارية، هدف التقسيم عريق تمتد جذوره الى الإستعمار الأول في (اليونان القديمة)* ضد الشرق، وكانت الوحدة الإسلامية عائقا أساسياً أمام كل المخططات الغربية، كما قال (لورانس - صديق العرب) في تقرير بعنوان (سياسة مكة -1916) حينما علق على حكمة وأغراض الثورة العربية وموضوع تقسيم العرب وقال: ((لكى يبقون منقسمين على دويلات تغارمن بعضها البعض ولايمكنها ان تتحد))[561]، أما تقرير وزير المستعمرات الى رئيس الحكومة بتاريخ 9يناير(1938) وجاء فيه بأن الوحدة الإسلامية هي اعظم العقد أمامنا[562]، وقد اجمعوا على تفكيك مرجعية العالم الإسلامي (المتمثلة بالخلافة العثمانية آنذاك) وإستبدالها بمرجعية دولية مثل عصبة الأمم عن طريق الدويلات الناشئة في العالم الإسلامي، كما جاء ذلك من برقية حكومة بريطانيا في

---

558 مشكلة الموصل ... المصدر السابق ص261.

559 الثورة وقضايا العربية ... المصدر السابق ص28.

560 تاريخ الوزارات... المصدر السابق ج2 ص249.

* نجد هذه الجذور فى الفكر اليونانى، حيث كانوا تصنفون الصراع الأوربى-الأسيوى بصراع الحضر(الهلينية) مع البربر، وذلك من لدن هيرودوتس (تاريخ العالم .. المصدرالسابقص58).

561 ملك فيصل الاول ... المصدر السابق ص18 (مأخوذ من وثائق وزارة الخارجية البريطانية رقم 461/414– f0371

562 الموسوعة الميسرةفي الاديان والمذاهب المعاصرة ... المصدر السابق ص40

(1918/12/30) الى موظفيها في العراق[563] كذلك نجد تصميم هذه الفكرة في بروتوكولات حكماء صهيون رقم (10)أيضاً، وهي شكل آخرمن سياسة فرق تسد الإستعمارية*[*].

2. الهدف الثانى من تكوين الدويلات هو فصل العرب عن الإسلام والمسلمين، ثم فصل العرب فيما بينهم، كي يتفق العرب على أن لايتفقوا*[*]،جاء فى مذكرات لورانس ان بعث فكرة القومية العربية قدجاءت فى صميم معاهدة سايكس بيكو[564] ، وجاء في تقرير سري عام (1907)م من رئيس الوزراء البريطاني: ((فان وحدة العرب خطر على مصير العالم، لأنهم يوحدون بالإسلام، ومتى إتحدوا إتحد الإسلام، لذلك يجب: أ- أن تزرع كياناً في قلبهم لكي لايتوحدوا.ب- ابعادهم عن مقومات الوحدة (وهي الدين)))[565]، هكذا عمل الإستعمار على التخلص من مشكلة الوحدة الإسلامية (المتمثلة بالجامعة الإسلامية - آنذاك) وبادروا بفرض شروط لعدم الخوض في الوحدة العربية أيضاً، كما تبين ذلك من خلال شروط إستقلال (لبنان)، المشهورة بإتفاقية (خورى - صلح)[***]، كذلك عندما اعتلى فيصل عرش العراق عام (1921)م قيد بالشروط نفسها [566]، وكان الغرب حساساً تجاه أية محاولة قد تؤدي الى الوحدة، وحاولوا إزالة رموز الوحدة حتى من حلفائها، مثل (الشريف حسين بن علي) الذي كان دوما يتحدث عن ملكيته على العرب، وانبثقت حركة منه بإسم (حزب الجزيرة عام 1920) الوحدوية[567]، لذلك نفي المذكور الى قبرص بعد ان هجم عليه من قبل آل سعود بتوجيه من بريطانيا .

وان تقسيم العرب وانشغالهم بالدويلات سهل تمرير معظم المشاريع الإستعمارية والصهيونية في العالم العربى بسهولة.

3. في سبيل اضعاف العالم الإسلامي والعربى والتقليل من قدرة تطورهم، كي يبقوا بصورة ضعيفة وذليلة محتاجين دوماً الى عون الآخرين، كما جاء في رأى (لورنس) الذي نشره في (تايمس) يوم (1920/7/23) وقال: ((انني واثق بأن تحقيق حكومة محلية (دويلة) للعرب ستضمن اخلاصهم لنا، كأي عضو آخر في الإمبراطورية، مع اننا لاننظر اليهم بقدر سنت واحد من الأهمية))[568]، وبدوره يؤدي ذلك الى عدم التمكن من بناء دولة راقية ومستقلة، وبالتالي تكون السيطرة عليهم سهلة في جميع النواحي العسكرية والسياسية والإقتصادية والثقافية..، ويروي (شيخ الإسلام صبري أفندي في كتابه: موقف العقل والعلم

---

[563] دور المثقفين ... المصدر السابق ص48

[*] جذور هذه الفكرة (فكرة فرق تسد) تعود الى مقاصد ماتنطوي عليه فكرة مؤسس اليونان (اسكندر المقدوني - جمهورية افلاطون – مقدمة... المصدر السابق ص5).و عندما احتل بلاد فارس و فاتح معلمه (أرسطو) بسؤال عن مصير الممالك التي وقع في ايده وضمان استمرارية هذا النصر، فاجابه: قسم واحكم. ينظر نصوص تبادل هذه الرسائل فى: ابن مسكوية- تجارب الأمم ج1 ص23)

[**] شاعت المقولة –اتفق العرب أن لايتفقوا –ونسبوه الى جمال عبد الناصر، بينما فى الأصل تعود الى جمال الدين الأفغانى عندما قال اتفقنا على أن لانتفق.

[564] لورانس –اعمدة الكم السبعة ط1،بيروت 1963 ص91 .

[565] فكرالاشتراكي لحزب البعث ... المصدر السابق ص139

[***] والشروط هى: أن لايطالبون المسلمون اللبنانين بأية شكل من الأشكال الوحدة العربية أو الأسلامية أو حتى الوحدة اقليمية مع سوريا مثلا.

[566] فورستر... المصدر السابق ص156

[567] حنا بطاطو –العراق... المصدر السابق ج2 ص388

[568] كوتلوف ... المصدر السابق ص211

والعالم من رب العالمين): ((كلف مصطفى كمال من قبل بريطانيا بإلغاء الخلافة وتكوين دولة صغيرة (هزيلة) لاإسلامية (علمانية) لذلك رفض المذكور الإشتراك في المؤتمر الإسلامي عام (1931)م في القدس بحجة ان تركيا الحديثة دولة غير إسلامية))[569].

5- وهدف آخرمن هذه الأهداف هو تثبيت (وعد بلفور-1917م) هذا الوعد الذي لم يكن بأقل أهمية من إتفاقية (سايكس - بيكو) نفسها، فهو ثمرة جهود تاريخية ويعتبر اللبنة الأولى في سبيل تحقيق المخططات الإستعمارية الصهيونية المشتركة لتقسيم العالم العربي –والكوردي أيضا -وفكرة تكوين الدويلات،وللتذكير فإن بدائيات العلاقة البريطانية الإستعمارية والمشروع الإسرائيلى تعود الى عهد بنجامين ديزرائيلي الذى تولى رئاسة وزراء بريطانيا فى 29 فبراير 1868 لأول مرة، وكان شديد الحماس لمد الامبراطورية البريطانية إلى الشرق الأوسط ، وبدون موافقة البرلمان حصل على قرض من ليونل دي روتشيلد لكي يشتري 44% من أسهم شركة قناة السويس...، واصبحت العلاقة المذكورة راقية، وضمن محاولات(ارض بلا شعب لشعب بلا ارض) قدمت المشروع الى مؤتمر لندن لعام 1840 ووصل الى يد بارمستون،المشروع(ارض قديم لشعب القديم) ابتدعته (لؤردشافينزى)لاول مرة فى اواسط قرن 19 [570]، وقد شرحنا جانباً من فوائد وجود اسرائيل في فلسطين للإستعمار واضرارها للعرب والمسلمين في الفقرات السابقة، وكانت مخططاتها تنطلق من هذه الاستراتيجية بما فيها مشروع الدويلات التى بدورها تضمن لأسرائيل: أ- تأصيل هذا الكيان الغريب في المنطقة. ب- تطبيع وجوده ككيان مصطنع مع دويلات مصطنعة اخرى. ج- تحويل هذه القضية فيما بعد من قضية إسلامية الى قضية عربية ثم الى قضية قطرية (إقليمية) تحصر بين اليهود وعرب فلسطين. د- صنع دويلات بجوار اسرائيل لتسهيل تحديد حدودها الدولية،لذلك نجد ان امر تكوين الدويلات العربية والاسرائيلية جاء تحت فصل مشترك(فصل السابع من اتفاقية السيفر) حيث خصت المادة(94) للعراق والمادة(95) لإسرائيل[571] .

وأخيراً هذه الدويلات ستصبح سدا منيعا ضد أية محاولة (جهادية - للأمة الإسلامية) وأحياناً اخرى تكون هذه الدويلات حارسة للحدود الاسرائيلية*، وجاء في (الموسوعة السياسية):((ان شرق الأردن لم يكن كياناً وفقا لمشروع التقسيم، إلا أن (تشرتشل) عقد صفقة مع الأمير (عبدالله بن الحسين) بواسطة لورنس، ليشمل المشروع إقامة إمارة له في شرق الاردن، مع إعانة مالية سنوية من بريطانيا مقابل تعهد (عبدالله إبن شريف مكة) بقبول السياسة البريطانية في فلسطين))[572]، وقد جرت إتفاقية اخرى أخطر منها عند إنشاء دويلتى (العراق وسورية) بين الملك فيصل ووايزمان - الممثل السياسي المعروف ليهود العالم بحضور لورنس وذلك في لندن يوم(1919/1/13)، والمثير في هذه الإتفاقية هو السماح لوايزمان بالتحدث بأسم فلسطين والملك فيصل بأسم العرب، وكانت الإتفاقية تتضمن تسع مواد، وجاء في المادة_الثالثة: عند تأسيس الدستور والادارة في فلسطين يجب اتخاذ كل الاجراءات اللازمة لضمان التطبيق التام لبيان

---

569 تاريخ الدولة العثمانية ... المصدر السابق ص752

570 د عبدالوهاب المسيرى –فى الخطاب والمصطلح الصهيونى ص24 ص29

571 المادة لم يشر الى دولة اسرائيل بصراحة لكن اشار الى تنشيط وعد بالفور الصادر فى 2/ 11/ 1917 .

* هناك روايات متطابقة في بلاد كوردستان تفيد، بأنهم ذهبوا الى جهاد في فلسطين بينما تعرضوا الى الآعتقال من قبل تلك الدول العربية المحيطه بالآسرائيل.

572عبدالوهاب كيالى - طبعة الثانية بيروت 1993، ج 3 ص453

الحكومة البريطانية في (12 تشرين الثاني 1917) (أي وعد بلفور) [573]، وهكذا فأن هذه الدويلات خدمت وبررت وعد بلفور ومن ثم تنفيذها بتكوين كيان بإسم اسرائيل التى عاشت بأمن مع بقاء الدويلات، لذلك من حق إسرائيل ان تكره الوحدة، والرابطة الإسلامية أو حتى الأخلاق الراسخة في صفوف أعدائها، بذلك تكون العلمانية والدويلات والخريطة السياسية الراهنة لشرق الأوسط ضمانة لإستمرار هذا الكيان كما قال (ناحوم جولدمان) رئيس الرابطة اليهودية العالمية في مؤتمر لليهود بباريس عام(1968) بهذا الصدد: ((اذا اردنا لأسرائيل البقاء والإستقرار في الشرق الأوسط، علينا أن نقسم الشعوب المحيطة بها وذلك بتشجيع قيام مزيد من الدويلات القومية والطائفية والعرقية والوطنية))[574]، وقال (أبا أيبان) وزير خارجية إسرائيل في جامعة (برنستون الأمريكية):((إن الصحوة الإسلاميه هى الخطر الحقيقى على الإسرائيل، لذا من أوجب الواجبات ان نبقى العرب على عقيدة راسخة بنسبهم القومى لا الإسلامي))، وكانوا يعتقدون ان هذه الدويلات تضمن لهم جانباً آخرمن التحديات وهى عدم قيام حركات شعبية ضد الإحتلال، فقد منعت من قبل هذه الدول (سوريا، لبنان، الأردن ومصر) المقاومة الجهادية، ومثال على ذلك ان المجاهدين الكورد يذكرون انهم لما سمعوا بإحتلال القدس، مشوا على الأقدام من كردستان الى الجولان للمقاومة ومن هناك تعرضوا للأعتقال وتم إرجاعهم الى حيث اتوا، وهناك اسرار خطيرة على تعاون حكام العرب مع اسرائيل ، يقال ان ملك حسين سافر الى اسرائيل بوحدها واجتمع مع جولدمائير واوصله كل اسرار حرب (ايام الستة- 1973)قبل وقوعه[575]،واسرار اخرى.. واذا نظرنا الى حرب عام(1948) التي وقعت بين الدول العربية واسرائيل[576] يتبين كل ذلك بكل وضوح،واكثر وضوحاً من كل مانشاهده اليوم كيف فرضت الحصار على غزة من قبل اسرائيل بالتعاون مع انظمة العربية .

5- وهدف اخرمن مشروع الدويلات والتقسيم هو عدم استقرار العالم الإسلامي، وزرع المنافسة بينهم (كما قال لورانس)، و مخطط التقسيم لم يكن على أساس عرقي أو طائفي أو وطني بل أخذوا وطرحوا وقسموا شعوباً وأوطاناً وكونوا دويلات عليها دون اعتبار لأية أسس تأريخية وإجتماعية وسياسية وقانونية (مثال ذلك العراق) الذي كان قد شكل من أوطان وقوميات وطوائف غير متجانسة، ولازالت لم تستقر ولاسيما في ظل الحكومات العلمانية القومية، وأصبح بؤرة التوترالدائم داخليا ومع جيرانه، ولازال معظم حكام العرب في حالة عداء مع شعوبهم، نتيجة لهذه التوترات والصراعات تضاع القضايا الكبرى وفي مقدمتها قضية فلسطين، ففي مؤتمر القمة العربية عام (1987)م في عمان بالأردن اجمعوا واعلنوا في البيان الصادر من القمة المذكورة ان الخطر الحقيقي على العرب يأتي من البوابة الشرقية وايران، وليست من جانب إسرائيل!وبها سيرت حرباًدامت 8 سنوات،وعندما هجم على العراق فى 1990 و2003 كانت جانب الوحيد التى لم تدخل عن طريقها هى الإيران.

ولكي تبقى المشاكل فيما بين شعوب المنطقة بناء على وصية لورانس (كما ذكرنا) طبق مبدأ (التفتيت والضم)، في تركيب تلك الدويلات بحيث جمعوا أقواماً وطوائف غير متجانسة ومتوازنة في ظل سلطة عنصرية كما نجد في تركيا، وهكذا قسموا كوردستان الى أربعة أجزاء بناء على الأساس والدوافع نفسها لكي لاتستقر تلك الدول، وتكون معرضة للتدخل الدائم - كما نجد الآن.

---

[573] نص الاتفاقية موجودة في كتاب (الملك فيصل الأول ... المصدر السابق ص28-)

[574] صحوة ... المصدر السابق ص138

[575] مجدى كامل- الحكام العرب فى مذكرات زعماء وقادة ورجال مخابرات العالم ص359-360.

[576] لمزيد من التفاصيل انظر: ابراهيم الراوي -من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث- ذكريات... المصدر السابق ص284

6. لكي يبقون مستهلكين لأسواقهم، متأخرين حضاريا، ، لاسيما في ظل وجود أسواق لبرالية حرة، وذلك هو المعنى الدائم لمصطلح الإصلاح لدى الغرب تجاه العالم العربي والإسلامي، بينمالايصرون على الإصلاحات الديمقراطية مثلاً، وهو العامل الذي يؤدي الى الشفافية والنهضة وكشف الحقائق، بينما يصرون على السوق الحرة والإستهلاك وعدم التصنيع الثقيل… كما نرى ذلك في معارضتهم للتكنولوجيا النووية في الإيران وبعض البلدان الإسلامية الأخرى، وذلك لغرض فرض سيطرتهم وابقاء تلك الدول معلقة بأسواقهم.

7. كان الإستعمار غنياً بتجاربه مع الحركات التحررية والجهادية وذاق مرارتها، ولازال عندما يواجه الغرب الدول العربية عسكرياً فالنصر يكون حليف الغرب، أما عندما يواجه الحركات الشعبية او أي ميليشيا عقيدية فلا نصر له، هذا ما جربه في الماضي في احداث ثورات الجزائر والمغرب والسودان وليبيا ثم كردستان وثورة العشرين في العراق، وفي العصر الحاضر كذلك نرى أن خشية اسرائيل من حركتي (الحماس والجهاد) في فلسطين وحزب الله في لبنان يفوق خشيتها بكثير من كل الدول العربية، وعندما واجهت امريكا الجيش العراقي في (1991م)و(2003م) حسمت المعركتان خلال مدة اقل من شهر، بينما لم تحسم المعركة مع (أنصار الإسلام) في كردستان إلا بمدة أطول، وكذلك تكررت المشاهد في معارك الفلوجة، ومعارك اخرى بين المليشيا الإسلامية في الصومال وافغانستان ولبنان…، كما إن إسرائيل حسمت المعركة مع كل العرب خلال (6) أيام في عام 1967م، بينما لم تستطع حسم المعركة مع (حزب الله) في جنوب لبنان في الحرب الاخيرة (تموز- عام 2006)م، كذلك فى هجومه الأخير على حماس ،لذلك فإن إنشاء هذه الدويلات تقضي على هذا النوع من الحركات.

8- وهذا بدوره يؤدي الى بروز حكام مستبدين ومتخلفين، ولاتحقق (تلك الدويلات) العدل وحق الشعوب والرقي والمدنية، بل كانت تفرض الدكتاتورية والجهل والتبعية، بإسم الوحدة الوطنية وحماية الامن القومي، لازالت مناطق (سايكس - بيكو) في مؤخرة شعوب العالم.

9. التقسيم وإنشاء الدويلات يؤدي تلقائيا الى اقصاء الإسلام عن مهامه وإفراغ محتواه، وتحل محله العلمانية على شكل وطني أو قومي أو أية صيغة أخرى للدولة الحديثة، لأن الإسلام هودين الجماعة، دين الأمة الإسلامية وليس دين قوم أو وطن، عندها يؤدى الى تصفير الإسلام ومن ثم تصفيرالبقية، كما جاء في وصف الدول العربية بالأصفار، والجامعة العربية بجمع هذه الأصفار، وكذلك الأمر بالنسبة للدول الإسلامية في (المؤتمر الإسلامي) هي أيضاً جمع الأصفار[577]، لذلك تحويل العالم الإسلامي الى الدويلات بإسم القومية والوطنية او الجمهورية او الملكية او بإسم تقريرالمصير.. هذه في الحقيقة فراق حياة الإسلام فيها.

جاء في مذكرات لورانس- صديق العرب وهو مشهور بإنشغاله بتكوين هذه الدويلات - مايلي: ((كنت على طول الطريق اتساءل، هل تتغلب القومية ذات يوم على النـزعة الدينية؟ هل يغلب الإعتقاد الوطني على المعتقدات الدينية ؟ هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام ؟ وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الدينى بمثلها الأعلى الوطني ؟))[578]، هكذا كانت اهداف إتفاقية (سايكس – بيكو) وتكوين الدويلات هي تحويل الأمة الإسلامية الى امم وقوميات ومن دار الإسلام الى أوطان متعددة، ومن شريعة الى دستور وضعي، ومن عقيدة إسلامية الى آيدولوجيات علمانية…، لذلك عندما الغيت الخلافة من قبل اتاتورك عام(1924)م جاء وصف (أتاتورك) من قبل (اميل لودفيغ) بأنه أقوى من (نابليون) لأنه تمكن من الغاء الخلافة ولم يتمكن نابليون بذلك [579].

---

[577] من قضايا الثورة والانسان العربي… المصدر السابق ص29 (فى الأصل كلام عن الأصفار تعودالى سعد زغلول، كما نأتى عليه بعد قليل)

[578] الإمام أمجد الزهاوي … المصدر السابق ص45

[579] الصحوة… المصدر السابق ص268

10.وهدف آخر من الدويلات، نجد ان الصراع بين الأديان كان الإسلام هو الغالب فيه، اما في مجال الصراع التكنولوجي والعقلي فالغربيون هم الأقوى، لذلك يحاول الغرب نزع هذا السلاح من أيدي المسلمين وتحويل الصراع الى صراع تكنلوجي وقانوني وعقلي كما عُبرعن ذلك في (صدام الحضارات) لهنتكتون، لذا كان تدويل العلمانية يصب في مصلحة الغرب، ففي مثال بسيط: لوبقي الولاء بين إحدى المرجعيتين الدينية البابا أوالخليفة فالغلبة كانت للخليفة والعزة تكون للمسلمين على الأقل، اما تحويل الولاء الى مرجعيات قانونية كالأمم المتحدة ، فقد ضمن التفوق لهم بواسطة مجلس الأمن والعضوية الدائمة فيه وحق الفيتو وبقية المؤسسات الدولية دون إثارة للحساسية الدينية، هكذا جعلوا من المتطلبات العصرية الولاء لما سبق.. وتعريف الشخصية القانونية لكل دولة.. على حدة يعزز ذلك الإتجاه ويحول انتماء الدويلات الإسلامية والعربية من الجامعة الإسلامية الى الأمم المتحدة التي اسست من حيث الأساس من اطراف (سايكس – بيكو) ووعد (بلفور)

11. النقطة الأخيرة من اهداف مخططات الدويلات هي: من اجل سرعة السيطرة عليهم اذا دعت الضرورة كما نجده الآن.

وتدل معظم الدراسات العميقة ان هدف الاستعمارى من وراء تنشأة الدويلات هو: حفاظ على مصلحة الاستعمارية والثانى تأمين مكانة لاسرائيل المقبلة ، ففى حوار مع (ويلسون)حول شكل الدولة العراقية المقترحة لدى بريطانيا العظمى وحدودها اجاب ان دولة العراقية ومعها كوردستان الجنوبية افضل حالة لمصلحتنا القريبة والبعيدة [580].

هكذا ومن اجل تحقيق هذه الأهداف قسم العالم الإسلامي والعربي الى دويلات ومن ضمنها الدويلة العراقية، ولازالت أوزانهم صفراً في جميع المعادلات كما قال (سعد زغلول)- منذ القديم وكره وايدته أدبيات معاصرة- بأن هذه الدويلات كانت اصفارا وجمعها ليس سوى جمع الأصفار[581]. وتعيش الآن في الوطن العربي دويلات ضعيفة وهزيلة، متخلفة ومنقسمة ومستبدة، حكامها اشداء على شعوبهم ورحماء مع اعدائهم، حاربت حكوماتها الكورد وايران بجمعهم ٍ، وتصالحوا مع اسرائيل بجمع واه ايضا[*]، يجمعون على الباطل لا على الحق...، هذا وقد تحققت الخريطتان الإستعمارية والصهيونية اللتان رسمتا في (سايكس – بيكو) و بروتوكول رقم (10)من البروكوتولات الصهيونية الذي جاء فيه (اننا نعتمد على اجتذاب كل الأمم للعمل على ان نشيد الصرح الجديد الذي وضعناه ونحن نصممه)[582].

وهذه الأهداف العامة لصنع الدويلات ومخططات (سايكس – بيكو)، وهناك أسباب ودواعي أخرى ادت الى تأخير أوتقديم جوانب من هذه المخططات، مثال ذلك العراق حيث تقدم تكوين دويلته للأسباب الإضافية الأتية:

1. الثورة الإسلامية المندلعة في العراق التي نتطرق اليها من المبحث الثاني، وادت الى الإسراع في تكوين الدولة العراقية.

2. التجاذبات الدولية حول مصير(التركة العثمانية)، وكانت امريكا تطالب بسياسة الباب المفتوح لكي تستفيد جميع الأطراف الدولية من هذه التركة، لذلك بادرت بريطانيا الى الإسراع في تنفيذفكرة تكوين الدولة العراقية وتحويلها من الإنتداب الى المعاهدات الثنائية، بينها وبين الدولة في العراق، لذلك كان الإسراع[*] بتكوين الدولة للعراقيين لمقاصد واهداف خاصة، قلما ادركها الناس في ذلك الوقت .

---

[580] سياسةالبريطانية العطمى تجاة مستقبل كردستان ص155

[581] من قضايا الثورة والانسان العربي... المصدر السابق ص29.

[*] رغم اللاءات الثلاثة في اول اجتماع القمة العربية.

[582] انظر: نص البروتوكولات في كتاب: رسائل.. المصدر السابق ص 59-60

[*] لذلك يجب ان نكون حذرين من مشاهد الظاهرة كالمعارضة الملك الفيصل وأحزاب المعارضة للانتداب، فقد تبين إنها في سبيل مصلحة بريطانيا، وكانت الأخيرة تستخدم سيناريوهات معقدة من أجل ذلك.

3. ومن بين النقاط الأخرى كما ذكر (ارنولد ولسون) -وكيل الحاكم المدني في العراق في فترة (1918م -1920م)- التفكير في جعل العراق محمية بريطانية خاصة، وإستثمار النفط بواسطة الشركات البريطانية لاغيرها[583]، وكذلك لتأمين وإلحاق ولاية الموصل بالعراق وتكملة الخطة، خشية محاولات إقليمية ودولية أمثال المدي البلشفية والكمالية.

وهكذ إنقسم العالم الإسلامي، ثم قسمت الشعوب والإمم الكبيرة، فقد وجد العرب أنفسهم مقسمين على أكثر من عشرين دويلة وإمارة، والشعب التركي الى: (تركيا، اذربيجان، تركمانستان، قرغيزيا، أوزبكستان..) وقسمت كردستان على اربع دول اقليمية.وقد اجمع عقلاء العرب على وصف ظروف مابعد نشأةالدول العربية بشكل التالى:

1-العنف والحروب المستمرة 2-التوتر بين العالم العربى والعالم التحضر 3-مطاحنات الداخلية 4-تصدير هذه المشاكل الى الخارج 5-عدم وجود الحرية 6-مقاومة التغير والتمسك بحكم القبلى 7-الإنقلابات والإغتيالات هى طريق التغير [584]، او بتعبير اوسع منذ ذلك العهد والشرق الاوسط فى غليان وعدم الاستقرار واوضح اعتراف غربى ومحلى بهذه الحقيقة هو اطلاق مشروعات اصلاح شرق الاوسطية (1- مشروع اوروبا لاصلاح شرق الاوسط (مؤتمر برشلونة 1995) 2- مشروع امريكى لاصلاح شرق الاوسط((مبادرة الشراكة كؤلن ثاول –امريكا – 2002) 3- مشروع امريكى لاصلاح شرق الاوسط(ج بوش فى 11/6/ 2003 4- مشروع (المبادرة الألمانية)2004ز . 5- مشروع امريكى لاصلاح شرق الاوسط الكبير لعام 2004 6- مشروع المانى –فرنسي مشترك لعام 2004 7- مشروع اسرائيل ومشروع لجامعة العربية ..لكن تلك المشاريع لم يخوض فى تبديل الخريطة المقررة فى سايكس بيكو وتعديلاتها اللاحقة .

وفى سبيل ضمان بقاء هذه الخريطة والحفاظ على مصالح الدول الكبرى تأتى الخطوة الثانية من المؤامرة، وفيها تم إختيارحكام غير منسجمين مع شعوبهم، وقد ورد في مبررات (ولسون) لتنصيب فيصل ملكاً على العراق هى ان المذكور لايملك العلاقات الواسعة في العراق، وذلك يضمن إخلاصه للمستعمرين الإنكليز[585]. أما الخطة الثالثة للإستعمار فهي جعل مؤسسات هذه الدويلات علمانية النمط.

---

[583] التاريخ السياسي لامتيازات النفط العراقية... المصدر السابق ص 45
[584] د احمد طحان-حتمية التغير فى الشرق الأوسط،دارالمعرفة ط12006م،بيروت ص22-23
[585] كوتلوف... المصدر السابق ص 263.

المطلب الثالث: مقومات الدولة في العراق (العوامل المساعدة وغير المساعدة)

تنشأ الدول بطرق عدة منها:

1- عن طريق عملية تأريخية من خلال تطور عناصر الدولة مثل:بريطانيا، فرنسا،..

2- عن طريق الحروب التحريريةمثل:أمريكا عام 1776م والبرازيل عام 1882 ودول البلقان وغيرها.

3- عن طريق نشر الدين أو آيديولوجيا معينة مثل:الخلافة الإسلامية، وتكوين الإتحاد السوفيتى...

4- من خلال توسيع السلطة العشائريةمثل:العربية السعودية، الكويت وغيرهما.

5- بطريقة تفكك إمبراطورية مثل:النمسا والمجر، الدولة العثمانية...

6- عن طريق القوة والأستيلاء مثل ليبرياعام 1622م، وترنسفال في جنوب أفريقياعام 1837من قبل الهولنديين.

7- فقدان مقومات الدول الكبيرة وتفتتها الى دويلات وإمارات مثل: تفتيت الإتحاد السوفيتى، يوغو سلافيا...

8-وتنشأ الدول عن طريق إتحاد عدة كيانات صغيرة كما حدث في ايطاليا وألمانيا وتنزانيا...

9-وعن طريق الإستفتاء السلمى مثل:السودان عام1956م، غاناعام 1956، ومن ثم أريترياوتيمور الشرقية في العصر الحديث.

10- أو بطرق قانونية مثل: الفلبين (التى نشأت بموجب قوانين أمريكية صادرة فى24-3-1934م، أو نشأة الإيرلندا الحرة عام 1921م أوبقرار الدولى مثل نشأة مملكة ليبيا عام1949[586] ...وطرق كثيرة اخرى .

وهناك طريقة الإنتداب و المحميات أُبتدعت بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى من قبل الحلفاء المنتصرين، وخصصت للشعوب والبلدان التي لا تملك مقومات الدولة داخلياً بموجب مادة (22)من فصل الأول - عهد عصبة الأمر[587]، الحالة هذه مسمى اتيما(atima)[588] او(ارض لاصاحب لها- res nnullius)، ومن المعروف ان العراق كان من جملة تلك البلدان التي تم تكوينها عن طريق الإنتداب، ورغم ان درجة الإنتداب كانت من صنف (أ)، إلا ان العوامل الداخلية في العراق لم تكن مهيأةً لتكوين الدولة فيها، وهذا ما أكد من خلال تقارير كل من حركة الإتحاد والترقي وبريطانيا [589] ،كما أكدته معضم الدراسات والأبحاث مثل: د.علي الوردي وفورستر ود.نظمي وغيرهم (كما بينا آراءهم في المبحث الثاني من الفصل الثاني)، وإذا نظرنا الى الظروف التي نشأت فيها الدولة العراقية يتبين لنا هذا الأمر بسهولة، وكانت الظروف كالآتي:

1- انتصار الحلفاء في حربهم ضد دول المركز[590] التي كانت الدولة العثمانية جزءاً منها.

2- إحتلال المنطقة بما فيها العراق من قبل بريطانياوالحلفاء.

3- نجاح تجربة الدول العلمانية في اوروبا.

---

[586] ينظر :أ-القانون االدولي العام..المصدر السابق ص281 -284ب-محمد فاروق النبهان –نظام الحكم فى الأسلام.. المصدر السابق ص29-30 (اما الأن فإن نشأة الدولة تختلف ،فلم يبقى بقعة من الأرض والافيها سيادة الدولة عليها ،لذانشأة الدولة الحديثة ممكن بطرق التى وردت فى النقاط -7-الى 10)

[587]ينظر نص المادة فى: عبدالرحمن البزاز- العراق من الأحتلال الى الأستقلال... المصدر السابق ص237-

[588] الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية ص19

[589] ينظر:المطلب الثالث من هذا الفصل

[590] المانيا، نمسا، الدولة العثمانية...

4- تنامي النشاط الصهيوني في العالم والمنطقة.

5-تخلف الأوضاع الداخلية في العراق من النواحى السياسية والإجتماعية والإقتصادية...

وفي ظل هذا الظرف نشأت الدولة العراقية، وكانت العوامل الخارجية لنشأتها أقوى من العوامل الداخلية وأكثر مساعدة لها، كما سيتبين أن كلاً من: المحتلين وخطة التقسيم، ومشروع تكوين الدويلات، والصهيونية والإستعمار، والعلمانية والأحزاب القومية، قد ساعدت تلك النشأة، أما دعاة الوحدة العربية والتيار الإسلامي، والثورة والمقاومة،.. فهى عوامل غير مساعدة. هناك عوامل أخرى بعض جوانبها مساعدة وأخرى غير مساعدة مثل (طبيعة المجتمع العراقي، التناقض الشيعي السني، الوضع الإقليمي،..) كما سنفصلها كالآتي:

1- العوامل غير المساعدة على نشأة الدولة العراقية:و يمكن ان نلخصها في النقاط التالية:

أ/ العامل الإسلامي: وكان هو أهم عامل عائق لتكوين دولة في العراق، لأن المنطقة كانت على أعتاب مرحلة مغايرة للدين، بدأ ذلك أولاً بإلغاء الخلافة وتقسيمها، وإحتلال العراق، وإنشاء الإدارة فيه، مروراً بالنظريات البريطانية حول الدولة، ومن ثم بنائها الإقليمي فى العراق، جميعها صنفت من قبل علماء الإسلام وجامعته بأنها من صنع الكافر المحتل الذى جاء لتقسيم العالم الإسلامي وسلب موارده (كما بحثنا ذلك في موضوع الدويلات وأهدافها)، وقد صدرت منهم فتاوى شديدة شملت كثيراً من الجوانب بما فيها حرمة التوظيف في الحكومة (العراقية) التي كانت تنوي بريطانيا تكوينها، وكانت تلك الفتاوى أساساً لقيام المقاومة والثورة ضد مشاريع الإحتلال.

ب/ المقاومة والثورة: عندما احتلت الولايات البصرة وبغداد...، قام أهاليها وأهالى كوردستان بمقاومة القوات البريطانية بقيادة وتوجيه علماء الدين، وعندما تم إفشال هذه المقاومة، بدأت بريطانيا ببناء الدولة العراقية بالتعاون مع الأفراد والجمعيات العلمانية والفئات النفعية فى العراق، فقامت الثورة ضدها، ولو نجحت هذه الثورة لما نشأت الدولة العراقية بهذه الطريقة كما سنبيّنها في المبحث القادم، بالتالي هى ثاني أكبر عوامل المناوئة(غير مساعد) لتكوين الدولة العراقية.

ج/ دعاة الوحدة العربية: هم عامل أخرى من العوامل غير المساعدة لتكوين الدولة في العراق، كانت هناك فكرة الوحدة العربية من المحيط الى الخليج لدى فئة واسعة من القوميين المخلصين، بالإضافة الى بعض الإسلاميين العروبيين، الذين عارضوا فكرة تكوين الدويلات الإقليمية بما فيها العراق في مراحله الأولى.

د/ طبيعة المجتمع العراقي: ان المجتمع البدوي والريفي الذي يشكل زهاء 75% من سكان العراق بطبيعته يكره أية سلطة، وكان مشهد الحكومة لدى البدو وأهل الريف أو حتى ظهور البوليس أمامهم كان يعني أخذ الضريبة أو التجنيد أو الأعمال الشاقة التي لا خير لهم فيها، وهؤلاء لم يكونوا بحاجة الى أية حكومة لكرههم الحضارة حسب القاعدة البدوية (إذا تحضروا فسدوا)، وحتى الحكم بالقانون الحكومي في القصاص كان عاراً وخالياً من الرجولة في نظرهم، ومنها ما كان طبقاً لقاعدة بدوية (الإنتقام بأيديهم لا بيد الآخرين[591]، وهكذا كانت طبيعة أكثرية المجتمع العراقي عاملاً غير مساعد لنشأة الدولة العراقية.

و/ العامل العرقي والطائفي: كان العراق المقترح مكوناً من عدة أعراق وطوائف وأديان مختلفة ومتعصبة لإنتماءاتها الخاصة، لذلك كان تكوين الدولة فيهم صعباً كما قال ابن خلدون: (الأوطان الخالية من العصبيات يسهل تمهيد الدولة فيها وفي كثير العصبيات صعب)، وضُرب لذلك مثال الشام ومصر فالأول بقلة العصبيات والثاني بكثرتها.[592]

1-للتفاصيل انظر فصل الثاني- مبحث (2)

2-مقدمة ابن خلدون ... المصدر السابق ص214

وكانت الرابطة الإسلامية هي أقوى عامل للجمع، لكن أُبعد هذا العامل من قبل المحتلين وأحل محله العامل القومي، وهو لم ولن يستطيع جمع أقوام وأجناس مختلفة، حتى لم يستطع جمع العرب وهم قومية واحدة، وهناك دراسات وأبحاث معاصرة تدعي أن العامل الوطني قام بجمع كل الأطراف والطوائف والأديان في العراق، ولكن قليلاً من علم السياسة يؤكد أن هذا العامل ليس له أي أثر يذكر آنذاك، حتى هذه اللحظة لا يعتبر عاملاً قوياً لجمع العراقيين، فعرب الجنوب انذاك كان تعاملهم مع ايران، وعرب البادية والموصل مع الشام[593]، والكورد نحو كوردستان، وهكذا العامل العرقى والطائفى غير مساعد لتكوين الدولة العراقية.

ف/ العامل التاريخي والجغرافي: اننا لا نجد-على الأقل - في التاريخ القريب امبراطورية أو كياناً سياسياً واجتماعياً أو ولاية أو قائداً سياسياً بإسم العراق، وكذلك لانجد شعباً بإسم الشعب العراقي، بينما في معظم الأقطار العربية وكذلك في كوردستان كانت هناك تكوينات إجتماعية وسياسية ودينية وفي بعض الأحيان كانت قوية، ولكن قلّما تجد تلك الكيانات في العراق، لذا لا نجد أية محاولة أو رغبة في تاريخه ترمي الى تحرير العراق أو تكوين سلطة فيه او عيشاً مشتركاً خاصاً بهم، لذلك يمكن القول بأننالانستطيع إيجاد مساحة من التاريخ فيه نشاط للعراق السياسى، اذن العامل التأريخي والجغرافي لم يكن مساعداً لإنشاء الدولةالعراقية المقترحة.

2- العوامل المساعدة على نشأة الدولة العراقية:

تناول صاحب كتاب (دور المثقفين في ثورة العشرين) هذا الموضوع على نحو التالي، ان العوامل التي ساعدت نشوء الدولة العراقية هي:

1/ الحكومة البريطانية نفسها.2/ حكومة دمشق.3/ ثورة مصر.4/ مباديء ولسن.5/ الثورة الدستورية(المشروطية) في إيران. 6/ الثورة البلشفية.7/ الثورة الكمالية.8/ إنشاء عصبة الأمم.[594]

ولكن إذا نظرنا الى هذه النقاط يتبين لنا أن هناك نوعاً من الخلط بين العوامل المساعدة وغير مساعدة، فمثلاً نرى ان الثورات المصرية والإيرانية والبلشفية والكمالية ساعدت اليقظة الثورية في العراق وبالتالي شجعت على الثورة ضد بريطانيا ومخططها لتكوين الدولة العراقية، لذلك تعتبر تلك الثورات من ضمن العوامل غير المساعدة، ويقر الكاتب المذكور ضمنياً بأن الثورة العراقية كانت عاملاً غير مساعد لتكوين الدولة في العراق، لذلك لم يسجلها ضمن العوامل المساعدة، والحق أنّ هذه العوامل التي أشار اليها الكاتب كانت عوامل مؤثرة بإتجاهين المساعدة وغير مساعدة، ولكن نوافقه بأن بريطانيا هي من العوامل المساعدة بل هي أقواها.

فضلا عن العوامل آنفة الذكر هناك عوامل أخرى في اعتقادي كانت مساعدة في تكوين الدولة العراقية أذكرها في مايلي:

أ/ العامل شبه الحاسم هو تصميم بريطانيا على تكوين الدويلات للعرب ومن ضمنها تكوين دولة عربية في مناطق نفوذها في وادي الرافدين، وذلك على وفق خطة إستعمارية صهيونية قديمة، وكرستها في المؤتمرات والمعاهدات: (سايكس بيكو 1916) ثم (فرساى1919) و(سيفر 1920) وأخيرا(القاهرة 1921) ورافق ذلك تصريح الفرنسي- البريطاني المشترك في 1918/12/8. و بيانات للجنرال دلامين في بصرة 1914 و(مود) في بغداد 1917، وبرقيات موجهة من الحكومة البريطانية الى معتمديها في العراق، وكان هذا النوع من الإستقلال على عكس العادة يأتي من الخارج، وكانت أبواب أمراء الغرب مزدحمة بسبب مراجعات

---

593 حنا بطاطو ... المصدر السابق ج1ص35-

594 دور المثقفين ... المصدر السابق ص68-76

أمراء العرب لطلب الإستقلال وفق الشروط الغربية: (التقسيم، وتكوين الدويلات وعلمنتها، ومن ثم تكريس وعد بلفور)، فقد راجع البطريارك (الياس هربك) في 1919/8/21 باريس وأخذ وثيقة إستقلال لبنان، وعاد إليها في 25/كانون الأول/ 1919 حاملاً بشرى الإستقلال، وجرى إستقبال رسمي له، وفي موضوع العلم اللبناني قالت الصحف (آنذاك) خذ عباءة الراهب الماروني تلك هي راية لبنان الجديدة[595]، هكذا كان الإستعمار الجديد ومشاريعه في المنطقة أكبر عامل مساعد لتكوين دولة العراق.

ب-تعدد الإستعمار، تم إحتلال العالم العربى والإسلامي من قبل عدد من الدول الإستعمارية، وأدى ذلك الى تكوين عددمن الدويلات عن خلفياتها..، هكذاكان تعددالإستعمار في المنطقة عاملاً مساعدًا لتكوين العراق كأمر واقع بعيداً عن الوحدة العربية أو الإسلامية.

ج/ تقهقر القوات العثمانية في العراق وإلغاء الخلافة والوحدة الإسلامية، وتراجع مشروع الوحدة العربية، وبالمقابل إنتصار الحلفاء ومشاريعهم، ذلك كله كان عاملاً قوياً لإلحاق المنطقة بالعالم الحديث وفصلها عن العالم الإسلامي وانتمائها الحضاري وإعادة خريطتها السياسية، وأدّى ذلك الى نشوء هذه الدول بما فيها العراق.

د/ دور الأقليات غير المسلمة: مشروع تكوين الدويلات كان منسجماً مع أوضاع الأقليات غير الإسلامية، لسبب بسيط هو أن الأقليات كانت في أحسن حالها تصل في ظل الخلافة الإسلامية الى مستوى (الذمي) -رغم أنهم في ظلها وصلوا الى منصب الوزارة والقادة-، لكن في النهاية كان إنتماؤهم الديني قد يدفعهم للتفكير في أنظمة أخرى بديلة، لذلك كانت الدويلات العلمانية والقومية بديلاً أحسن لهم في ذلك الحين، لذا نرى أن أكثرية المؤسسين للفكر القومي ومشروع الدولة الحديثة والعلمانية كان منهم، بناء على ذلك شاركوا في بناء العراق وإدخاله في عصبة الأمم بالتعاون مع بريطانيا، وأحياناً شاركوا بقواتهم المسلحة كالجيش (الليفي) -المكون من المسيحيين- وقاتلوا من أجل تكوين العراق ضد المعارضين، ولم يكن نشاط المنظمات اليهودية أقل أهمية من بريطانيا نفسها، فهي قد شاركت في هذه الخطة منذ قرون كما يتبين من خلال رسالة السفير البريطاني في استنبول المؤرخة في 1910/5/29 الى وزير خارجيته وأوضح مدى أهمية دور اليهود حتى في خلع عبدالحميد، وكانوا يشاركون في معظم القرارات والمعاهدات الدولية، وإذا قرأنا بروتوكولاتهم بدقة يتبين أن الأمر كان أبعد من ذلك، حيث يعتبرون-وفق البروتوكول العاشر - كل ما يصمم ويحدث ويتحقق هو من صنعهم، وقد أيّدوا تكوين دويلات وساعدوا في تكوين العراق ايضاً، تمهيدا لإنشاء دولة إسرائيل في فلسطين، وعندما تكونت الدولة في العراق ازداد نشاطهم وزاد عدد اليهود في فلسطين، فقد جاء في كتاب (المدارس اليهودية والإيرانية في العراق) أنه قام عدد من اليهود الأثرياء في العراق بشراء اراضي فلسطينية ثم أسست الجمعيات بترخيص رسمي في العراق برئاسة (أهرون الياهونامور)[596]، وكانوا خير عون لتكوين الدولة العراقية.

ك/ ظهور فئة تؤمن بالعلمانية القومية- الليبرالية وتعاونهم مع المحتل، وتكريس خطته، كل ذلك أدى الى قبول الإقليمية وفكرة تكوين الدويلات، بما فيها الدولة العراقية، وانعكس ذلك من خلال الإتفاقيات والخطابات في مناهج الأحزاب العلمانية، فعلى سبيل المثال نرى في التجربة اللبنانية بعد أن أصبحت إدارة مستقلة عقب جهود البطريارك (الإلياس) جاء هذا التكريس عبر إتفاق غير مكتوب بين (بشار الخوري المسيحي) و(رياض الصلح المسلم) في عام 1934 وسمي ب(ميثاق لبنان) وجاء في نقطته الجوهرية:

---

[595] موسوعة الأديان في العالم، ... المصدر السابق جلد: الإسلام ص97-98

[596] انظر الكتب التالية: أ-المدارس ... المصدر السابق ص23-25 ب- خلدون ناجي معروف -الأقلية اليهودية في العراق ... المصدر السابق 1921-1952 ص111 ج-صادق حسن سوداني -النشاط الصهيوني في العراق 1914-1952 ... المصدر السابق ص34-36

أن يكف المسلمون عن المطالبة بالوحدة مع سوريا أو أية وحدة عربية، وان هذا شرطٌ للإستقلال[597]، وكانت هذه الفئة- العلمانية - تتواجد أينما تجد الخطة والمتطلبات الغربية، فحينما كانت الخطة تقتضي الكلام عن الخلافة وتحويلها الى العرب فقد كان العلمانيون تحت الطلب، وحينما كانت تقتضي كلاماً عن فصل العرب عن الترك كانوا في الصدارة أيضاً، وبعد انتصار الحلفاء جاء وضع خطة تكوين الدويلات انحنوا إليها، وهذه الفئة في العراق ايضاً كانت عاملاً مساعداً قوياً لتكوينها.

ف/العامل الأقليمي: من جملة العوامل المساعدة الأخرى نشوء دول وكيانات سياسية اقليمية في تركيا وسوريا وايران ومن ثم في الأردن والكويت وقطر وعمان مرشحة للتكوين، وقد ساعد نشر فكرة تكوين الدويلات الخاصة، بدل الخلافة الإسلامية التي حكمت قرونا عدة، لاسيما ظهور شعارات من أمثال (سوريا للسوريين ومصر للمصريين)* وهكذا ظهور هذه الدول قد ساعد العراقيين بقبولهم كدولة مستقلة عن سابقتها.

ع-تغليب القطرية على القومية: وصف صاحب الكتاب (الأحزاب السياسية في العراق) فترة (الحرب العالمية الأولى) موضع الخلاف بين التنظيم القطري والتنظيم القومي،[598] وغلبت فكرة الدويلات القطرية على القومية وفق إرادة المحتل، واصبحوا حكاماً لهذه الدويلات، ففي البصرة حاولت طالب باشا لأول مرة تكوين دويلة (أو مشيخة) بالتعاون مع مشايخ الكويت والمحمرة، [599].

وبعد تكوين هذه الدويلات تلاشى (تقريباً) نشاط دعاة الوحدة العربية ماعدا فترات معينة، و برزت الفئة العلمانية في تلك البلدان التي ينوي الغرب تنفيذ مخططاته فيها، وكانوا يقدمون تنظيرات للخطة المذكورة وفكرة الدويلات كماجاء في نظرية نجيب عازوري(صاحب كتاب: يقظة الأمة العربية، وفكرة جامعة الوطن العربي، وأحد أهم مؤسسي فكرة القومية العربية والعلمانية..) هجومٌ على الحركات الوطنية العربية في افريقيا، وهاجم ألمانيا وروسيا، وأيّد الفصل بين العرب والترك، ووصف (الفرنسيين والبريطانيين بأنهم منقذين)[600]،بذلك قد سدّت جميع الطرق ماعدا خطة سايكس بيكووفكرة الدويلات، بالتالى أصبحت هذه الفئة عاملاً داخلياً مساعداً لإتمام خطة التقسيم والدويلات، هكذا ظهر في معظم البلدان العربية (الرتل الخامس) للخطة، ليست فقط في الميدان النظري، بل في الميدان الواقعي أيضاً، من أمثال: (آل النقيب في العراق، عائلة شريف مكة في جزيرة، آل سعود في نجد، آل مبارك في كويت، خزعل بن محيسن في عربستان،...الخ). كل في قطره ساعد على تأسيس الدويلة على وفق النظارة الإستعمارية، بذلك تكون الغلبة القطرية على القومية عاملاً قوياً لتكوين الدولة العراقية.

ل/ المصلحة الشخصية، هي عامل مساعد آخر في تكوين الدولة العراقية، بناءً على المدارس (البراجماتية- العلمانية- الليبرالية- النفعية) التي تلعب في نفوس البشر، وتجعلهم تفضلون المنافع الخاصة على العامة للأمة والوطن.. تزداد أهميته وفق أثر ونفوذ هذه الشخصية، وكان هذا العامل أوجد العملاء في سبيل تمرير كبرى المخططات الإستعمارية مقابل الهدايا والأوسمة

---

[597] -سعدالدين ابراهيم –ملل والنحل والأعراق –ط2، مركز أبن الخلدون ص595

* وكذلك حينما طرحت مسألة من يتوج على العراق وما نجم من المنافسة بين طالب باشا وعبدالرحمن النقيب من جهة والفيصل من جهة أخرى، ظهر شعار (العراق للعراقيين).

[598] أحزاب السياسية ... المصدر السابق ص14

[599] د.نظمى... المصدر السابق ص 50

[600] بقايا وجذور... المصدر السابق ص330، (لذلك كثير من الباحثين العرب عادوا وشكوا من وطنية الفكر القومي والعلمانية العرب بشكل عام وقد كتب عنه كل من دكتور كراى قصننى والبرت حورانيمن هذه الشكوك).

والأموال والذهب، بينما هناك آخرون عرضت عليهم مغريات الدنيا ولم ينخدعوا أمثال السلطان عبدالحميد وعلماء الدين ومن ضمنهم العلماء في العراق..كما نتطرق اليه في المبحث الثالث في هذا الفصل.

هذا العامل -أي عامل المنفعة الشخصية- لم يقتصر دوره فقط في أثناء تواجد البريطانيين بل بقى أثره حتى بعد جلائهم، وجعل سداً منيعا أمام الوحدة العربية و الإسلامية، فإذا وضعنا الرؤساء العرب السابقين والحاليين أمام أحد اختيارين: أولهما بقاؤهم رؤساء مع الدويلات والتجزئة والتخلف وثانيهما انهم ليسوا رؤساء في دولة وحدة عربية قوية ومتقدمة، فالإختيار للأول والرفض للثاني حالاً*، ، اذن المنفعة الشخصية كانت عاملا مساعداً قوياً للتجزئة. وكانوا يروجون قدسية أقطارهم وينسجون أمجاداً تأريخية وجغرافية وحضارية وأخلاقية لهابناءًعلى هذه المصلحة، مثلهم كمثل رؤساء العشائر وتمسكهم بالعشيرة والديرة وتقديسها من أجل المحافظة على سلطتهم.

ان الذي رسخ هذه البنية النفسية، هو تعصب عوام الجماهير لأي تقسيم وان كان إصطناعياً، وتجاوز هذا التعصب من رؤساءالعشائر الى الأحزاب، فبرنامج (الحزب السوري القومي) مثلاً، ينشد لسوريا الكبرى وبشعاره (سوريا فوق الجميع)، [601] ويقدس أمجادها التأريخية، هذه الظاهرة انتشرت في معظم البلدان العربية وساعدت في استمرار التجزئة، بينما نرى عند أول فرصة دولية إتحدت ألمانيا الشرقية والغربية اللتان قسمتا في الحرب العالمية الثانية، هكذا تلعب المنافع الشخصية دوراً مهماً في تنفيذ وتكريس وترسيخ هذه الخطة وأصبحت عاملاً مساعداً لتكوين الدويلة وتأصيلهابما فيها الدويلة العراقية.

م/ الوضع الدولي:كان "الإستعمار" القديم حركة إستيطانية كما جرى في أمريكا واستراليا وأجزاء من ايرلندا...الخ. وكسب تجارب غنية في هذه الناحية، وعلم ان المجتمع الإسلامي ليس مثل الهنود الحمر أو مجتمعات أفريقيا، ولا تنجح في وسط مجتمع إسلامي طريقة الإستيطان بسبب حيوية دين الإسلام فيه، لذلك لابد من تغير هذا النوع بنوع آخر من الإستعمار وهو إعطاء إستقلال شكلي للبلدان التي يحتلها من خلال الوكلاء، ويسمى هذا النوع الإستعمار الجديدأو غير المباشر[602]، يقول فورستر: الوضع الدولي الجديد لا يسمح بالإستعمار التقليدي ولا بالحكم المباشر، بل كما اقترح الرئيس الأمريكي (ويلسن) ان يرجع الأراضى المنسلخة من سيطرة تركيا الى ممتلكات عصبة الأمم.لذلك جاءت أول وصية للجنة (كنغ- كراين) الأمريكية منح الإستقلال للعراق.[603]

ورافقت الإستعمار الجديد كثير من الإجراءات السلبية والإيجابية، ومن ايجابياتها الحسبان للرأي العام الدولية وإلتزام بالعهود والمواثيق الدولية، وفى هذا المنطلق صدرت تصريحات بشأن تقرير المصير، فمثلاً تصريح يوم 1918/11/7 الذي نشر في اليوم نفسه في كل من باريس ولندن وواشنطن والقاهرة، وفي اليوم التالي في بغداد، [604] ونص على تقرير المصير لتلك البلدان، وكذلك سياسة الباب المفتوح الأمريكي وحديث عن عصبة الأمم ومبادئ (14 لولسن) الذي كان بمثابة النظام الدولي الجديد، [605] وان تجارب كل من بريطانيا، النمسا والمجر (بعد هزيمة النمسا أمام بروسيا) و ايرلندا وايطاليا عززت فكرة الحكم غير المباشر وفضلته على المباشرفى البلدان المحتلة، ومنذ عام 1839م فكرت بريطانيا بتحويل سياستها تجاه "مستعمرات"

---

*هذه المعادلة تشمل معظم العلمانية في العالم الأسلامي والكوردى أيضاً.

[601] موسوعة الميسر... المصدر السابق. ص462-

[602] القاموس السياسي، ... المصدر السابق -مادة استعمار جديد.

[603] فورستر ... المصدر السابق ص147-148

[604] رسائل مس بيل... المصدر السابق ص89

[605] انظر نص الإعلان في كتاب (تأريخ العالم... المصدر السابق ج2 ص408).

(دومنيون) وتحويلها من حكم مباشر الى غير مباشر، وطبق هذا في كندا عام 1867م واستراليا عام 1900 ثم نيوزلندا 1907 [606] وأصبحت فى ضوئها دولاً مستقلاً وأعضاء فى عصبة الأمم فيما بعد، و هذه الظروف القائمة -كما أكدها (فورستر)- فى العالم كانت تستلزم وجود مثل الدولة (العراقية) التي يصنعها العالم، [607] ولذلك كان النظام العالمي الجديد بشرقيه وغربيه آنذاك عاملا مساعداً أخر لنشأة العراق.

ن/ الثورة العربية الكبرى، هذه الثورة أدت الى وضع العنصر العربى الى الصف الأمامي في المخططات الإستعمارية ومشاركته في صنع بعض القرارات بشأن الحكومات المحلية، حيث وافقت بريطانيا على طلب شريف مكة بإقتطاع ولايتي البصرة وبغداد من الدولة العثمانية، ليكون منها قطر العراق ضمن دولة عربية موحدة[608]، وكذلك برز قادة عسكريون من الضباط العراقيين الذين ساعدوا على إقامة الحكم المحلي فيه، كذلك ساعدوا بريطانيا في قمع الثورة المندلعة ضدها في كوردستان 1919 والعراق 1920 وإزالة غيرها من الموانع نشأة الدولة فى العراق.

- وهناك عوامل أخرى مساعدة بشكل مباشر أو غير مباشر أو في فترات معينة لنشأة الدولة العراقية، ومنها:

1- التناقض الشيعي السني، والشيعى العثماني، الوهابي مع التيار الصوفي، ثم العلمانية مع الإسلامية.

2- تهديدات كل من تركيا الكمالية والسعودية الوهابية على العراق.

3- ضعف الوضع العربي لاسيما عرب العراق.

4- تكوين تركيا الحديثة.. مما أدى الى انهاء أية رابطة بينه وبين شعوب وبلدان أخرى لاسيما في الناحيتين الدينية والقانونية.

هكذاكانت العوامل المساعدة لتكوين الدولة العراقية الحديثة أكثر وأقوى من العوامل غير المساعدة. وحسب هذه المعادلة ستنشأ الدولة، لكن يبقى سؤال أساسي، هل كانت العوامل المساعدة لتأسيس الدولة العراقية داخلياً أم الخارجية؟ والجواب جاهز، ان العوامل الداخلية كانت ضعيفة ومعظمها ضمن العوامل غير المساعدة.. لذلك فإنّ مقومات الدولة في العراق صارت ناقصة وضعيفة،و هذا ما انعكس فى وضع العراق السياسى منذ نشأته ولحد الآن، لايزال لم يكتسب مقومات البقاء كدولة موحدة مترامية الأطراف، بل استخدم الجيش والقوة والعنف والسجون والإبادة الجماعية لإخضاع مكونات الدولة، بذلك لا يعتبر تكوين الدولة العراقية ضمن مشروع وطني كمايقال كثيرا.. وهكذا ندخل الى المبحث التالي وفيه خطوات بناء الدولة العراقية و قيام علماء الإسلام بالثورة ضدها .

---

[606] قانون الدولى العام... المصدر السابق ص234-235

[607] نشأة العراق الحديث... المصدر السابق ج1ص163

[608] الملل والنحل والأعراق ... المصدر السابق ص 226

المبحث الثاني : نحو بناء عراق السياسي

(الإدارة العلمانية والثورة الإسلامية)

المطلب الأول: بناء الإدارة في العراق -الحكم المباشر

البعثات السياسية والقانونية رافقت الحملات البريطانية على العراق فى آن واحد [*]، حيث باشروا بإنشاء الدوائر ابتداءاً من البصرة والمناطق المجاورة لها، وعلى العموم فقد كان فريق من الأنكليز ينوون جعل (ولايتي بغداد والبصرة) جزءاً من إمارة بومبي بالهند، وسرعان ما أنيطت الإدارة المدنية في البصرة بحاكم سياسي، ودخلت النظم الهندية، وحلت(الربية) الهندية محل (الليرة) التركية [609]، ولكن حينما احتلت بغداد بسهولة تغيرت الخطة مرة أخرى، فقد جاءت تصوراتهم الشاملة للمنطقة في برقية وزير الهند في حكومة لندن بتأريخ 1917/3/29 الى سكرتير الشؤون الخارجية والدوائر العسكرية والملكية البريطانية في العراق، وتضمنت مايلي:

1- تدار المناطق المحتلة (العراق) من قبل الحكومة البريطانية ولا من قبل الحكومة الهندية.

2- تبقى البصرة والناصرية وشط الحي وبدرة بحدودها الغربية والشمالية تحت الإدارة البريطانية بصورة دائمة.

3- تكون بغداد مملكة عربية يديرها حاكم أو حكومة من أهلها تحت حماية بريطانيا في كل شيء، أي يكون اسم المملكة عربيا فقط.

4- تدار بغداد خلف ستار عربي بقدر المستطاع بواسطة وكالة وطنية وفقاً للقوانين والشرائع الموجودة ونخص بالذكر منها:

(أ) لا تعمل البصرة بالقانون العراقي الموضوع، بل تبقى القوانين المرعية بموادها وموظفيها على أن تحل فيها كلمة (العربي) محل (االعثماني).

(ب) يطبق التحوير نفسه فيما يتعلق بالإدارتين التنفيذية والإدارية.

(ج) لا يمس نظام جباية الأرض في الوقت الحاضر.

(د) لا يستخدم الهنود في جميع فروع الإدارة بصورة مطلقة.

5- في حال ما إذا كانت البصرة لم تلحق ببغداد، فإن رئيس الإدارة العراقية العامة يكون المندوب السامي في بغداد، وتكون البصرة تحت إدارة حاكم يرتبط به.

6- تكون أماكن الشيعة المقدسة ادارة مستقلة.

7- تدار الكويت والبلاد العربية الساحلية بما فيها عمان من قبل البصرة.

8- اما عدن وحضرموت فتنتقل ادارتها الى الوزارة الخارجية البريطانية.

9- اما مناطق جنوب ايران بما فيها عربستان وفارس، فتكون ضمن نفوذ الحكومة الهندية.[610]

---

[*] سنذكرهم فى البحث الثالث عند الحديث عن أنشاء الحكومة والجيش والدستور

[609] ينظر: أ- بزاز... المصدر السابق ص69-70 ب- فورستر... المصدر السابق ص 95

[610] ينظر:أ- موسوعة العراق السياس... المصدر السابق ص93 ب-تأريخ الإسلامي... المصدر السابق ص38-39 ج- د.فياض... المصدر السابق ص189

ويلاحظ ان تصورات بريطانيا للمنطقة لم تتبلور بشكل واضح في ذلك الحين، ولكن ذلك لم يؤثر في سير العمل وبناء الإدارات المحلية في ولايتى بغداد والبصرة، وعين (برسي كوكس) كأول مندوب سامي بريطاني فيهما.[611]

وبدأ بدفع الرواتب وتمشية الأمور الأساسية للمواطنين، وأعيد الموظفون القدامى، وشكلت المجالس المحلية، وكان في كل الألوية والأقضية والنواحي ضابط بريطاني يحكم من وراء هذه المجالس، وهناك بعض الأمور بقيت على حالها يمارسها النظام العشائري من خلال دعم الرؤساء والشيوخ على طريقة العالم الثالث، وجاء في كتاب (العراق من الإحتلال الى الإستقلال) ان سياسة بريطانيا تجاه العشائر كانت مدروسة من قبل خبرائهاووفق منهج (هنرى دوبس- الذي اصبح فيما بعد مندوباً سامياً في العراق)، وقد كان يسعى لتطبيق السياسة العشائرية التى أعدها ونفذها (سير روبرت ساندمن) في بلوجستان عند أوائل الربع الأخير من القرن (19)، وكانت علاقة الأنكليز برؤساء العشائر في الواقع قد بدأت قبيل غزو العراق، [612] وكان ولاء الأقطاعيين والكمبرادو-طبقة إقتصادية ملحقة بالخارج- قد تحولت الى جانب المحتل مباشرة بعد دخول القوات البريطانية الى العراق، وحاولت بريطانيا بطريقتها أن تفاتح أيضا طبقة رجال الدين من الملالي والمفتين والحاخامين والأساقفة للغرض نفسه، إلا أنهالم توفق بالشكل المطلوب[613]، وكان هؤلاء المتنفذين من الرؤساء وكبار التجار والشيوخ منظمين لدى الضابط السياسي في المنطقة، بينما طبقة الأفندية والمثقفين (العلمانيين) كان دورهم ينحصر في بناء الإدارة والشؤون التنفيذية.

أما المناطق الكوردية، فقد بقيت أثناء-الحملة البريطانية - على استقلالها*، -كما كانت في عهد الدولة العثمانية-، ولم يحتل إلا أجزاء معينة منها، ومع ذلك خضعت كوردستان أيضاً بصورة رسمية لسلطة ضباط من السياسيين البريطانيين، يقول كوتلوف: ((ان الإدارة المدنية (البريطانية) كانت مضطرة الى الإعتراف بالإستقلال لعدد من المناطق الكوردستانية، لقلة قواتها العسكرية))[614] ، وكانت الإدارة الكوردية بقيادة الشيخ محمود تتوطد أركانها أكثر فأكثر، وجاء (نوئيل) في 1918 الى كوردستان ليلعب الدور الذى لعبه (لورنس) للعرب، ولم تكن قلة القوات العسكرية البريطانية سبباً وحيداً لهذا الإعتراف (حسب اعتقادي)، بل كانت كوردستان تتمتع بهذه الإستقلالية منذ عدة قرون[615] (بأستثناء فترات معينة)، بالإضافة الى ان كوردستان لم تكن تابعة للعراق، ويبدو أن بريطانيا كانت مترددة في تحديد مصير كوردستان لأسباب عديدة، منها:

1- لأنها لم تدخل ضمن النفوذ البريطانى فى المنطقة (الحمراء: بغداد والبصرة) وفق تقسيمات سايكس- بيكو، بل كان القسم الشرقي والجنوبي من كوردستان ضمن منطقة (B) والباقي منه مع ولاية الموصل داخل منطقة (A) التابعة لحصة فرنسا، [616]، حيث لم يأت أي قرار حاسم لهذه المناطق من قبل بريطانيا[617].

2- هناك مواد(63-63-64) لمؤتمر سيفر قدقرر مصير كوردستان .

2- بسبب استقلالها التاريخى، ووجود إدارة الشيخ محمود فيها، وبالتالي خشية المقاومة عند الزحف نحوها.

---

[611] كوتلوف... المصدر السابق ص114

[612] بزاز... المصدر السابق ص 71، وجاء في رسائل مس بيل، من هذه النماذج سوف ترونها فيما بعد.

[613] كوتلوف ص6 12-127

* كما تلاحظ ذلك من خلال البرقية –التصورات البريطانية للمنطقة - المذكورة(كذلك جاء في برقية لويد جورج بنفس المحتوي..)

[614] كوتلوف... المصدر السابق ص127

[615] جاءفى (الملل والنحل ... المصدر السابق ص213:كانت كوردستان أقليما موحدا خلال 13 قرنا الى حد سايكس-بيكو 1916ثم قسمت.

[616] انظر الخريطة (سايكس- بيكو) في ملحق(1)فى هذا البحث.

[617] فورستر... المصدر السابق ص108-109 .

3- بقاؤها مفتوحة ضمن استراتيجيات المدارس البريطانية المختلفة.

4- عدم وجود النفط في المناطق الجبلية المكتظة بالعشائر التي يصعب التعامل معها.

لذلك توجهت بريطانيا نحو العراق العربي، وبدأ بتشجيع وتدريب العراقيين وغرس الروح الوطنية فيهم، يقول (جورج كيرك)فى كتابه(A short History Of the Middia East) ان العروبة قد صممت من قبل (دار المندوب السامي البريطاني كما قاللورانس اننا نخلق عالم عربى جديدفى اسيا)[618]، جاء في جريدة (العرب)[619] في 1918/11/16، العدد (141):((أن الحكومة البريطانية ترمي دائما الى تنشيط الروح الوطنية والإستقلال في جميع البلاد التي يمتد اليها النفوذ البريطاني والنفع الذي يعود على الآهالي))[620] ، وكان هذا في صلب خطة بريطانيا كما جاء في برقيات وتصريحات القادة البريطانيين، وهذا يدل بكل وضوح ان بريطانيا كانت تنوي تكوين وطن للعرب بإسم العراق حدوده مرتبطة بحدود النفوذ البريطاني، لذلك تعتبر هذه الفترة (انتقالية) لاسيما وان العراقيين لم يتعودوا على دولة مستقلة قبل ذلك.. وكان الضباط العراقيون وغيرهم من مسؤولين منشغلين آنذاك مع الملك فيصل لبناء الدولة في سوريا، ولم تكن توجهاتهم الى العراق إلا بعد عام 1919، [621] لذلك يمكن القول بأن بناء الإدارة العراقية يعود في اعتقادي الى بريطانيا وليس الى المعارضة أو الحركة الوطنية أو ضباط العهد..، اذ لا توجد أية وثيقة تؤكد أن هؤلاء قد طلبوا الإستقلال قبل ما تشير لهم بريطانيا ذلك، رغم أن هؤلاء الذين تسلموا زمام حكم العراق (الفيصل، النقيب، الضباط...) كانوا على علاقة متينة ببريطانيا قبل الحرب، وإن الحكم المباشر ليس إلا مرحلة انتقالية ضمن خطة بريطانيا، كما أكد على ذلك (كولونيل ولسن) في خطابه بمناسبة (عيد ميلاد ملك جورج في 4مايس 1919) وجاء جانب منها: ((طرأت تغيرات وستطرأ أيضاً جملة تغيرات أخرى اثناء الإثني عشر شهرا المقبلة، فيزول عن الحكومة العراقية تدريجيا شكلها الحالي ويتبدل بشكل حكومة وطنية ثابتة الأركان))، ولكن أكد أيضاً:((أن مصير البلاد والبلدان الأخرى عامة لم يتقرر بعد رسمياً فلابد اذاً في الوقت الحاضر من ابقاء شكل الحكومة العسكرية الحاضر على ماهو عليه شكلاً معنوياً))[622]، ويقصد به الحكم المباشر، وقد لخص(عبدالرحمن البزاز) خصائص الحكم المباشر في العراق في النقاط التالية:

1- تأمين مصارف منتسبي دولة بريطانيا العظمى.

2- العمل على تهنيد[623*]العراق وخاصة القسم الجنوبي منه.

3- الإهتمام الزائد بالعشائر.

4- تحويل القوانين العثمانية الى الهندية.[624]

---

[618] لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ص15.

[619] العرب هو من بين الجرائد الرسمية تصدره سلطات البريطانية، ويجب أن تلاحظ ان اختيار أسماء الجرائد بإسم العرب أو العراق هي في حقيقته تشجيع روح القومية والوطنية.

[620] العراق في دروى... المصدر السابق ج1ص67.

[621] المصدر نفسه ص80 .

[622] انظر نص الخطاب في (العراق في دوري ... المصدر السابق ج1ص68-69)

* فإن فكرة التهنيد ترجع الى بدايات الإحتلال ومفاده تهنيد بلاد مابين النهرين عن طريق اقامة مستوطنات عسكرية على غرار ما يوجد منها في بنجاب. كما أقترح ان تكون هذه البلاد والبصرة على الأقل في عداد توابع الهند، وتمثل هذه احدى الآراء والنظريات والمدارس البريطانية حول مصير العراق وبالتحديد (المدرسة الهندية) وليست كلها).ينظر: موسوعة العراق السياسي.... المصدر السابق ص129.

[624] العراق من الإحتلال الى الأستقلال ... المصدر السابق ص70-75

وعندما أحرز البريطانيون مزيدا من المكاسب العسكرية لاسيما دخولهم بغداد دون مقاومة تذكر، برزت آراء مختلفة حول مصير المنطقة، خصوصا بين المراكز الثلاث الرئيسية وهي (مركز القاهرة) المخابراتي، و المركزين الهندي العسكري والبريطاني المركزي.

تعود بدايات فكرة تكوين ادارة مركزية للعراق الى الخطوة التي اقدمت عليها بريطانيا في ايلول 1918 بإلغاء التمايز بين ولايتي بغداد والبصرة، ثم شملت ولاية الموصل أيضاً، وجعلها في وحدة واحدة تابعة لمركز بغداد[625]، وتعتبر دائرة الإيرادات أول دائرة في الحكومة الجديدة قد تم تأسيسها عام 1918م، ثم أنشأت دائرة منفصلة للكمارك، وتوالت دوائر أخرى مثل الأوقاف والتعليم..، [626] ووضعت في كل مدينة من مدن العراق مجالس للبلدية بوسائل حديثة، [627] وقد أنشىء في بغداد في 1/ كانون الثاني/ 1919 (مجلس بلدي) يتألف من رئيس ونائب ومن كاتم أسرار ومعاونه وعشرة أعضاء، ووضع منهاج العمل وواجباته وصلاحيات[628]، وكانت بريطانيا تمضي قدما لإنشاء وتطوير إدارة الدولة تنفيذا لخطتها المدروسة التى كرست في سايكس-بيكو 1916، ثم التصريح البريطاني الفرنسي الصادر في 1918/11/8*[629*]، وقد تجسد ذلك على أرض الواقع عبر الأسئلة الثلاثة التي عبرت عنها بشكل إستفتاء عام 1918،[630] التى سيروها وحصلوا على رضا الشعب بطريقتهم(كما سنذكره أكثر فى المطلب الثانى: الثورة ضد المشاريع البريطانية)، وتوالت تأكيداتهم في تطوير الإدارة الى الحكومة ثم الى الدولة خلال تصريحات وبرقيات واردة من لندن الى بغداد.

وقد شكلت أول هيئة كانت بمثابة (مجلس الدولة =concilofstat) من البريطانيين التالية أسماؤهم: (الفليف هاول، المستر فيلبي، المستر بولاد، السير ايدغار، كولونيل سليتر)[631].

وعلى صعيد الأمن الداخلي، فقد شكل (العقيد برسكوت)[632] قوة (الشبانة)[633] التي اصبحت نواة للشرطة.، قال كوتلوف: ((وقد انخرط أبناء الشيوخ وأقرباؤهم في الجندرمة المحلية (الشبانة) التي شكلت لكبت استياء وسخط الجماهير الشعبية))[634]،

---

[625] فورستر... المصدر السابق ص108 (حيث كان حتى عام 1917 الحديث العراق المقترح بعيدة عن الكوردستان وولاية موصل، وأكثرمن ذلك أن ولاية بصرة أيضا لم تكن ضمن العراق المقترح (أنظر نص البرقية ليوم 29-3-1917المسجلة فى بداية هذا المطلب)

[626] ينظر: أ-كوتلوف... المصدر السابق ص109، ب- فورستر... المصدر السابق ص111

[627] ينظر:أ-العراق في دوري... المصدر السابق ج1ص63 ب-د.فياض... المصدر السابق ص167

[628] ينظر:أ-كوتلوف... المصدر السابق ص116-117، ب- العراق في دوري... المصدر السابق ج1ص67

*نص التصريح:((ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع ألمانيا، وهي تحرير الشعوب التي طالما أرزحت تحت أعباء استبداد الأتراك تحريراً تاماً ونهائيا وتأسيس حكومات وادارات وطنية وتستمد سلطانها من رغبة نفس السكان الوطنيين، ومحض أختيارهم))

[630] ينظر:أ-فياض ... المصدر السابق ص205- ب-وموسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص172)

[631] مس بيل... المصدر السابق ص208

[632] الذي اصبح فيما بعد مفتشاً عاماً للشرطة العراقية.

[633] الشبانة: أسم فارسى تعني (شةبانى أي الحرس الليلي) لا صلة لها بالشباب، وهى مرتزقة، أثناء حكم فارس، ومن ثم لبريطانيا لغرض نفسه.

[634] كوتلوف... المصدر السابق ص125

وشكلت كذلك قوة (الليفي) العسكرية من المسيحيين، أما في مجال الصحافة فقد تم إصدار عدد من الصحف التابعة للإدارة المحتلة، مثل: (الموصل، العرب، أوقات بصرية،...)[635].

وهذه الإدارة التي أنشئت كانت تحت السيطرة المحتلة مباشرة، والعراقيون فيها يلعبون دور المشاور للضباط البريطانيين فى أحسن حالهم، لذلك كانوا في حالة حرجة، بين:

1- أخطاء وتصرفات البريطانيين والهنود الذين لم يلموا بالعادات والتقاليد السائدة في المجتمع العراقى المسلم.

2- وبين فتاوى المجتهدين ضد العراقيين المشاركين في هذه الإدارة.

ولكن التيار النفعي من العلمانيين والعشائر لم يبالوا بهذه الفتاوى وعرضوا أنفسهم للمحتل كممثلي الشعب. وأحيانا تنافسوا على المناصب.

في هذه الأثناء أذيع في بغداد بتأريخ 1920/5/3 بلاغ موافقة الإنتداب على العراق الذي وضعه مؤتمر الحلفاء في سان-ريمو يوم 1920/4/25[636] ،وقد أنشئت بموجبه حكومة مؤقتة في بغداد برئاسة (حسين افنان[637] ، وقد حذر في أول خطبة له نيابة عن (المندوب السامي) الأهالي الذين يريدون التأزم.. وأضاف أن بريطانيا لم تنحرف عن وعودها قيد شعرة في تأسيس حكومة وطنية في العراق في أي وقت من الأوقات [638]، وبدأت الفئات العلمانية تدخل وتشارك في مشروع[639*] الإحتلال في العراق وكانت بريطانيا تمضي قدماً في بناء الدولة وما تبقى من مؤسساتها، وقد هيئت برامج لوضع الدستور من قبل لجنة برئاسة (بونام كارتر-ناظر العدلية)، وصدر أمر بتأسيس مجالس الشورى من الأهالي لمعاونة الحكومة المؤقتة في بغداد، يكون لأعضائها وظيفتان:

1- أن يقدموا مشورتهم فيما يعرض عليهم من مسائل.

2- أن ينبهوا بواسطتها الحكومة المركزية في المسائل المتعلقة بسكان البلاد التي يرى أحد الأعضاء لفت نظر الحكومة اليها.

وكانت بريطانيا على وفق متطلبات المرحلة الجديدة في العراق تقوم بالمهام التالية:

1- تكوين الحكومة ومؤسساتها لبناء الدولة العراقية وضمان استقلالها في عصبة الأمم.

2- حفظ السلم داخل العراق وخارجه.[640]

وقد فتحت أبواب التجارب الأوروبية للعراقين، وتم أعدادهم وتدريبهم على حكم بلادهم بأنفسهم، وكتب (ولسون) بهذا الصدد الى حكومته مايلي: بما أن الشعب العراقي غير قادر على حكم نفسه وأنه يقترح ان يبادر الى التدريب في اصول

---

[635] موسوعة العراق السياسي... المصدر السابق ص142

[636] العراق في دورى... المصدر السابق ج1 ص82

[637] حسين أفنان سكرتير الحكومة، ورئيس للحكومة الأنتقالية وفيما بعد بقى سكرتيرا في حكومات نقيب. من حيث الأصول شركسية

[638] ينظر نص الخطاب فى:العراق في دورى... المصدر السابق ج1ص86(وقد ألقى هذه الخطبة بصفة رئيس الحكومة المؤقتة)

* وأحيانا وقفوا ضد المقاومة والثورة فيما بعد، كما دل على ذلك ماجاء في الرسالة الموجهة الى رؤساء الثورة في العراق من قبل مؤتمر العراقي في دمشق، وأكد المؤتمرون في هذه الرسالة أن شأن القطر العراقي يرفع ويستقل كاملة بمساعدة بريطانيا، وقد حدد في الرسالة أن جنرال نوري سعيد هو ممثلكم ويقوم بهذه المهمة، وقد ردت جريدة (الفرات) في عددها (2) السنة الأولى 28/ ذي القعدة 1338 التي كانت ناطقة بأسم معارضة الأسلامية على هذه الرسالة ودعت الأمة الى أن لا تبالي بهذه الدعوات ولو كانت بأسم الملك حسين(شريف مكة) أوأبنائه: فيصل، و عبدالله أو بأسم مؤتمر العراق أو أية جمعية أخرى)(فياض- ص104-105

[640] العراق في دوري... المصدر السابق ج1 ص91-92

الحكم عن طريق التشكيلات البلدية، ويعتبر (ع.الحسني ود.فياض وغيرهما) تأسيس المجالس البلدية هذه في العراق خلال كانون الثاني 1919 اسطورة الحكم الوطني.[641]

وبدا أن الخطة في بناء الحكومة لا تلقى صعوبة تذكر في كسب وجذب متعاونين على جميع المستويات، بما فيها الوسط الشعبي الذين أنخرط في صفوف قوات المرتزقة من الشبانة والليفي والحوشية، ولكن لم تستطع بريطانية المحتلة تطبيع علاقاتها مع علماء الدين، حيث بدأ نشاطهم فى الناحيتين الإعلامية والجهادية يتصاعد، وتصدر الفتاوى التى تحرم التعاون مع بريطانيابإستمرارفيه، وقد نقل (د.علي الوردي) بعض هذه الفتاوى الصادرة، ومنها:

((كل شيء عند الانكليز حرام، ابتداءاً من حضارتها ثم التشبه بهم، التشبه بالكافر حرام، وكذلك الجلوس على كرسيهم أو قراءة جرائدهم، والدخول في المدرسة التي يفتتحها المحتلون، أو حتى الأكل بملعقة المحتل.. كلها حرام، وأفتوا كذلك بحرمة التوظيف في الحكومة العراقية، وإعتباره تعاونا مع الكفار))[642].

استمرت هذه الثورة الإعلامية مدة غير قليلة، ولكن يبدو أن الأقوال مقابل الأفعال لن تغني شيئاً، والنتيجة كانت لصالح الخطة البريطانية، وقد كان في نظر (علماء الدين) الحكم (بغير ما أنزل الله) هو الخط الأحمر بناءاً على الآية ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون))[643]، وتأسيساً من ذلك فإن الذي يضع القوانين الوضعية ويحكم بغير (ما أنزل الله) فهو كافر، والذين يشاركون بريطانيا بأية طريقة كانوا هم مرتزقة (سواء كانوا مرتزقة عشائرية أم أفندية، بالبنادق أو بالأقلام..)، ويقول (لونكريك) بهذا الصدد: (ان رجال الدين الشيعة لا يميلون الى أية حكومة علمانية)، [644] هكذا لاحت في الأفق بوادر الثورة من قبل الإسلاميين ضد:

1- المحتل.

2- الحكومة اوالدولة العراقية التي يرمي (المحتل) الى بنائها. التى سنتناولهافى المطلب القادم.

---

[641] د.فياض... المصدر السابق ص211

[642] دراسة فى الطبيعة المجتمع العراقى ... المصدر السابق ص344-345

[643] سورة المائدة –أُية -43-

[644] فياض... المصدر السابق ص17

المطلب الثانى: الثورة ضد المشاريع البريطانية

استمر الإنقسام بين العلمانية و الإسلام حول مشاريع بريطانيا فى المنطقه، لأغراض بيناها فى المطلب الثانى – المبحث الأول- من هذا الفصل، وممكن إيجاد ثلاثة تيارات رئيسية فى المجتمع العراقى كما نجده أيضاً فى الأجوبة المتباينة لإستفتاء يوم 1918/11/30 بشأن الأسئلة الثلاثة حول مصير العراق:

1- هل يفضلون دولة عربية تقوم بريطانيا بإرشادها؟

2- هل يفضلون أميرا عربياً؟

3-من هو الذي يرشحونه؟[645]

تمثل ذلك التقسيم الحقيقى لمواقف هذه التيارات تجاه التطورات الراهنه انذاك، وهى: أ- الإسلاميه ب-العلمانيه ج- والجماهير العريضة:

أ- التيار الإسلامى، وقف هذا التيار ضد الخطوات البريطانية فى بناء الدوله العراقيه، عبر الفتاوى العلنية وغير العلنية لعلمائهم وقادتهم، لاسيما فى الإستفتاء المذكور، وقد استفتي (محمد تقى الشيرازي) المجتهد الأكبر آنذاك عما إذا كان يجوز انتخاب غير مسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين ؟، وكان الجواب مشابه لفتاوى المجتهدين الآخرين فى الكاظمية والنجف وكربلاء الذين حرموا التصويت لحكومة غير إسلامية، ولما عرف الإنكليز مواقف العلماء إستخدموا طريقة خاصة فى الإستفتاء، وأختارت النجف للإستفتاء فى البداية ثم كربلاء والكاظمية ومن ثم بغداد، اما فى بقية المدن الأخرى فقد أجري بطريقة مدبرة لمنافع الأنكليز واختاروا الرؤساء وشخصيات معينة بدعوة أنهم يمثلون الجماهير، وأشرف(كولونيل ولسن) بنفسه على تمشية الإستفتاء بالتعاون مع جمعيه العهد[*]، رغم ذلك حصلت على أجوبة متباينة حول الأسئلة المذكورة، وفيها طلبوا:

1- ملك انكليزى وهو برسي كوكس، 2-ملك عربى، 3-ملك فارسى من العائلة القاجارية، 4- الحاق المنطقه بأيران، 5- أمير وحكم غيرعربي 6- حكم بريطاني مباشر 7- أمير عثمانى 8-حكم ملكى 9-حكم جمهورى...[646]، يبدو ان هذه الآراء المتضاربة تمثل مستوى التفكير السياسى لدى اكثريه الناس فى تلك الأيام، فقد ورد فى التقارير الإنكليزيه قول أحد السادة (وهو السيد محمد بركات) حول هذه الأسئله أمام الحاكم السياسى، حيث قال: ((فى رأيى ان سؤالكم لنا وأنتم حكومة: ما هو نوع الحكومة الذى نريده، يدل على شيء غير اعتيادى وهو أمر لم نسمع به قبل، فما شأنى أنا فى هذا الموضوع، فأنتم لوعينتم علينا حاكماً نصرانياً أو يهودياً أو عبدًا زنجياً كان ذلك بالنسبه لى حكومة على حد سواء))، وكان هناك أراءأخرى مفادها: هو كل ما يأتى من الأنكليز مقبول[647]، و يدل ذلك على مدى هشاشة الرأي العام، أما من جهة علماء الدين فقد أصر (اكثريتهم) على التصويت لصالح الحكومه الإسلامية [648]، لاسيما (الشيرازى)، ولكن بقى المجتهد الأول (كاظم يزدى) مترددا فى إعطاء جواب واضح وزعم انه يعرف الحلال والحرام ولكن لايعرف السياسة، ومن الواضح أن أى عالم او مؤسسة إسلامية يبعدون أنفسهم عن السياسة فهى

---

[645] ينظر أ- د.فياض... المصدر السابق ص205-206ب- موسوعة العراق السياسى... المصدر السابق ص172

[*] *لذلك قد واجهت الجمعية المذكورة الإحتجاجات حتى من جانب قواعد الجمعيه نفسه.ينظر: (كوتلوف ... المصدر السابق ص149-150)

[646] د.على الوردى... المصدر السابق ج5ص91

[647] ينظر:أ- وردى... المصدر السابق ج5ص88، ب- د.فياض ... المصدر السابق ص209

[648] العراق فى دورى ... المصدر السابق ج1ص72-73

فى خدمة المؤسسات العلمانية، إن كانت هى علمانية محتلة أم من بنى جلدتهم، لذلك هناك آراء حول (اليزدى) الى درجة الوصف: بأنه فى خدمة بريطانيا[649].

(ب) التيار العلمانى: او الحركة الوطنية القومية، أخذت تشارك العملية السياسية، كما أشار(مس بيل وكوكس وغيرهما)، بأنهم مادة الحكومة[650]، ويتكون هذا التيار من كبار(الضباط) وطبقه الأفندية والمثقفين والتجار وأحياناً يشمل بعض الرؤساء وشيوخ العشائر (النفعيون)، وهم فئة قليلة لايستطيعون أن يلعبوا دورا هاماً بدون بريطانيا.

ج) الجماهير العريضة، وهم بدورهم ليسوا أصحاب إرادة سياسية معينة، بل موزعين بين: الولاء الدينى والولاء العشائرى، الولاءللوطنية وغير الوطنية، و احياناً يؤيدون الفريقين المتناقضين فى آن واحد، او يبقى اكثريتهم فى حالة طبيعية بدون إرادة، كما أشاعوا من بينهم القول الشعبي: كل من يأخذ أمى أسميه عمى[651]، او أنا مع الغالب، او أنا مع الحكومة وإن كان على رأسها يهودى أو نصرانى، ....الخ.

وبموازاة التيارات المذكورة ظهرت ثلاث جمعيات رئيسية آنذاك، وهى:

1- جمعيهةالنهضة الإسلامية، وهى أقرب الى التيارالاول.

2- جمعيه العهد، تمثل التيار الثانى.

3- وجمعيه الإستقلال فى الوسط..

ولنا وقفه سريعة، حول كل جمعية على حدة، وأثرها فى الثورة.

1- جمعيه النهضة الإسلامية، تأسست عام 1918 فى النجف، على يد هيئة وهم: محمد جواد جزائري –رئيسا، محمد على بحر العلوم، عباس على الرماحى، عباس خليل، عبدالرزاق عدوة،...)، وكانت هذه الجمعية سرية وغايتها القيام بثورة لطرد المحتل، وهى أول جمعية وقفت فى وجه الإحتلال[652]، وأول عمل جهادي قاموا به هو اغتيال حاكم النجف (كابتن مارشال)، على وفق رأى(مس بيل) انهم أعدوا لجنه الثورة الإسلاميه فى النجف وهى مكونة من 100عالم دينى، وقد لعبت دوراً هاماً فى إشعال الثورة. هناك جمعية إسلاميه أخرى فى كربلاء تحت رئاسة (مرزا محمد شيرازى – ابن الشيرازى)، ومن اهم اعضائها (هبة الدين الشهرستانى، حسن قزوينى، عبد الكريم عوان، عبد المهدى آل قبذ،...)[653].

2- جمعيه العهد، كثيراً ما يشيرون الى نشوء هذه الجمعية بإسم العراق فى 1919م[654]، لكن الحق ان هذه الجمعيه قد تأسست فى الأستانه عام 1913 على يد(عزيز على المصرى – مع مجموعه من الضباط العرب كانوا فى الجمعية القحطانية[655] التى

---

[649] أ-فياض... المصدر السابق ص273،وص211 ب-وردى... المصدر السابق ج5 ص72

[650] ينظر:المطلب الثالث (هوية الثورة)من هذا المبحث.

[651] وردى... المصدر السابق ج5 ص168

[652] الأحزاب السياسية... المصدر السابق ص37

[653] وردى... المصدر السابق ج5ص103وأنظر تفاصيل حول هذه الجمعية: أ-فياض ... المصدر السابق ص192-205ب-كوتلوف... المصدر السابق ص138-146ج -الأحزاب السياسيةفى العراق... المصدر السابق ص36- 39 د-الشيخ عبود الهيمص... المصدر السابق ص161- ومصادر أخرى التى ثبتت

[654] مثلا: موسوعة العربية العالمية ج16 ص181 وكتاب العراق فى التاريخ ص665 وعبود الهيمص فى كتابه –ذكريات وخواطرعن أحداث العراق ص162(الأخيرسجل عام تأسيسها فى العراق 1917م)

[655] جورج انطونيوس – يقظه العرب- تأريخ حركه العرب القوميه- ترجمة: د. ناصر الدين الأسير، ود- احسان عباس، بيروت 1969 – ص169

تعمل سرياً من اجل القضيه العربية، بمعناها الشامل دون تخصيص قطر معين من الأقطار العربية، وفى اثناء الحرب(بعد أن علم بأن الحلفاء لايحبذون الوحدة)، انقسمت هذه الجمعية على نفسها عام 1919م، وظهرت منها جمعيه العهد فى دمشق والقاهرةو بغداد والموصل...، فشكلت هيئة من فرع بغداد مكون من:(سعيد النقشبندى – رئيسا، حسن رضا، احمد عزمى الاعظمى، امين زكى، نورى فتاح، بهاء الدين سعيد النقشبندى، علاء الدين النائب)[656]، اما فرع الموصل فكان برئاسة (رؤوف الغلامى)، وبعد هذا الإنقسام نزلوا سقف المطالبة من دولة عربية كبرى الى دويلة اقليمية، على وفق المنطلقات الإستعمارية فى المنطقة، وطالبت بإستقلال العراق فقط وانهاضه بالتعاون مع بريطانيا، وان هذه الجمعية-كما هو شأن اغلب الجمعيات العربية- كانت منقسمة فيما بينها، بين مؤيد للإحتلال ومشاريعه العامة فى المنطقة- وهم التيار القومي العلماني كما قال: فياض وحسنى[657]، وبين معادى للمشروع الإستعمارى، الذين يعتبرونه عدوًا طالما يعمل من أجل هدم الخلافة وتقسيم العالم الإسلامى والعربى، وبالتالى هو حلقة أخرى من التقسيمات العلمانية واسلامية داخل الجمعيات المذكورة، وكان ذلك يلاحظ حتى بين الفرعين الموصلي والبغدادي لجمعية العهد، اذ ان البغداديين مصنفون في القسم الأول، بينما الموصليون في الثانى، وقال كوتلوف: ((ان غالبيه الأعضاء فى (العهد العراقى) كانوا ينتمون الى رجال الأقطاع الذين ساندوا المستعمرين الإنكليز، ، من امثال: نوري السعيد، جعفر العسكرى، ياسين الهاشمى، جميل المدفعى... وغيرهم، وعرفوا بتعاطفهم مع الإنكليز قبل الحرب، وشاركوا في الثورة العربية الكبرى، وهذه الجمعية تعمل من أجل منافع "المستعمرين" رغم وجود عناصر وطنية فيها))[658]، وبحسب مذكرات لورانس هو اول من اتصل بالبريطانين وذلك على ظهر سفينة (لاما)[659] .

3- جمعيه حرس الإستقلال، تأسست فى نهاية شهر 1919/2 فى بغداد برئاسة (محمد الصدر)، اما حسب راى كوتلوف و د.فياض فإن رئيسها هو علي بازركان[660]، ومن بين الشخصيات المعروفه فيها: محمد باقر الشبيبى، جلال بابان، جعفر ابو التمن، يوسف السويدى، عارف حكمت.هؤلاء كانوا أكثرثورية من أعضاءجمعية العهد، وكانت مادة(5)فى منهاج (حرس الإستقلال) تجمع بين القطرية والعربية، وتعادي الطائفية، وجاء فى المادتين: (2) و(3) مايتعلق بالإستقلال التام للعراق، وبإسناد منصب الملكية الى أحد انجال شريف حسين بن علي، على ان يكون ملكاً دستورياً ديموقراطياً، وكانت مواد منهاجها لاتتعارض كلياً مع المشروع الكبير لـ سايكس – بيكو [661]، وبعد مد وجزر لهذه الجمعية ومشاركتها فى الثورة وأختلافاتها مع جمعية العهد لاسيما فى مسألة التعاون مع بريطانيا،مما أدى الى تبادل الأتهام، بحيث اتهمت العهد بالعمالة لبريطانيا، بينما وسمت العهد جمعية الإستقلال بالكمالية[662]، لكن وصل أمرها أخيراً الى المشاركة فى الحكم الوطني عند تكوينها.

---

656 وردى... المصدر السابق ج5 ص94

657 المصدر نفسه ص53

658 كوتلوف... المصدر السابق ص 139، انظر تفاصيل هذه الجمعية من:(احزاب السياسيه فى العراق... المصدر السابق ص43- 45و فياض... المصدر السابق ص194 ومصادر أخرى التى ثبتت.

659 لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963 ص31 .

660 كوتلوف... المصدر السابق ص143-

661 أنظر نص المنهاج فى:ألأحزاب السياسية ... المصدر السابق ص50-52،

662 وردى... المصدر السابق ج5ص94-

وقد فتحت فروعها فى مناطق: الكاظمية والحلة والنجف والشامية، ويقول كوتلوف: تكللت جهودهم فى عام 1920 بتأسيس هيئه التنسيق لنشاط(حرس الإستقلال) والمنظمات الدينية، وشيوخ القبائل، وسميت بمكتب الثورة[663].

الجمعيات (النهضة، العهد، الإستقلال) ليست وحيدة فى الساحة، بل هناك جمعيات ونشاطات سياسية سرية أخرى، وسرية هذه الجمعيات مع معارضة العلماء كونت حالة ثورية وسط الجماهير، وهى مقدمة الثورة والغليان الجماهيري، وفى هذه الأثناء كانت الجوامع تزدحم بالمصلين لاسيما أيام الجمعة، ليصبح منبراً للعروض السياسية الحماسية، وتوحدت المناسبات الدينية لدى السنة والشيعة، والعرب والكورد، وكانت كوردستان بعكس ولايتى بغداد والبصره تتبع الإستقلاله النسبى[664]، لذلك من الصعب القبول بالمحتل الكافر، هذا مادفع الكورد إلى ذهابهم الى الجبهه الأمامية فى ولاية البصرة قبل وصول البريطانيين الى حدود كوردستان، وأضطرت بريطانيا الى الإعتراف بالإستقلال الذاتى لعدد من المناطق الكوردية، و بسلطة الشيخ محمود (كحكمدار) فى 1918م وفى تشرين الأول 1918 أرسل (ميجر نوئيل)بتعليمات سياسية الى السليمانية، ولكن بريطانيا كان فى نيتها السيطرة التامة على كوردستان، لذلك تندلع هنا وهناك مواجهات عنيفه، على شكل ثورة وانتفاضة محلية كما جرت أول حركة فى زاخو ثم العمادية وامتدت الى عقرة وأربيل،... ومن ثم ديرالزور وتلعفر، وقتل عدد من الضباط والجنود البريطانيين[665]. وكانت هذه بدايات للثورة الشاملة* فى كوردستان عام 1919 بقيادة الشيخ محمود،الذى نجح فى توسيع الثورة لتشمل مناطق حلبجة ورانية و ضواحى كركوك، وتلقى الشيخ مساندة من قبائل كوردستان الشرقيه (الأيرانيه الحاليه)، ولكن عززت بريطانيا قواتها واستخدمت أسلحة متطورة و مرتزقة، وتمكنت من اخماد المرحلة الأولى من هذه الثورة، وبسطت سيطرتها على المنطقة وحكمت على الشيخ محمود بالأعدام ثم ابدل الحكم بالسجن المؤبد[666].

اولى نتائج هذه الثورة هى كسر هيبة الجيش البريطانى امام شعوب المنطقه، حيث حذا أهالي العراق حذو الكورد ولجأوا الى الثورة بعد أن ساد الهدوء فيها، كما قال كوتلوف:((فى كوردستان ثورة بينما لم يبلغ النضال الشعبي فى المناطق العربية فى العراق وكانت بريطانيا منها مرتاحه))[667].

---

663 راجع التفصيل أكثر فى: (الأحزاب السياسية ... المصدر السابق ص48-52 ومراجع التى ثبتت

664 سعدالدين ابراهيم –الملل والنحل والأعراق –ط2، مركز أبن الخلدون –ص218 وجاء فيه:على طول تأريخ كوردستان كانت يستمتعون بنوع من الاستقلال (ماعدا فترات معينه فى عهدى الأموية والعباسية) وحتفى هذه الفترات ليست محتلة، بل كما جاء فى كتاب (الملل والنحل والاعراق): ما يلى: ((يكفى ارسال العبارات الولاء الرمزى للخليفة أو السلاطين لقاء كوردستان= =مستقلة -الصفحة نفسها)). اما فى عهد العثمانى فقد استمر حكم الامارات الكورديه بموجب اتفاق (سلطان سليم – مع الامارات) بإشراف (ملا ادريس البد ليس)، وكانت لهذه الإمارات جيش ونظام النقود وسكه، وتذكر الدعاء لأمرائهم فى أيام الجمعة بدل الخليفة، وتطبق شريعة الاسلامية، وفى وجه للنقود هم اسماء للخلفاء الراشده، وكان فتاوى العلماء و(الملا) يوازى سلطة الامراء.

665 د.فياض... المصدر السابق ص215

* رغم أن بعض المؤرخين من بينهم (د.عبدالله فياض –فى كتابه الثورة العراقية الكبرى)صنفت ثورة شيخ محمود على حركات المحلية، لكن قليل من علم التاريخ تظهر بخلاف ذلك، حيث شملت مناطق واسعة، وأستمرت حتى عام 1932م ثم اشترك حكومتى العراقية وبريطانية لأخمادها...بل ثورة كبرى.

666 ينظر:أ- خلاصة تاريخ كورد وكوردستان... المصدر السابق ص265 ب-فياض... المصدر السابق ص215

667 كوتلوف... المصدر السابق ص154

يبدو ان هناك تماثلاً فى جوانب معينة بين الوضع فى النجف والسليمانية. كلاهما تمكنا تحرير مدينتهم عند رجوع العثمانيين مهزومين فى جبهات الحرب، وشكلوا حكومتين فى النجف والسليمانية، وكلاهما مرشحتان لإندلاع الثورة فيها، لذلك تشكل ثورة كوردستان سببا وعاملا مشجعا لثورة العشرين مع عدد من عوامل أخرى كما نبينها فيما يلى:

أسباب ثورة العشرين: وردت كثير من الروايات حول الأسباب الحقيقية للثورة، وقد جمع د.عبد الله فياض في كتابه(الثورة العراقيه الكبرى) الأسباب التالية:

1- الأسباب الخارجيه: أ- أصرار بريطانيا على حكم مباشر، ب- المعارضه الداخليه فى بريطانيا ضد بقاء قواتها فى العراق، ج- تأثير الثورة العربيه بقيادة الشريف حسين بن على، وتكوين الحكومه السوريه.د- أثرالثورة المصريه فى عام 1919.د- أثرالحركة الكمالية* ه-اثر ثورة شيخ محمود فى كوردستان..واحياناً تأتى ذكر ثورة البلشفية ايضاً ، ونداء (لينين)الى طبقة الفلاحيين :(يا فلاحي ما بين النهرين ، إن الإنكليز قد أعلنوا عن استقلال بلادكم !! إلا انه يوجد 80 ألفاً من جنود الاحتلال على أراضيكم ، يعملون فيكم نهباً وسلباً وقتلاً، ويستبيحون أعراضكم...الخ)[668] .

2- اما من جملة الأسباب الداخليه فهى: أ- سوء معاملة البريطانيين للعراقيين. ب- تأييد القبائل للثورة.ج- اثرالجمعيات والأحزاب السريه. د- عامل الشعور الوطني. ه- كثرة الضرائب [669].

وقدجاءذكرأسباب أخرى كلٌ وفق منظوره، وقد اجرى عبد الرزاق الحسني مقابلات مع قادة الثورة حول أسبابها واليكم بعض الأجوبه:

أ- جواب ناجى السويدى: 1- نزوع الشعب العراقي وميله الى الحريه، 2- يقظة الأهالي للحرية بعد الدستورالعثمانى 3- بيانات من (مود) و (ويلسون) و غيرهما من وعود الحلفاء بالحرية، 4- سوء تصرف الحكام، 5- كثرة الضرائب، 6- رد فعل الأهالي تجاه إلحاق العراق بالهند، 7- اثر الحكومة السورية الناشئة، 8- الإختلاف الدينى والثقافى بين المحتلين والعراقيين، 9- أثر الجمعيات العربية خارج العراق... كل ذلك أدى الى الثورة.

ب- جواب (عبدالكريم الجزائرى): 1 العامل الديني 2-سوء المعاملة 3-وجود قيادة دينية.

ج- جواب (جواد صاحب الجواهر): 1- الشعور الوطني وطلب الإستقلال 2-عدم فائدة المفاوضات.

د- جواب الشهر ستانى: 1- نهضة الملك حسين فى الحجاز 2- أثر حركة الكماليين 3- خشونة الحكام العسكرين البريطانيين مع الأهلين.

ه-محسن الشلاش: شعور العربي المحض بقوميته لدى القبائل العراقية ونيتهم التحررمن الأجانب[670]... وللبقية أجوبة مشابهه*.اما كوتلوف فقد ركز على الأسباب العسكرية والهزائم التى منيت بها القوات البريطانية فى ققفاسيا على يد الجيش

---

* وتلاحض ان د.فياض وغيره أدرجت ثورة المصرية وحركة الكمالية ضمن العوامل الأثر فى ثورة العراقيه ولم يدرج الثورة الكرديه عام 1919، وهذا تعنى اما هما ليستا شعبا واحدا لذلك لم يترك أى أثر او حاول اهمال هذا العامل عمدا .

[668] الثورة العراقية الكبرى ـ عبد الرزاق الحسني ـ ص 18

[669] فياض... المصدر السابق ص245

[670] -العراق فى دورى... المصدر السابق ج1ص174

الأحمر السوفيتي، وهروب قوات بريطانيا من ميناء أنزلى وكليان، وعلى أثر ذلك اعلن عن تأسيس جمهورية كليان التى بادرت بتأييد ومساندة الشعب العراقى فى نضاله العادل، بالأضافة الى أنعكاسات الصراع الطبقى فى بريطانيا على وضع العراق، ..كل ذلك قد فهم من قبل القوى الوطنية فى العراق على انه دليل على عدم قدرة بريطانيا فى الإبقاء على سيطرتها فى الشرق الأدنى، وذلك ترك أثراً كبيرا فى اتساع نضال الشعب العراقى ضد الإستعمار[671]،

أما آراء المسؤولين البريطانيين حول أسباب الثورة فتختلف، فقد بيّن (ولسون) ان سبب الثورة هو عداء المجتهدين الذين قاوموا كل الحكومات بعد الخلفاء الراشدين [672]، وهم أعداء لأية حكومة دنيوية (علمانيه)[673]، أما مس بيل فتقول بهذا الصدد: ((العشائر ثاروا لكى تزال الحكومة بالمرة، والعلماء من أجل حكومة اسلامية))، وفي مكان آخر تقول مس بيل اندلعت الثورة بسبب اعتقال ابن الشيرازى، ولما أخفقوا فى الإفراج عنه اصدرالشيرازى فتوى الثورة[674]،... هكذا جاءت الآراء مختلفه.

ولكن (على الوردي) يسخر من هذه الأسباب لاسيما مسألة الشعورالوطني، والميل الى التحرر وعدم قبول الإحتلال من قبل العراقيين!!.. وعاد الى العامل الأهم لهذه الثورة وهو الدين.

وهناك الأسباب الأخرى (على ما أرى) يمكن تلخيصها فى النقاط التالية:

1- الهوية الدينية للمحتل: حسب ميزان الدين فإن احتلال العراق يعنى احتلال دار الإسلام من قبل الكافر، وهذا يهز شعور و إيمان المسلمين، ويتجدد ذلك الشعور لديهم بمجرد رؤية المحتل أو عندما يتصرفون بسوء.

2- تصرفات قادتهم وجنودهم تجاه الأهالي وعلمائهم ومحرماتهم، كما كانت ثقافة وعادات وتقاليد " ملّة" المحتل تختلف كلياً مع أهل العراق، وذلك يؤدى الى إصطدام يومى بينهما.

3- يقظه العراقيين نتيجه الحروب والبيانات و زيادة علمهم ورفع وعيهم تجاه القضايا الدينية والوطنية.

4- عدم وجود معلومات* كافية لدى المسؤولين البريطانيين حول الوضع السياسى والأجتماعى والتأريخى والنفسى لأهل العراق، أدت الى تقديرات خاطئة، فقد غادر الجنرال هالدن قائد القوة البريطانية بسبب الحر الى ايران فى 24/ايار/1920 اى قبل اندلاع الثورة بستة أيام[675].

5- وهناك بعض العوامل الأخرى تظهر بسيطه ولكنها قوية فى الحقيقة، من هذه العوامل وفاة كاظم يزدي فى 1919/4/3 وتقدم (محمد تقي الشيرازي) كمجتهد أول قد غير مسار التأريخ في العراق، و علق د. على الوردي على هذه التغيرات بقوله: ((

---

* وقدأنفرد شيخ عبود فى ذكرياته الى سبب اخر وهو وضع القبعات (سيداره)على رؤوس الأنكليز ومادلت على المعانى الأخلاقية والدينية – ذكريات وخواطر... المصدر السابق ص41

[671] ينظر: -كوتلوف... المصدر السابق ص175 -

[672] فياض... المصدر السابق ص276

[673] وردى... المصدر السابق ج5ص36

[674] ينظر:أ-فياض... المصدر السابق ص281 ب-وردى... المصدر السابق ج5ص148

* اذانلاحض مس بيل وهى خبير، ومن القديم تتجول فى المنطقة، ولها علاقات واسعة مع مختلف الطبقات مجتمع العراقى، بينما ارسل معلومات حول(العاشوراء)الى بريطانيا بشكل الخاطىء، فمثلا: كتب أن قتال بين الحسين والمعاوية وقع فى كربلاءوفى يوم 15 محرم وقتل الحسين على يد معاوية...رسائل مس بيل ... المصدر السابق ص360، 357

[675] د.وردى-المصدر نفسه ج5ص61

من ضمن عوامل الثورة أ- انتقال (كوكس) الى طهران وحلول(ويلسون) محله ب- أحلال (جنرال هالدن) مكان (ماكمون) فى قيادة القوة. ج- موت اليزدي وحلول محمد تقي الشيرازي محله[676] .

وكان يزدي يبعد نفسه عن مسائل السياسة والجهاد بينما كان الشيرازى ثوريا، وقد ساهم (الأخير) فى الحد من الجدال الشرعي القائم عما اذا كان الجهاد فرضاً ضد المحتل الكافر اوالميل الى المسالمة فى حالة الضعف، الرأي الأول يقوده الشيرازى اما الثانى فيقوده اليزدى، وقد غلب الأول على الثانى[677]، لذلك عملت مجالس العلماء فى النجف من أجل إستقدام الشيرازي لمواقفه الثورية دون أن يزاحم مكانة يزدى فى النجف، ونقلوا الشيرازى من سامراء الى كربلاء قبل وفاة يزدي[678]، و معظم الفتاوى التى صدرت ضد بريطانيا كانت من الشيرازى وليس من يزدي، لذلك برز الشيرازى كزعيم دينى للأمة بسنته وشيعته. وأيد ذلك العالم السني الكبير (امجد الزهاوي فى ذكرياته)[679]، عندها جرت الإحتفالات المشتركة فى الجوامع والحسينيات وفى المناسبات الدينية تقرأ (الموالد) من قبل السنة و تقام مجالس التعزية الشيعية، وجرى أول إحتفال موحد (المولد والتعزية) فى يوم 14/ ايار/ 1920 فى جامع القبلانية[680]، وكانت الإحتفالات تنتهي بخطابات حماسية من أجل الإسلام العظيم وطرد الكفار، وقد برز الفرات الأوسط مقابل بغداد، حيث ظهر الوعي الديني فيه أكثر كما يقول الوردي:((ان الفرات الأوسط المحيط بالمدن المقدسه كانوا أكثر وعياً من غيرهم لاسيما الرؤساء الذين يزورون العلماء بإستمرار))[681]، وهم على الإستعداد لأية إشارة من العلماء، بينما تركز النشاط الإصلاحى (وليس الثوري) للعلمانية فى بغداد والمحيطة بالدوائر البريطانية، وكانت جماهير بغداد (ماعدا العلماء) لا يساوون أهل الفرات الأوسط في مستواهم السياسي والديني، بل هيمن عليهم طابع غير إسلامي، فمثلاً كان في يوم السبت تعطل الدكاكين والأسواق فى بغداد بدل الجمعة[682]، لذلك بقيت المناطق الفرات الأوسط متوتره ونشطة أكثر من غيرها.

الثورة: وقد توالت فتاوى الشيرازي وحث فيها الأمة على الوحدة والثورة بناءً على أحكام الشريعة، فى هذه الأثناء قام شعلان ابو الجون –وهو شخص مهم فى ثورة العشرين- مع مجموعة من رؤساء العشائر بزيارة الى الشيرازى* وقابلوه بحضورعبدالكريم الجزائري وعرضوا عليه فكرة الثورة، وبعد المداولات، أجاب الشيرازي: إذا كانت هذه نواياكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم[683]، وفي الليلة التالية (أي في 16/شعبان/1338) اجتمع الزعماء المذكورون في حضرة الحسين وعاهدوا الله ورسوله وقرروا الشروع بالثورة فى يوم واحد و في مواضع مختلفة، وكلف الشيخ شعلان وغثيث المرجان جبهة السماوة[684]، وقد أصدر الشيرازي توجيهات جديدة وحث الجماهير على قيام بمظاهرات سلمية، للمطالبة بالإستقلال والحكومة الإسلامية، ووزعت

---

676 وردى... المصدر السابق ج5ص55

677 المصدر نفسه ص66

678 فياض... المصدر السابق ص228

679الإمام أمجد زهاوى-... المصدر السابق ص15-17

680 ينظر:أ-فياض ... المصدر السابق ص237 ب-وردى ... المصدر السابق ج5ص175

681 المصدر نفسه ج5ص144

682 المصدر نفسه ص126

*يقول عبد الرزاق الحسنى ((سافر الى كربلاء فى 16-شعبان -1338ه كل من العلوان الياسرى ومحسن أبو الطبيخ ونورى سيد عزيز وشعلان أبو الجون لزيارة الشيرازى..)

683 العراق فى الدورى... المصدر السابق ج1ص96-97

684 فياض ... المصدر السابق ص279 وأيد محسن أبو الطبيخ فى مذكراته هذه المعلومات (مذكرات ... المصدر السابق ص123)

هذه التوجيهات باليد وبسرعة، وبدأ يتوافد على الشيرازي ممثلو العلماء والشخصيات استحضاراً للثورة، وقد اخذت بريطانيا نشاطات العلماء على محمل الجد، ونفى بعضهم الى الهند من بينهم نجل الشيرازي، ولم تمنع تلك الإجراءات نشاط العلماء، وقد صدرت فتوى حاسمة(و سجلت لدى المؤرخين بالفتوى الخطيرة) تدعوا إلى الثورة بعبارة صريحة، وهذا هو نص الفتوى: (مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن ويجوز لهم التوسل بقوة الدفعية إذا امتنع الإنجليز من قبول مطالبهم))[685]، وفى معرض جواب الشيرازي لأسئلة الموفدين..بدأ يصعّد الكلام ويقول: حان وقت أخذ حقوقكم، بذلك تحولت الفتوى الدفاعية الى فتوى الثورة، وكان العلماء في حالة التعبئة العامة، وانشغلوا في (لجنة الثورة) زهاء 100 عالم، حسب (على الوردي) أول من نادى بالثورة المسلحة في الفرات الأوسط هو (علوان الياسري)، ودخلت حيز التنفيذ بعد إعتقال (شعلان ابو الجون) في الرميثة يوم 1920/6/29 عند ما جاءت مفرزة من الثوار واخرجوا شيخهم بالهوسات من السجن بعد قتل شرطيين، هذه الحوادث فى1920/6/30 لدى أغلب الباحثين تعدأولى شرارة الثورة[686]، وفي 1920/7/2 اعلن في النجف الجهاد المقدس ضد المحتلين[687]، فأندلعت الثورة.

وحينها كانت القوات البريطانية في العراق- حسب المصادر البريطانية- مكونة من 9000 محارب انكليزي، و 38000 محارب هندي، ومن الأتباع 60000 من الهنود، غير محاربين 3000 انكليز و 23000 هندى، بالإضافة الى قوات ليفى وشبانة المحلية موالية للبريطانية ،اما قوات الثوار حسب (هولدن) فقد قدرت بزهاء 131000 مقاتل و 53000 بندقية[688]، و حسب كوتلوف فإن قوات بريطانيا تقدر ب(130- 150)ألف، تدعمها طائرات ودبابات واسطول بحري، بالإضافة الى 5000 من قوات الشبانة[689].

و بعد حوادث الرميثة هبت قوة من الديوانية مؤلفة من البريطانيين والليفي بقيادة (مارفين) الى الرميثة، وتصدى الثوار لهم وكبدوها خسائر فادحة، أدى ذلك الى إعلان حالة التعبئة في صفوف القوات البريطانية..ومن جهته بذل الشيرازي أقصى جهوده لكي لا يبقى أهل الرميثة وحيدين في المواجهة، وبعد إصدار فتوى الجهادإتسعت الثورة وامتدت الى الميادين التالية: ابو صخير، رستمية، الحلة، السماوة، الدغارة، ميدان بين الديوانية والحلة، الكوفة، ميدان بين الحلة وسدة الهندية، ثم امتدت الى شمال بغداد والى ديالى وهي تطور خطير بالنسبة لقوات بريطانيا، يقول كوتلوف: ان الشيخ محمد الصدر رئيس جمعية (الإستقلال) انتقل الى ديالى ولعب دوراً مهماً في العمل المسلح، كما التحق يوسف السويدي بمنطقة اليوسفية، وجعفر ابو التمن وعلي بازركان الى الفرات الأوسط، وقد ساهم الأكراد في تلك الثورة ، وحرروا من كفري الى خانقين ثم حوض نهر ديالى ودلتاوة وشهربان وبعقوبة[690]، وبمقتل كولونيل لجمان على يد شيخ ضاري المحمود- زعيم عشيرة الزوبع بين بغداد وفلوجة في خان النقطة - في 1920/8/12 امتدت الثورة الى هذه المنطقة، بالإضافة الى المنتفك[691].

---

[685] وردى... المصدر السابق ج1ص 235

[686] أ- العراق فى الدورى... المصدر السابق ج1ص119 ب- فياض... المصدر السابق ص298

[687] أ-العراق... المصدر السابق ص171 ب- كو ص185

[688] كوتلوف... المصدر السابق ص179 (وقد قدرفياض تقديرا مشابهافى ص298)

[689] كوتلوف... المصدر السابق ص198

[690] المصدر نفسه ص198

[691] أ-العراق فى دورى... المصدر السابق ج1ص119-151 ب-كوتلوف ... المصدر السابق ص181-

وقد دخلت الثورة الى المرحلة الأخطر عندما حررت الأراضى من السماوة والرميثة حتى النجف، ومن الديوانية والكفل حتى الصحراء الجنوبية، وبدأ بتشكيل إدارة بديلة، حيث شكلوا أول حكومة تحررية في النجف سميت بحكومة الثورة[692]، وهى بديلة للحكومة التي تنوي بريطانيا انشاءها في بغداد، وقد ساد الهدوء في المناطق المحررة، وطبقت الشريعة الإسلامية فيها، ولم تظهر حوادث الإغارة او قطع الطرق والنهب والسلب كما هي العادة عندما تغيب سلطة الدولة، كما بقيت دوائر الحكومة دون المساس بها، وقد اجريت أول عملية إنتخاب ديمقراطى عبر صناديق الإقتراع لإنتخاب المجلس التشريعي في 1920/8/25، وقد شكلوا منها مجالس التالية:1. مجلس البلدية 2. مجلس الأدارة 3. المجلس التنفيذي 4.المجلس العلمي المكون من (14) عالما بقيادة (شيخ الشريعة) لغرض الأشراف على الحكومة والثورة بشكل عام، وقد تقلد الشيرازي رئاسة المجالس حتى وفاته[693]، ورتب المواصلات وتآلفت المجالس المحلية بمشاركة الهيئات العلمية، وجبيت الضرائب، وانشئت الصحف، حيث اصدر (محمد باقر الشيبي) جريدة(الفرات) في النجف لنقل اخبار الثورة وتوجيهات العلماء، كذلك صحيفة (الإستقلال)[694] بالإضافة الى مناشير يومية حول المعارك.

وقد بدا المشهد العراقي مشابهاً بمثيلها التركي من حيث ظهور حكومتين فيها، حكومة إسلامية في الأستانة وحكومة علمانية في انقرة، اما في العراق ففى فترة 1919-1920ظهرت ثلاثة حكومات فى العراق،حكومة في النجف بقيادة العلماء وحكومة في بغدادتحت سيطرة بريطانيا، وحكومة كوردية فى السليمانية ،او بعبارة اخرى حكومات شيعية و سنية وكودية،وبالتالى الحكومة اسلامية فى نجف وكربلاء وحكومة علمانية قومية فى بغداد وحكومة وطنية شبه دينية فى كوردستان ، وفي النهاية انتصرت الحكومة بغداد على حكومتان ،كذلك انتصرت حكومة انقرة على حكومة اسطنبول ،اى انتصر الحكومتان العلمانيتان في كلا البلدين.

وقد بدأت قوة الثورة واندفاعاتها تتراجع بعد أربعة أشهر من القتال والصمود امام القوات البريطانية الضخمة و التي تصل اليها إمدادات من كل من الهند وايران[695]، وسيطرت القوات البريطانية على ديالى ثم الفلوجة، وفي 1920/10/12 سيطرت على الهندية، وفي 1920/10/18 دخلت الكوفة، عندها عرضت كربلاء مبادرة السلام على بريطانيا، وورد الجواب بقبول العرض في 1920/10/21 بشروط قاسية، شروط الغالب على المغلوب، ومن بين الشروط تسليم المجرمين واسلحة الثوار ودفع التعويضات للخسائر، كذلك الخضوع لأوامرحكومة بغداد.. وبعدها بدأت المدن الباقية تستسلم، حيث أستسلمت النجف في 11/27/ بعدها سدة الهندية، وفرضت شروط مشابهة عليهم بما فيها تسليم زعماء الثورة، وبقيت معارك متقطعة، آخرها معركة الخضر في نهاية الشهر 1920/11 [696]، وانتهت الحكومة والثورة، ولم يبق امام الزعماء سوى الإستسلام او الفرار الى خارج الوطن، وأخيرا صدر لهم العفو العام وذلك في يوم 30/ايار/1921 اجهارا بفشل الثورة واهدافها وانتصار المحتل [697]. بعد خمسة أشهر من عمر الثورة.

---

[692] أ-العراق...فى... المصدر السابق ج1ص165 ب-فياض... المصدر السابق ص311

[693] أ-وردى... المصدر السابق ج5ص292 ب- العراق ... المصدر السابق ج1ص166-167

[694] -أ-فياض ... المصدر السابق ص280 ب-وردى ... المصدر السابق ج5ص314-316

[695] تم الإستفادة من المصادر التالية: أ-كوتلوف... المصدر السابق ص227 ب-لمحات ... المصدر السابق ج5 ص306 ج-فياض... المصدر السابق ص311 د-العراق فدورى ... المصدر السابق ج1ص165

[696] كوتلوف... المصدر السابق ص256

[697] العراق فى دورى... المصدر السابق ج1ص155-163

وتكبد الجانبان خسائر فادحة، حسب مصادر بريطانية، الخسائر كالأتى: عن الجانب البريطاني 425 قتيلا، 228 جريحا، 45 مفقودا، 164 اسيرا، المجموع 2269، وقدرت الخسائر المادية بأربعين مليون جنيه استرليني[698]، اما خسائر الثوار قدرت بـ (8450 الى-10000)ما بين قتيل وجريح.

المطلب الثالث: هوية الثورة

جرت محاولات كثيرة لتعريف هوية الثورة، منها ما أعطاها المضمون الوطنى أو القومى، وفريق آخر حاول إعطاء الطابع الحزبي..و اخرون وصفوه بعكس الجميع وأعطوه طابعاً عفوياً، وغيرهم أكد على العامل الفردي فأبرز (شعلان ابو الجون)للتعريف كمفجر الثورة وإحتكاره من قبل حزب الإستقلال بضريعة انه(اى شعلان ابولجون) يحضر إجتماعاته[699]. وكذلك جاءت آراء متباينه ومتضاربة حول هويتها الجغرافية والدينية، فمنهم من قال انها ثورة فراتية وليست عراقيه، وآخرون ذهبوا الى أنها ثورة دينية وليست وطنية، يقول عبدالرزاق الحسني: ((جاءت الآراء المتضاربة، فقد كتب فريق من الناس عن هذه الثورة وقال انها كانت جزءاً من الثورة العربية الكبرى، وبحث فيها آخرون فقالوا انها كانت عبارة عن العصابات التي الفها جميل بك المدفعي في تلعفر ومولود مخلص في دير الزور، ونسبها فريق ثالث الى العلماء الإيرانيين، وغالى فيها والفريق الرابع قال انها كانت ثورة فراتية بحتة قام بها سكان الفرات الأوسط دون غيرهم، ولعل أغرب ما قرأناه عنها قول أحد الصحفيين في بغداد أن زعماء الفرات الأوسط كانوا زعانف الثورة لأبطالها)) [700]، اما التيار القومي فقد إتبع رأي جورج انطونيوس واعطوا الهوية القومية للثورة [701]، وهو التفسير الشائع فى الوسط الأكاديمى والسياسى، وعزز ذلك بعض من الباحثين الشيعة الذين تخوفهم الإتهامات ضدهم بالتبعية الإيرانية او الهندية واللاعربية، مثلا (حسن العلوي) وصف هذه الثورة بالعربية الأصيلة والعراقية البحتة، ويقول: والواقع ان طروحات فقهاء الإسلام الشيعة الذين قادوا الحركة الأستقلالية العراقية لم تكن دينية متزمتة، فقد ظهرت برامجهم السياسية وكأنها مشروعات جبهوية بطابع وطني تحرري وعربي، ويضيف الثورة رسمت خارطة العراق لأول مرة[702]، واضاف ان العروبة شعار الثورة[703]، و يضيف في مكان آخر:((الناس فريقان فريق عروبي يناهض الأحتلال وفريق شعوبي يناصر الأحتلال))[704] وفي النهاية يستنتج بأن الثورة هي مؤسسة العراق الحديث***

---

698 أ-الشيعة ... المصدر السابق ص139 ب-العراق فى... المصدر السابق ج1ص172 ج-فياض... المصدر السابق ص356

699 -د وردى... المصدر السابق ج5ص223

700 ينظر:أ- العراق فدورى ... المصدر السابق ج1ص173، ب- فورستر... المصدر السابق ص137

701 د فياض ... المصدر السابق ص367 -لذا نجد ان الباحثي هذا الصنف اما لم يهتموا بهذه الثورة كما سبق وسجلنا عن (ساطع الحصرى)أو قللوا من أهميتها ومن ثم لم يقل الحقيقة، فمثلا الكتاب (العراق فى التاريخ)لم يخصص سوى نصف صفحة لها وانفرد بذكر الأسباب بأنه اندلع الثورة نتيجة قطع السكة الحديدفى شمال بغداد...وذكرت أسماء المدن ووضع بغداد فى مقدمتها!! وذكر دور حزب العهد! فيهابينما لم تذكر جمعية النهضة -(العراق فى التاريخ ص665 -666)

702 الشيعة... المصدر السابق ص133-

703 المصدرنفسه ص129

704 المصدر نفسه ص133

أما (فورستر ومس بيل وغيرهما) فيصفون الثورة بالإسلامية والبعيدة عن الهويات الأخرى، ويقول فورستر: ((إذ ان الزعماء الإسلاميين في المراكز الدينية المقدسة كانوا يفضلون بأن لايعترفوا بأية سلطة اخرى سوى سلطتهم هم انفسهم))[705]، لكن يلاحض ان أغلب المؤرخين عند البحث عن هوية ثورة العشرين يتمسكون بأمر واقع العراق (بعد تكوينه) أو حاولوا التوفيق بين الثورة وتكوين العراق، لذا نجد أن أكثريتهم أعطوا هوية وطنية وقومية عراقية للثورة، وبالتالي اعتبروها جزءاً متمماً للحركة الوطنية التي بنت العراق الحديث حسب زعمهم، ولكن قليلاً من علم التأريخ يكشف أن الأمر ليس كذلك، فالثورة ليست جزء من الحركة الوطنية ولاالحركة الوطنية صاحبة الفضل فى بناء العراق، وهناك خلط واضح بين أوراق منفصلة وهويات كل من الوطنية والقومية والعروبية والعراقية والإسلامية، ثم ان هوية الثورة تحدد بدرجة أولى بواسطة أهداف ومنهج وايديولوجية قيادتها، ثم بالعوامل الجغرافية والأثنوكرافية، ويجب ان ننبه بأن لفظ الثورة له تعريف وضوابط، فليست كل حركة هي ثورة، لذلك اطلاق لفظ الثورة على حركتين متناقضتين في الهوية (أي في الأهداف والفكر والمنهاج) خطأ علمي، لقد أطلق على- حركة الشريف (حسين بن علي)عام 1916م وبدعم من بريطانيا المحتلة ضد الدولة الإسلامية في سبيل أهداف ومشاريع استعمارية - بالثورة العربية الكبرى[*]، وكذلك أطلق على (ثورة العشرين) بالثورة العراقية الكبرى[**] التي وقفت ضد بريطانيا بأهداف ومنهاج اسلامي وبدعم ذاتي، وحتى آثارهم مختلفة فقد سجلنا في (المبحث-1-المطلب-3-) ان حركة الشريف من ضمن العوامل المساعدة لتكوين الدولة العراقية أما ثورة العشرين فهي من ضمن العوامل غير المساعدة، واذا إنتقلنا الى داخل العراق فهل يستوي الذين وقفوا ضد المحتل (بريطانيا) بماله وسلاحه مع من وقف الى جانبها بلسانه وقلبه وينادي بكل صراحة (أننالا نريد غير الانكليز)[706] أو (أننا مع الغالب)، ورغم هذا حاول الكتاب العراقيون جمعهما في إطار (الحركة الوطنية)، فلا جمع بينهما، لأن الثوار حاربوا المشاريع البريطانية، أما الحكومة العراقية المنبثقة من الحركة الوطنية (كما تدعى) فقد شاركت مع قوات بريطانية لضرب الثوار، فكيف يمكن جمعهما على الهوية الوطنية الواحدة، لذلك لم تكن الثورة جزءاً متمماً للحركة الوطنية في سبيل بناء العراق، وتلاحظ ان محاولات كهذه وغيرها هي لإبعاد (الدولة العراقية) عن سؤال: من أنت؟ ولعدم كشف الحق الساطع وهي ان بريطانيا والمشروع الإستعماري هي صاحبة فضل في تكوين الدولة العراقية الحديثة، وليست الحركة الوطنية ولا الحركة القومية ولا الثورة العربية الكبرى ولا الثورة العراقية الكبرى، ومن اجل هذه الخديعة جرى تحوير كثير من الأمور التاريخية، مثلا في رواية (الوساطة) مع (هيات-الضابط البريطانى المفاوض) جاء من جانب أكثرية المؤرخين العراقيين بأن الوفد المفاوض طلب إستقلال العراق!، بينما في رواية(هيات) لم يأت أي ذكر لهذا الإستقلال[707]، وقد وردت هذه الملاحظة من قبل بعض هذه الوفود أنفسهم، حيث وصفوا(مستوى هذه المطالب- لاسيما مطلب مثل استقلال العراق او جلاء القوات البريطانية) فيه مبالغة او

*** لكي لا يفوت من القارىء اليك هذا التوضح: ان رأي العلوي ذهب بعيدا عن الحقيقة فإن الشيرازي -قائد الثورة- أفتى بتحريم أخذ الوظيفة من الحكومة بغداد فكيف تكون الثورة مؤسس لشيء حرمته؟ ثم ان معظم القادة الثورة ليسوا عرب، فكيف هم عروبي؟ وأهم من كل ذلك ان الدولة العراقية بنيت بعد ان انتصر بريطانيا وحكومة البغداد و(العلمانية) على هذه الثورةوالحكومة الأسلامية فيها وليست العكس.

705 -فورستر... المصدر السابق ج1ص195

* وهى اسم مشهور أطلق على هذه الحركة.

** هناك كتب بهذا الأسم وثبت فى قائمة المراجع منها كتاب (عبدالله الفياض).

706 هذه العبارة نصها موجودة فى (فياض... المصدر السابق ص209

707 لاحظ نص الروايتين فى: وردى... المصدر السابق ج5ص228-230

أحياناً تلفيقا [708]، لذلك نرى كثرة الروايات حول حادثة واحدة، فمثلا حول ظروف اعتقال (شعلان أبو الجون) ورسالته الى أهله جاءت خمسة روايات مختلفة[709].

و لكي نحدد بشكل دقيق هوية هذه الثورة وفض الأشتباك حولها، يجب ان نحدد هويتها السياسية وايديولوجية والفكرية والثقافية والجغرافية والطبقية ونكمل هويتها من خلال عرض أسباب وأهداف ونتائج الثورة، والقيادة ومؤيديها ومعارضيها...الخ، وعلى الشكل التالي:-

1- زعامة هذه الثورة هومحمد تقي مرزا الشيرازى، المجتهد الأكبر لدى الشيعة زعيم أسلامى، وهو ليس زعيماً محليا أو عراقيا أو فراتيا بل زعيم الشيعة فى العراق وايران والهند ولبنان والخليج، من حيث الأصل هو إيرانى[710]، وقد توفى(احياناً يقال مات مسموماُمن قبل انكليز) فى 1920/8/17 والثورة مستمرة لذلك اوكلت زعامة الثورة الى (الشيخ فتح الله الأصفهانى)[711]، هكذا معظم قادة الثورة ينتمون مع العراقيين والعرب فى دين مشترك، بينما لا ينتمون الى قومية مشتركة، وحتى عائلة مهدي الخالصي-أحد قادة الثورة - وهم مشهورون بنسبهم العربى فى الخالص لكن تقارير أخرى تؤكد انهم من حمله الجنسية الأيرانية[712*]، كما كشف عنه (مس بيل) ووصفت نسبه ولقبه ب(الخراسانى)[713]، واذا حققنا في هوية بقية قادة الثورة امثال هبة الدين الشهرستانى وابو القاسم الكاشانى وعبدالكريم الجزائرى[714] شأنهم شأن الشيرازى والأصفهانى من حيث الإنتماء لايرجعون الى أصول عربية أو حتى عراقية، وقد شكلت اثناء الثورة مجالس معظمها غيرعربية ولاعراقية منها المجلس الأعلى بقيادة (شيخ الشريعة الأصفهانى) والمجلس العلمي للثورة مكون من:

1-هبة الدين الشهرستاني 2-ابو القاسم الكاشاني 3- مرزا احمد خراساني 4- حسين قزويني 5- عبدالمحسن شيرازي[715]، ولكن استخدموا الشعارات الوطنيه والعشائريه من أجل التعبئه، على سبيل المثال فى اثناء الثورة وجه (ابو القاسم الكاشانى) نداءً وقال أليس من العارعليكم ان أدافع عن بلادكم وانا من تبعيه ايرانيه بينما انتم من ابناء البلاد ولا تدافعون عنها[716]، وقد نفى (محمد مهدى المولوى-أحد قادة هذه الثورة -) بتهمتين: أولا بسبب أصله الهندى وثانيا له اليد الطولى فى تشويش افكار الناس [717]، ووصف هؤلاء وأهالى الكاظميه وبقيه العلماء والقادة من قبل (مس بيل) بأنهم متعصبون لفكرة الجامعه الإسلاميه (pan Islamic)، ويضيف انهم يكرهون بريطانيا كرهاً شديداً.

---

[708] المصدرنفسه ص242-243

[709] أنظر الروايات فى (موسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص219)

[710] مذكرات محسن أبو الطبيخ ... المصدر السابق ص60

[711] وردى... المصدر السابق ج5ص309 (لايوجد اجماع على يوم وفاته ،قد سجل يوم 8/10 واخرين 13 واخرى 14 ...) .

[712*] العراق والحركة الكمالية ... المصدر السابق ص150-151 (*يدافع المؤلف عن عروبته ويقول: انحمل الجنسية الإيرانية كانت من أجل أن لايخدم العسكرية ؛. ولكن لاأعتقد أن العسكرية انذاك بهذه الدرجة الزامية لاسيما للعلماء الدين)

[713] مس بيل... المصدر السابق ص441

[714] فياض... المصدر السابق ص275

[715] وردى- المصدر نفسه ص294

[716] المصدر نفسه ص262

[717] المصدر نفسه ص107

هكذا القادة ليسوا قوميين ولا علمانيين بل ليسوا عرباًبالضرورة كما وصف ابن خلدون من القديم ان علماء الإسلام فى العراق اكثرهم عجم[718]، اذن هويتهم محسوبة على الإسلامية أكثر من القومية والوطنية.

2. اهداف الثورة، أهدافها ليست عفوية، بل خطط لها وفجرت من اجل اهداف سامية وهى طرد المحتل الكافر من الأراضى الإسلامية وتكوين حكومة اسلامية، وبالتالى ليست وليدة حادث بسيط قبيل اعتقال ابن (الشيرازى) او مجرد اعتقال (شعلان ابو الجون)، ففى الحادث الأول كتبَ بعض رؤساء القبائل رسالة الى الشيرازى جاء فيها ما يلي: ((ان اعمال إنكلترا فى القبض على ولدك قد بلغت الغاية من القسوة والظلم وهتك الحرمات ضمرنا ان ندافع عن انفسنا بالسلاح))، واجاب الشيرازى: ((ان ابنى ومن معه ابعدوا فى سبيل القضية العراقية[**]فلا ينسيكم ابعادهم قضيتكم ولاتجعلوا القبض عليهم سببا لحمل السلاح فإياكم والقضايا الشخصية عن المطالبة العامة))[719]، وهذا يدل على ان الثورة ليست بسبب رد فعل او حادث عابر او دون تخطيط وبالتالى ليست عفوية، بل الثورة كانت من اجل اهداف عظيمة أوسع من القضية العراقية كما نلاحظ من جواب الشيرازى، وهذه الأهداف جاءت فى اجتماع النجف يوم 1920/4/16 قبل الثورة قرروا فيه:

أ- تأسيس جمعية بأسم الجامعة الإسلامية بقيادة مرزا الشيرازى.

ب-توزيع المنشورات بتوقيع الشيرازى تأمر بالوحدة والتعبئة.

ج- إعادة العمل بالشريعة الإسلامية [720].

يقول الشيخ محمد رضا الشبيبى: ان الأحرار المجاهدين ثابروا على التنكر لتلك الخطة الإستعمارية المرسومة، ويضيف (فياض) معلقاً على ذلك: لم تقتصرأهداف الثورة على الأمور التى لها علاقة بالعراق بل كان تأثيرها فى الوضع العام فى مناطقَ متعددة من الشرق الاوسط[721]، ومن جهتها تعترف (مس بيل) وتقول إن هدف الثورة هو تأسيس حكومة اسلامية واعلنوا الجهاد من اجلها[722]، وقد تبينت اهدافهم الإسلامية من خلال مقابلات وفودهم مع ممثلى بريطانيا، حيث لم يكن ضمن المطالب التى قدمها (زعماء الثورة بقيادة الشيرازى) اى ذكر لإسم العراق، وكان الوفد مؤلفاً من نجل الشيرازي ومحمد علي الشهرستاني واحمد خراساني، حيث قدموا المطالب التالية الى الوفد البريطاني:

1- جلاء القوات البريطانية.

2- عفو عام عن الثوار.

3- اعادة المنفيين[723].

في الحقيقة ان علماء الإسلام خصوصا الشيعة منهم لم يثوروا من أجل أهداف محلية او قطرية لاسيما انذاك لم تكن دول قطرية قائمة، لذلك كانت اهداف الثورة تحتوي على أبعاد دينية، واكثر من ذلك فإن الفكر السياسي الشيعي لا يقبل ان تثور الشيعة من اجل تنصيب سني على الكرسي والذي لا تتوفر فيه شروط (الإمامة او ولي الأمر)، لو كانت اهدافهم مقتصرة على

---

[718] مقدمة إبن خلدون ... المصدر السابق ص696

[**] كان إبن الشبرازى أكثر من أبيه متعلقاً بالوطنية والعراقية.بينما الشيرازى نفسه متعلقاً بالإسلامية اكثر.

[719] وردى... المصدر السابق ج5ص236

[720] المصدر نفسه ص126

[721] د.فياض... المصدر السابق ص396

[722] المصدر نفسه ص280

[723] كوتلوف... المصدر السابق ص187

العراق لأبرزوا مرشحيهم للمناصب فى العراق ولكن لا نجد ذلك كما يقول (فياض):((لم نعثر على اية فتوى او رأي شخص ذي أهمية من الشيعة يخصص او يشير الى ضرورة تأييد الرجل الشيعي على الدولة العراقية المقترحة))[724]، وكان الفكر الإسلامي – بشكل عام -لا يعترف بإقليم معين ولا بوطن محدد، بل يعترف بدار الإسلام كما بينا في المبحث الثالث من الفصل الأول، لذلك قد وجدنا ان قيادة الثورة كانت مكونة من اعراق مختلفة وبمساعدة الخمس وأودى الشيعة العالمية، وكانوا يدافعون عن جميع المسلمين[*]، وهكذا يتبين ان تطلعات العلماء ماكانت تخص بلداً ما وبالتالي أهداف الثورة كانت اسلامية، كما جاء(في الوثيقة رقم 29من كتاب الإمام الشيرازي في 9 و 10 رمضان 1338 فى-مذكرات محسن أبو طبيخ) يدعو فيها الى دعم الإنتفاضة لإنشاء حكومة اسلامية [725]، ويضيف في موضع آخر عندما يحرر الثوار أية منطقة يرجعون الى قوانين عثمانية، فعند تحرير كربلاء رفعوا علماً (ذا أربعة الوان) وطبقوا قوانين العثمانية الإسلامية فيها [726].

3- جغرافية الثورة، لقد اندلعت الثورة واتسعت الى أراضي معينة ولم تشمل كل العراق، وحدد ذلك (دكتور فياض) بما يلي:من الفرات الأوسط حتى الناصرية وشمالا الى المحمودية واجزاء من بغداد حتى الناصرية [727]، وقد هرب الشيخ الضاري بعد (مقتل لجمان على يده) الى المنطقة المذكورة بسبب موالاة رؤساء العشائرفى الرمادية للإنكليز، ومن اشهر هؤلاء (علي سليمان رئيس عشيرة الدليم والشيخ فهد بن هذال رئيس عشيرة العنزة) حيث حاربوا الثورة، وقد أشار (الفياض) الى أن سكان منطقة الرمادي لم يشتركوا فى الثورة بسبب ضعف الدور الديني فيها[728]. وتمكن طالب باشا أن يحول ولاية البصرة الى مركز لمعارضة الثورة، وفى بغداد إنطلقت مظاهرة وطنية في 1920/8/6 مؤيده للإنجليز ومعادية للثورة[729]، أما مناطق الموصل وغربي بغداد- حيث يتركز نشاط القوميين فيها – فقد منعت من انتشار الثورة بالتعاون مع زعماء العشائر، وقد عمل رؤساء قبائل (بني لام) عبر خصوماتهم مع قبائل (المنتفك) على منع انتشار الثورة الى المناطق الواقعة في أواسط الدجلة شرقي البلاد، كذلك الأمر بالنسبة لقبائل البادية السورية والدليم والعنزة والشمر[730]، أي أن جغرافية الثورة هي المناطق الواقعة تحت تأثير المدن المقدسة وهي المناطق نفسها التي قامت فيها المقاومة أثناء الزحف البريطاني، والتى أشرنا اليها فى الفصل الأول وعلاقتها بالمدارس الدينية، و يلحظ سهولة تقدم القوات البريطانية في بعض المناطق، بينما واجهت صعوبات في مناطق الشيعة والكورد، ولكن بقى علماء

---

[724] فياض... المصدر السابق ص283

[*] وحتى بعد تكوين الدولة العراقية فقد دافع زعماء الشيعة من أمثال (كاشف الغطاء، ومحسن الحكيم...) عن الكورد ضد تعسف الحكومة العراقية بحقهم وكانت هذه المواقف بنظر العلمانيين والقوميين العرب تهمة لذلك جاء في كتاب (المدارس اليهودية والإيرانية في العراق): ((أن علماء الشيعة في العراق دائما في أوقات حرجة ضد الوطن وكانوا مؤيدين للفرس))، واستشهد الكتاب المذكور ببرقية برسى كوكس بهذا الصدد الذي بعثه الى الوزارة الهندية في 13 / كانون الأول / 1917 ما يلي (في احدى جولاته في حوض الفرات استلم برقية من ثلاثة رجال الدين الإيرانيين المقيمين في العراق وهم اليزدي في النجف والمازندراني في كربلاء وميرزا الشيرازي في سامراء يلتمسون فيها مقابلته وعندما تحقق لهم ما أرادوا أظهروا له قلقهم الشديد من موقف بريطانيا ونواياها تجاه ايران)، رقم الوثيقة 5998-فى وثائق الوزارة الهندية –نقله (د.فاضل البراك ... المصدر السابق ص103).

[725] نص الوثيقة فى: مذكرات ... المصدر السابق ص497

[726] المصدر نفسه ص155

[727] فياض ... المصدر السابق ص274

[728] -فياض... المصدر السابق ص362-332، ص363-333

[729] كوتلوف... المصدر السابق ص213

[730] المصدر نفسه ص215-223

الدين المخلصون في الوسط السني مؤيدين للثورة بنفوذهم المتواضعة في وسطين الريفي والمدني، حيث كانت تسيطر على الأول الثقافة العشائرية وعلى الثانى الثقافة الأفندية.

أما المناطق الكردية فقد ساهمت فى الثورة، وفي الحقيقة كان الكورد في الثورة منذ عام 1919م حتى بعد عام 1932، وقد كانوا عوناً لهم في مناطق التماس كما جرت في مناطق كفري وخانقين وديالى، وهكذا كانت الثورة على علاقة وثيقة بوجود المدارس والأثر الدينى فيها.

4-.هوية الثورة من الناحية الطبقية: فقد شاركت فى الثورة طبقة الفقراء فى أغلب الأحيان، أما أكثرية الرؤساء والشيوخ منعوا قبائلهم من المساهمة في الثورة، وأحيانا قاموا بتسليم افراد مشاركين فى الثورة الى الانكليز[731]، كذلك وقف الإقطاعيون والكومبرادوريون ضد الثورة[732].

6.هوية الثورة من الناحية المذهبية والعرقية: فقد اشترك الأهالي الذين كانوا ينتمون الى المذهب الجعفري أكثر من بقية المذاهب الأخرى، وقالت (مس بيل) إن أهالي السنة بقوا معنا ولم يشتركوا في الثورة [733]، ويقول (الوردي): حاول الانكليز اجتذاب الملائية اليهم بكل وسيلة ممكنة فنجحوا مع السنيين*نجاحاً غير قليل ولكنهم أخفقوا مع الشيعة[734]، وهناك علاقة وثيقة بين خريطة الثورة مع الخريطة الإجتماعية والمذهبية، وقد طرح (علي الوردي) هذا السؤال: لماذا علماء الشيعة عارضوا الحكومة بينما سكت زملائهم السنة ؟ وأجاب بجواب بسيط: إن علماء السنة تحولوا الى موظف[735].

أما من الناحية العرقية ربما ليست مبالغة ان نقول إن الأكراد اشتركوا في هذه الثورة أكثر من القوميين العرب والعلمانية العراقية، جاء في موسوعة العراق السياسي: بعد فترة وجيزة من حركات الديالى قام الكرد بمساعدة الثوار، ففي 1920/8/14 حرروا قزرالباط ثم حرروا خانقين [736]، وكانت المدارس الدينية تلعب دورا هاما في هذه الخريطة [737].

8. هويتها الثقافية: اشتركت في هذه الثورة أناس من الذين كان وعيهم السياسي متأثراً بثقافة اسلامية، يقول الفياض: ((كان رؤساء القبائل فى الشامية والمناطق المجاورة من أكثر رؤساء القبائل العراقية إهتماماً بالسياسة وذلك لقربهم من النجف التى كانت حينذاك من أشهر مراكز الحركة الوطنية، وشاركت العشائر معهم رغم ان هناك من شارك بدافع قبلى واظهار النفس وابداء الشجاعة ولأغراض الغنيمة.... الخ))[738].

9- هويتها الأيديولوجية: من الواضح ان الدافع الإسلامى هو المحرك، يقول الفياض: ((ان الدوافع الدينية لعبت دورا رئيسيا فى حث الثوارعلى مقاومة المحتلين))[739]، وكذلك تظهر هذه الهوية من خلال أدبيات وهوسات الثورة وشعرائها حيث

---

[731] كوتلوف... المصدر السابق ص189

[732] المصدر نفسه ص215

[733] مس بيل ... المصدر السابق ص160(لذا إدعت مس بيل احياناً بأنها سنية، ينظر: المصدرنفسه ص363)

* (ولو أن التقسيم المذكور ليس مطلقاً، فهناك من علماء الشيعة وأهاليها لم يشترك، بينما هناك من علماء السنة ساعدت الثورة).

[734] الوردى ... المصدر السابق ج5ص36.

[735] الوردى -لمحات ... المصدر السابق ج3ص316.

[736] موسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص293.

[737] لمحات ... المصدر السابق ج3ص316.

[738] الفياض... المصدر السابق ص307.

[739] المصدر نفسه، ص.259

رددوا: (ان مرتبة الجهاد بمرتبة الصلاة والصوم)، وجاء فى هوسة النسوان:((جاء حل فرض الخامس كومو له))[740]، وقد وجهت دعوات ورسائل الى رؤساء وشيوخ مطالبة الجهاد منهم بإسم الشريعة المحمديه[741].

9- هوية شهداء الثورة: اكثر من 9000 شهيد، 8500 من الفرات الأوسط، و550 فقط من مناطق أخرى[742].

10- هوية المساندين للثورة: فهم أهل المنتطقه وبالأموال والضرائب والوقف الدينى من الخمس وأودى إستجابة لفتوى المجتهدين، وقد سجل (الجنرال هالدن) إنطباعاته حول مصادر مالية الثورة وقال: ((ان الأثرياء من السادة آل البيت وشيوخ العشائر قدموا مبالغ نقدية وعينية لتمويل الثورة))[743]، أما فى المناطق الأخرى من العراق او فى البلدان العربية او من جهتى القومية والعلمانية لم يأت إليهم شيئ كما يتبين ذلك من خلال الأسئلة التى وجهت الى قادة الثورة: عبد الكريم الجزائرى، هبة الدين الشهرستانى، جواد الجواهرى، محمد رضا الشبيبى، ورؤساء العشائر: محسن ابو طبيخ، كاظم العوادى، رايم العطية، خميس آل ضارى محمود، سوادى حسون، والسياسين: ناجى السويدى، ناجى شوكت، على بازركان، علوان الياسرى، عبد الواحد الحاج سكر... جميعهم أجابوا ب(لا)*، اى لم تصل المساعدات وأكدوا ان النفقات كانت على الناس وبيت المال[744]، وهناك بعض المصادر تؤكد ان المساعدات قد جمعت لهم فى بعض المراكزالدينية فى المناطق السنية، فمثلا العالم (محمد حبيب العبيدى) من الموصل وإمام جامع الحيدرخانه فى بغداد...جاء ذكرهم فى هذا المجال[745]، اما فى انحاء العالم الإسلامى فقد جاء المجاهدون من ايران وعلى رأسهم ابو القاسم الكاشانى – الزعيم الدينى الإيرانى المعروف، وقوات كوردية فى منطقة الديالى، والمساعدات المالية تصلهم من ايران والهند،..هكذا كانت هوية المساندين إسلامية لا غير.

11- هوية الثورة من خلال أعدائها: وقفت فئات واسعة بجانب بريطانيا ضد الثورة: وتشمل بالإضافة الى العملاء و رؤساء العشائر والشيوخ النفعيين والفئة السياسية المثقفة بثقافة علمانية قومية، وقد وقف بعضهم مباشرة ومنهم عشائر (العنزة والبوعيسى...) وكذلك ضباط العهد[746]، او بمواقفهم كالمثقفين والوطنيين والأفندية..، وقد دون (جميل صدقى الزهاوى) أبيات شعرية بمناسبة قدوم (كوكس) فى 11/ تشرين الاول/1920 بعنوان (عد للعراق...) وأيد فيها السياسة البريطانية وهاجم الثوار، كذلك وقف (مزاحم باجه جى) أمام (كوكس) وقال (لاتعتبروا الثورة الحالية التى قامت بها بعض القبائل الرحالة ثورة وطنيه ولا يمثلون العراقيين[747]، وقد نقلت (مس بيل) أقوال هؤلاء المتملقين الى درجة قيل لها: أنت بمقامة النبى عيسى وكوكس بمقام الله[748]، وكان الموالون لبريطانيا فى العراق يلحون على بريطانيا بفصل الدين عن السياسة، ونقل مركز الثقل من الجوامع الى

---

740 الفياض ... المصدر السابق ص259-260

741 -أنظر نص الرسالة التى وجهت الى الشيخ خزعل شيخ المحمرة من قبل علماء النجف فى (موسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص103)

742 فياض ... المصدر السابق ص18

743 المصدر نفسه ص359-360

* تفاصيل هذه الأسئلة تاتى فى الفقرة اللاحقة عند الحديث عن نتائج الثورة.

744 موسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص370

745 ينظر:أ-المصدر نفسه...ص371 ب- الشيعة ... المصدر السابق ص136

746 المصدر نفسه ص138

747 الفياض ... المصدر السابق ص362

748 العراق فى رسائل مس بيل ... المصدر السابق ص293 (وقدأيدت ذلك مصادر أخرى، فقد جاء فى كتاب (مقتل لجمان..) أن مس بيل لقبت فى العراق ب(أم المؤمنين).

النوادى[749]، وكانت احدى وظائف الحكومة العراقية المستعجلة هى محاربة الثوار، وبدأت بها فور تكوينها، حيث إشتركت مع القوات البريطانية فى قمع الثوار فى الشمال ضد الشيخ محمود، وفى الجنوب ضد بقايا الثورة فى مناطق (قبيلة حجيم) عام 1923[750]، وقد صنف كوتلوف الطبقات المعادية للثورة وهى: الطبقه الحاكمة والأقطاعيون وطبقة الملاكين (امثال حاجى الماس فى شطرة، خيون فى العبد، ومعظم رؤساء وقبائل شطرة وغيرهم) [751]، وكذلك شيوخ عفك وآل بدير على رأسهم (صكبان ابو جاسم والذى رافق حملة الانكليز على الحلة)، وفى الحلة (اولاد ابو جريان) كما جاء ذكر هؤلاء فى الشعر الشعبى، وقد قاتل قبيلة العنزة برئاسة (فهد بن هذال) وقبيلة ألبوعيسى فى منطقة السامراء، و عشائر اخرى كثيرة بين الفلوجة والعانة[752].

اما من جهة الحركة الوطنية والعلمانية، فقد وقفت أكثريتها ضد الثورة، وقد عرض(نورى السعيد) خدماته للإنكليز ضد الثورة واوفدوا (ثابت عبد النور) نيابة عن جمعية العهد للأتصال بوزارة الخارجية البريطانية عارضاً عليها: ((ان جمعية العهد يمكن ان تقدم مساعدة قيمة للأنكليز فى تهدئة الأوضاع ما بين النهرين))[753]، وقد عرض كل من الملك فيصل وجعفرالعسكرى أفكارهما عن طريق (مس بيل) لتأسيس حكومة وطنية مع الإعتراف بالأنتداب البريطانى ومقترحات أخرى معادية للثورة [754]، وقد وقف كل من طالب باشا وعبد الرحمن النقيب بلا تردد مع بريطانيا حيث أخذ (طالب باشا) على عاتقه مسؤولية تفريق الإجتماعات المعارضة لبريطانيا[755]، بينما وصف (عبدالرحمن النقيب) الثوار -اوأى من يعارض بريطانيا- بأنهم مجانين و(لاشرف لهم)، و وصف الثوار بالشيعة والتقية والوثنية[756]، وهكذا كانت هناك حملة أعلامية متبادلة بين أدباء الثورة والأدباء الموالين للإنكليز، والذين شكلت منهم الحكومة العراقية فيما بعد، فقد وصف الموالون لبريطانيا من قبل إعلام الثورة: بالمرتزقة و الحوشية وابو رغال وحفيز[*] وشبانة الخونة والمرتدين..الخ*[*]، وقد منعوا دفن موتاهم على الطريقة الأسلامية[757]، وكذلك وصف الشريف واولاده الملك فيصل وعبدالله...) بالمارقين[758]، ووصف الشيخ (محمد رضا الشبيبى) الدولة الحديثة التى قامت فى العراق بعد الثورة بانها: ((مستقلة ذات سيادة فى الظاهر، ولكنها لم تكن كذلك فى الواقع فالإستقلال كان إستقلالاً ملوثاً، واتضح لهذا الشعب الكريم ان هناك خطة استعمارية مرسومة اعتبرت الثورة العراقية الكبرى بموجبها جريمة))[759].

---

[749] -وردى... المصدر السابق ج5ص196

[750] العراق فى دورى ... المصدر السابق ج1ص161

[751] كوتلوف ... المصدر السابق ص188

[752] الفياض... المصدر السابق ص263-265

[753] الشيعة ... المصدر السابق ص138

[754] كوتلوف ... المصدر السابق ةص184-185

[755] المصدر نفسه ص213 -214

[756]ال وردى... المصدر السابق ج5 ص90-91

[*] وقد أطلق سبا على الذين يترددون الى الدوائر البريطانية (ب-حفيز-، offic) ولحد الأن هذا الأسم يستخدم بتحوير بسيط فى كوردستان (ومتحولة الى –حييز).

*[*] ومن العجيب أان بعض الباحثين اعتبروا الجمعية الأصلاحية بقيادة طالب باشا أحدى عوامل قيام الثورة!..-أنظر: موسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص196

[757]ينظر: أ- المصدر نفسه ص320-321، ص109 ب-فياض... المصدر السابق ص259-261

[758] وردى... المصدر السابق ج5ص92

[759] فياض ... المصدر السابق ص362

وهكذا كانت هوية الثورة لاتنتمى الى مجموعة حركات الديرزور وتلعفر أو الثورة العربية الكبرى، بل بالعكس جاء وصف هذه الحركات من قبل قادة الثورة بالمارقة (الشريفيين) واللص للديرزوريين، ويؤكد ذلك (محسن ابو طبيخ) فى معرض جوابه للسؤال المتعلق بخصوصيات ثورة العشرين واجاب: ((كانت الثورة مستقلة عن ثورة أهالى بغداد الفكرية وعن حركات العرب فى سورية والحجاز))[760]، وأن زعيمها (الشيرازى) اقرب من عمر المختار فى ليبيا وعبدالقادر الجزائرى وعبدالكريم الخطابى (فى المغرب) و الشيخ سعيد بيران (فى كوردستان الشمالية) والشيخ محمود (فى كوردستان الجنوبية)....

هوية ونتائج الثورة: نتائج وآثار الثورة تختلف عن الأهداف المرسومة لها لاسيما فى حالة الفشل وأحياناً تأتى معاكسة لها، عندها تستغل من قبل النفعيين والمتملقين، ولم يفصل ذلك بدقة من قبل أغلب الباحثين، حيث ربطوا نتائج هذه الثورة بصالح تأصيل عملية تكوين الدولة العراقية الحديثة من قبل بريطانيا، وذلك ضمن محاولات لأيجاد الجذور الوطنية لهذه الدولة، بواسطة دمجها مع بعض الإحتجاجات البسيطة كأساس لها، بينما الحقيقة هى أن هذه الثورة فشلت، وقد نشأت الدولة العراقية من قبل بريطانيا بعد ان سيطرت على الثورة بالتعاون مع الفئات التى تكونت منهم قادة هذه الدولة.

وقد أجمع أغلب الباحثين الذين تأثروا بالفكر القومى وواقع الدويلات على النتائج التالية للثورة:

1- التحويل من الحكم المباشر الى الحكم غيرالمباشر، ومن حكم عسكرى الى حكم اهلى.
2- تغير خطة تهنيد العراق وتهويده.
3- التغير من الإنتداب الى اتفاقيات.
4- أرجاع البصرة والموصل الى العراق.
5- تكوين العراق ونشوء حكومة وطنية فيه [761].

ولكن قليلاً من علم التحليل السياسى يظهر ضعفها وعدم دقتها، لأن مشروع الدويلات قديم ومن صلب مهام بريطانية*، كما جاء فى مادتى: (1، 2) من إتفاقية سايكس-بيكو، وقد ارسل (ولسون)منذ عام 1918 معالم رئيسية للدوله العراقيه مع أسماء كل من هادى باشا، والملك فيصل والملك عبدالله ونقيب بغداد(عبدالرحمن الكيلانى) وغيرها لرئاسة هذه الإمارة[762]، وكانت فكرة الإستقلال وإدخالها الى عصبة الأمم فكرة بريطانية، فقد جاء فى بيان بريطانيا فى 20/حزيران/1920 (اى قبل الثورة بعشره أيام) هذه الخطة وأكدوا على: ((جعل العراق حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية عصبة الامم))[763].

أماالتغير من الإنتداب الى المعاهدات يرجع بالأساس الى ضغوطات خارجيه وما دعى بسياسة (الباب المفتوح) للبلدان المنسلخه عن العثمانية، وان تحويل الإنتداب(تحت حمايه الدولية) الى إتفاق ثنائى والتفرد بفريستها كان فى صلب المصلحة

---

[760] محسن أبوطبيخ-مذكرات ... المصدر السابق ص177

[761] ينظر:أ-د.فياض... المصدر السابق ص360 ب-الشيعة والدولة الدينية ... المصدر السابق ص134-135 ج-العراق من الأحتلال الى الأستقلال... المصدر السابق ص70 د-العراق فى دورى ... المصدر السابق ج2ص123وكذلك (أمين سعيد –الثورة العربية الكبرى ج2ص123)

* يراجع مطلب 1و2 فى هذا المبحث.

[762] مشكلة الموصل... المصدر السابق ص4

[763] المصدر نفسه ص11

البريطانية، لذلك أول من اقترح تحويل الإنتداب الى معاهدات هوالبريطانى (مستر مونتاكو) فى 7/مارس/1920[764]، سنفصله أكثرفى (المطلب القادم).

اما بالنسبه لخطة التهنيد، كانت هذه ضمن اختلافات المدارس البريطانية حول مصير العراق، وقد حسمت هذه المسألة من قبل بريطانيا نفسها قبل الثورة.

اما بالنسبه للتهويد، فلم تقف هذه العملية بل إزدادت، وبصدد ولايتى الموصل والبصرة، سيتبين فى المطلب(1) فى المبحث الثالث كيفية إرجاع ولاية موصل من قبل بريطانيا دون جهود عراقية تذكر، اما ولاية البصرة فكان الأمر بعكس ذلك تماماً، فقد حاول الأهالي والقادة السياسيون لهذه الولاية الإنفصال عن العراق بينما بريطانية هي التي أحالت دون ذلك.

لذلك فإن هذه الآثار والنتائج التى لصقت بالثورة لاأساس لهاوهى تزوير تأريخي، والحقيقة أن الثورة فشلت ثم فرضت بريطانيا شروطاً مهينة عليهم عقب إستسلامهم ، أي شروط من بريطانيا وليست من جانب الثوار، فمن أين أتت هذه الثمرات وكأن الثورة قد نجحت، يمكن توضيح ذلك بسؤال فرضى: ماذا يحدث لو نجحت الثورة؟ الجواب: لو نجحت الثورة لظهرت النتائج المغايرة التالية (على ما أعتقد):

1. تظهر حكومة في الفرات الأوسط عاصمتها النجف أو كربلاء وليست فى بغداد،وكانت كربلاء على مر التاريخ منطقة شبه مستقلة واطلق عثمانيون لقب(يرماز) على المدينة بسبب لجوء المناهضين للسلطة اليها[765]، يقول علي الوردي: أصبحت كربلاء خلال فترة من الزمن بمثابة عاصمة لحكومة الثورة[766]، ولم يخف المجتهد الكبير (محمدكاشف الغطاء) ذلك أمام مؤيديه –بعد تكوين الدولة العراقية - وقال: لا يرضى إلا بسقوط حكومة بغداد وتشكيل حكومة بالفرات الأوسط عاصمتها الكوفة [767]، ووصف حكومة بغداد بالإستعمارعلى الفرات الأوسط وكوردستان[768] .
2. حكومة مستقلة دون انتداب، و تكون عيدها الوطنى فى 30ف/حزيران1920[*]، بعكس الحكومة العراقية التي لا تملك عيداً وطنياً حقيقياً لحد الأن.
3. تحرير المنطقة من القوات البريطانية تحريراً كاملاً، يقول الوردي: إن شعار الثورة هو (لا مفاوضة قبل الجلاء وإذا أرادوا المفاوضة فعلى الإنكليز أن يذهبوا الى الفاو ومن هناك يرسلون إلينا مندوبهم للمفاوضة معنا)[769].
4. وتعلن حكومة اسلامية وتطبق فيها الشريعة الإسلامية [770]، بعكس حكومة بغداد التي بنيت على أساس علماني.
5. ربما اسم الحكومة والدولة وحدودها غير تلك التي نجدها اليوم، أو ربما خريطة المنطقة ومصير آسيا يتغير بالكامل، كما قالت مس بيل: لو نجحت الثورة ولحقت ببريطانيا انتكاسة لتغيرت خطتنا فى الشرق الأوسط الى اَسيا، ولتغير مصيرمخططاتهم من سايكس-بيكو الى مؤتمر القاهرة ولوزان ومشاريع تقسيمية أخرى، و من المحتمل أن لا يقع تقسيم

---

[764] عبدالرزاق الحسنى - العراق فى ظل المعاهدات -ط5\1982مطبعة دار الكتب ج2 ص8

[765] لونكريك –اربعة قرون من تاريخ عراق الحديث ص346.

[766] أعلنت هذه الحكومة عقب تحرير المنطقة ؛أنظر: د.وردى... المصدر السابق ج5ص292

[767] المبادىء والرجال ... المصدر السابق ص110

[768] المصدر نفسه ص217

[*] هذا اليوم الذى أعلن عن الثورة.

[769] د.وردى ... المصدر السابق ج5ص333

[770] ينظر:مطلب الثانى لهذا المبحث

كردستان وفلسطين وما آلت إليهما، يقول كوتلوف: ((أثناء ثورة العشرين طرحت مسألة تأسيس دولة كردستان لأول مرة في تأريخ تلك المنطقة))[771]. لذلك من حق بعض الكتاب العلمانيين والقوميين أن لا يهتموا بهذه الثورة في تراث الحركة القومية، ففي مذكرات (ساطع الحصري- وزير التعليم العالي في العراق فى مطلع القرن العشرين)حيث لم يذكر اسم ثورة عشرين ضمن (1200) صفحة من هذه المذكرات[772].

ومن المفيد أن نشيرالى ان إخفاق الثورة لايعنى انها كانت عديم فائدة ، بل على العكس فإنها تركت أثرها لاسيما فى اسراع تكوين الدولة وانتقالها الى يد العراقين، فمثلا أدت الى عودة برسى كوكس من ايران الى العراق في 1920/10/5[773]، واختيار النقيب لرئاسة الحكومة، كذلك أثرت على نظريات حول العراق لصالح حكم غير مباشر...، وتلك الأثار والنتائج بعيدة كل البعد عن أهداف االثورة الحقيقية كما أشرنا في المقررات قبل الثورة، و توجيهات قادتها وعلى رأسها الشيرازي المطالب بحكومة اسلامية وطرد المحتل من المنطقة.

هكذا عادت بريطانيا- بعد إخماد الثورة - الى برنامجها الأعتيادى لنشأة دولة العراقية وفق مخططا تها، وبذلك ننتقل الى فقرة قادمة فى بناء الدولة العراقية.

---

[771] كوتلوف... المصدر السابق ص154

[772] الشيعة والدولة القومية... المصدر السابق ص137

[773] موسوعة العراق السياسى ... المصدر السابق ص402 (عند وصوله الى بصرة استقبل من قبل طالب باشا وأعيان بصرة، وأهديى سيف الشرف)

المبحث الثالث: تكوين الدولة العراقية

لقد تغلبت بريطانيا على معارضي خطتها في العراق، وأنتصرت جبهة المحتل ومشروع (التقسيم وفكرة الدويلات والعلمانية وسايكس-بيكو و وعد بلفور) على جبهة الثورة الإسلامية ومشروع (الوحدة والتحرير)، ولم يبق الأثر الآسلامي* إلا في حالتين، الأُولى: في نطاق الإحتجاجات السلمية والثانية: استغلال الدين من قبل العلمانية والحكومة العراقية وأحياناً من قبل البريطانين أو حتى من قبل أبعد العلمانين عن الدين، فمثلا مبادىء الحزب الشيوعي العراقي العامة منافية للدين، ونشروا كتاباً بإسم (أين ألله؟) وتمثلوه بهذا الشعر:((وجاء الناس جماعات، وسأله عن الجهل، ومن هو الذي سقط، قلنا (أن ألله الذي أستبد والذي تخلصنا من بره وبحره)))، وأول من خلع الحجاب في بغداد هي الشيوعية(أمنة رحاب)، بينما صدر عن الحزب الشيوعي كتاب بعنوان (البلشفية والإسلام) فيه عبارات مثل: (ايها المسلمون أنصتوا الى هذه الصرخة الإلهية واستجيبوا لنداء الحرية والمساوات لأخ لينين)[774].

هذه الآزدواجية وإستغلال الدين من أجل(العقيدة اللادينية) استخدمت من قبل الحكومة والملك وغيرهم، فمثلا جاء إسم أول فوج للجيش العراقي بإسم (الإمام كاظم)[775]، ولم تخل الخطوات البريطانية من إستغلال الدين كذلك، الى درجة إدعاء (مس بل) أنها سنية![776]، هكذا زالت العقبات الإسلامية أمامهم وخلت الساحة من المعارضة القوية، وعادت بريطانيا الى بناء الدولة العراقية على وفق مشروعها، بعد ان توقفت أثناء الثورة، وبدأ المثقفون و الرؤساء يدخلون الى هذا المشروع أفواجاً، وعادت النظريات والمدارس البريطانية حول كيفية تكوين الدولة العراقية بحيث تكون في خدمة المصالح البريطانيا العليا ومشاريعها فى المنطقة، وقد لخصت الآراء والنظريات الى فكرة أنشاء عدة دويلات عربية، مع الوعد بقيام أتحاد بين الكيانات العربية (قبيل الجامعة العربية)في يوم من الأيام[777]، وقد تحقق ذلك، وأنشئت الدويلات، بما فيها العراق من (اقليم)* مكون من مقاطع الأوطان المختلفة، ومن (الشعب) مكون من أقوام مختلفة، ومن السلطة التي انشأتها بريطانيا بنفسها.

بذلك وصلت الخطة الى مرحلتها الآخيرة في انشاء الدولة العراقية، لذلك نقسم هذا المبحث الى ثلاثة مطالب، الأول تكوين العراق، وفيه ندرس تكوينه أرضاً قبل ان تتكون عليه الدولة، والثاني نشأة عناصر الدولة، فالمطلب الأول يشمل الجانب

---

* يقول العالم الديني (عبدالكريم الجزائيري)بهذا الصدد بعد فشل الثورة: ((أن اهدافنا لم تحقق، فالحالة الدينية ضعيفة، بل نحو اضمحلال، ينظر: فياض ... المصدر السابق ص365.

[774] حنا... المصدر السابق ج1 ص52-59- و ج2 ص377 -378.

[775] أنظر التفاصيل في مبحث (3) في فصل (3) من البحث.

[776] رسائل مس بيل ... المصدر السابق ص363

[777] - فورستر... المصدر السابق ص 166 (يقصد ب(اتحاد الكيانات) مؤسسة مثل جامعة العربية)، بعد تشكيل هذا الدويلات حاولت الغرب واليهود تكوين جامعة العربية، ففاجتماع بين نوري السعيد -و وايزمان و الذي كشف الأخير - محتوى الأجتماع- في رسالته الى (اورمزى طور) في 28/ 1936/7 وجاء فيها: (ان الأجتماع دار حول تشكيل الجامعة العربية بحيث يسهل أمور اليهود في فلسطين) ينظر:: نجدة فتحى صفوة -العراق فى الوثائق البريطانيةجامعة البصرة -مركزدرا سات الخليج العربى \ط1 1983م ص282

*من هنا اشارة الى (اقليم، والشعب والسلطة) التي تتكون منهما عناصر الدولة قانونيا وفق اتفاقية مونتيفيديو .

السياسي في هذا التكوين، اما المطلب الثاني فهو يشمل الجانب القانوني منه، وفي المطلب الثالث نتناول نشوء مؤسسات الدولة من الحكومة والجيش والدستور والملك..... الخ

المطلب الأول: تكوين العراق السياسى

إن العراق لم تكن في تأريخه كياناً سياسياً أو امبراطورية أوحتى ولاية من الولايات العثمانية، ولم يكن له تاريخ سياسى مستقل، لذلك لانجد كتاباً بعنوان (تأريخ العراق، مثلا)، إلا مابعد تكوينه سياسياً، لذا يعتبر كتاب (لونكريك - اربعة قرون من تأريخ العراق) أول كتاب تأريخى حولها، الذي صدر عام 1925م، وكان العراق اسماً جغرافياً ملاصقة لمنطقة غير محددة مع مجموعة من الأسماء المرافقة له، وقد حملت هذه المنطقة تاريخياً (التي غلبت فيما بعد اسم العراق عليها بعد تكوين الدولة فيها) الأسماء التالية: بلاد السومر، بلاد الأكد، بلاد الأشور، بلاد الكلد، ميزوبوتاميا، وادي الرافدين، السواد، المنتفك، بادية الشام، الجزيرة، أقليم الجبال، كوردستان، الهلال الخصيب، العراق العربي، العراق العجمي، وذلك وفقا للمصادر التالية مع تحديد مواقعهم:

1-جاءت اسماء سومر وأكد وأشورعلى خريطة (هيكا تابوسى) المتوفى في 475 ق.م، ووضع في خريطته أشور في شمال بغداد وبابل في جنوبها وكذلك جاءت الآسماء المذكورة في خريطة (هيرودوتس. 4,5قرن ق.م [778].

2-اشار هيرودوتس وغيره من اليونانين فى أعمالهم بلاد بابل وأشوروكلد على الأجزاء الجنوبية والوسطى من (العراق الحالي)، وقد ظهرت بلاد بابل على خريطة (ايرانطو يتنس) اليوناني- 196 ق.م[779]. وجاء في رواية (ياقوت الحموي) أن بابل بنوها فارس على يد الضحاك[780].

3- الكلدية، جاء اسمها فوق خريطة (هيرو دوتس) مع البابل وأشور وفي آن واحد كل في منطقة معينة[781]. ويذكر (هنرى فورستر) ان (الكلد) هو الإسم القديم لعراق العرب، وشمل الساحل الطينى (أو السهل الرسوبي) اي حوالي البصرة[782].

4- وفي الفترة مابين القرن (4-2) ق.م اطلق اليونانيون والرومانيون على هذه المنطقة اسم (ميزوبوتاميا) –ترجمتها بلاد مابين النهرين-، وهو اسم أغريقي دام استعماله من قبل الأوربين و روسيا والدولة العثمانية حتى (بعد تكوين الدولة العراقية)[783]، وأول استعمال (ميزوبوتاميا) جاء في كتاب المؤرخ بوليبوس في القرن 2 ق.م) ومن ثم المؤرخ (أسترابو) في القرن (1 ق.م)، وشملت الجزء المحصور مابين دجلة والفرات في منبعه الى بغداد الحالية، وجاء هذا الآسم بتحوير بسيط في (التوراة -

---

778 ينظر: العراق في خوارط القديمة- جمع وحققها - الدكتور احمد سوسة، مطبوعات المجمع العلمى العراقى 1959- مطبعة معارف - بغداد ؛ خريطة رقم (6)

779 المصدر نفسه ؛خريطة رقم (9).

780 معجم البلدان ... المصدر السابق ج1-ص39 (*) يشير الحموي ضمنيا ان احتفالات اشبه بنوروزالحالي اجريت في بابل، ربما ضحاك هو صاحب ملحمة نوروز وليست العكس.

781 ينظر: -العراق فى الخوارط القديمة - ... المصدر السابق: خريطة رقم -8

782 المصدر نفسه - خارطة رقم -3.

783 فورستر... المصدر السابق ج1 ص13.

تكوين - اصحاح 10:24) ذكر فيها اقليم أرام ويعني (أرام نهرين) اي بلاد مابين النهرين(ميزوبوتاميا) باليونانية[784]، ولكن لم يناقش الكتاب المذكور أياً منهما مشتقة من الآخر، هل بلاد مابين النهرين من ميزوبوتاميا أم العكس أوكلاهما ذو أصل مستقل، حسب أشارة (ياقوت الحموي) إن أصل بلاد مابين النهرين لم يأت من ميزوبوتاميا بل جاء من (ميان روزان – وهو أسم مركب عجمي فارسي أو كوردي) وترجم الى (بين النهرين) العربى[785]، أما ميزوبوتاميا يعتقد أنها جاءت من (جزيرا-بوتان) بتحوير بسيط منها الى ميزر بوتاميا، كما تؤكد بعض المصادر الكوردية[786]، حاولت بريطانيا اثناء مشكلة الموصل ان تساوي بين العراق وميسوبوتاميا لتشمل جغرافية هذا الإسم من المنبع الى الملتقى لتأصيل اسم العراق الذى قلما جاء ذكرها سياسياً، ففى كتاب (تاريخ العالم)عند عرضه الخرائط القديمة لتوضيح الأحداث التاريخية، حيث لانجد اسم العراق على هذه الخرائط إلا بعد الحرب العالمية الأولى، بيد انها تظهر أحيانا اسم لترجمة ميزو بوتاميا –بلاد ما بين النهرين فى الصفحات 64، 68، 208، 364 وأشرت على الخريطة بمحاذات تركيا الحالية ولم تصل الى بغداد[787].

5- وادي الرافدين: وهو يشمل بغداد بأتجاه الشمال الى الجزيرة نفسها[788]، اما على وفق (فورستر) تشمل جبال كوردستان حتى الخليج [789]، وبذلك تكون بلاد وادى الرافدين مختلفة عن بلاد مابين النهرين وميزوبوتاميا، يقول فورستر: كان الأغريق يقصدون (وادى الرافدين) بمملكة أشور القديمة و ولاية الموصل الحديثة، (أي شمال بغداد)، ولكن وادي الرافدين لدى الرومان وغيره من المتأخرين تعني شيئاً أخرى، وفي العصور الحديثة تعني (وادي دجلة والفرات)[790]. لذلك نجد الآن الأشورين في العراق يحبذون إستعمال (وادى الرافدين) على بقية الأسماء، اى أن وادى الرافدين ومزوبوتاميا وبلاد مابين النهرين كل منهما تختلف عن الأخرى.

6 - السواد: جاء هذا الإسم بسبب كثرة الأشجار، حيث تظهر المنطقة عن بعد كأنها سواد[791]، وجاء في (المراصد) السواد يرادبة: الرستاق من رساتيق العراق وضياعها التي فتحها المسلمون على عهد (عمر بن الخطاب)، وسمى سواداً لخضرته بالنخل والزرع وحد السواد! قال(أبو عبيد): الموصل طولا الى عبادان، ومن غربي القادسية الحلوان عرضاً فيكون طوله مئة وستون فرسخا، فطوله أكثر من طول العراق، فطول العراق ثمانون فرسخا أما عرضه يساوي ثمانون فرسخا[792]. كذلك جاء –السواد- في (معجم البلدان) ما يشابه ذلك المعنى[793]. أما حسب كتاب (حضارة العراق) فأنه يشمل السهل الرسوبي فقط[794].

---

[784] حضارة العراق ... المصدر السابق ص14-25.

[785] حموي- معجم بلدان ... المصدر السابق ج2-ص272

[786] ينظر:د.رضوان بادينى –أكراد سوريا موعد مع التاريخ –ط1، باريس 2006م، مطبعة وزارة التربية، أربيل ص77

[787] ينظر:تاريخ العالم –أطلسdtv... المصدر السابق -الصفحات اعلاه

[788] حضارة العراق... المصدر السابق ص15.

[789] فورستر... المصدر السابق ص12. حاولت بريطانيا (أثناءالمشكلة موصل) اخذ هذا المعنى للعراق أيضا ولكن لجنة التحيكم لم تقبل منها.

[790] فورستر... المصدر السابق ص 12-13

[791] معجم البلدان ... المصدر السابق ج2 ص272.

[792] العراق في أثار الفتين... المصدر السابق ج1 ص259.

[793] أنظر: ياقوت الحموى – معجم البلدان ... المصدر السابق ج2ص272.

[794] الحظارة فى العراق ... المصدر السابق ص15.

7-بادية الشام: وهي منطقة تشمل غرب الفرات من الرمادي بأتجاه الشمال وحسب مباديء الحزب القومي السوري*تشمل جميع أراض غربي الفرات[795].

8- نجد، وهو بادية العراق ونواحها، أصل النجد ما أرتفع من الآرض[796]، وفي رواية البخاري، يقصد بالنجد العراق[797]. وحسب ما ادعت السعودية أثناء ترسيم الحدود لأول مرة بينها وبين العراق فأن نجداً شمل غرب الفرات الى جهة البصرة.

9 -المنتفك: وهي منطقة الناصرية وما حولها.

10- الجزيرة: تشمل أراضي بين دجلة والفرات وحواليهما الى ديار بكر ونصيبين، اما بموجب كتاب (حضارة العراق) هي بلاد الرافدين[798].

11- أقليم الجبال: أشار الكتاب (معجم ما أستعجم) الى حدود هذا الآقليم الى جانب أقاليم السند، والصين والهند والعراق وخراسان[799].

12- كوردستان: وفق المنطلق القومي يشمل جميع المناطق الكوردية، ظهر هذا الاسم لآول مرة على خريطة (المستوفي)،(1339)م بين العراق العربى والعراق العجمي وخراسان[800]،ويقال أن ذكره جاء لآول مرة على لسان (السلطان سنجار السلجوقي- فى القرن5-6الهجرى)[801]، وفي كتب:(الرحالة البريطاني ماركوبولو - 1323م)، والمؤرخ المغولي (رشيدالدين فضل الله الحمداني - 1318م) جاء ذكر كوردستان، وهناك اراء تتحدث مفادهاأن كلمة كوردستان قد ذكرت قبل هذا التاريخ.، أما (هيرو دوتس) تحدث عن الكورد عند وصفه لمعارك بينهم وبين قوات زينفون.

ويشمل حدود كوردستان أراضي واسعة في الشرق الأوسط من (ملاطية) الى جنوب أرمينياوالى الخليج (بمحاذات) العراق العربي، تمر بشمال بغداد الى الفرات شرقاً وأجزاء من شمالي الشام، وغربا الى همدان[802].

13- الهلال الخصيب: وهي تسمية استعملها (بروفيسورهنرى برستيد*)، يقصد بها المنطقة المحاطة بصفة فجة بجبال كوردستان في الشمال وبلاد فارس من الشرق والخليج العربي والجزيرة العربية من الجنوب،

وبغربي الجزيرة العربية و وسوريا من الغرب[803].

---

* أسس هذا الحزب على يد (انطوان السعادة عام 1932م)واعدم عام 1949 بسبب معارظته لتجزئة السوريا الكبرى ينظر:الموسوعة السياسية -المصدر السابق، ط1 \ 1974م ص237.

795 الموسوعة الميسرة في الآديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة - المصدر السابق - ص464.

796 العراق في احاديث –... المصدر السابق ج1 ص29.

797 المصدر نفسه - ص175 .

798 الحظارة فى العراق... المصدر السابق ص15.

799 العراق فى... المصدر نفسه - ج1 ص176 .

800 العراق في خوارط القديمة... المصدر السابق - خريطة رقم (35)

801 بدليس -شرفنامة –... المصدر السابق ص174

802 ينظر:أ- أوليا الجلبى – سياحتنامة... المصدر السابق ص90-91، ب- شرفنامة ... المصدر السابق ص97، ج- كوردو كوردستان. في وثائق البريطانية - ص36-38 ، د- مادة 62من سيفر. (نص المواد الثلاثة في ملحق الأول في ص447 من الكتاب: مشكلة الكردية في شرق الاوسط- د.حامد محمود عيسى).

* أستاذ تأريخ الشرق، في جامعة الشيكاغو.

803 فورستر... المصدر السابق ج1ص15.

14- العراق العربي والعراق العجمي: ظهر هذان الإسمان فى أواخر القرن الحادى العشر[804]،وهما عبارة عن مناطق غير محددة بسبب تلاصقها بالتوسع الفارسي، ويمكن تحديد العراق العربي- حسب تفسير معنى العراق العربي في لسان العرب، والقاموس المحيط وسياحتنامة وخريطةأبن الحوقل و وخرائط العثمانية وغيرهم – بأنه يشمل حوالي البصرة اوالآراض المحاطة بالشط والبحر، لذلك كثير من المرات تذكر البصرة بالعراق العربي والكوفة بالعراق العجمي[805].

و شاعت كلمة العراق وفق كتاب (حضارة العراق) مابين قرن (5 - 6) م، وأول استعمالها ورد في عهد كش في وثيقة ترجع في تأريخها الى حدود (12. ق.م) بأسم (أريقا)[806]، بينما سجل أثناء مشكلة الموصل ان هذا الإسم قد ظهر في القرن (11). وفي رأى فورستر شاع استعمال العراق في القرن (7م)[807].

15-وفى بعض المرات قصد من العراقان هو: كووفة وبصرة[808].

إسم العراق: جاء نظريات مختلفة حول أصل هذا الإسم و تنسيبه الى اللغات (الآشورية، السومرية، السامية، العربية، الأجنبية، الفارسية)، ونختصر هذه الآراء كما يلي:

1. يعتقد فورستر ان العراق كلمة عربية دخلت في الإستعمال بعد الفتح العربي في القرن السابع الميلادي[809] .
2. جاء فى (Encyclopædia Britannica) ان عملية تعريب قد انطلق فى قرن 7 قدحسم الجنوب والوسط لصالح العرب بدل العجم[810]، واكد ذلك لونكرنك الكلام نفسه تقريباً[811].
3. كلمة أجنبية، وجاء من (ايراء – بمعنى الساحل) وعربت الى ايراق ثم العراق [812].
4. كلمة من اصل سامية، أشتقت منها كلمة (أوروك) أو (أنوك) التي تعني المستوطن، ربما مدينة الوركاء او مدينة (أور) جاء منها[813].
5. ويعتقد هرتسفيلد: أن العراق معرب من ايراك وتعني البلاد السفلى.
6. ولدى الدولة العراقية كلمة العراق عربية ،وبناءً على ذلك صدر مرسوم جمهورى المرقم(67) لسنة1957يقضى بأن كلمة العراق جاء من أراكى البابلى وتعنى (مدينة الشمس).
7. ويعتقد أخرون بأنها جاءت من السومرية[814].

---

[804] مشكلة الموصل ..المصدر السابق ص77

[805] اوليا جلبى... المصدر السابق ص165 (كذلك أطلق على السلطة شيخ راشد بن مغامس فى يصرة ب (شيخ العراقين)-أى الكوفة والبصرة ، ينظر: العراق فى التاريخ ... المصدر السابق ص575)

[806] حظارة العراق ... المصدر السابق ج1 ص14.

[807] فورستر ... المصدر السابق ج1ص13.

[808] العراق فى التاريخ –بغداد 1983م ص575

[809] فورستر... المصدر السابق ج1ص13

[810] Encyclopædia Britannica -2014 - Article :Iraq

[811] ستيفن لونكرينك –اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ت :جعفر الخياط ط4، ص20.

[812] إبن المنظور- لسان العرب-أعداد: يوسف الخياط –دار اللسان العرب –بيروت ج2ص752.

[813] حضارة العراق .. المصدرالسابق ص13-20

[814] العراق فى التاريخ... المصدر انفسه ص63

6. ويعتقد القسم الأعظم من الدارسين أن العراق كلمة فارسية جاءت من (ايراك) - وتعني ايران شاه[815].

االرأى الراجح: يبدو إن هذا الإسم يرجع الى اصول فارسيه[*]استنادا الى المصادرالتالية:

أ- معجم البلدان :قال ابن اعباس سمى عراقا لأنه سفل عن نجدودنا البحر، وقال الخليل، العراق شاطيء البحر وسمى العراق لانه على شاطي دجلة والفرات، وقال الآصمعى: هو معرب عن ايران شهر، وقال ابو عمر سميت العراق عراقا لقربها من البحر، قال، واهل الحجاز يسمون ما كان قريبا من البحر عراقا وقال حمزة الساحل بالفارسية اسمه ايراه الملك ولذلك سموه كورة اردشير ضرة من أرض الفارس ايراهستان لقربها من البحر فعرب العرب لفظ ايراه بالحاق القاف فقالو ايراق، وقال حمزة، العراق تعريب ايراق ومعناه حدود المياه، وهي مملكة فرس العراق، وكان لملك فارس داران من أرض العراق احداهما عبر دجلة والآخرى عبر الفرات وهما بافيل وطوصفون، فعرب بافيل على بابل وعلى بابيلون ايضا وطوصفون على طيسفون (مدائن) وطيسفونج، وقيل سميت بذلك لإستواء أرضها حين خلت من جبال تعلو وأودية تنخفض، والعراق الإستواء))[816].

ب- الصحاح: ((العراق بلاد يذكر ويؤنث وقيل هو فارسى معرب))[817].

ج- لسان العرب: ((العراق شاطيء البحر من بلاد الفارس، مذكر سمى العراق لقربه من البحر، وأهل الحجاز يسمون ما كان قريبا من البحر عراقا، وقيل: سمي به العجم ايران شهر فعرب فقيل العراق، وقال (الجوهري): العراق بلاد تذكر و تؤنث وهو فارسي معرب))[818].

د- معجم (الروض المعطار في خبر الآقطار) في تعريف (بلاد العرب)ذكر مايلى: تشمل الجزيرة حتى اليمن الى ريف العراق والشام[819]، ولايشير الى العراقين المعروفه أنذاك بين بغداد والبصرة بل يشير الى أن حدود بلاد العرب تصل الى ريف العراق وليست العراق نفسها أوالشام...

ت- وفي معجم ما استعجم: العراق هو مابين هيت الى السند و الصين الى الرى خراسان الى الدليم والجبال واصبهان سرة[820]، كذلك أثناء جدل الدائر حول مشكلة الموصل والبحث عن كلمة العراق، ظهر ان العراق العجمى تشمل نصف ايران الحالى[821] ، وكانت بريطانيا تحاول ان تستخدم (العراق) دون فصل بين (العربي والعجمى)، لذلك أشارت الى الطابو التركى المؤرخ فى1908/11/16 الذى يتضمن تبعية شهروز للعراق العجمي[822]، أي انهما تابعة لسلطة الفرس.

---

[815] هذه الآراء أخذت من مصادر التالية: أ) حضارة العراق ... المصدر السابق ص13-20 ب) فورستر... المصدر السابق ص 12-15 ج) لسان العرب... المصدر السابق مادة: عرق د) قاموس المحيط... المصدر السابق مادة: عرق ث) صحاح ... المصدر السابق مادة: عرق. بالإضافة الى المصادر التى ثبتت.

[*]ينبغى ان تذكر قبل كل شيء ان تحديد مساحة العراق الجغرافي قريبة جدا من مناطق السلطة الفارسية عبر التأريخ

[816] حموى ... المصدر السابق ج2 ص 93

[817] صحاح... المصدر السابق ص428 مادة: عرق (العراقان: الكوفة والبصرة)

[818] لسان العرب... المصدر السابق ج2 صK752 مادة:عرق

[819] كتاب الروض ... المصدر السابق ص 163.

[820] العراق فى احاديث ... المصدر السابق ج 1 ص 176.

[3] وينظر خريطة العثمانية لعام 1893

[822] المصدر نفسه - ص 77.

ف - وفي رحلات ابن بطوطه: قد ذكر اسماً لسلطان العراق**، وعاصمته-أى عاصمة بلاد العراق - (قراباغ) وهو مابين السلطانية وتبريز[823]، وذلك يدل على ان هذه الحدود و ماورد من النقاط أعلاه لايخص الأراضى العربيه.

ك- المناطق والمدن الحاليه في العراق معظمها تحمل في أصولها أسماء فارسية مثل:بغداد: باغ - داد، بابل-بافيل، سامراء: سام - را ، حديثه: نودى ، موصل - نوأردشير، ...ومن ثم ان اسم العراق فى اللغه العربية من جمله المعانى التى تناوله (لسان العرب من ص49 7 - 752 لايحمل اسم مكان ماعدا اسم الجبل، أو شاطيء البحر، وهويتناقض هذه المساحة الشاسعة التى تناولنا فى النقاط الأعلاه، لذلك هذا الإسم لاينسجم إلا مع الفارسية.

ل- جاء في (معجم البلدان) في وصف (أرض الفارس - احد الأجزاء الأربعة للأرض) وتشمل، مابين (بلخ) الى أذربيجان وارمينيا الفارسية ثم الى(الفرات)، ثم برية العرب الى عمان و مكران الى كابل و طخرستان[824]، ومن جهته حدد (ابن بطوطه) الفرات بين العراق و الشام عند وصف (القلعة)[825]، وفى تعريف (العانه والرحبة) على الفرات اشار بأنهما بداية الشام و نهاية العراق(يقصد العراق العجمى)*[826]...

ر- كتاب (شرفنامه) الصادر فى نهاية القرن (16) اشار الى بلاد الفارس، وجاء فيه انها تشمل: عراق العجم، أذربيجان، أرمينيا، عراق العرب[827]،كذلك جاء بلاد فارس من(قاموس الأعلام)و (سياحتنامة) التركية مشابهاً لشرفنامة.

يتبين من كل ذلك ان العراق كان جزء من أراضى الفارسية.

ومن الدلائل الواقعية:

م- ففي معظم اللغات العالميه لازالت تقرأ و تكتب العراق بـ(أراك) ماعدا اللغة العربية ، وقد يلاحظ انه عندما اشتدت المقاومة ضد بريطانيا وبرز اسم العراق، جاء ذكر العراق فى الشعر الشعبي بـ(أعراك)[828].

ن- وكانت إيران لم تعترف بالعراق عند تكوينه، وقدم طلباً قانونياً وأعتبره جزء من أيران التاريخى، ويسميه انها - من أقدم عواصم أولاد انو شيروان[829].

لذلك يمكن القول ان أصل العراق من حيث اللغه والاراضى كانت تابعة لفارس[830]، قديما ما كانت تنسب الأراضى الى مالكها من السكان بل تنسب الى سلطانها الذي فرض السيطرة العسكريه عليها، لذلك وجود العرب (لاسيما في العراق العربي) لايتناقض مع هذه النظرية، رغم أن هذا الإسم متداول تاريخياً بين نخبة من فقهاء الإسلام ولكن ماكانوا يقصدون العراق

** رغم انه نادر لكن فيه المعنى، وهو ملك خوا بندة، حفيد جنكيزخان ، اعتنق الأسلام

823 تحفة النظار فى غرائب الامصار - رحلة ابن بطوطه... المصدر السابق ص 96.

824 ياقوت محوى... المصدر السابق ج 1 ص 16 - 25.

825 تحفة ... المصدر السابق ص 89.

826 المصدر نفسه ص 656.

827 شرفخان بدليسى- شرفنامه... المصدر السابق ص 29.(وأشارت معضم الكتب القديمةالى الحدود المذكورة بهذا الشكل، ومنها: معجم البلدان وسياحتنامه)

828 (ويريد أعراك ياخذ بارد امبرد أطبكو بالناصرية كاطع او منشد
كسروه المغتر باطوابه) (د. فياض ... المصدر السابق ص 262).

829 دور الملك الفيصل الاول ... المصدر السابق ص 202.

830 عند تدقيق رسائل اسكندر المقدونى الى ارسطو فى بابل كان يكتب بابل ببلادالعجم..للإطلاع على نصوص الرسائل ينظر: ابن مسكوية- تجارب الأمم ج1 ص23)

السياسى، بل يقصدون علماء أهل الرأى، وقد يستدل من (ياقوت حموي): إن المراد بأهل العراق هو الحد بين نجد وتهامه (تساير البحر)[831]. وفي مشكلة (الإمام علي ومعاوية) فقد وصفت (المنطقة الكوفة) بأهل العراق، وبأهل (النفاق والشقاق) من قبل (حجاج بن يوسف الثقفى في البدايه-كما ذكرنا فى الفصل الثانى)، قال ابو موسى: قد علمت ان أهل العراق لايحبون معاويه ابدا واهل الشام لايحبون عليا ابدا[832]، ويتبين من ذلك ان كتب علماء الإسلام عندما تحدثت عن أهل العراق لاتقصد أهل البلاد الأصليين بل الأمراء والعلماء، وهم ليسوا عراقيين بالضرورة[**].

وهناك مشاكل أخرى عند ذكر هذه التسميات (العراقية أو الشامية أو المصرية...) لدى علم التأريخ الاسلامي، إذ لافائدة كثيراَ في (دراسة الأوطان) للعلوم الجغرافية والسياسية المعاصرة، لأن مفهومي (الوطن) و (القوم) لايطابقان المفهوم المعاصرلهما، وكانت تطلق(دار الأسلام) على كل الأراضي الإسلامية، وعلى كل الشعوب الإسلامية ب(الأمة الاسلامية)، دون وجود حدود سياسية او جغرافية، ولم يكن المسلمون بحاجة الى إستخدام مصطلحي القوم والوطن كثيراً انذاك.

لذلك ليس الحديث عن العراق أو الشام أو الجزيرة... الخ بالضرورة هو تأريخ شعوب هذه الأقاليم، وان أسماء هذه البلدان لم تكن متداولة من قبل شعوبها، و أحياناَ لم يسمعوا أسماء مثل العراق أو الأردن..، فقد تبين في جانب من مشكلة الموصل الفترة (1923 – 1925) ان أهالي الموصل لم يسمعوا بكلمة العراق[833]، وهذا يدل على ان هذه الأسماء ليست نابعة من الأهالي، بل جاءت من الخارج، حيث كانت الأسماء البلدان، تأتي عادة من الرحالة أو المتجولين أو احياناًَمن المحتلين، وتكون أحدى العوامل الجغرافية أو السياسية أو التأريخية أو الطبيعية أساساً لبناء هذه الآسماء، لاسيما حين كانوا يرون هذه البلدان لأول مرة، كما ظهرت هذه الآسماء لمعظم بلدان أمريكة، فمثلاَ (كرينلاند) التي كانت الخضراء فيها ظاهرة للعيان لذلك سموها (جزيرة الخضراء - كرينلاند)، هكذا الظواهر الطبيعية الشهيرة كأسم لنهر كبير أو جبل وعر أو أية ظاهرة طبيعية أخرى تراها الرحالة في الطريق العام وتصبح تدريجاً اسماً لهذه المنطقة، اما الآسماء التأريخية فأنها تتحول الى اسم البلد لدى المؤرخين والرحالة العلماء - وليس من طرف (أناس أعتياديين)، ومن امثال ذلك تسمية الاردن بأسم نهر الاردن، ولبنان بأسم جبل لبنان، وبابل من تأريخها، ويونان من نبي يونس [834]، أو جاء بأسم مكتشفها، فمثلاَ جاءت أمريكا بأسم (أمريكو فيسبوتكى) الذي زارها أربع مرات منذعام 1507م... أو يأتي من اسم مدينة كبيرة مثل – الجزائر – تونس، كويت، أو أسماء لشعوبها كبلاد البربر وبلاد الترك،بلاد كورد.. اما الأسماء التي جاءت على أساس أسماء السلاطين فتتغير بسرعة بزوال سلطة السلاطين، و عادة تتعدد الأسماء لنفس المنطقة عند هذه الحالة - كما بحثنا في مطلب العراق - حيث تركت اسماء مختلفة لسلاطين مختلفة امثال، بلاد بابل، بلاد اشور، بلاد الفارس، بلاد العراق، اما بلاد مابين النهرين فهو اسم غير سياسي لذلك كان اكثر شيوعاَ حتى جاء اسم العراق في الآونة الاخيرة.

وهناك مشاكل فنيةأخرى فى هذه الدراسة حول أصل العراق، و هي:

---

[831] معجم البلدان... المصدر السابق ج 4 ص 107.

[832] كتاب الروض ... المصدر السابق ص 242.

[**] إن الحكماء الذين أصبحوا طرفا فى الصراع وهم معروفون طرف الأمام علي في العراق وهم قد جاءوا من من الأنحاء بلاد الإسلامية والتفت حوله بعض أهالى المنطقةأيضاً،

[833] ينظر: 1-مشكلة الموصل... المصدر السابق ص80 2- لونكرينك –اربعة قرون من تاريخ عراق الحديث ص9 .

[834] كانت هذه المنطقة تسمى –هيلاس-من قبل الأغريقين ، ثم تحولت الى يونان (ينظر: ول ديورانت –أبطال فى التاريخ) -ربما هيلاس على العلاقة بإسم الشائع لدى يونانين للدلالة عن حضارة اليونانية الهلنيستية فى الشسرق .

أولا: ان المؤرخين والكتاب (بعد تكوين الدولة العراقية) اعطوا الهوية العراقية لكل الأحداث التى جرت فوق هذه (الحدود التابعة الأن للدولة العراقية) ومثال ذلك: كتاب (العراق في التأريخ)حيث يستهل بظاهرتين من التأريخ كأساس للهوية العراقية بحدودها الحالية، وهما إستواء سفينة نوح على الجودى، ثم كهف شاندر[835]، وبواسطتهما أعطى للعراق عمقه الحضاري، علما ان (الجودى) و(الشاندر)لا يمتان صلة بالعراق. ولكن انطلق الكتاب وحكم على التاريخ حسب واقعه الحالي.

وهناك طريقة أُخرى لآظهار العراق السياسى في التأريخ أستناداً الى واقعه الحالي، مثلاً جاء في كتاب (العراق والحركة الكمالية - ص 28): ((هناك ثلاثة نواب عراقين في المبعوثان (المشروطية الأولى) الذي أسس في 1877/3/19م، أما في المشروطية الثانية في 1908م تمثل الولايات العراقية بستة نواب...)) وهذا خطأ، لأن المادة (71) من الدستور العثماني تنص على ان النائب لايمثل دائرته بل يمثل جميع الدولة العثمانية، فالآساس الذي أعتمده الباحث هوحكم على التاريخ بأمرالواقع لابأمرزمانه، وبواسطته يأتي الى ذهن القاريء هو أن الكيان العراقى موجود أنذاك وتمثلها ب(3) نواب ثم (6)!.وهناك من ذهب الى أبعد، فقد جاء فى الكتاب (العراق فى التاريخ ص91) ان حمورابى كان هدفه توحيد العراق!!

وثانياَ: في ترجمة الكتب الخارجية حول العراق، وضع كلمة العراق مكان الأسماء (ميزوبوتاميا، بلاد مابين النهرين، مملكة بابل...)،فقد جاء فى مؤتمرات الدولية(من سايكس بيكو الى سيفر) ذكر ميزوبوتاميا بينما ترجمت بإسم العراق، نضطر ان نقارن مادة أولى لإتفاقية سايكس بيكو بلغتى العربية والإنكليزية،يظهر ان نص الإنكليزى خالية من إسم العراق بينما تظهر دون سند النصى إسم العراق..

1. That France and Great Britain are prepared to recognize and protect an independent Arab State or a Confederation of Arab States in the areas (A) and (B) marked on the annexed map, under the suzerainty of an Arab chief. That in area (A) France, and in area (B) Great Britain, shall have priority of right of enterprise and local loans. That in area (A) France, and in area (B) Great Britain, shall alone supply advisers or foreign functionaries at the request of the Arab State or Confederation of Arab States.

المادة الأولى: إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية برئاسة رئيس عربي في المنطقتين "آ" (داخلية سوريا) و"ب" (داخلية العراق) المبينة في الخريطة الملحقة بهذا الاتفاق. يكون لفرنسا في منطقة (آ) ولإنكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا في منطقة (آ) وإنكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

وكذلك امر بالنسبة لماهدة سيفرحيث جاءفى مادة 94 ولم يذكر ولو مرةً واحدة إسم العراق ،بينما وردت فى التراجم البنود المؤتمر المذكور العراق بدل ميزوبوتاميا، فقد كتب (لورانس) مواضيع بأسم (ميزوبوتاميا) في جريدة (The tims) باللغة الآنكليزية وعند ترجمتها الى العربية ترجموا(ميزوبوتاميا) - الى(عراق)[836]،كذلك نجد عند ترجمة مذكرات seven Pillars of Wisdom (اعمدة الحكمة السبعة) قد ترجم ميزوبوتوميا(Mesopotamia) الى (عراق)47 مرة[837] ، وحتى في عهد تكوين الدولة العراقية كانت معظم التقارير البريطانية ترسل بإسم (ميزوبوتاميا)، مثلاً التقرير العسكري لبريطانيا عام 1920 بعنوان: Review

---

[835] العراق فى التاريخ .. المصدرالسابق ص7

[836] أنظرفى سبيل المثال الكتاب (دور الفيصل الآول في تأسيس العراق... المصدر السابق ص79)

[837] انا قمت بهذه المقارنة .

لكن مؤلف كتاب (احوال العراق في المرحلة المشروطية الثانية – فى الصفحة of the civil Admanstration of mesopotam 258)عند ترجمتها كتب مقابل كل كلمة ميسوبوتاميا - العراق، وسجل كما يأتي: التقرير الذي رفعه الحاكم المدنى (الملكي) عام 1920م الى الحكومة البريطانية عن الوضع العام في العراق)، ومن هذه التقارير تم تأليف كتاب (فصول من تاريخ العراق القريب) من قبل مس بيل، وأعترف المترجم (جعفر خياط) ضمنيا (في حاشية - الصفحة253 من رسائل مس بيل)، بأنه كتب كلمة العراق بدل ميسوبوتاميا ،وكذلك عند ترجمة مذكرات seven Pillars of Wisdom جاء ذكر ميزوبوتوميا(Mesopotamia) 47 مرةوجميعها قد ترجم الى (العراق) ، فى الحقيقة لم يأتى ذكر إسم العراق فى الإتفاقيات الدولية الا فى مؤتمر لوزان عام 1923لأول مرة ورد اسمه مرتين فى المادة الثالثة[838] .

ونختتم هذه المسأله بمثال اخر حول الخرائط القديمة قبل شيوع اسم العراق، ففي خارطة العالم التي وضعها البابليون قبل 4000 سنة (2300 ق.م) ووضع على الخارطة اسم بابل ومن ثم أشور تحت رقم (الأول) و (الثاني) بحروف هيموكلوفية... ولكن الاستاذ (أحمد سوسة) حولها الى عنوان (أقدم خارطة للعالم توضع في العراق)، هذا التلاعيب بالمصطلحات شوه الحقائق التاريخية وتقديراتها.

بروز إسم العراق: ان هذه الاسماء المذكورة (ميسوبوتاميا، بلاد مابين النهرين، وادي الرافدين... العراق، ...) جاء ذكرها حتى في عهد الدولة العثمانية، لكنها لم تبرز أي منها بشكل ملفت في الإستعمال لاسيما العراق،لذلك نجد في اتفاقية (سايكس-بيكو) 1916م قسم الشرق الأوسط بالرموز والحروف والألوان [839]، ويؤكد فورستر أيضا:((لقد برزت كلمة العراق التى طبقت حديثاً فى الأستعمال، من لب التشكيل والتأليف الذى اعقب الحرب)[840]، ويؤيدذلك د.فاضل حسين أيضاً[841]،وفى اثناء تجوال اللجنة المخولة من قبل عصبة الامم (حول مشكلة ولاية موصل) سالوا عن العرب واجابوا بأنهم لم يسمعوا بكلمة العراق، ويقول لونكرينك ان العراق بهذا الاسم والحجم لم يكن متداول [842] ...، فلم يكن العلاقة قانونية والسياسية مرتقية الى تلك المستوى بين (وطن والشعب والسلطة السياسية)فيها ،الحالة هذه مسمى اتيما(atima)[843]، او(ارض لاصاحب لها- res nnullius)،وحتى فى اونة الأخيرة وفى الإتفاقيات الدولية لم نجد إسم العراق فيها،كما يظهر فى مادتى (1 و2) فى سايكس بيكو وكذلك فى مادة

---

[838] هذا هو نص المادة المذكورة:

ARTICLE 3.

From the Mediterranean to the frontier of Persia, the frontier of Turkey is laid down as follows:(I) With Syria: The frontier described in Article 8 of the Franco-Turkish Agreement of the 20th October, 1921(2) With Iraq:The frontier between Turkey and Iraq shall be laid down in friendly arrangement to be concluded between Turkey and Great Britain within nine months.

[839] ينظر: نص الأتفاقية في ملحق (2)

[840]نشأة الدولة العراقية... المصدر السابق ج1ص12

[841] مشكلة الموصل... المصدر السابق ص77

[842] لونكريك-اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص9

[843] الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية ص19

(94)سيفر، لأول مرة ظهر اسم العراق فى مادة (3)مؤتمر لوزان مرتين ، حسب تقرير ولاية الموصل اول من اطلق اسم العراق بدل ميزوبوتاميا هو لورد كيرزون بعد إحتلال المنطقة [844] .

ويبقى السؤال هل كان اختيار اسم العراق وأبرازه في الأتفاقيات الإستعمارية فيه مقاصد؟ هل له علاقة بالأحاديث المذكورة حول الفتن فى العراق ؟ وكانت بريطانيا وحدها تهتم بهذا الإسم وتحاول إبرازه، ومن بين (48) جريدة ومجلة كانت تصدر في العراق فقط الصحف الموالية لبريطانيا تحمل اسماء عراقية مثل صحيفة العرب، العراق، أوقات عراقية، العراق المسائي) كي يتم تحويل هذا الأسم الجغرافي الى السياسي[*] تمهيدا لنشأة الدولة فيها، ثم جاءت توجيهات بريطانيا (عقب الحرب العالمية) بأنشاء حكومة عربية في المناطق التي يصلها نفوذ بريطاني، أي كان مصير العراق المقترح مرهوناً بمدى الأنتصارات العسكرية البريطانية، لذلك كان تحتاج قبل تكوين الدولة العراقية الى تكوين العراق السياسي نفسه، وكان في الوزارة الحربية البريطانية ملف بعنوان (مملكة العراق المقترحة)[845].

عملية تكوين العراق السياسى:

في سبيل توضيح هذه العملية يجب ان نرجع مرة ثانية الى الخرائط القد يمة لتحديد حدود العراق: جاء في عدة مصادر ان العراقان كانا عبارة عن الكووفة والبصرة والأخيرة هى التى ضمن العراق العربى[846]. وفي الخرائط القديمة ولحد (سايكس - بيكو) قلما تجد حدودا واضحة للعراق أوحتى أسم العراق، ثم لم يفصلوا بين العراق العربى والعراق العجمى*[*] ولا مع بلاد مابين النهرين و وادي الرافدين.. الخ وكانت تشير الى العراق على ملاك فارس، فقد ثبت العراق في (خريطة القزوينى) في مربع صغير شمال غربى بغداد[847]، اما في خريطة (ابن الحوقل في حوالي 997م الذي عاش في بغداد) حددت العراق في دائرة صغيرة محاطة بملتقى دجلة والفرات قرب البصرة [848]، وفي خريطة البلخي - المتوفى (934 م) جاء بأسم سواد العراق بين: بابل والكوفة والبصرة و واسط[849]، وقام بعض الباحثين بالجمع بين السواد واسط وسواد بغداد واعتبرذلك حدودا للعراق العربى وتمتد من البصرة الى تكريت،واحياناً تعتمد على حدود ولاية العراق فى عهد العباسى والتى تصل الى سامراء، هذا ماجاء في المصادر الجغرافية، اما في المصادر التأريخية فقد جاءت حدودالعراق واسعة في مناسبات الحديث عن دولة فارس(او العراق العجمى) كما بيينا في أراء (معجم ما إستعجم ورحلة ابن بطوطة ومعجم الروض، ومعجم البلدان...كذلك بقى حدود العراق

---

[844] تقرير ولاية الموصل.. ص66

[*] يقول (حنا يطا طبوا) في اشارة ضمنية الى هذا السؤال: ان بريطانين قبل غزوا العراق والمنطقة حريصين على كتابة العثمانية بالتركية والشام بسوريا ولبنان، كذلك بلاد رافدين أو ولاية بصرة بالعراق(ينظر:العراق... المصدر السابق ج1 ص115)

[845] موسوعة العراق السياسي... المصدر السابق ص456

[846] ينظر:أ-صحاح ... المصدر السابق ص428، ب- لسان العرب ... المصدر السابق ج2ص752 مادة:عرق ج-سياحتنامه... المصدر السابق ص165

*[*] هذه الحقيقة جاءت في معظم المصادر والاجنبية منها، مثال ذلك:

A dictionary of modere written Arabic p 607 ;- harswehr , 3 rdpriting – londan

جاء فية iraqian–basra and kufa ; al - وقد حدد بعض الاخر , بصرة هي العراق العربى وكوفة عراق العجمي.

[847] العراق فى الخوارط القديمة – .. المصدرالسابق -خارطة رقم: 31 لقزوينى،.

[848]...ورقم: 19 لأبن الحوقل.

[849]... ورقم: 12لبلخى.

العجمى داخل الإيران الحالى حتى فى عهدسلطان عبدالحميد الثانى كما ظهرت فى خريطةالعثمانية لعام 1893م)، وقد اعتمدت بريطانيا في عملية تكوين العراق قبل سايكس بيكو ومن بعده وفي مشكلة الموصل على بعض المصادرالقليلة التى لم يفصل بين العراق العربى والعجمى، وتؤكد ان حدود العراق تمتد من عبادان الى تكريت او من هيت الى تكريت، وهذا يناقض معضم الحقائق التاريخية لاسيما (خريطة ابن الحوقل –أو بالتحديد مساحة العراق التى حددت من قبل(أبو عبيد) قديماًطوله وعرضه ثمانون فرسخا[850]، رغم هذا ولم تقف بريطانيا عند هذا الحد أيضا بل مدت حدود العراق طولاً وعرضاً حسب نفوذها، وعلى الأساس نفسه يبين (فورستر) حدود العراق من جنوب (السور المادى، شمال بغداد عند نهر دجلة يصل الى الصقلاوية قرب الفلوجة والى مدينة (اوفيس - جنوب سامراء) والى الرمادي على نهر الفرات، عند درجة 34 من خط العرض تقريباًَ حتى الخليج العربي ومن الصحراء السورية حتى الجبال الايرانية[851]، اما (كوتلوف) فحدده كما يلى: حوضى نهرى دجلة والفرات من حوالى بغداد الى الجنوب من مدينة بغداد، اما شمال بغداد فهو منطقة كوردستان الجنوبية[852].

ويبدو ان بريطانيا تجاهلت الحقائق التأريخية بمافيها ما جاءت في (اتفاقية سايكس – بيكو)، بل اعتمدت على ديفاكتو قواتها العسكرية، وقررت تكوين دولة عربية بإًسم العراق في المناطق التي تصلها نفوذ بريطانيا ضمن الأهداف والخطة الإستعمارية التى اشرنا اليها (في مطلب أغراض الدويلات في فصل(3))، واخذت الخطة مراحل ونظريات عدة: على وفق سايكس - بيكو يشمل (العراق المقترح) ولايتي بغداد والبصرة المحصورتين بين الفرات والحدود الايرانية، وعندما استولت قوات بريطانيا على مدينة البصرة توجهت الآنظار الى تكوين الدولة العراقية فى البصرة فقط، وكانت هذه الخطة تنسجم مع طموحات (طالب باشا) وغيرها من البصريين الذين كانوا ينوون تكوين إمارة هناك على غرار إمارتي عربستان بقيادة الشيخ خزعل، و الكويت بقيادة الشيخ مبارك لإكمال تطويق الخليج، ولكن كانت هناك أسباب أخرى جعلت بريطانيا تفكر بعراق أوسع، ومن جملة هذه الأسباب:

1- النفط وثرواتها الاقتصادية.
2- موقعها الاستراتيجي.
3- كانت ارضية سهلة لإنبات خطة الإستعمار.
4- المنافسة مع نفوذ دول أخرى مثل: المانيا وروسيا، وفرنسا.
5- سهولة تقدم القوات البريطانية فيها[853].

وبعد التطورات العسكرية واحتلال بغداد اخذت تبرز فكرة توحيد الولايتين وتكوين الدولة فيها،...هكذا حسب التطورات العسكرية كان يتم توسع فكرتها عن العراق , ويمكن إجمال الأفكار والنظريات حول مصير العراق المقترح فى النقاط التالية:

1) الحاق البصرة بالهند، بداية.
2) انشاءأربع دول فى : ولاية البصرة وولاية بغداد وولاية الموصل والفرات الأوسط .
3) تكوين العراق من ولايتى بغداد والبصرة.
4) الحاق ولاية الموصل بمملكة العراق المقترحة.

---

850 ينظر: العراق فى اثار الفتن ... المصدر السابق ج1ص259
851 فورستر – تكوين العراق... المصدر السابق ص13
852 كوتلوف... المصدر السابق ص25
853 ينظر:أ-بزاز ... المصدر السابق ص 43-54.ب-فورستر... المصدر السابق ص489

5) عراق الشمال وعراق الجنوب*.

وترجع فكرة الحاق البصرة بالهند الى وزارة المستعمرات الهندية[854]، لذلك رفضت بريطانيا فكرة امارة البصرة الذى اقترحها (طالب باشا) وأرسلها الى بريطانيا عن طريق (شيخ خزعل) في(1914/10/5)م ليجعل نفسه حاكماَ على ولاية البصرة مدى الحياة (من الفاو الى اخر نقطة تصلها القوات البريطانية)[855].

أما فكرة الولايتين، فقد جاءت ضمن اتفاقية سايكس - بيكو، كذلك من ضمن رسائل (ماكما هون - شريف) ووافقت بريطانيا عليها، ولم توافق على الرسائل الأخرى بشأن ضم ولاية الموصل وماردين وديار بكر التي اقترحت من قبل جمعيتي العهد والفتاة العربية في دمشق وسميت ب(ميثاق دمشق)**،وقدجاء ذلك بشكل صريح فى مذكرات لورانس حيث يقول: ان ماكماهون وعد تكوين دويلات العربية فى بعض اجزاء سورية وعراق[856]، وفي 1918/11/19م اقترح (لورنس) على بريطانيا تقسيم المنطقة الى (بلاد مابين النهرين الشمالي) و (بلاد مابين النهرين الجنوبي) وسوريا، ليحكم كل من (عبدالله وزيد والفيصل، ويبقي الحسين ملكا على الحجاز، وقد أيدت وزارة الهند في 1918/11/7م هذا التقسيم، ولكن ولسون كان مؤيدالرأى مدرسة القاهرة بجمع الولايات الثلاثة، كحل مثالي[857].-كما زعم، مع ابقاء وضع كوردستان على حاله وذلك بموجب برقية يوم 1919/11/22م[858].

وبدأت جهود بريطانيا على الصعيدين الدولي والداخلي بتوسيع العراق ليشمل ولاية الموصل، وتمكنت - في مؤتمر(سان ريمو) - اقناع فرنسا بتنازلها عن هذه الولاية لصالح بريطانيا*، وفي 7 مايس/ 1919م خولت الحكومة البريطانية المندوب السامي البريطاني في بغداد (ولسون) بأن يعامل ولايةالموصل كأقليم من أقاليم العراق يحده دولة كوردية تتمتع بالحكم الذاتي تحت زعامة كوردية مع مستشارين أنكليز[859]، وأرغمت الدولة العثمانية في اتفاقية سيفر 1920م الأعتراف بفصل العراق عنها، وذلك على وفق المادة (132) من معاهدة سيفر التى بموجبها تنازلت الدولة عثمانية عن كل حقوقها وملكيتها في العراق الى الدول المتحالفة الرئيسة، وبناء على المادة (94) من تلك المعاهدة قررت الدول الكبرى وفقا للفقرة (4) من المادة (22) من فصل (1) عهد جمعية الآمر، بأن تعترف بالعراق دولة مستقلة بشرط الآنتداب[860]، هذا أول جهود دولى لتكوين العراق، وفى هذه الاثناء

* هذه الفكرة تعود للورانس , حيث قسم مناطق العراق العربي الى عراق الشمالي(منطقة بغداد) وتنصيب ملك عبداللة فيه والعراق الجنوبي لأمير زيد (د.على وردى - لمحات من تاريخ العراق - قسم الأول –حولثورة العشرين ج 5 ص 58). وكان ملك فيصل حاكما على سوريا أنذاك.

[854] تأريخ الوزرارات... المصدر السابق ج1 ص39.

[855] موسوعة العراق السياسى... المصدر السابق ص 472 .

** (كثير من باحثين يقولون ان ولاية موصل الى ماردين وكوردستان جنوبية ضمن اتفاق (ماكما هون - شريف)كما جاء فى كتاب (دور ملك فيصل..ص14)، لكن بريطانيا لم يوافق سوى على أقليم في شرقي سوريا والعراق سفلى، ، فى الحقيقة ان الأقتراح المذكور ورد فى كتاب (الملل والنحل والأعراق... المصدر السابق ص226)و (فورستر... المصدر السابق ص72) مطابقة مما جاء بها فى سايكس –بيكو، أى أقتطاع ولايتي بغداد وبصرة فقط، لذلك هذا الإدعاء لا أساس له).

[856] لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963 ص208 .

[857] ينظر:أ- موسوعة العراق السياسيي ... المصدر السابق ص172-173، ب- مشكلة الموصل ... المصدر السابق ص4.

[858] المصدر نفسه ص356.

* وكان بموجب (سايكس - بيكو) ولاية موصل ضمن نفوذ فرنسا.

[859] كوردو كوردستان في وثائق البريطانيا ... المصدر السابق ص76.

[860] ينظر نص اتفاقية سيفر ،كذلك لائحة الإنتداب البريطانى على العراق .

عقد مؤتمرالقاهرة فى فترة:12-1921/3/30 من اجل تحديد رؤية واضحة حول دولة العراقية المقترحة فى ملف وزارة الخارجية البريطانية ، شارك في هذا المؤتمر 40 خبيراً تحت إشراف (تشرتشل وزير المستعمرات) وبرسي كؤكس، ومن جانب العراق المقترح شارك كل من جعفر العسكري (كردي) وساسون حسقيل (يهودي) للاستشارة ،حيث خرجوا بقرارات مهمة ، واليكم اهمها:

1-تكوين دولة عراقية .

2-علاقة تلك الدولة الجديدة ببريطانياالعظمى من حيث النفقات.

2- تعين الملك فيصل ملكاُ على العراق.

3-نوع و شكل قوات الدفاع في الدولة الجديدة، التي ستتمع بمسؤليات اوسع في الدفاع عن نفسها.

4-وضع المناطق الكردية و علاقاتها بالعراق كالأتي: وفق برقية رقم 21/201 من المندوب السامى الى وزير المستعمرات جوابا لبرقية رقم 148فى 9حزيران لم يحسم الأمر بين دولة الكوردستانية المستقلة وفق اتفاقية سيفر ام الحاق بالعراق .

وبدأت بريطانيا بتوحيد آراض الولايات الى العراق الحديث، و اولى خطواتها إزالة الفوارق بين ولايتي بغداد والبصرة في ايلول 1918م لتكونا وحدة واحدة وتدار من بغداد وثم أزالت الفوارق والحواجز بين الولايات الثلاثة لصالح العراق[861]، وكانت بريطانيا تبذل جهودها الدبلوماسية والسياسية والقانونية والعسكرية من أجل إنجاز هذه المهام، و أستخدمت التهديدات نحو الداخل والخارج وأحيانا نارالطائرات والدبابات وفيها تم إخماد المقاومة وثورتي 1919، 1920م، ومن ثم اخماد محاولات ولاية البصرة للإنفصال – هذا من الداخل، ومن الخارج تم ترغيب فرنسا وأرغام تركيا على ترك ولاية الموصل وترهيب كل من السعودية وأيران للقبول بواقع العراق السياسى، وبالتالي اصبح العراق على وشك الولادة، وقد اعلن في مؤتمر القاهرة 1921 عن ولادته، وتوسعت أكثر في مؤتمر (لوزان) 1923 ومن ثم تم الحاق ولاية الموصل بواسطة لجنة التحكيم الدولى.

وقد تكون العراق أكثر مما جاء فى كل من (سايكس – بيكو) ومن (لائحة الإنتداب)، وحتى من المشروع الشريفى، لذلك لابد من الوقفة والسؤال: من هو مؤسس العراق السياسى ؟ قلما نجد هذه المناقشة أوالأقتراب من هذا النوع من الأسئلة من قبل الباحثين القوميين العرب، فقد أجاب (محسن ابو طبيخ وحسن العلوى وعبدالمجيدكامل..) على هذا السؤال، حيث قال الأول ان الشعب العراقي هو المؤسس[862]، اما الثاني فاجاب بأن الحركة الجهادية هي التي رسمت خارطة العراق لأول مرة[863]، ومن الثالث نجد عنواناً كبيراَ ومعلومات صغيرة بإسم:(ملك الفيصل مؤسس الدولة العراقية) ولكن في الحقيقة - تكون العراق بجهود بريطانيا البحتة(مس بيل هى المؤسس الحقيقى)، ولا يرجع الى جهود الحركة الوطنية او الثورات أو العمل السياسي.... لسبب بسيط وهو أن: العراق كان مكونا من الشمال والجنوب والبصرة، قام الشمال والجنوب بثورة ضد هذا التكوين لكنهافشلت، والبصرة طالبت بالإنفصال وفشلت، اذن تم تكوين العراق برغبة بريطانية بحتة* وبحكم قوتها العسكرية، لذلك ستبقى مقوماتها

---

861 ينظر:أ- تغلغل ... المصدر السابق ص265.ب- فورستر... المصدر السابق ص108

862 مذكرات محسن ابو طبخ ... المصدر السابق ص 21.

863 الشيعة ... المصدر السابق ص 76.

* وهذا ينافي الاقاويل والادعائات، ماجاء في كثير من كتب التأريخية، من ان بريطانيا يحرض الاقليلت والطوائف لتجزئة العراق، ولكن العكس هو الصحيح، هو الذي صنع العراق وحافظها ضد تهديدات الاقليات وحركات الاستقلال من شمال وجنوب والوسط... ومن بصرة... الخ.

الطبيعية ناقصة بدون القوة العسكرية، وهي من أسباب الدكتاتورية وعسكرة الحكومة العراقية منذ تأسيسها، وستبقى بين الإحتمالات الثلاثة إما الفوضى، او الدكتاتورية العسكرية، او التقسيم.

هكذا بني العراق سياسياً قبل أن تتمكن بريطانيا من بناء الدولة فوقها قانونياً، وبذلك ننتقل الى الفقرة التالية وهى بناء للتكوين القانونى لدولة العراقية.

المطلب الثاني: تكوين العراق قانونياً - نشأة عناصر الدولة العراقية

بعد أن تكون العراق من المناطق النفوذ البريطاني سياسياً بدأ بتركيب عناصر الدولة فيه قانونياً، وقد مر هذا الموضوع في المبحث الثالث في الفصل الأول و أشرنا بأنه طريقة علمانية وليست اسلامية، وكانت خطوات بناء الدولة العراقية قد تمت تحت الإحتلال ووفق مباديء القانون الدولى العام وبوسائل إستعمارية كالإنتداب والمعاهدات وبقية الإجراءات، ويجرى ذلك وفق موازين علمانية وإن لم تذكر بإسمها، لذلك بدأت أدوار العلمانين في العراق تتعاظم مقابل ضعف دور الأسلامين، وقد درسنا أيضاً في الفصل المذكور عناصر الدولة وفق القانون الدولى العام وهي: (1- الشعب 2- الأقليم 3- السلطة بالأضافة الى الإعتراف الدولى)،بدورها جاء هذا الأصل القانونى من مادة الأولى من(اتفاقية ونتيفيديو)[864] والتى تنص: ARTICLE 1 The state as a person of international law should possess the following qualifications: a) a permanent population; b) a defined territory; c) government; and d) capacity to enter into relations with the other states.

والأن حان وقت تطبيق هذه المبادىء القانونية في عملية نشأة الدولة العراقية، عبر هذه العناصركالأتى:

العنصرالأول: الشعب:-

في (الفصل الاول-المبحث الثالث) تناولنا عنصر الشعب وعلاقته بالقومية من جهة وإختلافه مع الأمة من جهة اخرى، وقد بينا ان الأمة هي عنصر (ركن) الدولة الإسلامية، بينما الشعب عنصر الدولة العلمانية ،وبناءً على المفهوم العلماني للشعب مضت بريطانيا قدماً في بناء العراق.

اما في الفصل (الثاني - المبحث -2-) توصلنا الى أوصاف الوضع الأجتماعي في العراق بمايلي:

1- مجتمع متفكك-أو فى الحقيقة ليس مجتمعا بل عبارة عن المكونات ذات أمتدادات الأقليمية 2-و متخلف.. 3- الشعور الوطني والقومي فيه ضعيف وغير لائق لإدارة الدولة بنفسه او حتى قبوله... أما الذين مستوياتهم عالية وبإمكانهم إدارة الدولة فهم العلماء وابناء المدن المقدسة وهم من معارضي هذه الخطة، لذلك عززت فكرة الإنتداب أكثر فأكثر، ولم يكن الآنتداب مقتصراً على الشؤون القانونية للبلد، بل إمتد الى مفردات عملية بناء الدولة فيه، رغم أن درجة إنتداب الولايات المنسلخة من العثمانية هى- درجة أ- راقية نسبة الى الأفريقية، بيد أن العراقين كانوا بحاجة الى إعداد وتدريب وتكوين مؤسسات الدولة من البنيه التحتية الى الفوقية، ولم يكن في العراق المقترح أرضية جاهزة لدولة لاسيما عناصرها القانونية من الوطن- الأقليم-

---

[864] هذه الإتفاقية عقدت فى مدينة مونتيفيديو عام 1933مكون من 16 مادة لضبط نشأة الدول وفق معاير قانونية ، وفيما بعد اصبح جزء من قانون الولى العام.

والشعب والسلطة، هكذا تحتاج الى جهود بريطانيا الخاصة لتكوين هذه الدولة وفق نظارتها، في الحقيقة عملية تكوين عناصر واركان الدولة هى تكوين مقومات البشرية والطبيعية لهذه النشأة، ورفع الموانع امامها، كما يلى:

1- قد درسنا ان الشعب هو عنصر الدولة عندما تكون الشعب موحدا ومنظما، لكن نجد ان الشعب العراقى* لاموحد ولا منظم، وهذه المشكلة لاتأتي من تعدد القوميات والأديان والطوائف حسب، بل الشعب العربي نفسه غير موحد ولا منظم[865]، ولم تكن هذه الصعوبات على درجة كبيرة من التعقيد لو أرادت بريطانيا تكوين هذه الدولة على الأساس القومى أو الوطنى أو القانونى... بل الصعوبات تزداد حدة عندما تنوى تنفيذ خطة عبر جمع أجزاء من الشعوب المختلفة في إطار(دولة) لا أساس لها، وكان العامل الدينى هو الوحيد لجمع أكثر مايمكن جمعه في العراق، بينماهذا العامل مستثنىً (لدى حسابات بريطانيا كما ذكرناه)، بل العلمانية هي المرشحة التى لاتستطيع تذويب هذه المجماميع في إطار واحد، لذلك بقي هذا الشعب لحد كتابة هذه السطور غير موحد وغير منظم، كما جاء في مذكرات سرية للملك فيصل بهذا الصدد كمايلي: ((في اعتقادى لا يوجد في العراق شعب عراقى بعد، بل توجد تكتلات بشرية خالية من اى شعور وطنى))[866]، ووصف الملك المذكور التجربة العراقية بالشاقة، لأنها تواجه مجتمعات مشتتة، وعشائرية متخلفة، وفيهانزاعات عرقية وطائفية، وأضاف: ((كيف هذه الحالة تتحول الى الدولة الحديثة))[867].

2- ان اغلبية سكان العراق يكرهون السلطة او اى نظام فيما بينهم , ولم يمارسوا بأنفسهم حكماً أو إدارةً منذ قرون عدة، وكان النظام او التمدن لدى الغالبية يعني الإفساد وفق قاعدتهم المشهورة[868]، لذلك لايملك الشعب العربي بنفسه مقومات الشعب ولا تجمعه مصالح وتأريخ وشعور وطني مشترك فكيف تجمعه مع شعوب غير عربية فى إطار دولة واحدة (علمانية وقومية) ؟

3- أما الصعوبات مع المكونات الأخرى، فى الحقيقة تكمن فى كون كل منهم شعب مستقل تمام الإستقلال، فالشعب الكوردي غير عربي، وهذه الشعوب والمكونات ظلوا متآخين في ظل الرابطة الإسلامية، فلم تظهر في المنطقة اية حوادث مهمة من نوع قتال الكردي العربى، او السنى الشيعى او التركمانى الكوردى...، وفي ظلها كانوا يقبل احدهم الأخر، ولكن في ظل الصحوة القومية، لايمكن الجمع بين قوميتين إلا عن طريق إخضاع أحدهما للأخرى بالقوة، هذا ما احدثته بريطانيا في العراق، فقد جمعت أجزاء من: أ-الشعب الكوردى ب- ومن المسلمين الشيعة ج- واجزاء من الشعب التركمانى والأقليات الأخرى... تحت القيادة العلمانية السنية - ذات التوجه القومى العروبى، ... لذلك لم ولن يجمع سكان العراق في شعب موحد على هذا الأساس،كماعاد التأكيد من انتخابات عام 2005، بل كما قال الملك فيصل ستبقى التكتلات البشرية، احدى دوافع أضافة الشعب الكوردى على هذا الواقع الإجتماعي المعقد في العراق هو تخفيف نسبة اكثرية الشيعة كما كشفت عنها (مس بيل في رسائلها) وجاء فيها: ((غلبت فكرة ضم ولاية الموصل وكوردستان الى العراق بسبب مسألة الطائفية. وهي ان العراق اكثريته شيعية، وذلك الأجراء يؤدى الى التوازن))[869]، وهذه الفكرة لم تأت إلا بعد رسالة (مس بيل)ليوم (1921/8/28)، التى اكدت على " علم " * ذى

---

* في الحقيقة عبارة (الشعب العراقي) غير دقيقة لانه لم يتكون العراق ولا شعبه، لكن نسير وفق العبارات الشائعة رغم أخطائها.

[865] حنابطاطو... المصدر السابق ج1 ص31.

[866] حنا..-المصدرنفسه.. ج1ص44.

[867] المصدرنفسه ص 368.

[868] - بيًنا فى الفصل الثانى.

[869] العراق فى رسائل مس بيل... المصدر السابق ص188

نجمتين للدلالة على إتحاد الشعبين، بعد ذلك صدر قانون شعار الدولة العراقية رقم 25 لسنة 1931/3/3 ذى نجمتين لنفس الغرض، وبعد تكوين الدولة العراقية على هذا الأساس، برزالتعاون الكوردى - الشيعى ضد هذا الواقع مع بقاء الأثر الإسلامى فيهما، ولكن عندما تلاشى تدريجيا هذا الأثرلاسيما بعد العقد الثالث من القرن العشرين استقرت الخريطة الأجتماعية في العراق وفق التركيب القومي، وكما يلي:

22 % كورد، 3 % اقليات 75% عرب[**]، وعلى هذا الأساس تم التركيب العنصر الأول للدولة العراقية.

4- لقد نجحت أوروبا من تحويل مفهوم القومية الى الوطنية في تكوين الدول الوطنية، واصبح مفهوم المواطنة دستورياً هو المقياس فى ظل مدنيتهم من نوع براكماتي- المادى، ولذلك يمكن جمعهم في أية دولة، وعندها تكون شعورهم الوطني فوق الجميع، اما في العالم العربي فإن المجتمعات عشائرية في الأغلب، ومتعصبة لأنتماءاتها الإجتماعية والقومية، لذلك لم تنجح معايشة شعوب مختلفة في إطار دولة واحدة، ولا يتكون الشعور الوطنى إلا اذا تطابقت حدود الوطن مع حدود القومية، وهذا يفيد لعرق معين ولا يفيد لغيرهم خشية تحولهم الى مواطنين من الدرجة الثانية او الثالثة.. وسيكون البلد غيرمستقر، كما نجد اليوم فى معظم بلدان العالم الثالث لا سيما العربية، حيث يدورفيها صراع مع الكورد والبربر والقبط ومع المسيحين ودارفوريين والحوثين والسنة مع الشيعة...، لذلك نجد ان هذا الشعور لم ينضج بعد تكوين الدولة العراقية منذ (1921)، وبعد مدة قصيرة علق، (عبدالمحسن سعدون: رئيس الوزراء انذاك) وقال: ((مفهوم الوطنية لم يتبلور بعد في العراق، وإن اهل العراق ليسوا شعباَ واحداَ بل شعوباَ متبايناَ))[870] ، لذلك برز وصف الحكام بالإستعمار، وقد ناقش العلماء أمثال بن باديس والزهاوى وشيخ سعيد بيران وغيرهما هذه الظاهرة فى حينه، اى ظاهرة الجمع بين شعبين في إطار سياسي واحد وفق المفهوم المعاصر، وتوصلوا الى النتيجة التالية: اما ان يكون هذا الإطار عقيدة دينية او مدنية ،او لكل منهم دولة[871]، ولم يوجد أى منهما فى الخطة البريطانية، لذلك جمعهم مؤقت ويدوم بالقوة فقط.

---

[*] وكان من قبل هذا التأريخ تؤكد على علم ذو نجم واحد للدلالة على شعب واحد – وهو شعب عربي.

[**] وكانت في هذه الخريطة أسرار ومجاهيل تعثرت الكشف عنها الا بعد الثورة الاسلامية في ايران عام1979 واحلال الصحوة الأسلامية محل الصحوة القومية، الا وهي ان في الخريطة معادلتين وليست معادلة واحدة كماتظهر، كلاهما لصالح العلمانية القومية في والسط السني، ففى المعادلة الأولى كتعبير المكونات العراقية على أساس القومية يشكل خريطة الأجتماعية الأعلاه، وذلك تضمن السنة أغلبيتها بواسطة عروبة الشيعة ضد الكورد، هكذا بقى الكورد في وضع الأقلية أمام الأكثرية لمدة غير قليلة وفي المحنة الدائمة.

ففى المعادلة الثانية تعبر المكونات المذكورة على أساس المذهبية، كذلك تضمن السنة مرة أخرى أغلبيتها بواسطة سنية الكورد ضد الشيعة وعانو بسببها، اما بعد الثورة الأسلامية في ايران ومعها الصحوة الاسلامية التى حلت محل الصحوة القومية وتحول ولاء الشيعة من القومية العروبية الى الأسلامية قد طفت الى السطح المعادلتين فى ان واحد، القومية والمذهبية، وسقطت زيف أكثرية السنة العرب، لاسيما بعد أن هيمنت المعادلة المذهبية الأسلامية على المذهبية القومية واصبحت الخريطة العراقية الجديدة كالآتى:

55 % شيعة، 22 % كورد، 3 % اقليات أما السنة فهي 20 % في احسن التقدير، وكشفت حقيقة اقليتها والتى حكمت اكثريتين... وجدد المشاكل والتباعد بين المكونات بأكثر خطورة، ولحد كتابة هذه السطور.

ولم تبذل الحكومات العراقية المتعاقبة حتى هذه اللحظة جهودا من أجل توحيد هذه المكونات على أساس الوطنى بعيدة عن التعصب، بل حاولوا دوما توحيدهم عبر الأخضاع بالقوة.

[870] د.وردى – لمحات... المصدر السابق ج6ص206.

[871] ينظر: أ- ابن باديس ... المصدر السابق ص 17.ب-شيخ أمجد الزهاوى... المصدر السابق ص268

5- مبدأ تقرير المصير يؤكد منح كل امة تتوافر فيها خصائص معينة كوحدة اللغة والجنس والتأريخ والثقافة والدين والمشاعر النفسية... الخ حقاً طبيعياً بأن تؤلف دولة مستقلة[872]، ويعد هيردر أحد أقدم الكتاب في إبداء هذه الافكار، واكد ان كل أمة يجب ان تمتلك دولتها القومية الخاصة[873]، بالإضافة الى مبادىء ولسون والتصريح البريطانى الفرنسى المشترك والإتفاقيات الدولية الأخرى... وكان من قبل هنالك مباديء لتقرير المصير مقرفى:مبادئالثورةالأمريكيةعام1776-مبادئالثورةالفرنسيةعام1789- ثورةاكتوبر-قرار المؤتمر الأممى المنعقد في لندن عام 1896... ، فكانت جميع هذه الأسس القانونية تشمل الشعب الكوردى لوحده كذلك الشعب العربى لوحده دون جمعهما، فالشعب الكوردى كان يملك مقومات الشعب اكثر من شعوب المنطقة الخاضعة للإنتداب فئة (أ)، وكان يملك وطناً معيناً طبيعياً وليس مصطنعاً، كذلك سلطةً... ولكن الخطة البريطانية لم تعتمد كثيراً على هذه المبادىء ولا على الأسس القانونية، وإلا بأمكان تكوين عنصر (الشعب) من العرب لوحدهم، علماَ ان القانون الدولي العام لايقر بعدد النفوس كأساس لهذا العنصر.

6- على وفق المبدأ المذكورلتقرير المصير فإن كل دولة تكون مسؤولة عن شعبها دون المسؤلية على الأخرين، هكذا جعلت بريطانيا من الشعب العربى –السنى-فى العراق مسؤولاً عن الشعوب والمكونات الأخرى دون إتفاق فيما بينهم ودون إستعداد العراقى لهذه المسؤلية، ولايمكن الجمع بين الولاءات المتباينه، وهذا هو سر المشكلة التي تركتها بريطانيا للمنطقةلمن يريد إصلاحها[874] ، وكان يمكن أخذ تجربة جيكوسلوفاكيا أو المجر والنمسا او الإتحاد البريطانى هانوفر أو قبرص أولبنان فيما بعد، كقدوة لإتفاق كوردى - عربى - وشيعى - سنى وفق وثيقة دولية.

هذه الصعوبات ليست سهلة، بينما قامت بريطانيا على جمع هذه المكونات لتكوين الشعب عنصراً من الدولة، ولم يجمعهم على أساس إتفاق فيما بينهم أو على اساس عامل مشترك، بل جمعهم بالقوة.

العنصر الثاني: الأقليم

مرّ ذكر الأقليم في الفصل الأول المبحث الثالث، وأوجدنا علاقة الوطن القومي، واختلافه مع مفهوم الإسلام فى بناء الدولة الحديثة، حيث وجدنا ان الإسلام لا يعترف بالأوطان القومية بل بدار الإسلام الذي مداه غير محدد ويشمل سكان الأرض كلهم، طالما الدعوة الإسلامية مفتوحة لأهل الكرة الأرضية.

بذلك يكون الإقليم الذي تنوي بريطانيا تكوينه للدولة العراقية هي علمانى الطابع وليس إسلاميا، لذلك هذا المشروع بطبيعته يصطدم مع الإسلامين والعلماء وعامة المسلمين، بالتالي يحتاج مجموعة من المستلزمات العلمانية المستحدثة، بما فيها اختيار بقعة من الأرض التي تسمى الأقليم، ومن ثم الحدود، وهما تشكلان خصوصية هذا الموضوع، لذلك نقف قليلا عليها:

أولاَ: عدم وضوح حدود الإقليم العراق، ولا يستند على أسس تأريخية أو جغرافية أو قومية أو طائفية أو دينية..، كما أنه لا يستند الى تعريف قانوني محدد، بل يستند بالأساس على مناطق النفوذ البريطاني -كما مرِ بنا في موضوع الشعب-، وبالتالي حدود هذا الأقليم تكون ذلك الموضع الذي يكون تحت أقدام آخر جندي بريطاني محارب.

ثانيا: ان هذا الأقليم الذي تنوي بريطانيا تشكيله ليس على اساس مصالح شعوب المنطقة وإراداتهم، بل رسم وفق خطط استعمارية، وهي حالة جديدة تخلق مجموعة من المشاكل، وهذه المشاكل والصعوبات وبقية التعقيدات تأتي من أن العراق لم

---

[872] ينظر:أ- قاموس السياسي ... المصدر السابق ص 122 , ب- قانون الدولى العام ... المصدر السابق ص194.

[873] Thomas D. Musgrave. Self Determination And National Minorities. Op. Cit. p. 5.

[874] وهذا يفيد لإصلاحات شرق الاوسط المطروحة فى الساحة العالمية .

يكن -على الأقل- في تاريخه الحديث امبراطوريةً أو كياناً سياسياً أو إمارةً بإسمها لبيان حدوده الأقليمية، لأن الأقليم على وفق القانون الدولي يكون عنصراً لنشأة الدولة إذا كانت:

1- حدود الأقليم واضحة وثابتة.[875]

2- هذا الأقليم ملكه وليس ملكا لغيره.

3-شعب هذا الأقليم ساكنا وليست رحالة[876].

ومن الواضح ان هذه الشروط لا تتوفر لأقليم العراق المقترح، فحول الشرط الأول هناك عدة تقديرات غامضة ومتباعدة لحدود إقليم العراق، منها ما اقتصر على حوالي حدود البصرة أو بمحاذاة الشواطئ أو السهل الرسوبي في الجنوب، ومنهم من مد حدود العراق الى جهة الصين والهند. كما مر بنا في المطلب السابق، وهذا دليل على عدم وجود حدود واضحة وثابتة لأقليم العراق، أما بصدد الشرط الثاني فإن الولايات الثلاثة كانت تابعة للعثمانية زهاء خمسة قرون، وحسب الأصول القانونية هذا الأقليم يرجع اليها مادام قد تجاوزت ملكيتهاله200 عام، وهي قاعدة قانونية[877]، لكن بإلغاء السلطنة ومن ثم الخلافة من قبل اتاتورك وتحويله الى الجمهورية التركية العلمانية فقدت ملكيتها على العراق، بالإضافة الى تنازله بشكل رسمي بموجب مادة (132) من معاهدة الصلح الموقع عليها في سيفر يوم 1920/8/10، و تنازلت بإسم العثمانية عن حقوقها وتملكها للعراق الى الدول المتحالف الرئيسية[878]، وتم اقرارها فى المادة الأولى من ميثاق الوطنى التركي[879] لكن لا يتحول الى أملاك بريطانية حسب القاعدة القانونية المذكورة، مادامت مدة الإحتلال لم تتجاوز سوى ثمان سنوات، بل اصبحت وديعة دولية كما جاء فيما بعد فى مادة 22لعصبة الأمر، هكذا حسب الأصول القانونية لا يمكن لبريطانيا أن تتصرف بأقليم العراق كما ذكر فى (المادة -4- من لائحة الإنتداب على العراق)، فكيف بالأقاليم الأخرى، ولكن بريطانيا تجاهلت تلك الأمور القانونية وغيرها، بل تصرفت وفق منطق الغالب على المغلوب، لذا كانت تتغير حدود هذا الأقليم في اذهان البريطانيين مرات عديدة، وأخذت عدة أشكال ومسلمات حسب متطلباتها، ففي بداية الحرب برزت فكرة الدولة في اقليم البصرة والإكتفاء به، أما في المرحلة الثانية جاءت حدود اقليم العراق وفق مادة (1) في سايكس-بيكو وشملت البصرة بمحاذاة الفرات الى النجف وشمالي بغداد وتنتهي-قرب ديالى- والى جهة الحدود الإيرانية بأتجاه الجنوب، وأخيرا قامت بريطانيا بتوسيع إقليم العراق ليشمل ولاية الموصل وكوردستان الجنوبية وغربي الفرات، رغم ان إقليم كوردستان دخل الى الوضع القانوني شبه المستقل بموجب مواد(62، 63، 64)من معاهدة سيفر وتكرر ذلك في المادة (16) ضمن لائحة الأنتداب العراقي[880]. وكانت قوتها القانونية اقوى من المادتين (132)و(94) التي بموجبها فصلت ولايتا بغداد والبصرة من العثمانية ونقلتا الى ذمة الحلفاء، ومن جهة أخرى ان أقليم (العراق الحالي) وفق

---

[875] قانون الدولي العام- المصدر السابق- ص199

[876] ينظر:أ- المصدر نفسه ص203 ب-الوسيط القانونى ... المصدر السابق ص42--43

[877] هذا القياس عملت بها في قانون الدولي أحياناً، وقد حلت مشكلة جزيرة (الماس) عام1928م بين هولندا وأمريكا بواسطة هذا القياس، أي حد الأدني من بقاء اقليم تحت أيدهو200 سنة ليكون ملكها.. ينظر: الوسيط القانوتى ... المصدر السابق ص53.

[878] أ-انظر لائحة الأنتداب البريطاني على العراق فى الملحق رقم -3- من هذا البحث، ب- تأريخ الوزارات العراقية... المصدر السابق ج1ص301

[879] صدر هذا الميثاق فى1920/1/28 مكون من 5 مادة،

[880] انظر نص اللائحة في ملحق رقم-3-من البحث. ولأن المواد المذكورة بشأن كوردستان جاء تحت عنوان واضح وبدون الأنتداب، بينما مادة 132تحت عنوان الولايات والإنتاب.

خريطة (سايكس-بيكو) كان مقسما الى ثلاثة أقاليم غير متطابقة مع الحدود السابقة للولايات بغداد والبصرة والموصل، بل نصف ولاية الموصل –الشرقية- اصبحت تابعة لأقليم (A)، أما مناطق كركوك الى ديالى بأتجاه الأردن الحالي تابعة لأقليم (B) وأجزاء من بغداد وشرقي الفرات حتى البصرة تابعة لأقليم (اللون الأحمر) [881]، لذلك ماقامت بها بريطانيا لتركيب أقليم العراق هو في الحقيقة خلق مقومات الطبيعية من خلال تسوية المشاكل والصعوبات التأريخية والجغرافية والإجتماعية والوطنية والقانونية أمامها، وان كان ذلك يحتاج الى الوسائل العسكرية و الدبلوماسية و السياسية و القانونية..، بالإضافة الى المشاكل الداخلية التالية:

1- المشكلة الأولى، كان شعور الناس القاطنين في هذه المنطقة تجاه الوطن أو اقليم العراق ضعيفة، (وإن وجد) فإن الشعور بإنتماء الولايات أكثر نشاطاً، بدليل أن أكثرية الجمعيات التي نشأت آنذاك كانت بإسم ولايتها وليست بإسم اقليم العراق، ولا يجد الناس أي ارتباط محسوس بينه وبين العراق المقترح، لا في الواقع ولا في تأريخ أجداده، لذلك نجد ان الأهالي لم يسمعوا حتى بكلمة العراق اثناءأستنطاقهم فى مشكلة الموصل 1925[882]. وكانت بريطانيا قد اعتمدت على منطقة العراق العربي، وهذه المنطقة اذا ما جردنا منها المدن المقدسة وهي صاحبة الثورة ضد هذا المشروع، وولاية البصرة والمنتفك صاحبة الدعوة والإمارة المستقلة عن العراق عندهاتبقى أقليما أكثرية سكانه رحالة وبدو وخارجة عن القانون الدولي الذي أكد أن الشعب فى الأقليم يجب أن يكون ساكناً وليست رحالاً.

2- ثاني اكبر مشكلة هي أن اقليم العراق يشمل في اقصى حده ولايتي بغداد وبصرة، ومن شمال بغداد تبدأ حدود كوردستان، هذا ما أكدته معظم المصادر التأريخية، كما تحدثنا عنه قبل قليل، وان اقليم كوردستان يملك اسماءاً تأريخية خاصة به، مثل اقليم الجبال، اقليم الجزيرة، بلاد الكورد، أيالة كوردستان،... الخ. وقد حدد (أوليا جلبي) حدوده الى قرب بغداد [883]، ومن (شرفنامة) الى قرب الخليج.[884] وقد أيد واعترف المعاهدات الدولية بذلك، ففي فصل الاول من معاهدة ارضروم لعام 1823/7/28 بين فارس والدولة العثمانية يعتبر حدود الجنوبية لكوردستان تصل قرب بغداد ،وفى المادة (62) من معاهدة سيفر جاء تحديد أقليم (كوردستان) من شرقي الفرات الى شمال بغداد على بعد 90 ميل، الى جنوب حدود أرمينا، وشملت ولاية الموصل كجزء من الدولة الكوردية المقترح تشكيلها، جاء في الوثائق البريطانية: ((اعترف الحلفاء في الوقت نفسه في سان ريمو فيما بعد وفي معاهدة سيفر 1920/8/10 بأن منطقة الموصل هي جزء من الدولة الكوردية المقترح تشكيلها.))[885]، وقد فصل كل من (اقليم العراق واقليم كوردستان) في المعاهدة المذكورة بقرارات منفصلة، حيث فصل العراق عن تركيا بموجب المادة (94) وفصل كوردستان بموجب المادة (63)[886]، لذلك التزمت –فى البداية- بريطانيا بهذه الأصول القانونية كماجاء فى المادة (16) من لائحة الإنتداب العراقي، وأكدتها مراراً، ففى برقية جرجل الى الملك فيصل بشأن كوردستان، جاء فيها: ((اننا وعدناك بتأسيس دولة عربية وليست امبراطورية، لذلك ان حدودك لن تتجاوز جبل حمرين الى ما ورائه فهو كوردستان))[887].. وهذا جانبه القانوني،

---

[881] انظر الخريطة سايكس-بيكو فى الملحق رقم -1-.من البحث.

[882] مشكلة الموصل... المصدر السابق ص77-

[883] سياحتنامة... المصدر السابق ص90(حدود كوردستان وفق سياحتنامه تصل الى أرضروم فى الشمال وحكارى ووان وجزيرة وعمادية وموصل وشهرزور وحريروأردلان ودرتنك..وتصل قرب بصرة، ومن الغرب الى الحلب،..)

[884] شرفنامه... المصدر السابق ص127

[885] كورد وكوردستان في وثائق بريطانيا... المصدر السابق ص32

[886] ينظر نص الإتفاقية السيفر

[887] حدود كوردستان الجنوبية ... المصدر السابق ص217

أما جوانبه التأريخية والجغرافية والإجتماعية التي تشكل ديفاكتو لهذا الأساس القانوني (ديكورا).. فهو معروف منذ (هيرودتس-أب التأريخ) حيث تحدث عن المواجهات بين أهالي الكورد في هذا الأقليم وقوات (زينفون)، وأما فى العهود القريبة لاسيما فى عهد العثمانية على عكس العرب واقوام أخرى كان تعايشهم مع العثمانية عبر اتفاقية معروفة بأتفاقية سلطان-بدليسي فى 1514، وجاء في (الكورد والكوردستان في الوثائق البريطانية) ان اللغة الكوردية منتشرة بحيث تستخدم عند شعوب اخرى من الأرمن والأشوريين والعرب والسوريون[888]، ومساحته واسعة تبلغ أكثر من 500.000كم^2، وهو أكبر من اقليم العراق العربي بعدة مرات،كما يظهر بكل وضوح فى خريطة العثمانية لعام 1893 ايضاً.

بدأت أولى المحاولات لإدخال التعديلات في خارطة كوردستان وإضافته الى اقليم العراق من فقرة (4)وصاية وزارة الهند[889] ، ثم بدأت محاولات معروفة لإلحاق اقليم كوردستان الجنوبي بالعراق قصراً، وكان الجمع بين الأقاليم غير ممكن قانونياً وفق المادة (10) في عهد عصبة الأمم[890]، وأصبحت فيما بعد المادة (2) مؤكدةً من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على: ((لا يمكن أي تعديل اقليمي ما لا يتفق مع رغبة السكان))[891] بالإضافة الى المبادىء القانونية والسياسية لحق تقرير المصير.

وكان اقليم العراق نفسه خاضعاً للإحتلال والأعتداء البريطاني ومنه إمتد الإعتداء الى اقاليم أخرى، ومن جراء هذه الأعتداءات شكلت منها أقليماً وعنصراً من عناصر الدولة العراقية، وقد استخدمت بريطانيا والمتعاونون معها بعض التأويلات والتبريرات التأريخية المزعومة، كتبعية شهرزور الى بغداد في العصر العباسي، وإتفاقية شريف-مكماهون، والرابطة التأريخية بين الشعبين، ودفاع شيخ محمود وصلاح الدين وظفرالدين عن العرب..[892]، وقد وسعت أقليم العراق دون مبالاة بالعوامل القانونية والتأريخية والجغرافية.. وتمكنت من كسب ولاية الموصل من فرنسا ثم من تركيا، وبعد ذلك استخدمت القوات العسكرية لإلحاق اقليم كوردستان بإقليم العراق، وتغلبت على هذه الصعوبات.

3-المشكلة الثالثة: هي أن أهالي ولاية البصرة والمنتفك كانوا يعتبرون أقليمهم اقليماً خاصاً، وطالبوا بالإستقلال اسوة بالعراق، ولكن بريطانيا اهملت هذه المطالبات وضمته الى اقليم العراق، دون موافقة اهالي البصرة التي تؤكدها المادتان (10) في عهد العصبة والمادة (2) المذكورة قبل قليل.

هكذا تم تركيب اقليم العراق–بواسطة(الترهيم) أي الضم والتفتيت- من أجزاء عديدة من الأقاليم الأخرى من قبل بريطانيا ، وبلغة السياسة المعاصرة فإن هذا الإقليم مكون بالأساس من وطنين، وطن كوردى، ووطن عربي، دون إتفاق بينهما.. لذلك تبقى مقومات أقليم العراق ضعيفة في الميزان القانونى والسياسي والإجتماعي والإداري.. وخرج ثاني عنصر لبناء الدولة العراقية بتكوين هش.

---

[888] وليد حمدي... المصدر السابق ص15-17

[889] ينظر: نص الوصايا رقم (7701-B) موجودة في (كورد وكوردستان في وثائق البريطانية) ... المصدر السابق ص86-91.

[890] نص المادة العاشرة فى ميثاق عصبة الامم : .ARTICLE 10

The Members of the League undertake to respect and preserve as against external aggression the territorial integrity and existing political independence of all Members of the League. In case of any such aggression or in case of any threat or danger of such aggression the Council shall advise upon the means by which this obligation shall be fulfilled.

[891] الوسيط القانونى ... المصدر السابق ص50

[892] وقد نوقشت هذه المبررات في مطلب المقاومة.

العنصرالثالث: السلطة السياسية

يعتبر السلطة السياسة العنصر(ركن) الثالث والأخير لنشأة الدولة، من الواضح أن العراق لم يشهد أية سلطة سياسية ذات سيادة بإسم العراق على الأقل منذ ثمانية قرون[893] ، ولم تتصف بغداد -في عهد الدولة العثمانية- بأية صفة مميزة سواء كانت ادارية أو سياسية، أو فى ناحية علاقتها بالولايات المجاورة، حتى عام 1918[*]، حيث قامت بريطانيا بإزالة فوارق بين الولايات (الموصل وبغداد والبصرة) وجعل بغداد في حالة مميزة تمهيداً لإقامة السلطة العراقية فيها.

ولم يكن انعدام وجودالسلطةذاتية فى العراق عائداً الى خضوع العراق للإحتلال الأجنبي حسب. بل كان أهالي العراق يكرهون السلطة، كما أكد فورستر: ((فإن الجماهير العربية وشيوخها مايزالون ينظرون الى الحكومة حتى اليوم-الى زمن كتابة السطور من قبل فورستر"باحث"- مجرد أداة لإستحصال الضرائب وفرض الخدمة العسكرية وتقيد الحرية التي وهبها الله لهم)).[894] لذلك نجد أكثرية الولاة وكبار الموظفين لم يكونوا من أهل العراق بالضرورة، لهذا من العسير إعتبار إدارة الولايات إدارةً وسلطةً عراقية، ومن جهة أخرى فإنها على خلاف بقية البلدان العربية التي سادت فيهامرات عدة تكوينات وسلطات سياسية أو دينية أو إجتماعية مثل: آل سعود في نجد، والملك حسين في الحجاز، وآل العظم في دمشق، وآل مبارك في كويت، وخزعل في عربستان...الخ. أو حتى في كوردستان فإن تأريخها مليئ بالكيانات وآخرها سلطة الشيخ محمود، أما في العراق فلم نجد مثالاً قوياً، وكانت في الفرات الأوسط أيضاً نوع من الإدارة الدينية، وسلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظام الضريبة وبعض مواد الشريعة تحكم، لكن توجه بريطاني ومخططاتها العلمانية ما كانت تنسجم مع التوجه الديني لهذه السلطة، لذا تلك السلطة لم تصبح نواةً أو عنصراً مساعداً لتكوين الدولة، كما ذكرنا في موضوع (مقومات الدولة العراقية)، لذلك بدأت بريطانيا بنفسها إنشاء سلطة في المناطق التي تحت نفوذها، بواسطة بناء الوحدات الإدارية وتكوين ادارة مركزية في بغداد تحت غطاء قانوني، رغم هذا لم تقم على قدميها حتى بعد تركيبها كما نجد فى نهايةالبرقية التالية من جرجل (حول عدم بلوغ الحكم الوطنى فى العراق) الى كوكس:، وقال: ((..لا يبقى الحكومة وستتلاشى..))[895]، وقال فيصل فى هذا الصدد: ((ان الحكومة أضعف من الشعب.))[896]، كل ذلك دليل على عدم وجود سلطة، ومن الصعب تأصيلها بسبب ذلك رغم الدعم البريطاني الكامل لها، لذا عززت مرة ثانية فكرة المحميات، التى تسمى نظام الأنتداب فى العراق، وهو بدعة من بدع الغرب لتكوين الدولة المصطنعة وفق الخريطة الخاصة، لذلك نبقى قليلا على فلسفة الأنتداب.

الإنتداب وتكوين السلطة:

يأتي إبداع نظام الإنتداب ضمن فلسفة الغرب- لاسيمابريطانيا - ونظرياتها تجاه الشعوب من غير (رجل أبيض) ،واحياناً يطلق عليهم(شعوب دونية -inferiority) او (sub-man - الإنسان الناقص) كما جاء فى فقرة (4) من مادة (22) لعهد عصبة

---

[893]ينظر التفاصيل: الفصل الثانى –المبحث الثانى من البحث.

[*] وبدليل أن برقية 29-3-1917 التى وصلت الى مسؤول الأول البريطانى فى العراق من وزير الهند فى الحكومة البريطانية كانت تؤكد على التعامل مع الولايات بشكل منفصل، ينظر:التفصيل فى المبحث الثانى فصل الأول.

[894] فورستر... المصدر السابق ج1ص31

[895] حنا بطا طو... المصدر السابق ج ص47

[896].بزاز ... المصدر السابق ص231

الامم[897]، وكانت تعتبر نفسها معلماً لهذه الشعوب، وجاء في مبدأ (ملتون): ((لا تدع بريطانيا تنسى رسالتها في تعليم الأمم كيف تعيش))، [898] بناء على هذا فإن جذور فكرة الأنتداب عميقة، حسب (فورستر) فكرته أمريكية وتعود الى عام 1787م، أما تطبيقه بريطانيا[899]، ولكن أغلب المصادر ترجع الفكرة الى جنرال (اسمطس[900] 1870-1950)، حيث أقترح في كراسة صغيرة فكرتي الإنتداب وعصبة الأمم، أما (مسيو بيشو) يقول: ((انه منذ أن عقد اتفاق سنة 1916 -يقصد سايكس-بيكو تم اختيار نظام الأنتداب برمته)).[901] وقد صدرت ثلاث درجات (أ، ب، ج) للإنتداب لأربعة عشرة وحدةً، بحيث تشمل (أ) البلدان التابعة للعثمانية، أما (ب) بلدان أفريقية تابعة لألمانيا، أما (ج) تلك البلدان المتأخرة جدا[902].

وكان العراق من ضمن مجموعة (أ)، وقد جاء في المادة (132) من معاهدة سيفر في 1920/8/10 التي بموجبها تنازلت عثمانية عن العراق، وبناء على المادة (94) من المعاهدة نفسها قررت هذه الدول الكبرى وفقاً للفقرة (4)[903] من مادة (22) والفقرة الثالثة لعهد العصبة التي جاء في نصها : أن بعض الشعوب التي كانت خاضعة للإمبراطورية العثمانيه قد وصلت إلى درجه من التقدم يمكن معها الاعتراف مؤقتاً بكيانها كأمم مستقلة خاضعة لقبول الإرشاد الإداري والمساعده من قبل الدولة المنتدبة ، إلى ذلك الوقت الذي تصبح فيه هذه الشعوب قادرة على النهوض وحدها ، ويجب أن يكون لرغبات هذه الشعوب المقام الأول في اختيار الدولة المنتدبة ،(وهو ما سمي بالانتداب من درجه (أ) ويشمل الولايات العثمانية السابقة) وباستناد الى الفصل (1) "عهد عصبةالأمم" بأن تعترف بالعراق دولة مستقلة تحت الإنتداب، وصدر صك الإنتداب العراقي وهو مكون من (20) مادة[904]، وتنطوي على تكوين معالم للدولة العراقية المقترحة.

هكذا شمل نظام الأنتداب تلك البلدان التي لاتملك المقومات الطبيعية (للأقليم) والبشرية (الشعب) والسياسية للدولة التى تشمل النقص فى الإدارة والسيادة والحدود الواضحة التى تؤلف منهاالسلطة السياسية، تقول (مس بيل): ((أسهمت في ربيع 1919 بوضع مسودة صك الإنتداب على العراق مع الدكتور هوكارت ولورانس بموافقة وكيل الحاكم الملكي العام))، [905] وعين الإنتداب على العراق في 1920/4/25، ورغم ان كثير من الباحثين كتبوا عن احتجاجات العراقيين ضد الأنتداب، لكن في الحقيقة

---

[897] للمزيد من الوضوح ينظر نص صك الانتداب البريطانى على فلسطين الصادر فى 24/يوليو/1922فيه مواد اكثر صراحة بهذا الوصف ولاسيما المواد: (11) و(19) و(20) .

[898] لمحات... المصدر السابق ج5- ص56

[899] فورستر... المصدر السابق ج1ص10، و ص88

[900] من موالد مستعمرة كاب في افريقا الجنوبية، بريطاني الأصل تقلد عدة مناصب هامة.. (فورستر... المصدر السابق ص88).

[901] فورستر - المصدر نفسه ص85.

[902] فقد جاء المادة (22) من عهد عصبة الأمم، مكون من (9) نقاط فيها شرح لأسباب وجوب الأنتداب ونوعيته، في نقطة (4) تحدد بلدان العثمانية من درجة-أ-، وفي نقطة (5) يحدد شعوب أفريقية التي تستحق صنف -ب-، أما شعوب التي لا تملك أية قابلية للدولة، صنفت في-ج-.. ((انظر نص اللائحة في: حسني -تأريح الوزراء... المصدر السابق ص229

[903] فقرة (4) هي: ((ان بعض البلاد كانت في القديم تابعة للأمبراطورية العثمانية، وقد بلغت درجة راقية، يمكن معها الأعتراف مبدئيا بكيانها كأمم مستقلة، على أن تستمر الإرشاد والمساعدة من دولة أخرى، حتى يأتي الزمن الذي تصبح فيه قادرة على الوقوف بمفردها. ان اعتبار رغبات هذه البلاد يجب أن يكون في المقام الأول من إنتقاء الدولة المنتدبة)) تأريخ الوزرارات .. المصدرالسابق- ج1 ص299، نص مادة -22-

[904] نص المواد فى ملحق رقم-3-من البحث.

[905] مس بيل -العراق في رسائل ... المصدر السابق ص15

قبل صدور لائحة الإنتداب كانت تعمل بها من القدم الى الرأس دون ذكره، ولم تكن الإدارة السياسية العراقية تحت الأنتداب حسب، بل حضارتها وثقافتها وأعلامها ومؤسساتها، الى أن تصل قادتهاكانت تحت الأنتداب، بدليل ان وراء كل وزير أو رئيس الوزراء أو ملك مستشار بريطاني، حتى نجد في (رسائل مس بيل) ليوم 25/أيلول/1921 قولاً: ((أني سأدير شؤون البلاط حتى يستطيع الوقوف على قدميه))، [906] لذلك الإنتداب-بعينه- لم يكن سلبياالى تلك الدرجة، لاسيما لشعوب المتأخرة، رغم انه فيه تناقضات، حيث لم ترد فيه أية إشارة الى تقرير المصير، كما تبين فيما بعد فى مشكلة (جزرالاند)عام 1920 وصدر التوضيح من العصبة أكدوا فيه (ليس للشعوب الحق فى التحررنفسها من حكم التى استعمرتها حتى ولو كانت لاتنتمى اليها) [*] بل كانت ضمن مؤامرة إستعمارية معقدة ، لكن فقرات من (1-4) تحتوي على إقامة السلطة واعدادها لتولي مهامها والوقوف على قدميها[907] ، هذا صحيح فلماذا نستحي من الحق، فلننظرماجاء فى وصف تلك الشعوب التابعة لصنف (أ) في فقرة (1) من المادة (22) قريبة جداً من وصف الشعوب في المنطقة العربية، ومطابقة مع وصف (ابن خلدون) لهذه الشعوب عندما قال: ((ان العرب ابعد الأمم من السياسة[908]، وقلة العلماء فيهم، وبعدهم عن الصناعة وقربهم من الخراب، وبالتالي بعدهم عن الحضارة..) [909]، لذلك هؤلاء بحاجة الى الإنتداب، فالإسلام كان لهم ولشعوب الشرق خير انتداب فى حينه، فلما زال هذا الخير بزوال العثمانية فما العلاج إلا الإنتداب البريطانيي الموجود، ولايزال -حتى كتابة هذه السطور- العراق وكثير من الدول العربية بحاجة الى انتداب ما لكى يصل الى مستوى التقدم[*].

وكانت المشكلة الأساسية هى ان البلادالمذكورة بما فيها العراق لم تمارس السلطة أو الأستقلال، أو أفكاراً عنها في وسط الجماهير، وعند الحديث عن الأستقلال قال أعرابي من العراق: إننا ما نعلم بالإستقلال بل أنتم- أى بريطانيا -علّمتمونا،... أنا أعرف كوكس وبريطانيا ولكن لا أعرف معنى الأستقلال، لذلك وجدنا ان العراقيين فضلوا أميرا وسلطةً غير عراقية مثل أمير تركي أو قاجارى أو أبناء شريف، [910] وذلك يدل بكل وضوح الى ضعف ثقة العراقيين بأنفسهم، هذا الضعف يرجع الى قلة الممارسة وعدم وجود ادارة أو سلطة ذاتية، لاسيما في ولاية بغداد، على عكس كوردستان وولاية البصرة فكانتا تملكان هذه التجربة، لذا نجد المواد (62، 63، 64) من معاهدة السيفر لم تأت فيها ذكر للأنتداب على كوردستان بل الى الاستفتاء بعد سنة ، بل جاء في المادة (16) من لائحة الأنتداب العراقي عدم الممانعة في استمرار حكومة كوردستان بعلمها الخاص[911]، وهذا دليل على تقدمها أكثر من مناطق بغداد، كذلك الأمر بالنسبة للبصرة، حيث جاء في (أحوال العراق في مرحلة المشروطية): ((ان فترات كثيرة تمتعت البصرة بالإستقلال... -))، [912] تكرر الحال عدة مرات، وفي اثناء الأحتلال البريطاني كانت سلطة طالب باشا في بصرة شبيه

[906] العراق في رسائل –المصدر نفسه ص365

[*] بموجب المادة 22\3عهدعصبة الامم لم يكن تقريراً للمصير بل انتداب ،تفاصيل حول المشكلة هذه الجزر فى الكتاب :ارهاب الدولة فى اطار قانون الدولى العام –د سامى جاد عبدالرحمن ص54

[907] نص المادة (22) في عهد عصبة- في تأريخ الوزراء... المصدر السابق ج1 ص299.

[908] المقدمة ... المصدر السابق ص196

[909] المصدر نفسه -ص695

[*] وبعدقرن تقريباًعادالمسألة: حيث ذكر بول بريمر :إن العراقين لايكادون يدركون مفهوم الحرية، ينظر: ا عام قضية فى العراق-ترجمة:عمرالأيوبى، دار الكتب العربى –بيروت ص71

[910] مس بيل -العراق في رسائل... المصدر السابق ص258

[911] علم كوردستان مكون من هلال أحمر فى أرضية خضراء-(تاريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص279

[912] أحوالالعراق فى المشروطية... المصدر السابق ص15

بالأمارات المجاورة، أمابصدد الحديث عن السلطة العراقية فكانت ضعيفة حتى بعد تكوينها من قبل بريطانيا ولم تستطع تحمل مسؤوليات الأقليم والشعب، لذلك لم تقتنع لجنة تحكيم الموصل بتحويل ولاية الموصل الى العراق بسبب هذا الضعف، واقترحوا تسليمها الى تركيا، [913] وقد جاء في مذكرات الملك فيصل أكثر من هذا وذلك بعد تكوين الدولة فيها، وقال: ((ان الحكومة أضعف من الشعب بكثير، الشعب عنده 100.000 بندقية، بينما الحكومة تملك فقط 15.000 بندقية، ولايوجد بلد من بلاد الله حالة الحكومة والشعب فيه كهذه))، [914] وكان على بريطانيا في سبيل تركيب ثالث اركان الدولة و تكوين هذه السلطة تجاوز مجموعة من المشاكل، في ظل تباين اراءالعراقيين حول هذا النوع من السلطة، وأهم هذه المشاكل هى:

1- عدم تعاون العراقيين فى بناء السلطة إلا قليلاً.

2- كرههم لأية سلطة.

3- وجودسلطة سياسية في كوردستان.

4- المطالبة بإستقلال ذاتي في البصرة.

5- الثورة المندلعة ضد هذا النوع من السلطة في العراق.

ولهذا بذلت بريطانيا قصارى جهودها العسكرية والسياسية والمالية والقانونية في سبيل إيجاد سلطة وإدارة في العراق في سبيل إكتمال عناصر الدولة، ومن أجل ذلك قامت بالإجراءات التالية:

1- قمع الثورات المندلعة في كوردستان والجنوب.

2- تجاهلت مطالب البصرة.

3- أزالت الفوارق بين ولايات الثلاث لصالح بغداد[915]-كما ذكرنا قبل قليل-وأنشأت سلطة فيها كأساس لبناء الدولة.

هكذا بدأ بتكوين العراق وتكوين عناصر نشأة الدولة فيه، وبدأ تدشن السيادة الداخلية والخارجية من قبل بريطانيا، والخطوات القادمة هي بناء مؤسسات الدولة من الحكومة والجيش واستيراد ملك له ثم بقية مؤسسات بنية الفوقية له في المطلب التالي.

---

[913] العراق في دوري... المصدر السابق ص273، وانظر مشكلة الموصل... المصدر السابق ص129

[914] بزاز... المصدر السابق ص231

[915] فورستر ... المصدر السابق ج1ص108

المطلب الثالث: تكوين مؤسسات الدولة

بعد أن ثبتت عناصر (وأركان)الدولة من :الشعب والإقليم والإدارة السياسية، بات القطر العراقي جاهزاً للخطوات المقبلة وتكوين المؤسسات ومتطلبات الدولةفيها، وهي: الحكومة والجيش، الملك، البرلمان والدستور، الحدود الدولية. ثم رفع مستواها الى عضوية عصبةالأمم لإعلان إستقلالها، لكي تتخرج دولة عصرية بإسم مملكة العراقية عاصمتها بغداد، ذات دستور مدني علماني.

وقد أخذت بريطانيا على عاتقها المسؤلية وبناء مؤسساتهاوفق الخطوات التالية:

1- الحكومة والجيش:

لقد تحدث كثير من المؤرخين والباحثين بشكل مبالغ فيه عن آثار الثورة والحركة الوطنية العراقية، وحاولوا تنسيب هذه الخطوات بما فيها انجاز تكوين الحكومة إليها، لكن في الحقيقة ان الثورة قد فشلت في تحقيق أهدافها، وسحقت إرادتهم، لذلك بناء هذه المؤسسات ليست فقط خارج ارادة الثوار حسب، بل خارج ارادة المؤيدين[916] لبريطانيا في العراق أيضاً، فقد رفضت بريطانيا صيغة الحكم العراقي المقترح من قبل المؤتمر العراقي في دمشق يوم 1920/3/7م، رغم أن هذه المقترحات ملهمة ضمن المشروع البريطاني الكبير، لكن شددت بريطانيا على رفضها في بيان رسمي صادر عن وزارة الخارجية في 1920/3/13م[917].

أما الأثر الحقيقي للثورة كما ذكرنا آنفاً فكانت يقتصر على اسراع تنفيذ الخطة وترجيح نظرية على أخرى ضمن النظريات البريطانية حول مصير العراق، التي تنقسم بشكل رئيسي الى نظريتين، الأولى تعود الى (ولسون) والمدرسة الهندية القاضية بأن يدوم الحكم المباشر فترة أطول، أما (مس بيل) ومدرسة القاهرة (المتمثلة بكلايتون ولورنس) تقضي بإعطاء الإستقلال الشكلي بواجهة عربية-اسلامية، [918] أي تشكيل هذه المؤسسات من المقربين –أو العملاء-، ربما ساعدت الثورة في ترجيح المدرسة الثانية على الأولى، وأصبحت هي خطة العمل البريطاني، ومن أجل ذلك عاد (برس كوكس) من ايران الى العراق في 1920/10/11، ليتولى منصب المندوب السامي- بدل ويلسون، وقد استقبل من قبل المثقفين والعلمانيين القوميين بحماس –على عكس الإسلاميين-، ومدحوه بهتافات شعرية مثل (عد للعراق وأصلح ما فسد...الخ.)[919]، وفي طريق عودته مر بكل من ابن السعود، وشيخ المحمرة (خزعل) ومقربين أخرين وتشاور معهم ومع مجلس الدولة العراقية المكونة من المستشاريين البريطانيين في بغداد، وهم: 1- السربونام كارتر، 2- كولونيل هاول، 3- ميجر بولارد، 4- مستر فلبي، 5- مس بيل.حول مصير خطتهم فى العراق [920]، وقرروا تكوين حكومة عراقية من أجل أهداف استعمارية عظيمة حسب قول كوتلوف[921] ،وكلف عبدالرحمن النقيب في 1920/10/25 من قبل كوكس بتشكيل أول حكومة برسالة منه تضمنت ملحقاً بأسماء الوزارة، [922] وأجاب (النقيب) في رسالة الى

---

[916] من العلمانيين والحركة الوطنية وغيرها من المتعاونين.

[917] د.نظمي... المصدر السابق ص85-86

[918] ينظر نص البرقية فى مطلب الأول –المبحث الثانى من هذا الفصل.

[919] ينظر: أ-تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص16، ب-عبد الرحمن بزار... المصدر السابق ص96، ج-الحركة الوطنية ... المصدر السابق ص46

[920] مس بيل -العراق في رسائل... المصدر السابق ص208

[921] كوتلوف... المصدر السابق ص243(وهناك مرشح ثانى من قبل جون فيلى (طالب باشا) لكن مس بيل دعم عبدالرحمن النقيب) .

[922] نص رسالة كوكس فى:موسوعة العراق السياسي... المصدر السابق ص413

بريطانيا جاء فيها بأنني أكون خادمكم الأمين،[923] وقبل الطلب، وقد علل (ايرلاند) إختيار عبدالرحمن النقيب بسبب سمعته وتعاونه مع كوكس أثناء إحتلال بغداد،[924] ومنح وسام امبراطوري ثواباً له.

تتضح صلاحيات السلطة الحقيقة في هذه الحكومة أكثر من خلال النقطة (10) من البيان الثاني للمندوب السامي، حيث جاء فيها تعتبر جميع قرارات مجلس الوزراء قاطبة بشرط موافقتي –أي موافقة كوكس- عليها بصفتي رئيس الحكومة الحالية وبصفتي مندوباً سامياً،[925] هكذا أصبح كوكس المرجع الأعلى وصاحب السلطة المطلقة في الحكومة،[926] أو حسب وصف كوكس: حكومة مستقلة بنظارة بريطانيا، وكان أساس الحكومة وعلاقتها ببريطانيا كالتالي: أن تؤسس مجلس الوزراء من العرب ويشرف عليه المستشارون البريطانيون وبإدارة كوكس مباشرة،[927] واختار الوزراء بنفسه، وتمثلت فيها الطوائف والمكونات العراقية ماعدا الكورد لأنهم لم يلحقوا بالعراق في ذلك حين ، وبقى إشراف المندوب السامي البريطاني بشكل مستقل على المناطق الكوردية.[928]

وعقد مجلس الوزراء أول إجتماع له في دار عبدالرحمن نقيب يوم 1920/11/2 بحضور كوكس،[929] وكل من:

1- طالب باشا/ وزير الداخلية.2- ساسون حسقيل/ المالية3- مصطفى الآلوسي/ للعدلية.4- جعفر العسكري/ للدفاع.5- عزت الكركوكلي/ للأشغال.6- عبداللطيف منديل/ للتجارة7- محمد مهدي الطباطبائي -آل بحر العلوم-/ للصحة والمعارف.8- محمد علي فاضل[930]/ للأوقاف.[931]، و (12) وزيراً بدون وزارة، أو بمثابة المجلس الإستشاري لهم،[932] وكان معظمهم موالين لبريطانيا ومعادين للثورة، هكذا تكونت الحكومة العربية من (10) ألوية و35 قضاء و85 ناحية،[933] وذلك لأول مرة منذ ستة قرون -حسب وصف فورستر[934]، أو منذ عهد العباسية -حسب مس بيل[935].

ويلاحظ مستوى الحكومة واستقلاليتها من خلال عدم وجود الوزير والوزارة الخارجية فيها، وبموجب المادة (12) من لائحة الإنتداب تقوم بريطانيا بتمشية أمور الخارجية العراقية، الى أن استحدث (برسي كوكس) وزارة الخارجية للعراق بموجب كتاب(أ، ب:42) في 8/ايار/1923.[936]

---

[923] تأريخ الوزارات... المصدر السابق ص72

[924] حركة الوطنية... المصدر السابق ص48

[925] العراق في دوري... المصدر السابق ص198

[926] تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1 ص28

[927] حركة الوطنية... المصدر السابق ص47

[928] مشكلة موصل... المصدر السابق ص14

[929] ينظر:أ-العراق في دوري... المصدر السابق ص199، ب- بزاز ... المصدر السابق ص97

[930] الوزيران الآخران من الشيعة، ولكن محمد مهدي الملقب بـ(مرزا كجك) متعاون مع بريطانيين، أما محمد فاضل وصف بأنه جسده شيعي وعقيدته سنية ((تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص20)

[931] ينظر: أ- المبادئ والرجال... المصدر السابق ص91، ب- العراق في دوري... المصدر السابق ج1ص194

[932] ينظر:أ- العراق في دوري... المصدر السابق ج1ص195، ب- وحركة الوطنية... المصدر السابق ص48

[933] ينظر: أ-العراق فى التاريخ ... المصدر السابق ص667 ب-موسوعة العراق السياس... المصدر السابق ص411

[934] فورستر... المصدر السابق ص5

[935] العراق في رسائل مس بيل... المصدر السابق ص215

[936] تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص24

أما وزارة الداخلية فهى مكلفة بتنفيذ مهام الحكومة الأساسية وهي مراقبة وقمع المعارضين -كما قال كوتلوف-[937]. وضرب ما تبقى من الثورة في الشمال والجنوب، واستدعى كوكس بنفسه الضباط العراقيين الذين عملوا مع حكومة الفيصل في سورية من أجل ذلك، [938] وكانت هذه المهام -العلنية والسرية- تحتاج الى جيش قوي من العراقيين، رغم ان تأسيس الجيش جاء متأخراً وحدد فيما بعد من قبل الدولة العراقية 6/كانون الثاني/ 1921 كعيد لتأسيسه، إلا ان قرار تأسيسه جاء ضمن مقررات رقم-3- في مؤتمر القاهرة المنعقد في 12-1921/3/30، [939] ومن قبله جاء أمر انشائه في الفقرة (2) من لائحة الأنتداب، [940] أما تأسيسه الفعلي واستخداماته جاءت حتى قبل الثورة، فى الحقيقة تبدأقصة هذا الجيش مع إحتلال بغداد من قبل بريطانيا عندما أنشئت قوة شبانة مكونة من 900رجل، وقد نالت هذه القوة الأعتراف الرسمى فى 1919م ثم إنضمت الى الليفى الذى أصبح فيما بعد نواة الجيش[941]، وقد كلف (اى سي ديلى) للاشراف على الجيش من قبل بريطانيا كما جاء فى الخطاب تشرشل داخل(مجلس العموم البريطاني) يوم 14 / 6/ 1921، لذلك تأريخ 6/كانون الثاني/1921 ليس تأريخاً حقيقياً لتأسيس الجيش العراقي ،بل كان مجرد حضور عدد من الضباط الى دعوة ليلية فى بيت عبدالقادرباشا للشرب الشاى دون إصدار اية بيان او ترك محضر الجلسة.. فكيف ممكن تسمية ذلك اليوم بتأسيس الجيش.

وقد خاض -من قبل هذا التاريخ -الجيش العراقي الى جانب بريطانيا حروبا ضد قوات الثورة العشرين والثورة شيخ محمود، لكن بشكل رسمي جاء تأسيسه بموجب كتاب المندوب السامي تحت رقم (9314) في 1921/5/26 الى مجلس الوزراء يأمرهم بتأسيس الجيش لحفظ الأمن الداخلي كأهم واجباته! وفي 1921/6/22 أعلن وزير الدفاع عن تأسيس الجيش من ضباط عراقيين ممن كانوا في جيش الحجاز (لقد تشّكلت ولله الحمد وزارة الدفاع الذي هو المستند الحقيقي لحفظ كيان البلاد) ، وبهذه المناسبة أهدى البريطانيون بطريتين من المدافع الجبلية الى قيادة الجيش العراقي.[942] وكان قوام هذا الجيش 5000 مقاتل وخصص 15% من ايرادات العراق سنويا، وأن يزداد المبلغ الى 25%، [943] وكانت بريطانيا مهتمة بتطوير الجيش العراقي، ووعدت فيما بعد في المادة (7) من المعاهدة العراقية البريطانية الأولى بأن تبني جلالة ملك بريطانيا الجيش العراقي وتقديم المساعدات له، [944] وعزز الجيش العراقي من قبل بريطانيا بستة أسراب من الطائرات الحربية[945].

وكان الطلاب العراقيون في استانة أغلبهم عسكريين، فمن بين 1400 طالب عراقيين في استانة 1200 منهم تخرجوا كضباط[946]، وبدأوايعودون الى العراق، وقد أزداد عدد الضباط العائدين الى 206 ضباطاً، وعين مقدم الركن محمد أمين زكي آمرا

---

[937] كوتلوف... المصدر السابق ص247

[938] ينظر: أ- تأسيس جيش العراق... المصدر السابق ص31، ب-الحركة الوطنية... المصدر السابق ص49-50

[939] ينظر: أ- ملك فيصل الأول... المصدر السابق ص55، ب- تاريخ الوزارات ... المصدر السابق ج1ص36

[940] نص اللائحة في ملحق.-3-

[941] فورستر-نشأة الدولة العراقية ... المصدر السابق ج2ص358-359

[942] تأريخ الوزراء ... المصدر السابق ج1 ص34

[943] وهي دليل على أن الجيش موجود قبل هذه الإجراءات

[944] نص المعاهدة في ج1 ص144 تأريخ الوزارات... المصدر السابق)

[945] الحركة الوطنية... المصدر السابق ص55-56

[946] د.نظمي... المصدر السابق ص43

لهم [947]، وكان قادة هذا الجيش هم ضباط (العهد)، ومن قبله كانوا ينتمون الى الجمعية القحطانية، وشاركوا مع قوات بريطانيا ضد القوات العثمانية والثوار في أنحاء الشرق الأوسط حسب الطلب.

وقد تم في شهر تموز 1921 تشكيل الفوج الأول من الجيش العراقي بشكل رسمي في بغداد بإسم (الإمام كاظم).[948] واخذت (مس بيل) وعداً من قبل ملك فيصل بتسمية إحدى كتائب الجيش العراقي بأسم كتيبة خاتون -اشارة الى اسم خاتون مس بيل-، أما نوري سعيد أقترح تسمية جحفل بإسم (مس بيل)![949]، وتوالى تشكيل الأفواج ونشرها فى مناطق حساسة لقمع المعارضة، وعين (أي، سي، ديلى) مفتش عام على الجيش العراقي.[950] وحدد واجبات الجيش ضمنيا في صلاحياته بموجب الفقرة (2) من لائحة الأنتداب، حيث جاء نصها: ((لا يجوز للحكومة العراقية أن تستخدم هذا الجيش في سبيل آخر غير ما ذكر سابقا الا بموافقة المنتدب.))[951]

وقد قامت احتجاجات ضد تأسيس الجيش من قبل العراقيين وبخاصةً الإسلاميين منهم، وأعتبروا ان الهدف هو (ضرب المسلمين بالمسلمين)[952] وقد تحقق التنبؤ، وان أول إستخدام لهذا الجيش كان ضد الشعب العراقي في 1921/8/31 بأمر كوكس، ومنذ ذلك الحين وحتى عام 2003م يحاول الجيش العراقي السيطرة على الأوضاع الأمنية دون جدوى.[953]، وقد ايد ذلك كل من كوتلوف، وفورستر، ونورى سعيد، وعبدالرزاق حسني...، وغيرهم.[954] وجاء فيما بعد في مذكرات الملك فيصل تؤكد هذا، وورد فيها: ((سأطلب من الجيش، أن يكون مستعدا لأخماد ثورتين في آن واحد في منطقتين بعيدتين عن بعضهما))، [955] وقد زاد استبداد الحكومة تدريجيا مع تعزيز قوتها العسكرية، واحياناُ شارك معه القوة الامن الداخلى بدورها شكل هذه القوة فى البداية من قبل (العقيد برسكوت -الذي اصبح فيما بعد مفتشاً عاماً للشرطة العراقية.) قوة (الشبانة)[956]،التي اصبحت نواة للشرطة وفق أمره الخاص سميت ب(الاوامر الحالية لسنة 1919) لتشكيل الشرطة ثم اعقبتها بيان بوليس رقم74 لسنة 1920 بموجبها ثبتت واجبات الشرطة ، قال كوتلوف: ((وقد انخرط أبناء الشيوخ وأقرباؤهم في الجندرمة المحلية (الشبانة) التي شكلت لكبت استياء وسخط الجماهير الشعبية))[957] .

أما من جهة علماء الدين، فقد بقوا على موقفهم الرافض لهذه التطورات، فقد أصدر محمد مهدي الخالصي فتوى -بمناسبة الأنتخابات- أتهم فيها الجيش بالوقوف وراءها، وجاء فيها: ((لما كانت الأنتخابات مبنية على اساس مخالف لرغائب الأمة

---

[947] ينظر:أ- تأسيس جيش العراقي... المصدر السابق ص26-27 ب- فورستر... المصدر السابق ج2ص358-359

[948] تأسيس الجيش العراقي... المصدر السابق ص37-39

[949] العراق في رسائل مس بيل... المصدر السابق ص331(يذكر أن المدعوة لقبت أيضاً بأم المؤمنين –أنظر: مقتل لجمان ص43

[950] تأسيس...- المصدرو الصفحة -نفسها،

[951] نص اللائحة في الملحق.رقم -3-

[952] العراق والحركة الكمالية... المصدر السابق ص91

[953] د.على كريم - عراق 8 شباط 1963 من حوار التفاهم الى حوار الدم- ط1\1999م دار الكنوز الدبية –بيروت ص89

[954]ينظر:أ- كوتلوف... المصدر السابق ص247/ب- تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص89، ج-سعاد رؤوف شير محمد- نوري سعيدودوره السيسى فى العراق– ط1\1998م مكتبة اليقظة العربية، بغداد ص256

[955] بزاز... المصدر السابق ص233 (يقصد الشيعة في الجنوب والكورد في شمال -على ما أعتقد)

[956] الشبانة: أسم فارسى تعني (شةبانى أي الحرس الليلي) لا صلة لها بالشباب، وهى مرتزقة، أثناء حكم فارس، ومن ثم لبريطانيا لغرض نفسه.

[957] كوتلوف... المصدر السابق ص125

بواسطة السلطة العسكرية التي اسست بالقهر والقوة، فهي حرام)).[958] وقد توالت فتاواهم الى درجة حرموا الإشتراك في المشاريع البريطانية وفي الحكومة والجيش والوظائف الأخرى، فمن خالف ذلك تحرم عليه زوجته وزيارته، ولا يجوز رد السلام عليه، ووصفوا-في هذا السياق- آل نقيب (رئيس الحكومة) بالمرتد.[959]

هكذا بنيت الحكومة والجيش على يد المحتل و بطريقة علمانية -لا إسلامية-، وكان الجيش من أكثر المؤسسات الأخرى مليئاً بالطائفية و العنصرية، ففي النهاية سيطرت عليه في الناحية القومية- العرب، وفي ناحية المذهبية -السنة، [960] الى درجة لفت إنتباه ابعد الناس عن الطائفية والدين -وهو شيوعي اسمه مهدي حافظ- حيث كتب في صحيفة (مردمر- الفارسية) في عدد -9- في سنة 1946 وجاء فيه: ((من أصل الثمانين من ضباط الأركان في الجيش العراقي ليس هنالك إلا ثلاثة من عائلات الشيعية، في حين 90% من جنودهم من أبناء الشيعة)).[961]. وقد اكده الملك فيصل بتعبير اخرجينما قال: ((الضرائب للشيعة والمناصب للسنة))[962] ، وفي موضع اخر قال (الضريبة على الشيعة والاكراد والمناصب للسنة)[963]، وقال على الوردي: ((ان الحكومة والوزراء كانوا معادين للشيعة أشد من كوكس ومنعوا إشتراكهم في الحكم والجيش))[964]، ربما لم نلاقى صعوبة جمة بتمسك بقول: ان بعد العرقى والطائفى واضحة فى دولة العراقية الفتية ، اوضحها ماقال(مس بيل- المؤسس الحقيقى للدولة العراقية) اننى سنى المذهب[965] ، يقول هامفر (فى مذكراته) مرة امام وزارة الخارجيتنا (البريطانية) قلت ان صراع الشيعى السنى لايستند الى العقلانية , بينهما مشتركات اكثر من خلافات، اندهشت من ردفعل القوى من قبل وزارة المذكورة ونصحونى بشدة ان لايتناول الحل والمشتركات بينهما بل اذكر الخلافاتهما [966] ...، وبعد أقصاء الشيعة من الجيش، تسيس الجيش بثلاثة إتجاهات -كما قال حنا بطاطو-، اتجاه كوردي وآخر عروبي وثالث عراقي، وبعد انقلاب بكر صدقي في 1936م ثم مقتله تضاءل دور الكورد وبرز دور العروبيين فيه، [967] هكذا أصبح الجيش والحكومة جزءاً من التطاحن لصالح العروبي، وبالتالى تحقيق جزء مهم من أغراض الأستعمار فى خطته حتى إنحلالها عام 2003م على طلب الكورد والشيعة كما نقل بول بريمر[968] .

2- الملك

النظام الملكى فى الحكم نمط بشرى مخالف لروح الدين الإسلامي*، رغم ان معظم مساحة التاريخ الاسلامى كان ذلك، وهو نظام قريب من الحكم البريطاني، لذا يعتبر هذا المنصب اقرب من النظام العلماني، لم يكن اختلاف المدارس البريطانية

---

[958] الحركة الوطنية... المصدر السابق ص119

[959] المصدر نفسه ص118

[960] ليست مقصود (السنة العقيدة) بل اسم لهذه المنطقة والا الحكام كانوا علمانيون بعيدين عن السنة.

[961] حنا بطاطو – العراق... المصدر السابق ج2 ص74

[962] حنا- العراق... المصدر السابق ج1ص44

[963] حسن العلوى –التاثيرات التركية فى المشروع القومى العربى ص161

[964] لمحات... المصدر السابق ج6 ص44

[965] العراق فى رسائل مس بيل ص189.

[966] ملحق مذكرات هامفر –دكتور اليمانى الفخرانى ص23 .

[967] العراق... المصدر السابق ج1 ص47

[968] عام قضية فى العراق المصدر السابق ص75

* استناداً الى الحديث (..كلما هلك قيصر ..) والحديث عن (الجبرية)

يقتصر على طريقة تكوين الدولة وتشكيلها وعلاقتها ببريطانيا حسب، بل كان البعض منهم يؤيد فكرة الجمهورية، من امثال المستشاريين: جون فيلبي[969] ورابلي ولكن في النهاية هيمنت فكرة الملكية على الجمهورية كماحسم برسى كوكس نهائيا في رسالته المؤرخة ليوم 5/7/ 1921[970] ،وكان المرشح الأول للعراق هو عبدالله وليس فيصل لأن فيصل في البداية تولى الحكم في سورية ثم طرده الفرنسيين منها، وقد وزع أبناء عائلة ملك حسين لرئاسة هذه المناطق بسبب دورهم الريادي في خدمة المشروع البريطاني، وكان هناك اقتراح ل(لورانس)بتكوين العراق الشمالي في ولاية بغداد والعراقي الجنوبي في البصرة بحيث يتولى كل من الأمير عبدالله العراق الشمالي والأميرزيد العراق الجنوبي والملك فيصل لسوريا [971]، يعود اصل هذه العائلة الى السادة آل محمد[*] وهو الشريف حسين بن علي بن محمد بن عوف ،من اشراف مكة، ولد فيصل بالطائف في 20/أيار/1883(وهناك قول آخر بأنه ولد في مكة عام 1885م)، وهو ثالث انجال لشريف حسين (علي، عبدالله، فيصل)، اما زيد فأنه من امه الشركسية، اصتحب فيصل مع ابيه عام 1890م الى الأستانة وبقى 16 عاما فيها، واصبح من المقربين للسلطان عبد الحميد، وعاد مع ابيه عام 1909م والذي تولي منصب شريف مكة [972]، وكان شريف حسين بن علي في البداية عضواً فعالاً في الجامعة الإسلامية بيد أنه إنحاز الى جانب الإتحاديين فيما بعد وساهم في قمع ثورتي عدن وعسير لصالح الإتحاديين، ثم انقلب مرة ثانية أثناء الحرب العالمية الأولى لصالح بريطانيا، وفتح أول إتصاله ومراسلاته مع بريطانيا عن طريق نجلة (عبدالله)[973]مع (كشنر) ومن ثم مع (ماكماهون)[974]منظر مخابرات بريطانيا في القاهرة، وبدأ بتبادل الرسائل حول كيفية الإتفاق بشأن ما له وما عليه،فكان عليه أن يشارك بريطانيا في هدم الخلافة العثمانية، وإحتلال المنطقة وتنفيذ المشروع الكبير في تقسيم العالم الإسلامي والعربي وتكوين الدويلات فيه وتثبيت وعد بلفور، أما حقوقهم في مقابل ذلك فهي إعطاء الذهب والثروة والمناصب، وكان الراتب الشهري للشريف لدي الانجليز يساوي 150/000 باوند ما يعادل 750/000$[975].

المراسلات المذكورة مشهورة "بمراسلات شريف ـماكماهون "،تم تبادل رسائل عديدة بين الشريف و السير هنري مكماهون سفير بريطانيا في مصر وأهمها الرسالة المؤرخة بتاريخ 24 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1915 والتي تحدد جغرافية الوعود [976]، وأسفر ذلك عن إندلاع الثورة المسماة "الثورة العربية الكبرى "ونتائجها معلومة كما بينا:فى فصل (2) المبحث(3)، ومن اجل

---

[969] مس بيل .. المصدرالسابق ص302

[970] نص الرسالة فى كتاب: تاريخ الوزارات .. المصدرالسابق ص53

[971] ينظر:مطلب تكوين العراق سياسيا من هذا المبحث.

[*] تنسب أصولهم الى هاشم جد الرسول (ص)، ينظر: حركة الإستقلال ص136 –بينما فى رسائل مس بيل تنسب الى حسين بن الإمام على _مس بيل ص257

[972] إقتبسنا هذه السيرة من الكتب التالية: أ-الملك فيصل الأول - .. المصدرالسابق ص11-12 ب-حركة اللإستقلال .. المصدرالسابق ص136 ج-دور فيصل الأول فى تأسيس العراق .. المصدرالسابق ص15 د- أحوال العراق فى المشروطية .. المصدرالسابق ص152

[973] هناك روايات أخرى تقر بأن الإتصالات بدأت عن طريق الحب بين ملك فيصل والأنسة تورا (تفاصيل فى: ملك فيصل .. المصدرالسابق ص144-156)

[974] صحوة .. المصدرالسابق ص420

[975] هنرى فورستر .. المصدرالسابق ج1ص120

[976] سليمان الموسى- المراسلات التاريخية 1914 -1918. الثورة العربية الكبرى، عمان 1973م ص39.

تنفيذ هذه المراسلات حضر (لورانس)بالزي العربي للإشراف على الثورةلذلك اشتهر ب(لورانس العرب)[977] 0 واشتركت جيوش العرب بقيادة فيصل الى جانب بريطانيا وفرنسا فى الحرب العالمية ضد الخلافة العثمانية، وفتح القدس والشام لصالح الغرب ومشاريع اليهودية، وأكرم فيصل بوسام (النصر) الملكي من جانب بريطانيا وصليب الحرب مع النحل من جانب فرنسا[978] نتيجة خدماته العلنية والسرية، وتولى عرش سوريا، لكن بموجب تقسيم (سايكس بيكو) 1916 ترجع سوريا الى حصة فرنسا، لذلك طرد فيصل فيها بعد أن داهمت الجيوش الفرنسية الشام 0 وفي هذه الاثناء كانت دولة العراق في طور التكوين، لذلك اصبح فيصل اوفر حظاً لدى بريطانيا لتولي عرش العراق من بين المرشحين التالية أسماؤهم: 1ـ عبد الرحمن النقيب الكيلاني / رئيس الوزراء، 2ـ طالب النقيب /وزير الداخلية 3- هادي العمري/ رئيس الأسرة العمرية في الموصل، 4- الشيخ خزعل محيسن/ امير المحمرة، 5- برهان الدين بن السلطان عبدالحميد. 6- غلام رضا-والى بشتكو بإيران. 7- أغا خان - زعيم الإسماعيلية. 6- أحد امراء الأسرة الملكية في مصر (ورشح منهم سعيد حليم باشا). 9- أحد أبناء آل سعود. 10- عبدالله ابن شريف بن الحسين (أخ فيصل)[979]، وغيرهم من المرشحين الذين أشار اليهم (برسى كوكس) في رسالته ليوم 1921/7/5.[980]

هذه الكثرة من المرشحين لم تكن نتيجة تعدد الآراء والإرادات العراقيية، بل جاءت في مراكز متعددة لدى الدوائر البريطانية، وأحياناً تكريماً لهم مقابل خدمات أبدوها للبريطانيين، وأكثرهم غير معروفين لدى العراقيين على ما أعتقد، وقد ظهر ذلك من خلال المضابط-أثناء استفتاء فى العراق -فيها المطالبة من كوكس أن يكون ملكاً على العراق أو أي شخص ترغب فيه بريطانيا[981].

أول من أيد ترشيح فيصل ملكاً على العراق هما ولسون ولورانس، ولكن فيصل كان مترددا بسبب وعود بريطانية السابقة لأخيه (عبدالله) لهذا المنصب وبتأييد ميثاق دمشق في 1920/3/8، وأخيرا إتفقت فرنسا وبريطانيا على حل هذه المعضلة بإعطاء العراق لفيصل وشرقي الأردن لـ(عبدالله)[982]، ولكن بقي هذا الإتفاق ضمن الإقتراحات والمداولات لحين عقد مؤتمر القاهرة[983] في يوم 1921/3/12 لتحديد مصير العراق، وصادق المؤتمر ضمن مقرراته رقم-2- على تنصيب فيصل حاكماً على العراق، لأن -

---

[977] ينظر: لورانس –اعمدة الحكمة السبعة ط1،بيروت 1963 (تبدأ القصة بعد ص31).

[978] المصدر نفسه ص122 (يضيف فورستر ان بوانكارية –رئيس وزراء فرنسا وملك بريطانيا عندما قلدا الوسام وإعتبره حليفا لهم بما قدمه من الخدمات، ومن الجانب البريطانيا إستقبله ملك جورج الخامس ومنح وسام فكتوريا الملكى لخدماته الإضافيةوالدور المذكور فى هدم الخلافة وتسهيلاته لتنفيذ وعد بلفور وتوقيعه المعاهدة مع وايزمن حول منح فلسطين لليهود. أنظر نص الإتفاقية فى كتاب (ملك فيصل .. المصدرالسابق ص28-29).

[979] أ- فورستر... المصدر السابق ص115، ب-الحركة الوطنية... المصدر السابق ص51، ب- موسوعة العراق... المصدر السابق ص468

[980] تأريخ الوزارات... المصدر السابق ص53

[981] موسوعة العراق السياسي... المصدر السابق ص180

[982] الحركة الوطنية... المصدر السابق ص52-53

[983] هذا المؤتمر مكون من (40) خبيرا بالإضافة الى حضور كبار مسؤولين بريطانيين في لندن وبغداد، وحضره جرجل بنفسه، ومن العراق حضره ساسون حسقيل ممثل اليهودي أما جعفر العسكري حضره بصفة المستشار حين الطلب، وقد قرر فيها تكوين العراق ودولة عليه.. (تأريخ الوزارات... المصدر السابق ص36).

حسب فورستر-: ((كان هو الوحيد الذي يمثل العنصر العربي وإنه من الناحية العملية جندي للأنكليز)[984]، وهو (وعربه)حليف لبريطانيا واثره فى الحرب ضد خلافة العثمانية اشد من فرنسيين ، وهناك أسباب أخرى لأختياره-على ما أعتقد-، أهمها:

1- شهرته في العراق.
2- نسبه من أشراف مكة ومن ثم الى آل البيت.
3- خبرته في السياسة الدولية.
4- معاداته للبلشفية والكمالية.
5- صداقته مع المشروع الصهيوني.
6- بعده عن الوحدة العربية بسبب مشاكله مع الكيانات العربية المجاورة أمثال آل سعود أو الحكم الناشئ في سوريا.
7- كونه لا يملك شعبية في العراق بسبب أن نسبه لا يرجع الى العراقيين.
8- واخيراً عدم تبلور علاقة السياسية والقانونية بين (الوطن والشعب والقيادة) لدى عراقيين .

وكل ذلك كان يساعدعلى بقاء الملك مقربا لدى لبريطانيا، لذلك جاء وصف هذا المنصب بأعتباره لعبة إستعمارية، كما قال (جعفر أبو التمن) عند رفضه المصاحبة مع فيصل الى العراق وقال: ((أرجو أن تعفيني من أن أكون زفافة هذا العرس))، وقد اعترف فيصل نفسه أكثر من هذا، فمرة قال أمام المندوب السامي: ((أنا أداة سياسية بيد بريطانيا لا تجعلني ألعوبة مكشوفة أمام الشعب))[985] .

ووفق برقية يوم 1921/8/15 من تشرشل الى المندوب السامي في العراق، عيّن فيصل حاكما على العراق وليس ملكاً، إلا أن المندوب اعترض وحوله الى ملك دستوري، عندهاأبلغت الحكومة البريطانية (والده الحسين) بالقرار، وقبل وصوله الى العراق أجريت له التمهيدات اللازمة ومنها: نفي المعارضين لفيصل وفي طليعتهم طالب باشا النقيب وهو صاحب الدعوة (العراق للعراقيين) ضد فيصل، ونقل مستر فلبس من العراق الذي كان يدعم هذه الدعوة.[986] وكذلك أصدر العفو العام عن المشاركين في الثورة[987]،ومن جهته توجه ملك فيصل الى لندن لتوقيع معاهدة مع وايزمان على ان يكون الفلسطين لليهود مقابل اقامة الدويلات فى المنطقة وتنصيبه ملكاًعلى العراق، وتحرك فيصل بالباخرة (نورث بردك) وبمصاريف بريطانية متوجهاً الى البصرة مع كل من: كورنواليس مستشاره الشخصي ورستم حيدر سكرتيره، وصبيح نجيب وعلي جودة الأيوبي، ويوسف سويدي، مع مجموعة من المقربين والهاربين الذين شاركوا فى الثورة، وهم: محمد صدر، هادى مكوطرة، على بازركان، علوان الياسري، محسن أبو طبيخ، رايح العطية.[988]

وصل فيصل الى البصرة في 1921/6/23 ووصل الى بغداد في 1921/6/29، ولم يكن استقباله في الجنوب بمستوى بغداد. وأجري له إستفتاء رمزي في تموز 1921 وظهرت النتائج في المدن التي شملها الأستفتاء كالتالي:

المؤيدون هي المحافظات التالية: بغداد، الدليم، الحلة، كربلاء، العمارة، الموصل.

---

[984] فورستر... المصدر السابق ص85
[985] ينظر: أ-د. فياض... المصدر السابق ص364، ب- حنا... المصدر السابق ص360
[986] لمحات ... المصدر السابق ج6 ص59
[987] حركة الوطنية... المصدر السابق ص57
[988] تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص48

أما الرافضون: كركوك، السليمانية، كذلك رفضت ولاية البصرة وطالبوا بنوع من الإستقلال الكونفدرالي على نمط (النمسا والمجر).[989] رغم ذلك ظهرت النتيجة لصالحه بنسبة 96%.من الموافقة.

لكن هذا النوع من الإستفتاء في مجتمع متخلف وبهذه الطريقة لا يعكس إرادتهم، بل كان في الحقيقة يمثل إرادة المسؤولين البريطانيين في كل ألوية العراق، كما وصف (فيلبي) الأستفتاء المذكور بالهزلية[990]. فمثلاً جاء في مضابط الرمادي والموصل والعمارة.. قبول الفيصل بشرط: أن يقبل نظارة البريطانيين عليه![991] ولكن -على ما أعتقد-هؤلاء لا يعرفون كثيراً المعني السياسي والقانوني ل(النظارة البريطانية)، [992] وأوضح مثال على ذلك النتيجة التالية في داقوق: شاعت في داقوق ان بريطانيا غير راضية عن الملك فيصل، لذلك أحضروا مضبطتين أحداهما تطالب بفيصل والثاني ترفضه، وقد وقع الرؤساء والشيوخ الحاضرون على كلا المضبطتين، وكانوا يرددون ((ان ما يقوله كوكس هو الصحيح))، وعن نوع الحكم الذي يطلبونه، أجابوا قائلين: ((الله والينا، محمد نبينا، كوكس حاكمنا))[993] ، هذه الإزدواجية لم تكن مقتصرةً على العامية، بل نجدها في كبار المسؤولين أمثال عبدالرحمن النقيب وهو صاحب القول المشهور ((أنا مع المنتصر))، ويروي (ولسن) عن (مس بيل) أنها سألت النقيب ذات يوم عن رأيه في اسناد عرش العراق الى أحد أنجال شريف بن حسين، فرد النقيب قائلاً: ((إني افضل عودة الترك ألف مرة على أن أرى الشريف أو أحد أنجاله يحكمون هذه البلاد)). ولكن عندما قرّرت بريطانيا في مؤتمر القاهرة تعيين فيصل ملكا على العراق، نجد جواب النقيب لبرقية فيصل بالعبارات التالية: ((الى ضياء مصباح بيت النبوة، والكوكب الدري في السماء، سمو الأمير فيصل حفظه الله تعالى..الخ)[994]،وكانت إشراك المواطن لهذا الإستفتاء من نوع خاص،فقد ورد فى التقرير (دائرة المعتمد السامى البريطانى – بلاد مابين النهرين 1921/6/1بغداد A-8635)مايلى ((فى مدينة السليمانية ،يحق التصويت للمواطنين الذين يقيمون فى بيوت قيمتها اكثرمن الفى ربية،وكان مجمل عددهم 200، 32واحداً منهم صوت بالإيجاب))[995].

رغم كل هذا ونوعية الإستفتاء إلا أنها تعتبر نوعاً من التأييد والمبايعة بين الملك والشعب، وهناك عوامل أخرى لتأييده أكثر من أي مرشح آخر، لاسيما لدى جانبي الكورد والشيعة، فكانت بين شيخ محمود وشريف بن حسين علاقات ورسائل ساعدت قبول الفيصل ملكاً على العراق فيما بعد، أما لدى الشيعة فتم قبوله بموجب الفتوى المشروط من قبل الخالصي، [996] وهناك عدة عوامل إضافية ساعدت الشيعة في العراق -على الأقل- سكوتهم على تتويج فيصل ملكاً على العراق على ما أعتقد وهي:

---

[989] ينظر:أ-تأريخ الوزارات... المصدر السابق ص58-59، ب- الحركة الوطنية ... المصدر السابق ص63، وفي ملحق رقم 20 في موسوعة العراق السياسي- ص452فيه خلاصة أراء ونتائج الأستفتاء حول الملك.

[990] ينظر: أيام فلبي في العراق ص51.

[991] العراق في رسائل مس بيل... المصدر السابق ص330

[992] أما ألوية كوردستان رفضوا اشتراك في هذا الأستفتاء (ملك فيصل..-ص82) كما جاء أيضاً في تقرير السنوي البريطاني british report..p36)، أو بشروط كما ظهر في اربيل وموصل حيث اشتركا لكن بشرط ضمان حقوق الأكراد، لذلك أرسل تشرشل نصائحه في برقية يوم 1922/8/28 لكوكس فيما بعد بعدم التورط في كوردستان وأدى بعد ذلك الى انسحاب جيش البريطاني من مناطق الكوردية وسلمت الإدارة الى أخ لشيخ محمود.(المصدر نفسه -ص83)

[993] لمحات... المصدر السابق ج ص104-113

[994] تاريخ الوزارات... المصدر السابق ج1ص48-49

[995] د حامدمحمود عيسى –القضية الكوردية فى العراق ،ط1 2005م،مكتبة مدبولى ،الملاحق:ص597

[996] المصدر نفسه - ص48

1- فشلهم في الثورة.
2- علاقة الشيعة مع العثمانيين تأريخيا.
3- عداوة مشتركة بين عائلة فيصل وأهل الشيعة ضد آل سعود والتيار الوهابي.
4- القاعدة الفقهية التي تنص على أن الأمير يجب أن يكون من أهل البيت وكان الملك فيصل من سادة آل البيت.

هكذا أصبح فيصل ملكاً على العراق بكل مقاييس عصره *، وأختار 1921/8/23 يوم تتويجه الذي يصادف (عيد الغدير) في 18/ذى الحجة/ 1339 لمسلمين الشيعة[997]، وفي 11 /7/ 1921 أتخذ مجلس الوزراء قراراً بقبول فيصل ملكاً على العراق ،بشرط أن تكون حكومة العراق ملكية دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون ، بعد أن تليت رسالة المندوب السامي بيرسي كوكس المرقمة : س د /1631، والمؤرخة في 1921/7/8، وتقرر تخويل وزارة الداخلية نشر هذا القرار على عموم الشعب العراقي . وكان فيصل يستخدم الأدبيات الدينية في خطاباته وتوجيهاته، وعادةً يحمل مصحفاً معه، لجلب أنتباه المسلمين والعلماء والمراجع، [998] وأحتفلوا بمناسبة هذا التتويج بإشراف (كوكس) وعزف الجوق والموسيقى والنشيد الملكي البريطاني[999] -لعدم وجود نشيد العراقي آنذاك-، [1000] وأصبح أول ملك على العراق الحديث، وحدد فيما بعد سلطة الملك بموجب الدستور (القانون الأساسي) على نمط الملكية الدستورية وفق المادة (25) والتي تنص على أن (الملك مصون وغير مسؤول)، مع المادة (19) التي تؤكد إن السيادة للأمة، بيد ان المادة (26) ترفع هذا القيد ضمنياً وتصف الملك بأنه (الرئيس الأعلى للدولة).[1001]وهذا يوافق وصف(روسو) للملك حيث يقول:((ان الملك هو وحده له حق فى استعمال السلطة طبقا للقوانين))[1002].

وقد قام الملك بتطوير العراق ومؤسساته وبث الأستقرار (النسبي) فيه، وعندما تولى العرش لم تكن مناطق كوردستان وكربلاء والنجف وطوريج والرميثة وهيت والسماوة والكوفة وديالى خاضعة للحكم المباشر، وكانت الموصل لازالت موضع النزاع بين تركيا وبريطانيا، والبصرة تتحرك لنفسها، [1003] بيد ان الملك تمكن من تجاوز معظم هذه المشاكل ومشاكل إدارية أخرى بالتعاون مع البريطانيا، بهذا قد رصت الدولة العراقية أهم بنيانها.

3- برلمان ودستور:

برلمان مصطلح فرنسي جاء من Paraler أي متحدث، في التراث الإسلامي تم استخدام نظام الشورى قبل التجارب الأوروبية، حسب (الموسوعة السياسية) ان (العشرة المبشرة) هم أعضاء الشورى المكون من مختلف الأطياف الإجتماعية

---

* والأساس لهذه المقاييس هي اذا نطق القوة سكت الحق.

997 ذلك العيد حسب اعتقاد الشيعة هى مناسبة لأحياء مناداة محمد (ص)بأمرة الإمام علي ومبايعته خلفا له.

998 ينظر :أ- ملك فيصل الأول- ص62، ب- الحركة الوطنية ص57-72

999 النشيد الوطني البريطاني هو (حفظ الله الملك)، كلمات هنري كيرى -1745م، لحن الشعبى فولكلور.. (قاموس السياسي... المصدر السابق ص1299

1000 ينظر :أ- العراق في رسائل مس بيل... المصدر السابق ص345 ب- لمحات... المصدر السابق ج6ص119

1001 انظر نص لائحة الأول الدستور العراقي في: تاريخ الوزارات العراقية... المصدر السابق ج1ص339

1002 فى العقدالأجتماعى ... المصدر السابق ص124

1003 مشكلة موصل... المصدر السابق ص18

آنذاك[1004]، أما البرلمان الحديث فهونتاج تجارب غربية، حسب (موسوعة البلدان) أقدم برلمان هو البرلمان (الآيسلندي)[1005]، ولا نجد إسماًموحداً للبرلمانات في مختلف البلدان العالمية، فمن ضمن أسمائها: في روسيا إسمها (دوما)، في أمريكا (كونغريس)، وفي كندا (ساسكاتجوان)، وفي هند (لوكسايا)، وفي فرنسا (تريبونا)، وفي ارلندا (ديت)، وفي السويد (ريكسداخ)، وفي دانمارك (فولكنتك)، وفي سويسرا (لاندات)، وفي اسبانيا (كورتيز)، وفي المانيا تحمل عدة اسماء وهي: (رِاينخشتاخ، ديت، بندستوك)،... وقد دلّ تعدد الأسماء المذكورة على أن التجربة البرلمانية لا تعود الى التراث اليوناني والغربي أو تجربة (ماكناكارتا[1006]- البريطاني) حسب إعتقادي ، لذلك من المرجح انها إنتقلت الى أوروبا من تجارب الشورى الإسلامية عن طريق الأندلس أومن خلال الحملات العثمانية في اوروبا الشرقية.

عاد البرلمان الى العالم الإسلامي بمحتواه الحديث في أواخر القرن (19)، حيث افتتح أول برلمان في 1877/3/17 بإسم (مبعوثان) في الدولة العثمانية بعد سنة من وضع الدستور، [1007] أما قصته في العراق فتعود جذورهاالى مقررات كل من سايكس-بيكو وصك الإنتداب وبيعة الملك فيصل. وكذلك في المادة (18) من المعاهدة الأولى بين العراق وبريطانيا، [1008] وقد صدر اذن خاص منذ 1920/11/10 من الحكومة البريطانية بتشكيل هذا المجلس في العراق، [1009] وقد صدر أمر بتأسيسه في عهد وزارة جعفر العسكري بعد أن حل محل وزارة عبدالمحسن سعدون من أجل الإسراع في أمر تأسيسه، وكانت بريطانيا بحاجة الى كسب الشرعية لمعاهدة العراقية البريطانية بواسطته، وعين يوم 1923/2/25 موعداً للإستفتاء الشعبي، وجرى إنتخابهم بشكل صوري، وقد افتتح هذا المجلس في 1924/3/27[1010]، وفاز عبدالمحسن سعدون كرئيس لمجلس البرلمان المؤقت المكون من100 عضو، وأُلقى الملك فيصل كلمة وأكد توافق البرلمان مع الشريعة، وكان أمام هذا المجلس ثلاثة مهام رئيسية:

1- الموافقة على المعاهدة المذكورة.

2- سن الدستور.

3- سن قانون الأنتخابات للمجلس النيابي الدائم [1011].

وتنتهي ولاية هذا المجلس التأسيسي(برلمان) المؤقت في 1924/7/26 بإرادة ملكية ليحل محله برلمان مكون من 195 نائبا،واجتمع اول برلمان(مجلس الامة) عراقى فى 16تموز 1925[1012].

ولكن بموازاة كل خطوة نحو إكتمال مؤسسات الدولة كانت هناك إحتجاجات من قبل الإسلاميين والعلماء، حيث جددوا الفتاوى بتحريم الإنتخابات البرلمانية[1013]،واعتبروها محاربة الله[1014] ، وفي بعض الأحيان تشارك معهم تلك المعارضة العلمانية

[1004] الموسوعة السياسية... المصدر السابق مادة: شورى

[1005] موسوعة البلدان العالم-... المصدر السابق مادة: (أيسلندا).. بينما أقدم برلمان لدى (قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية) هو برلمان باريس.

[1006] ماكناكارتا: يعني عهد الكبير، وهي وثيقة صدرت في عهد ملك جون سانتير في 1215.. (نظام الحكم الإسلامي- ص56)

[1007] د.حميد الساعدى -مبادئ قانون الدستوري وتطور النظام السياسي في العراق-دار الحكمة للطباعة والنشر –موصل1990م ص144

[1008] انظر نص إتفاقية سايكس-بيكو في ملحق رقم -2-من البحث، وانظر نص المعاهدة في (فورستر-... المصدر السابق ج2ص513،).

[1009] العراق في دوري-... المصدر السابق ج2 ص68.

[1010] بزاز-... المصدر السابق ص118

[1011] ينظر:أ-المصدر نفسه – ص 119 ب-تأريخ الوزارات-... المصدر السابق ج1ص212-213،

[1012] د صالحجوادكاظم واخرين- النظام الدستورى فى العراق-كلية القانون والسياسة ص14

[1013] حنا-العراق-... المصدر السابق ج1ص211

التي حرمت مشاركتها في السلطة العراقية، بيد أن مصير هذه الإحتجاجات كسابقاتها في النهاية تكون الغلبة للمشروع البريطاني والسكوت للمعارضة، حيث بدأت أصوات الإسلاميين وأثر العلماء يتضاءلان، ففي إستطلاع للرأي -في تلك الفترة- لم يؤيد سوى 3% للحكومة الإسلامية من بين (188) شاهداً عراقياً[1015]، ومع ذلك تركت تلك الإحتجاجات أثرها على كثير من المندوبين العراقيين، وباتوا مترددين لإبداء رأي صريح تجاه القضايا الوطنية الحساسة، فقد بقيت المعاهدة العراقية البريطانية التي حلت محل الإنتداب معلقة خوفاً من ضغوط المعارضة وفتاوى العلماء، هذه المعاهدة التي وقع عليها كل من كوكس والنقيب منذ 1922/10/10 ومكونة من (18) مادة، [1016] لكن بحاجة الى مصادقتها قانونيا من قبل هذا المجلس، ولم يتم ذلك إلى أن أصدرت الدوائر البريطانية في العراق أمراً -على شكل أوامر عسكرية- وأمهلت ساعات معدودة للتوقيع على هذه المعاهدة، وقد استخدمت الشرطة لأخذ النواب الى قاعة الإجتماع بسبب مقاطعتهم خوفاً من المعارضة الإسلامية[1017]، واجتمع البرلمان (المجلس التأسيسي) في ليلة 1924/6/10، [1018] بغياب 32 مندوباً، ووافقوا على المعاهدة بأغلبية بسيطة من الحاضرين، بذلك تحول الإنتداب الى المعاهدة -ذات المحتوى المتقارب- المعقودة بين الدولتين (العراقية والبريطانية)، ووافق أعضاء البرلمان في 1924/10/22أيضاً على إصدار قوانين لأنتخابات البرلمان الدوري لمدة أربع سنوات، وجرت الإنتخابات في موعدها، وإفتتح البرلمان الدائم في 1925/7/16 بإحتفال مهيب،وجرى اول اجتماع برلمانى، ومن هذا التاريخ -حسب عبدالرزاق الحسني- يبدأ تأريخ الدولة العراقية[1019]، وقد وزعت السلطات بين الملك والبرلمان والحكومة على وفق الدستور، حيث كان الباب الثالث من هذا الدستور[1020] مخصصاً للسلطة التشريعية (البرلمان)الذي تتكون من مجلس النواب والأعيان، وبموجب المادتين (31و36) شكل مجلس الأعيان البالغ عددهم (20) عضواً وبطريقة التعيين من قبل الملك، وعلى أساس نائب واحد لكل (200.000 شخص)، و وصل العدد الإجمالي الى (78) عضوًا وذلك بموجب المادة (36).

في الحقيقة هناك أوجه للتشابه بين شكل البرلمان العثماني والعراقي، فقد نصت المادة (42) من الدستور العثماني -المشروطية الأولى- أن المجلس العمومي (برلمان) يتألف من هيئتين، وهما (هيئة الأعيان) و(هيئة المبعوثان)، و المادة (60) تؤكد أن الأعيان يساوي ثلث المبعوثان ونصت المادة (65) على أن عدد أعضاء هيئة المبعوثان يكون على أساس لكل عضو يمثل (50.000) من الذكور، والهيئة الأولى تعين من قبل السلطان والثانية تنتخب[1021]، و في العراق تألفت هيئتان بالطريقة نفسها، مع التشابه في الصلاحيات وطريقة العمل ومصادر التكوين وحتى إسمها كان بإسم (القوانين الأساسية) العثمانية، ولكن مع الفرق أن الدستور العثماني صدر قبل نشأة البرلمان بسنة، بينما في العراق تأخر بعد تكوين البرلمان بسنة، وذلك دليل على أن نشأة العراق ليست طبيعية، ولا يتطور على وفق متطلبات الداخلية، لذا نجد في كثير من الأحيان يتقدم الخبرعلى المبتدأ.

[1014] ينظر: نص فتوى التحريم الصادر فى 8جمادى الثانى 1341 ه .

[1015] مشكلة موصل-... المصدر السابق ص122

[1016] نص المعاهدة في: (فورستر... المصدر السابق ج2 ملحق-3- ص513)

[1017] ينظر:أ-تأريخ الوزاراتالعراقية... المصدر السابق ص236 ب- العراق في رسائل مس بيل... المصدر السابق ص348،

[1018] حسب فورستر في 6/12 ينظر:نشأة العراق الحديث... المصدر السابق - ص200

[1019] تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج2 ص11

[1020] بعد أن سنوا الدستور.

[1021] المعلومات مقتبسة من كتاب: (أحوال العراق في مرحلة المشروطية-... المصدر السابق ص33)، ونص اللائحة الدستور العثمانية في: (صحوةالرجل المريض... المصدر السابق ص438).

في الدول الحديثة وفي ظل تقاسم السلطة بين المؤسسات، لا يتكون البرلمان إلا بوجود الدستور، وكان المفروض أن يكون من قبله ولكن نتبع الخطوات وفق التسلسل الزمني.. وننتقل الى الدستور.

الدستور: مصطلح فارسي أو كوردي، [1022] لذلك لم يورد في معجم (لسان العرب)، بينما ورد في (القاموس المحيط)* للفيروز آبادي الفارسي، في اللغة الكوردية تطلق على (مجموعة من التقاليد العريقة والثابتة) ب(الدستور)[1023] ، وفي الدوائرالفارسيةكانت تعني (الدفتر الذي تجمع فيه قوانين الملك أو تكتب فيه أسماء الجند ورتبهم)[1024]، ولازال يطلق على الدستور في ايران (القوانين الأساسية- وفى تركيا انا ياسا-اى قانون اساسى)، وفى الناحية القانونيةيقصدبه: مجموعة القواعد الأساسية التي تقرر نظام حكم الدولة وسلطة الحكومة وطرق توزيع هذه السلطة وكيفية استعمالها.[1025]

أما حول أصوله السياسية وفق منظار العلمانية يرجع الى مراسيم(ماكناكارتا) التي صدرت عام 1215م من قبل جون سانتيرونظمت فيها العلاقات بين الطبقات الأقتصادية والإجتماعية والسياسية في بريطانيا، بينما من وجهة النظر الإسلامية تعود الى مجموعة الوثائق السياسية التي صدرت في دولة المدينة بإسم الصحيفة.[1026]

بيد ان بداياته السياسية في العصر الحديث يعود الى تجربة أول دستور أمريكى عام 1787م، يليه فرنسا عام 1791م، [1027] ثم توالت في الدول الأوروبية، وعاد بشكله الحديث الى العالم الإسلامي في أواخر القرن (19) الذي سمي بمشروطية فى ايران سنة 1905م ، ثم المشروطية الأولى العثمانية في عام 1876م، والثانية في 1908م، وبعد سنة من تشريع أول دستور افتتح أول برلمان عثماني في 1876/12/24 بإسم مبعوثان، [1028] ، ولكن في بعض البلدان كتونس ومصر جاءها قبل هذا التأريخ، ففي تونس في عهد باي الثاني أعتبر إصلاحاته عام 1857م بمثابة وضع الدستور الحديث، وفي مصر عام 1882م، والسعودية ولبنان عام1926، والاردن عام1928، وسورياعام 1930، و ليبيا عام1950. أما في العراق فتأتي قصته مع قرار تكوينه من قبل بريطانيا، حيث شكلت لجنة من قبل (ولسون) من أجل وضع الدستور برئاسة (بونهام كارتر) الذي وصل الى العراق من أجل ذلك في شهر 1917/3، وبموجب المادة (1) من صك الإنتداب وكلت بريطانيا بوضع دستور للعراق خلال ثلاث سنوات، وقد رسموا معالمه قبل تكوين الحكومة في العراق، [1029] وضمنوا من خلاله السيطرة البريطانية، وبث فيه أهم مخططاتها، وأتمت مسودة الدستور من قبل اللجنة ضمت عدداً من المستشارين البريطانيين وبإشراف وزارة المستعمرات، وهم:

[1022] ينظر:أ- قاموس السياسي... المصدر السابق ص521 ب- هةلَبذاردن... المصدر السابق ص64، ج-كيوى موكريانى –فه رهه نككوردستان ... المصدر السابق مادة: دستور

[1023] جاء في قاموس فةرهةنطى كوردستان- طيوى موكريانى): دستور- بنةطة- أي أساسيات.. انظر مادة دستور.. في الحقيقة ان معنى اللغوي للدستور في اللغات الفرنسية والفارسية والكوردية واحدة وتعني الأساس. (انظر فاروق نبهانى ... المصدر السابق ص52. *
القاموسين، معاصرين ومتقاربين لذلك أخترناهما للمقارنة مصطلح الدستور.

[1024] المنجد في اللغة والأعلام دار المشرق ط23\بيرووت ص214

[1025] قاموس السياسي... المصدر السابق ص521

[1026] ينظرأ-فاروق النبهاني- المصدر السابق- ص56 ب-هةلَبذاردن لةنيَوان عةلمانى و ئيسلامى دا- ص64،

[1027] ينظر: أ- يوسف على بديوى – موسوعة الأذكياء:(11500) سؤالوجواب –ط1\2005م-مكتبة اليمامة \بيروت ص345، ب-قاموس السياسي- .. المصدرالسابق ص522

[1028] حميد سعدي- مبادئ قانون الدستوري- .. المصدرالسابق ص143-144

[1029] يقول محمود شاكر: عندما كلف برسي كوكس المستشار فلبى بوضع مذكرة تبين علاقة المستشارين الأنكليز مع الوزارات..فكانت هذه المذكرة أول دستور العراقي.. (التاريخ الإسلامي... المصدر السابق ج11ص47

1- ميجر يونك الموظف في وزارة المستعمرات البريطانية.

2- مستر دروار مستشار وزارة العدلية العراقية.

تحت اشراف مستر فيدرسون مع اللجنة العراقية تألفت من: (ناجى سويدي، ساسون حسقيل، رستم حيدر..)[1030].

وبعد المداولات والإستفادة من الدساتير العثمانية واليابانية والأسترالية والنيوزلندية والمصرية، قامت اللجنة بصياغة مسودة الدستور وأُرسلت نسخة منه الى وزارة المستعمرات البريطانية، وعدلت هناك كما شاءوا وأعيدت الى بغداد، ووافقوا عليها دون ادخال أية تعديلات جوهرية.[1031] وكانت موادها موافقة لروح الإنتداب كما جاء هذا الوصف من قبل التقرير البريطاني المرفوع الى عصبة الأمم[1032]، ووصف (معروف الرصافي) هذه الحقيقة بأبيات شعرية، وقال:

أسماء ليست لنا سوى الفاظها — أما معانيها فليست تعرف

من يقرأ الدستور يعلم أنه — وفقا لصك الأنتداب مصنف[1033]

وكانت النسخة الأصلية باللغة الإنكليزية[1034] ترجمت الى العربية، ووافق المجلس التأسيسي عليها في تموز 1924، غير أنها لم يتم تشريعها إلا في 1925/3/17 بإسم (القانون الأساسى، مأخوذ من الإنكليزية (organic laws)، إلا ان (عبدالرحمن البزاز) يقول: ((قد فضل المجلس التأسيسي هذه التسمية المركبة من الدستور الفارسي وهو بأسم - قانون أساسى))، [1035] وكان الدستور العثماني كذلك يحمل الإسم نفسه.

الدستور هو أمر القوانين، ولا يسمو فوقه شيء، ولكن نجد أثر المعاهدة والإنتداب ومبادئ سايكس-بيكو فيه واضحة. أما محتواه يرجع الى الأثر الفرنسي والاسترالى والروماني بالإضافة الى البلدان الأخرى التي ذكرناها، هذا ما يلاحظ فى معظم الدساتير العربية، وكان الفقيه القانوني المصري (عبدالرزاق سنهوري 1895-1971) -الذي كسب الثقافة الفرنسية- له أثر على محتوى هذه الدساتير، لذلك أغلب مواده ذات طابع علماني وإن لم تعلن علمانيته[1036]، كما جاء هذه الحقيقة في مواد الدستور العراقي نفسه، ففي المادة (13) فيها تؤكد (أن الإسلام دين الدولة الرسمي)، ولكن نمط حرياتها الدينية غربية الطابع، كما يحددها في مادة (122) حيث جاء فيه: ((تعتبر دوائر الأوقاف الإسلامية من دوائر الحكومة الرسمية))[1037] وهذه هي بعينها عبارة عن تأميم ممتلكات الدين والذي اشتهر في اوروبا بـ(سيكولار) أي علمنة.[1038] واكدت ذلك ايضا (فورستر)معلقا على العلمانية الدستور العراقى بقوله: ((لقد أقتبس واضعو االدستور، بكل حرية، من احكام الدساتير التركية والفارسية والأسترالية وغيرها))[1039]، وكانت كل هذه الدساتير من مصادر غربية.

[1030] دور المثقفين-... المصدر السابق ص110

[1031] ينظر: أ-مبادئ القانون الدستوري في العراق ... المصدر السابق ص151، ب- موسوعة العراق... المصدر السابق ص553 ج-الأمتيازات-... المصدر السابق ص48 د-فورستر... المصدر السابق ج2ص295

[1032] فورستر... المصدر السابق ج2ص298(جذور هذا الدستور ترجع الى عصبة الأم عبر مادة: 22)

[1033] موسوعة العراق السياسي... المصدر السابق ص556-557

[1034] العراق في رسائل مس بيل... المصدر السابق ص135

[1035] بزاز... المصدر السابق ص201

[1036] العلمانية والدولة الدينية... المصدر السابق ص40-41

[1037] انظر نص اللائحة الدستورية في: (تأريخ الوزارات... المصدر السابق ج1- ملحق -4-ص339)

[1038] انظر الفصل الأول- مبحث الأول- مطلب مفهوم العلمانية.

[1039] فورستر... المصدر السابق ج2ص301

وتنشأ الدساتير بطرق عدة، إما بطريقة المنحة من ملك أو رئيس أو مسؤول أعلى في البلاد، أو بطريقة عقد بين الشعب والسلطة، أو عن طريق الإستفتاء[1040].. لكن نشأة الدستور العراقي لا تتطابق مع أيةطريقة الانفة الذكر، ولم تمر بهذه المراحل، بل وضعتها لجنة بريطانية فى ضوء المادة (3) من المعاهدة العراقية البريطانية وهي معروفة كيف أتت.

اذن من هو صانع الدستور؟

جاء الجواب لهذا السؤال في كتاب (المبادئ الدستورية... في العراق): ((انه من صنع السلطات البريطانية))، [1041] أي انه جزء من المشروع الإستعماري وذو بعد علماني.

4- الحدود العراق الدولية:

لم يكن للعراق حدوداَ سياسية أو اجتماعية أو تأريخية او جغرافية معينة، كما بحثنا ضمنياً في(المطلب الأول- تكوين العراق)، حيث جاءت في معاجم البلدان مساحات متباينة وكانت أساساً مرتبطة بالسلطة الفارسية ولا تمت بأية صلة الى المملكة العراقية المقترحة.

في ظل القانون الدولي الجديد لم تبق مساحة من اليابسة بدون سيادة، لذا حدود أية دولة تنتهي ببداية حدود دولة أخرى، وفي عهد عصبة الأمم أصبحت حدود الدولة شرطا أساسيا لكسب الإعتراف الدولي بها، لذلك بذلت بريطانيا قصارى جهدها من أجل تكوين الحدود للدولة العراقية المقترحة.

وهناك عدة معايير اعتمد العرف الدولى عليها لتأشير الحدود الدولية بالشكل التالي:

1-الحدود الجغرافية والطبيعية: يقصد بها الفواصل بين أقليم وآخر بواسطة حاجز جغرافي وطبيعي منها الجبل الشامخ كالذي فصل الحدود بين فرنسا واسبانيا، أو نهر كبير كالذي بين المانيا وبلغاريا، أو بحر يفصلها كقبرص وبريطانيا واليابان،... لتكون معياراً للحدود.

2- الحدود التأريخية: أي أن هذا الأقليم بقى تحت سيادة سلطة معينة بحدودها الثابتة حتى نشوء عصبة الأمم والإتفاقيات الدولية بعد الحرب العالمية الأولى، ومن أمثال ذلك: أمريكا، بريطانيا، ايران، روسيا...الخ.

3- الحدود العرقية والدينية: وهذه كانت أكثر شيوعاً بعد انشاء عصبة الأمم لاسيما في الشرق، أي تفصل حدود الدولة عن الدولة الأخرى على أساس الحدود القومية، أو بتعبير قانوني هذه الحدود التي تأتى من تطابق حدودها السياسية مع حدودها القومية.

4- الحدود الوطنية، وهي حدود للدول التي إتفق عدد من الأعراق والطوائف والمكونات على أساس المصلحة المشتركة في دولة حدودها دامت زمناً طويلاً، فيها جميع المواطنين في درجة متساوية.وعادة تطلق عليها بالدولة الوطنية(واحياناً بدولة الرفاهية) التى يجد المواطن فيها مصلحته دون أهتمام بالقضايا القومية والعرقية.

الحدودالإصطناعية:مالم تؤسس الحدود على العوامل التى أشرنا إليها أوالأسس المعينة لترسيم الحدودتسمى"الحدود الإصطناعية "، وهى حدود وهمية لاتستند على أية فاصلة على الأرض، ويؤشر هذاالنوع من الحدود بالطرق التالية: إمابموجب أتفاقيات دولية، أو حسابات خطوط العرض، أوالإبراج وأحياناَ عن طريق القضاء الدولى واحيانا اخرى بالقوة [1042].

[1040] فاروق نبهاني...المصدر السابق ص55-57

[1041] المبادئ والرجال... المصدر السابق ص152.

[1042] وسيط علوان... المصدر السابق ص54

فى العصور القديمة ماكانت علاقة القانونية والسياسية موجودة بين الإقليم والشعب والسلطة السياسية ،لذا لم تكن الحدود الدولية ثابتة، بل عادة تتبع حدودها العسكرية [1043*]، وتستقرتحت أقدام آخر جندى محارب فى أطراف المملكة [1044]، لذا الدول القوية كانت حدودها واسعةومتحركة، أنطلاقاً من هذا المفهوم حدد هرتزل فى مؤتمر بال عام 1898م الحدود الشمالية للدولةاليهودية المقترحة ضمن الدويلات المذكورة فى الشرق ألأوسط، وسئل عما أذاكانت ستقف حدودالدولة اليهودية عند بيروت أم تتعداها شمالا؟، فقال: ((ان حدود دولتناسوف تتوقف على عدد المهاجرين إليها))[1045]،لذلك تأخر تكوين دولة الإسرائيلية الى عام 1948 من اجل إفساح المجال لجلب أكبر عدد ممكن من المهاجرين ، لذا الشعوب والبلدان التى تقع بجوار هذه الدول (بتلك الأطماع) كان وتكون حدودهامشوه أولاتملك أية معالم ثابتة لحدودها، والعراق خير مثال على ذلك ،حيث كان فى تأريخه دوماَجزءَ من احدى الأمبراطوريات أوالممالك الغازية منذالبابلية والآشوريةالى الفارسية والعثمانيةوالبريطانية، و أحياناً مقسما فيما بينها، وقدجاءت حدوده الجديدة على المعايير نفسهابعد إحتلاله من قبل بريطانيا، فقد طالت حدوده عرضاَ وطولاَ بموجب الإنتصارات العسكرية البريطانية، وقد نصت مادة(12)من لائحةالإنتداب أن تنوب بريطانيا عن العراق فى الأمور الخارجية، ومنهامسألة الحدود الدولية التى قامت بريطانيا برسمها، وفى النهاية إمتدت حدوده أكبر مماجاء فى أتفاقية سايكس-بيكو، ولايستند ذلك على أى أساس قانونى ،بل جاء فحوى ذلك وعدل فى معاهدة فرساى 1919م[1046]، وهذه البلدان التى خرجت من هذه التعديلات مثل سوريا، والأردن، والعراق...لم تكن تملك أية حدود رسمية، لذاتسمى الحدود بينهابحدود مصطنعة من قبل الأستعمار لا من خلال الأتفاق فى مابينهم، كما جاء فى ادبيات تيار القومى العربى فمثلا جاء في البيان الأول لثورة 8 من آذار 1963 في سوريا: ((وكانت سوريا العربية وشعبها لا يعترفون بحدود قطرهم وانه يعيشون دائماً وأبداً في حدود الوطن العربي الكبير)).[1047] هكذاسيتبين أن حدود العراق مصطنعةفى أطرافها، كماجاء فى شعر(معروف الرصافى) بهذه المناسة:

لناملك وليس له دعايا وأوطان وليس لهاحدود
وأجناد وليس لهم سلاح ومملكة وليس لهانقود[1048]

رسم حدودالعراقية: هناك بعض المؤرخين يؤكدون إن الحدودالعراقية تبلورت فى عهد الدولة العثمانية منذ القرن (19 م) [1049]، ولكن عبدالرحمن بزاز يقول ((ليس هناك أية حدود واضحة تفصل بين البادية العراقية (باديةالسماوة) عن الجزيرة العربية، أو مع أمتداد عربي ومع تركيا))[1050]، حتى الحدودالعراقية الأيرانية المزعومة لم تكن حدودا بالمعاني والمقاييس العصرية، بل هي في الحقيقة حدود عسكرية بين العثمانية والصفوية تمتد من بحر الخليج الى جهة بحر قزوين، على طول خط

---

* وفق (موسوعةالعربية ص96-98) إن معاهدة (فردان لعام 843 م)ومعاهدة (مارسين لعام 870م)من أولى المعاهدات التى أهتمت بمفهوم الحدود

1044 موسوعةالعربية... المصدر السابق ج8 ص 96-98

1045 يوميات هرتزل ينظرها فى: الصحوة ... المصدر السابق ص 218

1046 الموسوعةالعربية ... المصدر السابق ج1 ص 96-99

1047 الموسوعة السياسية- النسخة الأصلية- نص البيان- ص 701 ملحق

1048 موسوعةالعراق السياسى ... المصدر السابق ص487

1049 حضارةالعراق ... المصدر السابق ج 1 ص 15

1050 العراق من الاحتلال الى الأستقلال ... المصدر السابق ص31

التماس بينهما، لذا تحتاج تسوية الصعوبات ورسم الحدود من كل الجهات بما فيها الصعوبات الداخلية، حيث بادرت بريطانيا بإخماد الحركات والثورات والإحتجاجات فى الجنوب وولاية البصرة وكوردستان بواسطة الطائرات والدبابات لإرضاء مكونات المختلفة وغير المتجانسة بوضع القيود والحواجز حولها-بإسم الحدود- التي تؤدي ألى فراق بين أبناء العم والأقرباء.

اماعلى الصعيد الخارجى ومع الجوار، حيث قامت بريطانيا بالخطوات التالية:

1- رسم الحدود مع سوريا: لم يبق مفهوم الشام بعد (سايكس-بيكو)، بل إنقسم الى أربع دويلات معروفة، لذلك فإن سوريا تمثل حالة جديدة[1051] وغير مقيدة بحدود الشام التقليدية التي أشارت اليها بعض المصادر التأريخية من أمثال (معجم البلدان) حيث يشير الى حدود الشام الشرقية وتبدأ بمحاذاة الفرات تماماَ كما جاء في مبادىء الحزب القومي السوري.

وفي المادة (27) من القسم الثاني (3، 2) لمعاهدة سيفر خصصت لجنة فرنسية-بريطانية وأيطالية وتركية مشتركة لفصل الحدود بين السوريا و العراق[1052]. ولم يكن بين سوريا والأردن والعراق مشاكل ذات أهمية بسبب أتفاقيات مسبقة بين الدول الكبرى المهيمنة عليهم، رغم ان بعض الحركات المسلحة بين بلدتي ديرزور وتلعفر تسببت فى أضافة وتعديلات معينة على الحدود، حيث فقد العراق (ديرالزور) لا لسبب سوى التخلص من مشكلتها، وقد تم رسم هذه الحدود فى أوائل 1920م عندما كان (الملك فيصل) حاكماً على سوريا، بواسطة لجنة مشتركة بين العرب والبريطانيين، وإجتمعت اللجنة في 5/ايار/1920 في قرية العشار ورسمت الحدود.[1053]

2- الحدود مع الأردن: هذه الحدود بقيت كما هي دون حدوث مشاكل بسبب وجود محتل واحد وعائلة مالكة واحدة في كلا القطرين، ولم تكن الأرض سوى صحراء جرداء، وتم وضع الحدودإستناداً الى معاهدات سايكس-بيكو وفرساى ..بسهولة كأساس لها.

3- الحدود مع السعودية: لاقى ترسيم الحدود بين السعوية والعراق مشاكل عديدة، وعقد عديد من الإجتماعات الى أن تم وضع الحدود في 1922/4/3 وإتفق الجانبان عليه فى أتفاق المحمرة يوم 1922/5/5 بعد أن إستخدم (كوكس) الضغط على سلطات أل سعود لقبول هذه الحدود، وكان الأخير يطالب بأن تكون الحدود عند نهرالفرات، وكانت الحساسية بين العائلتين الهاشمية والسعودية قد تركت أثراً بالغاً على العلاقات بين البلدين، ولم يتم التفاهم بينهما إلا عندما تدخل برسى كوكس ووبّخ ابن السعود الذي بدوره أستسلم باكياً وقال اذا أمر كوكس فأنني سأعطي نصف مملكتي، وقد أتفقا على الحدود الحالية[1054]، فأخذ كوكس أراضي سعودية للعراق، بينما عوضها من الأراضي الكويتية.[1055]

4-الحدود مع الكويت: بقيت الحدود بين العراق وإمارة الكويت على حالها لتصبح في مابعد حدودا دولية. وتزعم (مس بيل) أنها هي التي وضعت الحدود الجنوبية للعراق.[1056]

[1051] رغم ان حدود سوريا جاء فى بعض المصادر، منها المسوعة العربية ج11ص263 وحدده تاريخيا كما يلى: من الغرب بحر الروم (اى أبيض المتو سط)، ومن الشرق الفرات وجبال طوروس....لكن يبدوا ان هذه الحدود مشتقة من مفهوم الشام

[1052] العراق فى دورى ... المصدر السابق ج1ص 82

[1053] لمحات... المصدر السابق 5ص 141

[1054] لمحات... المصدر السابق 58- 159

[1055] المصدر نفسه ص 160

[1056] العراق فى رسائل مس بيل ... المصدر السابق ص-373

5-الحدود مع أيران: أنتهت حرب جالديران لعام 1514 ثم فتح العراق في 1534 بنصر واضح للعثمانيين على الصفويين، وأستقرت القوات العثمانية في حوالي الأراضي التي تشكل الأن الحدود العراقية الأيرانية، [1057] وقد جرت في مابعد عدة إتفاقيات أولها أتفاقية زهاب في 17/ مايس/ 1639م، [1058] وأتفاقية عام 1831 وبعد تعديل بسيط جاءت أتفاقية أرضروم لعام 1847م التى بموجبها تنازلت الدولة العثمانية للدولة الفارسية عن منطقة المحمرة وجزء من الأراضي على الضفة اليسرى لشط العرب التي أصبحت الأساس للحدود بين العراق وإيران، وفي 1913/11/4 عقدت أتفاقية أخرى بينهما معروفة ببروتوكول الأستانة.[1059] حيث أصبح هو أساس الحدود، ولكن لم تنته المشاكل الحدودية حتى بعد تكوين الدولة العراقية، وفى عام 1937م عقدت إتفاقيةأخرى، وتنازل العراق مرةً ثانية بموجبها عن 7 كم في المحمرة وعبادان، [1060] بالأضافة الى زوال إمارة عربستان في المحمرة واعتقال أميرها الشيخ خزعل محيسن من قبل شاه أيران.[1061] وعاد ترسيم جديد للحدود في 1975م وقدمت فيه تنازلات أخرى من قبل العراق.

6- الحدود مع تركيا: ان مشكله الحدود مع تركيا تركز على ولاية الموصل التي دارت حولها أعقد مشكله، ففي البداية كانت هذه الولاية خارجة عن حصة بريطانيا بموجب تقسيمات (سايكس-بيكو) وعندما وقفت الحرب بين الحلفاء والعثمانيين وفق هدنة (مودرس) كانت الجيوش العثمانية موجودة في موصل[1062] ،لذلك حرصت تركيا على أن الولاية تابعة لها، ولكن بموجب بنود هذه الهدنة ومن ثم(مادة27 لرسم حدود التركية الجنوبية) و(مادة 132) فى وكذلك مادة 64أتفاقية سيفر حيث تخلت سلطة الأستانة - التي كان يديرها الخليفة- عن هذه الولايات ومنح حق تقرير المصير لشعوب المنطقة ، بيد أن الجمهورية العلمانية التركية –التي كان يديرها أتاتورك في أنقرة-أعتبر هذا الحق أنتحاراَ لتركيا، لذلك عادوا وطلبوا ولاية الموصل، وعقد مؤتمر لوزان فى 1923م، وقد نصت الفقرة (2) من المادة (3) من لوزان على تعين الحدود بين تركيا والعراق (التى تنوب عنها بريطانيا) خلال(9) أشهر[1063]، ولم يتوصل الجانبان الى الأتفاق، فقررتا إحالة القضية الى عصبة الأمر، وعقدت جمعية العصبة في جلستها رقم (30) المنعقدة بتاريخ 1924/9/20 لبحث هذه القضية، وفي 1924/11/31تم تأليف لجنة مكونة من:

(1- كونت مول بلكي– الجغرافي المشهور ورئيس وزراء المجر السابق.

2- الكولونيل المتقاعد أو باوليس من الجيش البلجيكي.

3- مستر أى، إن فرسن وزيرسويدي.

ويساعدهم عدد من الخبراء وهم: كونت بورتاليس من سويسرا، سينو بوردو من إيطاليا، مسيو كاديد من فرنسا، مسيو ديد من سويسرا، وعدد من المستشرقين والخبراء.[1064] وجاءت اللجنة الى المنطقة، وقد إستخدم الجانبان كل الطرق المتاحة لديهما

[1057] فورستر، المصدر السابق، ج1، ص 48

[1058] ينظر: أ/ الملل والنحل والأعراف، ... المصدر السابق، ص 219. ب/ العراق في التأريخ، ... المصدر السابق ص586.

[1059] نورى سعيد ودوره فى سياسة العراقيه، ... المصدر السابق /ص 23

[1060] تأريخ الأسلامى .. المصدرالسابق ج 11 ص18 وص45

[1061] أيران والخليج .. المصدرالسابقص 300

[1062] - انظر هذه التفاصيل فى فصل الثانى مبحث الثالث-المطلبالثانى.

[1063] ينظر: أ- موسوعة العراق .. المصدرالسابقص 601 ب-فورستر .. المصدرالسابقص202

[1064] أ- موسوعة العراق السياسى .. المصدرالسابقص 602 ب- التأريخ الأسلامى .. المصدرالسابقج11ص101

لكسب هذه الولاية، وظهر ان هذه المنطقة ليست تابعة للعراق ولا لتركيا، بل لم يسمع أهالي الولاية بكلمة "العراق"[1065]، وكانت الولاية مسجلة بأسم ميسوبوتاميا في العهد العثماني[1066]، وقد أيدت اللجنةإعطاء الأستقلال للأهالي حسب تقريرهم المرفع الة العصبة (((اذا اعتبرت الحجة العنصرية عاملا حاسما في مشكلة الموصل، فيجب ايجاد دولة كوردية مستقلة فيها، لأن الكورد يشكلون سبعة أثمان السكان.))[1067] ، ولكن بريطانيا حالت دون ذلك وكسبت الولاية لمصلحة العراق، ومن أجل ذلك أتفقتا على رسم الحدود في جلسة مشتركة في (بروكسل) ووضعتا هذه الحدود الوهمية وسموها (حدود بروكسل- بأسم المدينة التي إنعقد فيها الأجتماع) لعدم وجود أي أساس أجتماعي أو سياسي أو جغرافي أو طبيعي لهذه الحدود ،شبيه بقصة (حدود كيرزون) بين بولندا وروسيا وكذلك حدودماكماهون بين الهند والصين ...، وأوصت اللجنه المذكورة أن يبقى العراق تحت الأنتداب لمدة 25سنة، وأن تراعي مصالح أهالي الولاية التي يشكل الكورد فيها تسعة أعشار حسب مصدر اخرى[1068].

7-الحدود مع كوردستان*: لقد اشرنا الى حدود كوردستان الجنوبي في موضوع "مطلب تكوين العراق" وقد راعى هذه الحقيقة قسم من المؤتمرات الدولية، لاسيما المواد 62، 63، 64 من سيفر لعام 1920 (بحضور وتوقيع ملك فيصل) ورضيت الدولة العثمانية بمنح تقرير المصير الى كوردستان وفق هذه الحدود التى عيين حسب مادة 62 من اتفاقية سيفر، وكذلك وفق برقية ممثل السلطان(على احسان باشا)، وقد نصت مادة (16) من لائحة الأنتداب كذلك الفقرة (4) من مقررات المؤتمر القاهرة تأكيداً له[1069]- فى الحقيقة لم يحسم امر كوردستان بنتيجة واضحة ، فكان مندوبو بريطانيا فى العراق يصرون على الحاق بها بينما تشرتشل يؤيد دولة كوردية وفق سيفر ، فى النهاية وضع المناطق الكردية و علاقاتها بالعراق وفق البرقية التالية: ((وفق برقية رقم 21/201 من المندوب السامى الى وزير المستعمرات جوابا لبرقية رقم 148فى 9حزيران لم يحسم الأمر بين دولة الكوردستانية المستقلة وفق اتفاقية سيفر ام الحاق بالعراق))، وقد أرسل تشرشل برقية الى الملك فيصل وحدد الحدود الفاصلة بين العراق وكوردستان في جنوب جبل حمرين، ولكن في مؤتمر لوزان عام 1923 قضي على هذه الآمال، رغم أن الذي منح الأستقلال لكوردستان هو الجهة الشرعية -العثمانية- والتى وقفت ضدها جهة غير شرعية (وهي الجمهورية العلمانية التركية)، لأنها حديثة العهد وعمرها آنذاك لم تتجاوز (3) سنين. إلا أن مصالح بريطانيا أقتضت ذلك ووقعت معها عدة صفقات، وأستخدمت بريطانيا فى 1921/3/7 قواتها المسلحة لضرب حكومة الشيخ محمود التى إكتسبت قانونيتها على وفق الإتفاق العثمانى- الكردى المبرمةومعلنة من خلال برقية يوم 30\تشرين الأول\1918 الموجه الى الشيخ محمود من قبل على إحسان باشا قائد فى ولايات الجنوبية، ونجحت بريطانيا فى ضم القسم الجنوبى من كوردستان الى العراق لإول مرة قسراَ[1070]، ومدت حدود العراق المقترح الى حدوده الحالية دون الأتفاق مع حكومة كوردستان، بل تم ضمها وفق المنطق الكلاسيكي للأمبراطوريات القديمة، وقد عللت

[1065] مشكلة الموصل .. المصدرالسابق ص60

[1066] المصدر نفسه -ص85

[1067] تقرير ولاية الموصل – قسم الأستناجات ص154.

[1068] موسوعةالعراق – .. المصدرالسابق ص 610

* هناك من يعترض على هذه الفقرة ويزعم ان الكوردستان لم تكن دولةَ أو ولاية فلماذا ترسيم الحدود معها.. في الحقيقه إن الحدود التي رسمت مع الدول المجاورة –بأستثناء ايران- كانت الحالة شبيهة بكوردستان، فلم يكن العراق وجوارها ذات كيانات دولية ولا أصحاب حدود واضحة، مع أن كوردستان كانت تملك حدودا وشعبا متميزا وفي أغلب تأريخها له سلطة محلية ولذلك إقتضى الأمر هذا التنويه.

[1069] التأريخ الأسلامى – .. المصدرالسابقج11 ص46

[1070] تأريخ الوزارات – .. المصدرالسابقج1 ص36

(مس بيل) تلك الخطوة بمحاولة زيادة عدد السنة في العراق عن طريق ضم الكورد مقابل الأكثرية الشعية[1071]، بينما يقول (عبدالرزاق حسني): إن تمديد الحدود الى كوردستان يرجع الى الإستحواذ على القسم الأعظم من الأشوريين وتخليصهم من البطش الذى تعرضوا له، [1072] بالإضافةالى خشية بريطانيا من أنتفاع روسيا من دولة كوردية[1073]، وهناك أسباب أخرى تطرقنا اليها سابقاً.

رغم ذلك لم يخلوا (عملية الحاق كوردستان بالعراق المفترح) من شروط(ولاسيما من قبل عصبة الأمم ذلك في 16/ من الكانون الاول 1925 –جلسة رقم :37 تحت شروط)[1074]، ،نذكرد اهمها :

اولا- تقرير لجنة عصبة الامم خاص بقضية ولاية الموصل(league of nations Geneva august 20th ,1925 Question pf the fronitier between Turkey and Iraq c. 400 m. 147 1925 vll errata) :

1- يجب مراعاة رغبات الاكراد، فيما يخص تعيين موضفين من اصل كردي لأدارة منطقتهم وترتيب الشؤون القضائية و التعليم في المدارس "وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في هذه الخدمات.
2- لو كان ينبغي ان نستنتج بصورة منفصلة من الاستدلال بالمبدأ العرقي، لتوصلنا الى النتيجة التالية وهي انه يجب تشكيل دولة كردية مستقلة، ذلك لأن الكرد (في ولاية الموصل) يشكلون خمسة أثمان السكان، ولو أن طريق حل كهذا وضع سابقا بنظر الاعتبار لحسب اليزيديون، وهمر عرق شبيه جدا بالكرد.
3- ابقاء العراق تحت الانتداب لمدة 25 سنة[1075] .

وعلى ضوء تلك التوصيات اصدرت (عصبة الأمم عام 1925) قرارات (3،4 يخص الكورد)وموجه الى بريطانيا المنتدب فى سبيل تحقيق ضمانات خاصة بالإدارة المحلية للسكان الأكراد والواردة في تقرير لجنة التقصي التي تحت التوصية بها في

[1071] العراق فى رسائل مس بيل – .. المصدرالسابقص188

[1072] تأريخ الوزارات – .. المصدرالسابقج2 ص280

[1073] المصدر نفسه - ص280

[1074] وبصدد عريضة الزعماء الأكراد التي تقدموا بها إلى عصبة الأمم فلقد اتخذت العصبة بشأنها القرار التالي:

"لما كنا لم نجد لعصبة الأمم قرارا يبرر طلب أصحاب العريضة في انشاء حكومة كردية تحت اشراف العصبة، ولما لم يكن لهذا الطلب من مستند في أعمال مجلس العصبة، ولا يمكن تأييده إلا بتفسير خاطئ للقرارات التي توصل إليها مجلس عصبة الأمم في 16 كانون الأول سنة 1925 عندما ألحقت المنطقة التي يعيش فيها أصحاب العريضة بالعراق. ولما كانت تلك القرارات تقضي بمعاملة الأكراد معاملة خاصة لم تضمن لهم تماما. كما تقول آخر المعلومات التي لدى الدولة المنتدبة. وبإعطائهم بعض ضمانات تخص الأمور المحلية- ويبدو أنها لم تتحقق حتى الآن. فإن لجنة الإنتدابات الدائمة قررت أن توصى المجلس بما يأتي:

1. أن يطلب إلى الدولة المنتدبة أن تلاحظ فيما إذا كانت التدابير التشريعية والإدارية التي وضعت لتضمن للأكراد الوضعية التي هم أهل لها. ينظر إليها بنظر الإعتبار، وتوضع التنفيذ دون ما نقص أو تباطؤ.
2. أن يرد عريضة وجوه الأكراد ما يتناول منها غرض تأليف حكومة كردية تحت إشراف عصبة الأمم.
3. أن ينظر في حكمة اشتراط اتخاذ تدابير تضمن للأكراد مثل هذه الوضعية، إذا ما تخلص العراق نهائياً من وصاية الدولة البريطانية.

[1075]ينظر: ولاية موصل (تقرير لجنة عصبة الامم الخاصة بحل النزاع التركى –البريطانى حول ولاية الموصل) مراجعة وتحقيق: عبدالرزاق محمودالقيسى ص227 .

استنتاجاتها الختامية، بناءً على هذه التوصية جاء بيان ثانى (بريطاني عراقى) مشترك. حول الكورد[1076]. ثانيا- مادة رقم (16) من صك الانتداب لعام 1920: لا شيء مما في هذا الانتداب، يمنع المنتدب من تأسيس حكومة مستقلة إدارياً، في المقاطعات الكردية، كما يلوح له ...

ثالثا- رسالة 11تموز 1922 من ونستون جرجل الى سير بيرسي كؤكس(المندوب السامى البريطانى فى العراق فى سبيل تشكيل حكومة فيدرالية) : فى حالة مشاركة الكورد فى الانتخابات العراقية يقام تشكيل اتحاد كوردستان مع المناطق العربية فى عراق موحد.

رابعا - البيان البريطاني العراقى المشترك في 28 تشرين الثاني 1922 (ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق تعترفان وتقران بان للاكراد حقوق المعايشة داخل الحدود العراقية ولهم الحق في تأسيس حكومة كردية داخل هذه الحدود وتأمل الحكومتان ان تتوصل الاطراف الكردية المعنية الى اتفاق فيما بينها على شكل هذه الحكومة والحدود التي يرغبون ان تمتد اليها وان يرسلوا مندوبين مفوضين الى بغداد لمناقشة علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومة العراقية). جاء هذا تجسيدا لبرقية وزارة المستعمرات المرقمة : 676 في 28 تشرين الثاني 1922 .

خامسا- وصايا وزارة الهند الى وزارة الخارجية حول السياسة البريطانية فى كوردستان فى 22كانون الأول 1920 المادة(5) تؤكد فيها الدولة الكوردستانية او اتحاد مع العراق .

بناء على تلك التوصيات الدولية [1077] الحقت كوردستان بالدولة العراقية المقترحة وذلك وفق كتاب رسمى رقم: 3330 /4في 22 /2/ 1921 من قبل مندوب السامي البريطانى .

وفي 7/3/1921 اجتمع مجلس الوزراء العراقي واتخذ القرار التالي: بناء على ماجاء بكتاب فخامة المندوب السامي(برسي كؤكس) رقم 3330/4في 22 /2/ 1921 المتعلق بشؤون ادارة كوردستان(ولواء سليمانية) قرر المجلس بالاتفاق مع صاحب الفخامة مايأتي :

1- بناء على اهمية موقع لواء السليمانية الجغرافي والروابط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تربطه مع الوطن الام العراق والتقاليد المشتركة بين ابناء الوطن يقترح مجلس الوزراء على فخامة المندوب السامي ابقاء القديم على قدمه وتوحيد ادارة اللواء المذكور مع الوطن الام، واعتباره كسائر الوية العراق بجميع شؤونه.

2- قرر مجلس الوزراء عرض البيان المرفوع من وزارة الدفاع الوطني والمتعلق بحدود العراق الطبيعية الشمالية على فخامة المندوب السامي، مع الرجاء من فخامته ان تعرض محتويات البيان المذكور على المراجع البريطانية، وتطلب مساعدتهم للدفاع عن حقوق العراق وجعل حدوده الشمالية على صورة .

وبعد الالحاق التزم الدولة العراقية ببعض البنود الواردة اعلاه ،ونذكر اهمها:

1-وافق برلمان العراقى فى جلسة ليوم 1925/8/31 بقبول شروط الواردة لتقرير عصبة الامم بشأن ولاية الموصل بالاخص ابقاء العراق لمدة 52 عاما تحت الانتداب [1078].

[1076] وثيقة وزارة الخارجية البريطانية – Fo371/11459 .

[1077] مقصودب (الدولية)ان هذه القرارات وتوصيات صادرة عن عصبة الامم ، وقررت عصبة الأمم في آخر جلستها في **1946/4/18** تحويل جميع ملفاتها إلى الأمم المتحدة، وبهذا تصبح جميع قرارات العصبة قانونياً ودوليا في الأمم المتحدة.

2- توقيع على التعهدات العشرة (لاسيما التعهدات رقم 9 و 10) حول الكورد.

3-وعدملك فيصل بملك محمود بتاسيس حكومة كوردستان شريط ان لاينفصل[1079] .

4- شراكة الكورد فى الدولة العراقية (دستور وشعار العراق)،جاء فكرة علم وشعار العراقى ذو نجمتين بعد رسالة (مس بيل)ليوم 28/ 8/ 1921 ، التى اكدت على " علم " * ذى نجمتين للدلالة على إتحاد الشعبين(الكوردى والعربى)[1080] ، ثم عبر عنها فى مادة (4)من دستور عام 1925، بعد ذلك صدر قانون شعار الدولة العراقية رقم 25 لسنة 1931/3/3 مكون من (4)مادة ، جاء فى المادة الاولى : (..الى كوكبين ذوي سبع شعب مزخرفة تحوي الوان العلم العراقي رمزا الى العنصرين العربي والكردي..) ..

هكذا الحقت كوردستان الجنوبية بدولة العراقية الفتية ،وتوسعت الحدود وبها اكتملت المؤسسات القانونية والسياسية الأساسية تمهيداًَ لترشيح العراق الى عضوية عصبة الأمم من قبل بريطانيا وبكفالة منها.

قبول العراق فى عصبة الأمم(اتمام الدولة): فكرة العصبة قديمة، لا تعود الى الرئيس الأمريكى (ولسون) -كما هو مزعوم- بل أنها حاجة بشرية لاسيما بعد دخولنا الى أبواب العولمة، واجبات العصبة شبيهة بواجبات دولة عالمية في رعاية السلم والأتفاقيات الدولية وفض النزاعات ومواجهة الكوارث وبقية متطلبات المصلحة العامة للكرة الأرضية، لذلك جرى البحث عنها منذ مدة غير قليلة، ولم تمر إلا خمس سنوات على حرب الثلاثين عاما في القرن (17) ونشر (ايمريك كروشيه) كتابا دعا فيه الى أنشاء عصبة أو مجلس من (البابا والخليفة وأباطرة المسيحين وعدد من الملوك والأمراء) ليكون مجلساًَ عالمياًَ في سبيل حل المشاكل العالمية، بعد ذلك دعا (عمانوئيل كانت-العالم الألماني) في كتابه (نحو السلام الدائم -نشر عام 1725م) الى أنشاء عصبة الأمم.[1081] هكذا توالت مثل هذه الأقتراحات، ومع نشوب الحرب العالمية الأولى جدد هذا المطلب فى إعلان الرئيس الأمريكي (ولسون) في مبادئه الأربعة عشرة)، حيث جاء في آخر مبادئه -رقم14- دعوة الى إنشاء عصبة الأمم.[1082] وهو بدوره إستفاد من كراسة صدرت قبله بمدة قليلة عن (الجنرال سمطس) حول الأنتداب والعصبة،[1083] بعد إنتهاء الحرب وافق الحلفاء في مؤتمر الصلح الأول المنعقد بأريخ 3/يناير/1919 على تشكيلها، وفي 1919/6/25 شكلت عصبة الامم،[1084] وجعلت مقرها الدائم فى جنيف.

هذه العصبة -اصبحت مرجعاًَ قانونياًَ للعالم بمحتواها الثقافي الغربي وبمنطق المنتصرين، وكان هذه الخطوة قد أزالت الكثير من العوائق الدولية أمام هيمنة الغرب على العالم، لأن المرجعية لم تعد سلطة دينية كما كان من قبل والتي تجسدت في البابا الذي لا يمكن قبوله عالمياًَ في ظل التنوع الديني، بيد أن تغير هذه المرجعية الدينية بالقانونية من قبيل

[1078] برِوانة : السياسات والاثنيات ص221 هةروةها رفيق عقراوى -العلاقات السياسية بين البريطانيا والعراق ص5

[1079] العراق فى رسائل مس بيل -رسالة ليوم 1923/1/5 ، ص471

* وكان من قبل هذا التأريخ تؤكد على علم ذو نجم واحد للدلالة على شعب واحد - وهو شعب عربي.

[1080] العراق فى رسائل مس بيل... المصدر السابق ص188

[1081] العلاقات السياسية .. المصدرالسابقص14-15

[1082] تأريخ العالم (dtv) .. المصدرالسابق ج2-ص409

[1083] راجع موضوع الأنتداب فى (مطلب الثاني في هذاالمبحث).

[1084] موسوعة العراق السياسي .. المصدرالسابقص418

عصبة الأمم زال هذا المانع، واصبح في يد الغرب سلاح قانوني قوي، بالتالي ضمن الغرب قيادة العالم من خلال مقررات العصبة وشروطها لقبول العضوية فيها.

أولى أبداعات العصبة هي الأنتداب، وكانت فلسفة الأنتداب تعني أن الدولة المنتدبة (كبريطانيا) تدرب وتعلم البلد المنتدب كالعراق لكي يرقى الى حد يمكنه من إدارة الدولة والأيفاء بألتزاماته الدولية، بموجب المادة (12) من لائحة (الأنتداب البريطاني على العراق) تنوب بريطانيا في الأمور الخارجية العراقية، وبموجب المادة (17) عليها تقديم تقرير سنوي الى العصبة حول (أوضاع العراق ومدى تقدمه)[1085] ، وكانت بريطانيا تحاول ان تتخذ صيغة بديلة عن الانتداب بواسطة الاتفاقيات الثنائية ،لان الاتفاق الثنائى يؤدى بالعراق الى وقوعها اكثر الى قبضة بريطانيا من الانتداب الدولى ،اول اتفاق ابرم فيما بينهما فى 10/10/ 1922 مكون من 18 مادة،وارسل نسخة منها الى عصبة الامم بكتاب رسمى ،ووافق العصبة عليها بشروط .

وبعد (10) سنوات من الأنتداب اعربت حكومة بريطانيا في كانون الثاني1930 عن عزمها على ترشيح العراق لعضوية العصبة،وقد ابلغت العراق من قبل البريطانيابموجب كتاب المرقم(B،5/237)والمؤرخ فى 1929/9/14بأن بريطانيامستعدة لإدخال العراق الى عصبة الأمم فى عام 1932 [1086] ، فطلبت العصبة من بريطانيا أن تقدم تقريراً خاصاً عن الأدارة العراقية منذ تأسيسها الى عام1931م، وجاء في جانب من هذا التقرير: (ان الهدف الذي وضعته الحكومة البريطانية لنفسها هو تأسيس دولة مستقلة في العراق في أقرب وقت ممكن) وتحدث عن مجريات الأمور القانونية والسياسية ونشوء مؤسسات الدولة الحديثة فيها بشكل أيجابى[*]، وقد قررت العصبة فى 14كانون الأول 1931 تأليف لجنة لدراسة هذا الطلب،وهناك شروطاً لقبول العضوية

[1085] ينظر: نص اللائحة في ملحق رقم (3) من البحث.

[1086] العراق فى ظل المعاهدات الدولية -المصدر السابق ص233

[*] هذا التقرير لا يعكس الصورة الحقيقية لوضع العراق، ولايلبي شروط القبول فى عصبة الأمم، وكذلك يحتوى على نواقص السياسيه كالآتى:

1-عناصر الدولة فيه ناقصة، بخلاف شروطه، فأن الشعب متفكك والأقليم عبارة عن أوطان مختلفة، والحدود غير واضحة، والسيادتي الداخلية والخارجية ناقصة ومحتلة، اما السلطة في أقليم ضعيفة ولا تملك مقومات الدولة، وكان رأي بريطانيا الحقيقية غير ذلك الذي كتبته في هذا التقرير الى عصبة الأمم، وخير دليل على ذلك التقرير الذي أرسله (هنرى دوبس) المندوب السامي البريطاني في العراق –الى حكومته-، حيث جاء فيه ((أني أعتقد عند أنسحاب بريطانيا من العراق تتلاشى الحكومة العراقية خلال أشهر، او تبقى بشكل بائس في شريط حدودي بين السامراء والكوت، بينما تنشق المناطق الأخرى)) حنابطاطو -العراق –ج –ص47)، وأيد (ملك فيصل ذلك بأكثر منه - المصدر نفسه –ص42-43-)

2-لم يشر التقرير الى محاولات فصل الجنوب وولاية البصرة وكوردستان من العراق المقترح. ومجموعه أخرى من مشاكل الداخلية.

3-ولم يعطي التقرير المذكور أرقام وأحصائيات حقيقية حول تحريم الشيعة والكورد من الحكم، هكذا بقيت الدولة العراقية حتى عام (2003م) ولم يسلم اي كوردياَ ولا شيعياَ منصب رئيس الجمهورية، بينما يشكل الكورد والشيعة اكثر من 75% من سكان العراق.

4- وبدورها تجاهلت عصبة الأمم توصيات لجنتها التي شكلت من أجل مشكلة ولاية الموصل عام 1924 حيث أوصت ببقاء مدة الأنتداب 25 سنة، بسبب عدم أهلية الدولة في العراق (انظر مشكلة الموصل –ص244) كذلك تجاهلت العصبة المذكورة شروط العضوية فيها.

5- منذ تكوين هذه الدولة إنعدم الأستقرار فيها، ولم يتطرق التقرير البريطاني الى ذلك، والعصبة بدورها تجاهلت التعهدات العشر التي أخدتها من الدولة العراقية، حيث خرق معظم موادها من قبل العراق. ومآخذ أخرى كثيرة من التقرير...

واستمراريتها وفق المادة الأولى والرابعة والمادة22 والمادة 23من عهد العصبة بالإضافة الى الشروط الفنية ومسألة الحدود ،تبلورت فى المباديء التالية:

1-يكون حكمها ذاتياَ وذات سيادة تامة.

2-تقديم ضمانات وافية تتكفل بحسن نيتها فى مراعاة العهود الدولية.

3-تقبل الأنضمة التي تفرضها عصبة الأمم في مايتعلق بقواتها البرية والبحرية والجوية.

4-وبموافقة ثلثي أعضائها.[1087]

هذه تخص الشروط الخارجية، أما الشروط الداخلية فهى:

1-وجود حكومة ثابتة.

2-قدرة هذه الحكومة على حفظ الأمن الداخلى.

3- موارد مالية كافية للدولة.

4-العدل للجميع.

5-قدرة الدولة للدفاع عن نفسها.[1088]

6-وفى النهاية يجب ان يوافق 15/9من مجلس شريط ان لاتعارض اصحاب الفيتو .

وقد بذلت بريطانيا أقصى مافي وسعها لأدخال العراق الى العصبة، ومن أجل ذلك ألغت بريطانيا في العام نفسه -1931م- القيود على إستقلال (دومنيون) المسمى بقانون "وستنمنستر"، وشمل كل من: كندا واستراليا وجنوب أفريقا و نيوزلندا[1089] ،تمهيداً لشمول القانون المذكور العراق أيضاً، وقد دافع المندوب السامي البريطاني لدى العصبة (سير فرنسيس همفريز) بإنفعال عن العراق، عندما واجه بعض المعارضين لهذه الدعوة.[1090]

بعد ذلك طلبت العصبة تعهدات من الدولة العراقية من خلال لجنة مشكلةً فى 19/مايس/1932 ،واستجابت العراق (بناء على مادة (4) من توجيهات العصبة تم تشكيل لجنة مؤلفة من (داود حيدرى، غياث الدين نقشبندي، عبدالجبار تكرلي) لكتابة التعهدات العراقية فى 30/ مايس 1932)،وقدموا التعهدات المذكورة الى العصبة مكونة من (عشرة مواد) ووقع عليها رئيس الوزراء(نورى سعيد)، بحيث أن المواد (2-4) كانت تتعلق بالدستور وحقوق المواطن، المادة(7، 6) تهم الأقليات، والمادة (8) تتعلق بالتعليم، أما المادة (9) تختص بالمسألة الكوردية، والمادة العاشرة والآخيرة تخص الإلتزامات الدولية تجاه تلك المواد وعدم خرقها،ولاهميتها نسجلها بالنص: (إن الشروط الواردة في المواد المتقدمة من هذا التصريح, تشكل بقدر ما لها مساس بالأشخاص المنتمين إلى الأقليات العنصرية, أو الدينية, أو اللغوية, تعهدات ذات شأن دولي, وتوضع تحت ضمانة جمعية الأمم, ولا يجري أي تعديل فيها إلا بموافقة أكثرية مجلس عصبة الأمم).

عندها أعلن مجلس العصبة بموافقة الجميع قبول العراق في 3\تشرين الأول /1932 مصادف ليوم الأثنين وذلك فى الساعة 11/5 صباحاَ، وأصبح العضو السابع والخمسين، وأول دولة خرجت من الإنتداب، والبلد العربي الوحيد في العصبة،

[1087] العلاقات السياسية الدولية .. المصدرالسابق ص26-29،

[1088] موسوعة العربية .. المصدرالسابق ج3ص754

[1089] أ- قاموس السياسى – .. المصدرالسابقص 538، ب- قانون الدولى العالم- .. المصدرالسابقص236

[1090] موسوعة العراق السياسى .. المصدرالسابق ص618

وبهذه المناسبة تبادل الملكان البريطاني والعراقي التهاني[1091]. وقد حققت بريطانيا أمنيتها القديمة، من قبل سايكس –بيكو وبعده، وفي المؤتمرات والمعاهدات والتصريحات الخاصةبها، وقد عهدت حكومة بريطانيا بوضوح أكثر في تصريح يوم 1919/9/15 الذي نص على ((ان حكومة صاحب الجلالة البريطانية مستعدة لمعاضدة ترشيح العراق للدخول في عصبة الأمم في سنة 1932))[1092] وأوفى بعهوده، وصدق الغرب وبريطانيا، وقال رئيس جمعية العصبة مسيو بولتس بالمناسبة : ان العراق تحرر من السيطرة الأجنبية منذ عديد من القرون وبإمكانه تجديد أمجاد بابل ونينوى[1093]، حسب وصف (فورستر)تخرج أول طالب في المدرسة الغربية، وتأسيس أول دولة لأحدى الأمم المتأخرة في العالم العربي على أساس نهج غربي[1094] وبعبارة أكثر (غرورية) وصف المشهد من قبل (مس بيل) وقالت: ((ان بريطانيا هي الخالق والعراق مخلوق))[1095]،وقال نهرو ان بريطانيا طيرت العراق الى عصبة الامم، وجاء وصف المشهد نفسه من قبل (د.علي وردي) بالشكل التالي: نشأت الدولة العراقية بمظهر عربي وباطن انكليزي، ومن الممكن أن نضيف بلغتنا العشائرية ذلك المشهد- أي أستقلال العراق- بأنه: أنجب العراق من أب غربي وأم عربية، دون مهر، والأب هو نفسه أب لأسرائيل وأخواتها فى الشرق الأوسط ،وهى مدخل من مداخل ممهدة لنكبة العرب الكبرى فى عام 1948، وبالتالى تعنى ان دولة العراقية الناشئة مشوهةً، لذلك لم ينظر الى هذه الدولة بإحترام من قبل الأسلاميين والوطنيين المخلصيين، كما قال علي الوردي عندما شاهد العلم العراقي في أول مرة يرفع بين الأعلام في المواكب الحسينيه امتعضوا من وجود هذا العلم بين الأعلام في ذلك اليوم، العلم الذي رفعه الشريف حسين عند تحالفه مع الأنكليز الكفار ضد الدولة العثمانية المسلحه[1096].

وقدنشأ العراق نشأةً علمانية من خلال عناصرها(قومية النشوء-دولة الحديثة –فصل بين السياسة والدين) وفرضت شروط على العلماء بإبتعادهم عن السياسة[1097] ، تجسيداً لفصل الدين عن السياسة، كما وصفت (مس بيل) علماء الدين بالأعداء[1098] بينما وصف الأسلاميون الحكومة العراقية ورؤسائهم ضمن الخطة الأستعمارية المرسومة[1099]وأحيانا بالمرتدين والخونه، وأبو رغال، ووصفواالطغمة الحاكمة بأشد أنكليزية من الإنكليز[1100] ، وتروى (مس بيل) قصةًتؤيد ذلك حيث قالت:يومياً يوقفنا الوزراء العراقية ويزودنا بالأخبار،ذات يوم ونحن داخل السيارة مع الميجر موري وكرر المشهد، وقلنا فيما بيننا: هل هناك بلاد أخرى في

[1091] ينظرتفاصيل قبول العراق فى: أ-تأريخ الوزارات – .. المصدرالسابقج3ص192-202 ب- دور الملك فيصل فى تأسيس العراق – .. المصدرالسابقص298 ج-موسوعةالعراق .. المصدرالسابقص618-620

[1092] العراق فى دورى – .. المصدرالسابقج2ص230

[1093] فورستر- .. المصدرالسابق ج2 ص 482

[1094] المصدر نفسه ج1ص11

[1095] - العراق فى رسائل مس بيل .. المصدرالسابق ص90-91

[1096] لمحات – .. المصدرالسابق ج6 ص128-129

[1097] العمل الأسلامى فى العراق – .. المصدرالسابقص39

[1098] العراق فى رسائل مس بيل – .. المصدرالسابقص39

[1099] الثورة العراقية الكبرى .. المصدرالسابقص36

[1100] مس بيل .. المصدرالسابقص241

العالم والوزير يوقفنا لنقل الخبر، ضحكنا كثيراَ، وأضافته مس بيل أن الوزراء غير ملتزمين بالصوم والصلاة[1101]، وقد نظم الشعراء أبيات وصفوا هذه الدولة والحكومة بالخيانه، ومنها:

*الشاعر محمد صالح بحر العلوم:

سياسه شرعهاالأنتداب فقام فى تنفيذها الخائنون
فغيبت الشمس وراء الضباب لعله يعرفها المخلصون[1102]

*الشاعر طيرى الهنداوى:

ياقوم لاتتكلمو   أن الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا   مافاز الا النوم(4)

*الشاعر عبود الكرخى:

يانقيب يانقيب عجيب ماعندك صحيب
من عفت جدك (محمد) صارا اليك (الكوكس)حبيب[1103]

وقدأعترف(نقيب) نفسه وقال أننى خنت الإسلام .

[1101] مس بيل .. المصدرالسابق ص410 و ص 486 (اضافت مس بيل: أقام الحاج ناجى حفلة الوليحةكبرى فى يوم الأحد فى شهرالرمضان فى البساتين لسيربرسى كوكس والوزراء فى النهار، ولم يصم الماماندر

[1102] موسوعه العراق .. المصدرالسابق ص412

[1103] المصدر نفسه ص552

الخاتمة

خلاصة وإستنتاج

في البداية نسجل خلاصة البحث في نقاط معينة، ثم نبدأ بالإستنتاج، بعد ذلك نتناول أهم نتائج البحث والتوصيات، أميل الى أن يكون الفصل الأول والثاني مخصصاً لهذه الخلاصة ،اما الفصل الثالث نختص للإستنتاجات.

اولا: الخلاصة

1- العلمانيون والإسلاميون مختلفتان لا تلتقيان ، وفيما بينهما عداوة تأريخية تمتد جذورها الى بداية انطلاقة البشرية، وفي أية مرحلة تأريخية عبرت تحت أسماء وعناوين معينة، هيمنت العلمانية على العالم الإسلامي مع هيمنة الغرب عليها عسكرياً وثقافيا وسياسيا وحضاريا، وتظهرالعلمانية في العالم الإسلامي بأشكال مختلفة كما يلى: فلسفياً تمثل المذاهب المادية، وعقيدياً تمثل اما عدم الإيمان بالخالق أوإعتقاد على طريقة ربوبية، واقتصادياً تمثل المصلحة المادية الخاصة تتجسد فى سوق الحر، سياسياً تمثل المذاهب الميكافيلية، واجتماعياً تمثل التيار القومي والوطني، وقانونياً تمثل القوانين الوضعية، ودولياً تمثل العلاقات الدولية وفق(دفاكتو)،وحضارياً تمثل خضوع أو ربط الإنسان بالآلة، وثقافياً تمثل جميع المظاهر التي لا تبنى على الدين، ونفسياً تمثل البعد المادي في الدوافع البشرية .

وبسببها تعاني العالم الإسلامي من مشاكل التخلف والصراعات وعدم الأستقرار منذ دخول العلمانية فيه ولاسيما شرق الاوسط مسقط رأس سايكس بيكو، وقد لحق بالعرب والكورد وباقى الشعوب الإسلاميةأكبر الأضرار، فقد انقسم العرب جراء ذلك الى (22) قسما والكورد الى خمسة بالأضافة الى حرمانهم من الدولة، رغم ذلك مبررات وجود العلمانية في العالم الإسلامي قويه، ذاتيا وموضوعياً.

2- الوضع الإجتماعي والسياسى والإداري في (مايعرف الآن بالعراق) كان متخلفاً في النواحي الإجتماعية والإدارية، وماكانوا يملكون شعوراً بالوطنية والقومية ولا بأنتمائهم الفكري والسياسي بشكل عام، لذا قلما نجد الولاة والحكام من أهل العراق، لاسيما فى ولاية بغداد، بيد انه بالمقابل هناك تجانس وتألف طبيعي بين القوميات والطوائف دون وجود أية حساسية تذكر، بأستثناء الحساسيات والمطاحنات العشائرية التقليدية، وكان للمدارس الدينية دور هام في توجيه المجتمع وترقية الوعي، لذا المناطق التي كانت فيها المراكز والمدارس الدينية تكون أكثر وعياً ومن ثم تحولت الى أكبر بؤر لمقاومة المحتل البريطانى ، على عكس التيار العلماني وبعض الفئات النفعية والأفندية والعشائرية التى أبدت تعاونها مع المحتل، ومنذ حركة انقلاب الأتحاديين 1908-1909 ضد الخلافة بدأ يتبلور تياران مختلفان في أنحاء العالم الإسلامي والعراق كذلك ، الأول علماني مؤيد للأنقلاب والثاني إسلامي معارض في أغلب الأحيان، الأول يتعاون مع المنتصر وان كان محتلاً، والثاني يقاوم المحتل والإستعمار، وأثناء احتلال العراق صارا على ما عاهدا عليه، فقد قاوم التيار الإسلامي- العربي والكوردي-، وساومت العلمانية، وفي النهاية أخفقت المقاومة ونجحت المساومة، وبدأ يتعزز معها التيار العلماني واثره في بناء مؤسسات الدولة في العراق على وفق مشروع الإستعمارى، وبالمقابل تضاءل تدريجيا دور العلماء والشريعة الإسلامية، لذلك اندلعت ثورة أسلامية ضد هذه المحاولات وضد المشروع الإستعماري في العراق، بيد أنها أخفقت مرة ثانية ونجح المشروع.

3- الحملات العسكرية الإستعمارية التي رافقت الحرب العالمية الأولى 1914-1918م كانت تختلف عن الحروب الإستعمارية التقليدية،رفع راية الحريةو تقرير المصير،فيما بعد سمي بإستعمار غير مباشر أو (نمط استعمار جديد)، حيث إعتمد

على خطة مدروسة لتقسيم العالم الإسلامي، وبناء دويلات لهم، وتعيين وكلائهم على رأس الحكم لتنفيذ الخطة المذكورة التي تعود جذورها الى أكثر من ثلاثة قرون، وترجع الأطماع البريطانية في العراق الى أواسط القرن السابع عشر، وتجسدت رسميا في سايكس-بيكو 1916 ونفذت فيما بعد في مؤتمرات فرساى 1919و سان ريمو1920 و سيفر1920 واخيراً في مؤتمر القاهرة 1921م وبحضور (ساسون حسقيل) الممثل اليهودي قررت فيه تكوين دولة العراقية على وفق المشروع والخطة الإستعمارية وعبر نظام الأنتداب، وقد بذلت بريطانيا جهوداً مضنية في سبيل تكوين العراق سياسيا وقانونيا ومن ثم تكوين مؤسسات الدولة: من الحكومة والبرلمان والجيش والملك والدستور.. وبذلت جهوداً متعدد الأوجه في سبيل تكوين العراق وتثبيت حدوده والحاق ولاية الموصل وكوردستان بالعراق، وأخيراً توجهت أنظارها الى جهة المستوى الدولي حيث نجحت بريطانيا في ادخال العراق في عصبة الأمم عام 1932، هكذا نجحت الخطة وثبتت الدويلات العلمانية في العالم الإسلامي .

ثانيا: الإستنتاجات

نفتتح استنتاجاتنا بهذه الأسئلة الأساسية التالية:

هل وجدت سلطة في هذه المنطقة بأسم العراق قبل تأسيسها عام 1920؟

هل تكوين الدولة العراقيةجرى بإرادة السكان القاطنين في هذه المنطقة أم بإرادة إستعمارية بريطانية؟

هل هذا التكوين أنجز بجهود حركة الوطنية والثورة أم قرار مسبق دولي متعدد الأهداف نفذته بريطانيا؟

اذاكان الحدود الفاصلة بين الدول العربية الناشئة مصطنعا (كما يتكررهذه الحقيقة يومياَ) لماذا لا يتجرؤن بذكر حقيقة مبنية على هذه الحقائق الا وهى الدول المبنية على حدود الإصطناعى تكون الدولة نفسها صناعيا؟ لماذا لايوجد يوم وطنى حقيقى للعراق؟

من المعلوم ان لكل دولة مؤسسها فمن هو مؤسس الدولة العراقية؟

هل نتجرأ أن نقول بأن عملية تكوين الدولة العراقية هي مشروع استعماري صهيوني؟

ما الهدف من هذه العملية؟

اذن ماهو الأثر الإسلامي والعلماني في هذا التكوين؟ وماهى النتائج (إيجابياتها وسلبياتها)؟ وأليكم الجواب:

هناك امبراطوريات حكمت المنطقة أو أحيانا أصبحت مركزاً لهم، ولكن لم يكن في هذه المنطقة - التي سميت فيما بعد المملكة العراقية- أية سلطة محددة بهذا الإسم، ولاتشكل وحدة واحدة في أية فترة تأريخية، لذلك لاتشكل أية أرضية قانونية وسياسية واجتماعية لنشأة الدولة فيها، وللسبب نفسه لا نجد أية ارادة موحدة للسكان أو مطالبة بهذه الدولة او استقلال لها قبل ما يثيرلهم في (سايكس-بيكو) ومشروع الدويلات في أراض تابعة للعثمانية، كما قال أحد أفراد السكان المذكور مخاطباً المسؤول البريطاني وقال: اننا لم نعلم من الإستقلال بل أنتم وضعتم الأستقلال فى رؤوسنا.

وقد قررت الدول الإستعمارية الكبرى في مؤتمراتها-قبل (سايكس-بيكو 1916) وبعدهافى وعد بلفور 1917) وفرساي 1919، وسيفر 1920، والقاهرة 1921، ولوزان 1923- تكوين وتكميل هذه الدويلات لأغراض إستعمارية ولمصلحة امن القومى لدولة اسرائيل المقبلة، وأعطوا المساحة والحجم والحدود لكل دولة حسب اتفاقهم ومصالحهم دون استناد على مقاييس المعروفة، وأحيانا على أساس دفاكتو العسكرية، فقد جاء في برقية من الحكومة البريطانية الى المندوب السامي في بغداد يبلغه بأن يؤسس دولة عربية في مناطق التي تصلها نفوذ بريطانيا بإسم العراق، لا على التعين، وقد بذلت بريطانيا جهودا مالية وعسكرية وسياسية ودبلوماسية أقصى مافي وسعها لتحقيق ذلك ، ولم يقتصر ذلك على مجرد إصدار القرارات، بل كلفت

موظفيها وخبراءها لتكوين: 1-اقليم العراق 2-الإدارة 3-مؤسسات الدولة من الحكومة والجيش والبرلمان والدستور.. واستيراد الملك لها ثم أدخالها الى عصبة الأمر، وسلمت الى الحكام دولة جاهزة، وهذا لابد أن يكون وراءه أهداف عظيمة، (وكما بينا) وهي تقسيم العالمين الإسلامي والعربى وتجزئته وتحويله الى مجتمعات متخلفة بدون رابطة اسلامية، ومن ثم تسهيل تنفيذ وعد بلفور وتكوين الدولة لليهود. حيث جاء امر تكوينهم تحت فصل مشترك(فصل السابع من اتفاقية السيفر) حيث خصت المادة(94) للعراق والمادة(95) لإسرائيل .

لذلك دخل الخلاف العلماني والإسلامي الى مرحلة بليغة عند المفترق الطريق هذا ، حيث عارض الإسلاميون بشدة عبر المقاومة والثورة، أما العلمانيين أيدوا ذلك وأصبحوا جزءاً من المشروع، وقد نجح الثاني وفشل الأول وتكونت الدولة العراقية.

ثالثا:النتائج

بواسطة خطة تكوين الدويلات ومن ضمنها العراق تحققت معظم الأهداف التي رسمت من قبل الإستعمار[1104]، ولم تؤدى ثورة العشرين وغيرها من جهود المعارضة أثراً تذكر، بل ان بريطانيا لم تغير من خطتها قيد شعرة فى خطتها كما قال (حسين أفنان) في خطابه أمام الجماهيرفى بغداد.وادت هذه الخطة الإستعمارية الى شلل المنطقة الشرق الأوسط بشكل عام،لذلك نرى ان المشاريع عالمية للإصلاح طرحت وقوبلت من قبل دول المنطقة،ومن بين هذه المشاريع للإصلاح:مشروعي شرق الأوسط الكبير والصغير لأمريكا، ومشروع المانى فرنسى مشترك،مشروع اوروبى،مشروع اسرائيلى(شمعون بيرس)، مشروع العربى(وثيقة اسكندرونة)..وهذا دليل على ان تصميم شرق الأوسط ليس طبيعيا بحاجة الى تصحيحها،

وبمجرد نقل نتائج هذه الدويلات خير سند لتحقيق الأهداف الإستعماريةوالصهيونية في المنطقة بشكل عام والعراق بشكل خاص.نوجزها بشكل عام كما يلى:

1- أدى الى تقسيم العالم الإسلامي بما فيها العالم العربي والكوردي ، وإبتعادهم عن حضارتهم وثقافتهم وماضيهم المشترك، بل إنفرد الكل بالإنشغال بقطره ووضعه الخاص على غرار ما كان الرؤساء العشائر منشغلون بديرتهم.

2- تكوين الدولة اليهودية في فلسطين.

3- تخلف العالم العربي والكوردي في النواحي العلمية والسياسية والاقتصادية والحضارية وباتوا في مؤخرة الأمر،واحياناً تصل الامور الى الحديث عن ازمة عقل العربى ، بالإضافة الى تقسيم الكورد وحرمانهم من تقرير المصير.

4- عدم الإنسجام بين الحكام والشعوب منذ تكوين هذه الدويلات، بحيث ان أغلب تلك الدويلات لاتحمل سوى حكام مستبدين.

5- عدم تحقيق محاولات الوحدة العربية ولا الوحدة الإسلامية، أو مجرد تطوير منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية بهذا الإتجاه.

6- معظم هذه الدويلات غير مستقلة استقلالا تاما، بل هناك قوات وقواعد أجنبية في اراضيهم أو تحت محميتهم.

7- بالإضافة الى تأخرهم كما ذكرنا في النقطة الثالثة فأنهم لازالوا بحاجة الى انتداب،حيث كانت العراق وفق (مادة 22فصل الاول - عهد عصبة الأمر) راضخة تحت الإ نتداب ،بينما الأن(عند كتابة هذة السطور) جاثمة تحت (فصل السابع من

[1104] جاء فى كتاب (حتمية التغير –فى الشرق الأوسط ص22-23) مايلى : منذ إستقلال العرب الشىء الوحيد الذى قدمه هو 1-الحروب 2-التوتر بين العالم العربى والعالم المتحضر 3-مشاكل الداخلية 4-عدم وجود الحرية 5-حكم قبلى 6-الطريق الوحيد للتغير هى إما الإنقلابات أو الإغتيالات 7- سياسة فيها يساوى عنف ..

الميثاق الأمم المتحدة)[*]،وقد كرر ذلك الطلب فى عام 2003 كما نقل السفير بول بريمرذلك طلب من قبل أحد زعماء العراقيين بجعل العراق الولاية الثالثة والخمسين للولايات الأمريكية [1105]. وفي سجلات وزارة الخارجية الفرنسية رقم 3547 وتاريخها 15/ 6/ 1936نجدفيها طلب المشابه مجسدة فى عريضة رفعها زعماء العرب في سوريا إلى رئيس الوزراء الفرنسيـ يلتمسون فيها عدم جلاء فرنسا عن سوريا .. ومطالب مشابه اخرى كثيراً فى اقطار اخرى.

8- في هذه الدول هناك مجال ضيق للحريات وتنمية القوة الشعبية المناهضة للأحتلال .

9- تعاني معظم الدول العربية من مشاكل مع القوميات والطوائف والأقليات الدينية المجاورة، من امثال: أ- الكورد، ب- فارس، ج- تورك، ح- تركمان، د- بربر، ع- القبطي، غ- شيعة...

10- وأدى التمسك بالعلمانية والإبتعاد عن الإسلام الحقيقي الى:1- التفرقة والتقزم، 2- الدكتاتورية وعدم الأنسجام مع شعوبهم، 3- التخلف الإقتصادي والشحة وغياب العدالة، 4- عدم وجود الشخص المناسب في المكان المناسب، 5- تدمير بنية المجتمع،....وبالتالى وفى كثير من الاحيان تطلق على دول شرق الاوسطية بالفاشل .

أما بخصوص العراق، فنتائجه أكثر تأزماً ويعاني بالإضافة الى الأزمات المذكورة المشاكل التالية بعد تكوينها:

1- يعاني من عدم الإستقرار والإنقلابات والحركات والثورات المستمرة.

2- بعد تكوين الدولة العراقية ولحد كتابة هذه السطورقلما تجد توحيد مواقف المكونات العراقية، أول أختلاف ظهرت عند احتلاله عام 1914بحيث أن الجنوب والشمال قاومت وثارت بينما الوسط ساومت، وفي قضية الوحدة العربية فى عام 1936 أيد الوسط وعارض الجنوب والشمال، واستمر ذلك حتى حرب العراقية الإيرانية، حيث أن الجنوب والشمال مالوا الى ايران بينما الوسط الى جانب حزب البعث، وفي 1990 انتفض الجنوب والشمال بينما الوسط ظل ساكتاً، لذلك احتاج الجنوب والشمال الى خط الأمان (36، و34) ولم يحتاج الوسط.. و بعد سقوط حزب البعث واحتلال العراق من قبل أمريكا، فقد رضي به الجنوب والشمال بشكل عام ورفض ذلك من قبل الوسط وقام بالمقاومة ، هكذا نستطع ان نقول بأن الاتفاق الوحيد هو(عدم الاتفاق).

3- كان هذا التباين في المواقف بين المكونات العراقية نابعاً من النظرةالى مصلحة الضيقة، فبعد تقسيمات سايكس-بيكو وتكريس خطة الدويلات، فقد زالت الرابطة الإسلامية بين الأمم الإسلامية على أساس ((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم....) وحل محله قاعدة (مصائب قوم عند قوم فوائد)، فقد كان الإحتلال البريطانيا والمشروع الإستعماري فى تكوين الدولة العراقية الحديثة اصبح فوائد للوسط ومصائب للجنوب والشمال، وقد كان طيلة هذه الفترة الى حد 2003م كان الشمال والجنوب في مصائب الإبادة الى حد حرقهم بالإسلحة الكيمياوية وكان فوائده للوسط، ، أما الآن فما يعاني الوسط تكون فوائده للبقية، هكذا لا تجتمع هذه المكونات على الحق، وبذلك قد حقق أكبر خطة إستعمارية صهيونية وهي خلق أحد أبرز بؤر التوتر في المنطقة.

4- دكتاتورية حكام العراق، فكان وضع العراق بهذه الحالة لا يتحمل الحريات الديمقراطية، و الشفافية والإنفتاح وتقرير المصير.. كماتجرع واعترف بها أمريكا بنفسها فى محتويات تقرير ما عرف بـ(بيكر-هاملتون) في بداية شهر 12/12/.2006

5-ومن هذه المظاهرأنتج حكما عنصريا وطائفيا، فمنذ تأسيس الحكومة تسلم تسعة رؤساء جميعهم قوميتهم عربية وطائفته سنية.ولو أن الرؤساء لم يتبعوا سنية العقيدة.

6-لازالت الإنتمائات امتدادات الأقليمية أقوى من الشعور الوطنى –العراقي ، وبذلك تكون مثلث الأركان القانونية-لبنية الدولة- ناقصة شديد النقص.

---

[*] ميثاق امم المتحدة مكونة من 19 فصل و111مادة، تبدا فصل السابع من مادة 39 وتنتهى فى مادة 51

[1105] عام قضية فى العراق ...المصدر السابق ص71

9- لم يتحول الكتل البشرية العراقية(على حد قول ملك فيصل) الى شعب العراقى، ولم تنشأ مبدأ المواطنة ،لازالت العراق هى دولة المكونات وليست الدولة المواطنة ،إنتماء الى الطائفة والعرق اقوى من إنتمائهم الى العراقية...وبالتالى العراق ليس فوق الجميع.

10- بعد تجربة طويلة ومريرة نسطيع ان نقول :اي مكون لما يتسلم السلطة لا يحاول تهيئة ارضية لأندماج الشعب العراقى بل يحاول إخضاعهم بالقوة واذابته .

7-مقومات ومبررات الدولة فى ناحيتين الطبيعية والبشرية ضعيفة، بل العامل شبه الوحيد للبقاء هو قواتها المسلحة، وكان هذا النوع من الدول كالأتحاد السوفيتى ويوغو سلافيا..انشطروستنشطر الى الدويلات أكثر مستقرة، لذلك وجود الدولة العراقية بهذا الشكل عبءا ليس فقط على العالم المتمدن بل على العالم الاسلامى المتخلف ايضاً.

رابعا: التوصيات والمقترحات

فى ضوء الحقائق التي جاءت من المقاصد الإستعمارية من وراءتكوين الدويلات، قد عرضت كثير من الحلول، وأبدت كثير من الحركات القومية العربية رفضها لواقع الدويلات واعتبروها مشروعاً استعمارياً.. الا انها في النهاية تراجع الجميع وبقى المشروع الإستعماري-الصهيوني هو المنتصروسائد.. وادى ويؤدي ذلك الى تآخر وتمزق غير طبيعي.و في ظل هذا المشروع الذى أعتمد على (التقسيم والعلمانية ونشأة الدويلات- مثل العراق) يبقى العرب ممزقا وغير مستقر ولا نجد:

1- الوحدة والتحرر والتنمية..

2- الحل لمشكلتين الفلسطينية والكوردية .

3- وتبقى كثير من المشاكل الحضارية والسياسة والأقتصادية والأمنية. لذلك هذه الحالة الشاذة بحاجة الى التصحيح، من هنا نقترح مايلي:

أ-للعالم الإسلامى مشروعهم الخاص ضمن مشروعات إصلاح الشرق الأوسط ،ولا ينتظر مزيداً من مشاريع الإستعمارية والإسرائيلية ،فليكن هذه الرسالة مساهمة صغيرة ومتواضعة لبناء هذا المشروع .

ب- على صعيد العالم الإسلامي: فإن وحدة المسلمين على أساس الخلافة الإسلامية الحقيقية ،دون فرق بين الشعوب على اساس قاعدة: (لافضل العربي على الأعجمي ولا الأبيض على الأسود) مع مراعاة الحقوق الطبيعية والقانونية للمسيحيين واليهود وبقية الأقليات هي أقوى رادع للمشروع الإستعماري، وذلك ليس خيالا بل حاجة عصرية، كما بدأ الأوروبيين نحو التوحيد.

وان كانت هذه الخطوة صعبة فإن الحل الأمثل بعدها هو أن لكل قوم دولة وفق مبدأ (حق تقرير المصير لكل شعوب)، لتنتهي هذه الصراعات والتقسيم غير الطبيعي والكف عن الحدود المصطنعة.

ج- اذا كان تمزيق تلك الدويلات صعبة وغير مقبولة من قبل القوى العالمية المسيطرة وفق قاعدة ايزنهاور وقاعدة (عدم المس بإرث الإستعمارى) فإن الإتحادات الإختيارية اخر حل.

د- على صعيد العراق: فإن الدولة العراقية منذ تأسيسها ولحد كتابة هذه السطور لم ولن تستقر بهذا الشكل، وتعاني من مشاكل عديدة بما فيها الطائفية والعرقية.. وهي حقيقة، وكانت شعوب المنطقة إخوة حقيقية في ظل الرابطة الإسلامية وليست في ظل الرابطة الوطنية العراقية أو القومية العربية، اذ ان الكورد والعرب ينتميان الى امة واحدة لكن لا ينتميان الى شعب واحد،الامة قدزالت الان وجاء دور الشعوب لذلك الحل السليم هو إما 1-رجوع الى هذه الرابطة كما أشرنا في الفرع (أ) أو2-

لكل قوم دولة بخلاف خريطة سايكس-بيكو وتمسك بمبدأ تقريرالمصير او 3-يكون التعايش والإتحاد إختياريا وليست إجباريا كما فعل بريطانيا فى العراق من اجل عدم الإستقرار.

لذ إن أية حلول أو توصيات (بأسم شعب العراقى و الاخوة الكاذبة..)ضمن العراق ستبقى حلاً ناقصاً، وان هذا العراق او بقية الدويلات المصطنعة من قبل الإستعمار ليست مقدسة، بل هي مشكلة لشعوب المنطقة أو هى اللغم حسب إعتراف بروتوكولات حكماء صهيون، لذلك بقاؤها يجب ان يكون آخر حل اضطراري. ولكن نتناوله ضمن الحل الممكن (أو أضعف الحلول)، قبل كل شيء يجب أن نعترف بالحقائق التالية:

1- العراق دولة والوطن مصطنع، مولده فى 1921م ،أي ان أهالي العراق لم يعيشوا منذ آلاف سنين في هذا البلدكما يشاع، يجب تصحيح هذا المفهوم الخاطيء.

2- دولة العراق دولة المكونات وليست دولة المواطنة،هناك مشاكل طائفية سنية وشيعية وعرقية-كوردية- عربية، وان حكم العراق بني على هذا الأساس منذ البداية التأسيس ،وتكثفت الأن اكثر من اى وقت.

3- فى ناحية القانونية دولة العراق دولة مركبة وليست دولة بسيطة ، متكون من اقليمين (العربية والكوردية) ومن شعبين اساسيين بالإضافة الى شعوب صغيرة اخرى.

4- منذ تأسيسه يسير وفق قواعد العلمانية، ولم يستطع ارتقاء الى الحل السليم ،وبالتالي فى ظل العلمانية الحكم والدستور أوصلا العراق الى هذه النتيجة، لذلك يجب أن نحذف الخيار العلماني (القومى المتطرف) من بين الحلول.

والآن الحل في ظل هذا التشخيص:

1- اعادة بناء العراق والدولة والمؤسسات على الأساس الأختياري والأتفاق بين الشعوب والمكونات العراقى بكفالة دولية الى ان يرتقى الدولة العراقية الى مستوى الدولة المواطنة.

2- اعطاء هوية عامة تشمل أوسع مايمكن، فالهوية القومية أوالطائفية تؤدي الى حرمان قسم هام من المكونات، لذلك ليس هناك بديل خارج الهوية الإسلامية المحمدية للعراق وهي العامل الوحيد الذي يمكن أن يجمع كل من الكورد والعرب والشيعة والسنة والتركمان و.. الخ ، مع مراعاة حقوق الأقليات، ويمكن اختيار اسم مركب للعراق يشمل الجميع.

3-وان كان الحل الواردفى نقطة الثانية صعبة فإن الديمقراطية الحقيقية ضمن ثوابت الدستور والتي إستلهمت من الإتفاق بين المكونات العراقية هي كفيلة بإدامة الوحدة والأخوة.الى أن يختار الشعوب مصيرها العادل.

1- فى النهاية بدء بتعمير العراق ونهوض شعبه ،وتفجير قدراته، وتثبيت العدالة فيه .

الملاحق

الملحق رقم (1)

نص معاهدة سايكس- بيكو

المادة الأولى: إن فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية برئاسة رئيس عربي في المنطقتين "آ" (داخلية سوريا) و"ب" (داخلية العراق) المبينة في الخريطة الملحقة بهذا الاتفاق. يكون لفرنسا في منطقة (آ) ولإنكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا في منطقة (آ) وإنكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية: يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (سوريا الساحلية) ولإنكلترا في المنطقة الحمراء (منطقة البصرة) إنشاء ما ترغبان به من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة، بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة: تنشأ إدارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين)، يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

المادة الرابعة: تنال إنكلترا ما يلي: 1- ميناءي حيفا وعكا. 2- يضمن مقدار محدود من مياه دجلة والفرات في المنطقة (آ) للمنطقة (ب)، وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بألا تتخلى في أي مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن جزيرة قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدماً.

المادة الخامسة: تكون اسكندرونة ميناء حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية، ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء، ولا تفرض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية. وتباح حرية النقل للبضائع الإنكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء، سواء كانت واردة إلى المنطقة الحمراء أو إلى المنطقتين (آ) و(ب) أو صادرة منهما. ولا تنشأ معاملات مختلفة مباشرة أو غير مباشرة على أي من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية. تكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها، ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض إعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسية، ويكون نقل البضائع حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الإنكليزية في المنطقة السمراء (فلسطين)، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء، أو من المنطقتين (آ) و(ب) أو واردة إليها. ولا يجري أدنى اختلاف في المعاملة بطريق مباشر أو غير مباشر يمس البضائع أو البواخر الفرنسية في أي سكة من سكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ المذكورة.

المادة السادسة: لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة (آ) إلى ما بعد الموصل جنوباً، ولا إلى المنطقة (ب) إلى ما بعد سامراء شمالاً، إلى أن يتم إنشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب ماراً بوادي الفرات، ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة: يحق لبريطانيا العظمى أن تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيد لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوماً لدى الحكومتين أن هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد، وأنه إذا حالت دون إنشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية أو نفقات وافرة لإدارته تجعل إنشاءه متعذراً، فإن الحكومة الفرنسية تسمح بمروره في طريق بربورة- أم قيس- ملقا- إيدار- غسطا- مغاير إلى أن يصل إلى المنطقة (ب).

المادة الثامنة: تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء في المنطقتين (آ) و(ب)، فلا تضاف أية علاوة على الرسوم، ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين، إلا أن يكون باتفاق بين الحكومتين. ولا تنشأ جمارك داخلية بين أي منطقة وأخرى في المناطق المذكورة أعلاه، وما يفرض من رسوم جمركية على البضائع المرسلة يدفع في الميناء ويعطى لإدارة المنطقة المرسلة إليها البضائع.

المادة التاسعة: من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسية لا تجري مفاوضة في أي وقت للتنازل عن حقوقها، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى سوى للدولة أو لحلف الدول العربية، بدون أن توافق على ذلك مقدماً حكومة جلالة الملك التي تتعهد بمثل ذلك للحكومة الفرنسية في المنطقة الحمراء.

المادة العاشرة: تتفق الحكومتان الإنكليزية والفرنسية، بصفتهما حاميتين للدولة العربية، على أن لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة أن تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية على ساحل البحر المتوسط الشرقي، على أن هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن قد يصبح ضرورياً بسبب عداء الترك الأخير.

المادة الحادية عشرة: تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

المادة الثانية عشرة: من المتفق عليه ما عدا ذكره أن تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية.

ملحق رقم 3

اتفاقية فيصل-وايزمان1919 :

عندما يتم تأسيس أية دولة عربية كان لزاما على الملوك أو الرؤساء العرب ان يتفقوا مع (حاييم وايزمان اليهودي) ليمنح المباركة بإدارة الدولة الوليدة مقابل موافقة العرب على انشاء دولة اسرائيل في المستقبل وفق وعد بلفور (1917

إتفاقية فيصل-وايزمان: هي اتفاقية وقعت في 3 يناير1919 ,, بين الأمير فيصل (ابن ملك الحجاز) و حاييم وايزمان (فيما بعد رئيس المنظمة الصهيونية العالمية)، كجزء من مؤتمر باريس للسلام, 1919 وهي تعطي لليهود تسهيلات في انشاء وطن في فلسطين والإقرار بوعد بلفور. وهي الشروط الأساسية لتكوين الدولة العراقية.

نص الإتفاقية

إن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمن ممثل المنطقة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنه يدركان القرابة الجنسية والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي ويتحقق أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو في اتخاذ أقصى ما يمكن من التعاون سبيل تقدم الدولة العربية وفلسطين ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي بينهما فقد اتفقا على المواد التالية:

1. يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى النوايا الحسنة والتفاهم المخلص وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس ويحتفظ بوكالات عربية ويهود معتمدة حسب الأصول في بلد كل منهما.
2. تحدد بعد اتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدول العربية وفلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.
3. 3-عند إنشاء دستور إدارة فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر سنة 1917.
4. يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع والحث عليها وبأقصى مايمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الاسكان الواسع والزراعة الكثيفة. ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات يجب أن تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين المستأجرين العرب ويجب أن يساعدوا في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.
5. يجب أن لا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة ما في ممارسة الحرية الدينية ويجب أن يسمح على الدوام أيضا بحرية ممارسة العقدية الدينية والقيام بالعبادات دون تمييز أو تفصيل ويجب أن لا يطالب قط بشروط دينية لممارسة الحقوق المدنية أو السياسية.
6. إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.
7. تقترح المنظمة الصهيونية أن ترسل إلى فلسطين لجنة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد وأن تقدم تقريرا عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستضع المنظمة الصهيونية اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة العربية بقصد دراسة الإمكانيات الاقتصادية في الدولة العربية وأن تقدم تقريرا عن أحسن الوسائل للنهوض بها وستستخدم

المنظمة الصهيونية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والامكانيات الاقتصادية في البلاد.

8. يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التأمين في جميع الأمور التي شمتلتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

9. كل نزاع قد يثار بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم وقع في لندن، إنجلترا في اليوم الثالث من شهر يناير سنة 1919.

الملحق رقم (3)

نص صك الانتداب على العراق:

بناء على نص المادة (132) من معاهدة الصلح، الموقع عليها في (سيفر)، في اليوم العاشر من شهر أغسطس سنة 1920، التي بموجبها تنازلت تركية عن كل حقوقها وتملكها في العراق، إلى الدول المتحالفة الرئيسية؛ وبناء على المادة (94) من تلك المعاهدة، التي بموجبها قررت هذه الدول الكبرى، وفقاً للفقرة الرابعة من المادة (22)، من الفصل الأول (عهد جمعية الأمم)، بأن تعترف بالعراق دولة مستقلة، يشترط عليها قبول المشورة الإدارية والمساعدة من قبل منتدب، إلى أن تصبح قادرة على القيام بنفسها وحدها؛ وإن تحديد تخوم العراق، سوى ما هو مقرر في المعاهدة المذكورة، واختيار المنتدب، تتفق عليه الدول الرئيسية المتحالفة؛ وبما أن الدول المتحالفة الرئيسية قد اختارت صاحب الجلالة البريطانية، منتدباً من قبلها على العراق، وبما أن شروط الانتداب الآتي ذكرها، رفعت إلى مجلس جمعية الأمم، للمصادقة عليها، وبما أن صاحب الجلالة البريطانية، قد قبل أن يكون منتدباً على البلاد المذكورة، وتعهد بذلك، بالنيابة عن جمعية الأمم، طبقاً للمواد الآتية لجمعية الأمم ـ توافق على شروط هذا الانتداب، كما يلي:

المادة الأولى: للمنتدب أن يضع، في أقرب وقت، لا يتجاوز ثلاث سنين من تاريخ تنفيذ الانتداب، قانوناً أساسياً للعراق، يعرض على مجلس جمعية الأمم، للمصادقة؛ فينشره سريعاً. وهذا القانون، يسن بمشورة الحكومة الوطنية، ويبين حقوق الأهالي الساكنين ضمن البلاد ومنافعهم ورغائبهم، ويحتوي على مواد تسهل تدرج العراق وترقيته، كدولة مستقلة. وفي الفترة، قبل العمل بالقانون الأساسي، تجري إدارة العراق طبقاً لروح الانتداب.

المادة الثانية: يحق للمنتدب أن يحفظ قوة عسكرية في البلاد، الواقعة ضمن هذا الانتداب، لأجل الدفاع عنها. وإلى أن ينفذ القانون الأساسي، ويوطد الأمن العام، له أن يؤلف جيشاً محلياً، لتأييد الأمن والدفاع عن البلاد، يجنده من الأهالي القاطنين في البلاد. ويكون هذا الجيش مسؤولاً لدى الحكومة المحلية، وخاضعاً دائماً للمشارفة (للسلطة)، التي يتولاها المنتدب على هذا الجيش. ولا يجوز للحكومة العراقية، أن تستخدم هذا الجيش في سبيل آخر، غير ما ذكر سابقاً، إلاّ بموافقة المنتدب. ولا يحول شيء بما هو مذكور في هذه المادة ومن اشتراك الحكومة المحلية في مصرف أي جيش كان يقيمه المنتدب على العراق. ويحق للمنتدب، في كل وقت، استعمال الطرق والسكك الحديدية والمراسي في العراق، لتحريك القوات المسلحة، ونقل الوقود والأرزاق.

المادة الثالثة: يفوض المنتدب بإدارة علائق العراق الخارجية، وبالحق بإصدار التفويض للقناصل، الذين تعينهم الدول الأجنبية فيه. وكذلك، يكون له الحق بفرض الحماية، السياسية والقنصلية، على رعايا العراق في البلدان الأجنبية.

المادة الرابعةعلى المنتدب تبعة الاحتفاظ بالأراضي العراقية. فلا يتنازل عنها، ولا تؤجر، ولا توضع تحت سلطة دولة أجنبية.

المادة الخامسة: يلغى بتاتاً، في العراق، إعفاء الأجانب وامتيازاتهم في المصالح الناتجة عن المحاكم، القنصلية والجنائية، التي كانوا يتمتعون بها، نظاماً أو عرفاً، في السلطنة العثمانية.

المادة السادسة: تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن إيجاد نظام قضائي في العراق، يضمن: 1. مصالح الأجانب. 2. والقوانين ـ ولحد ما يرى أنه من المناسب ـ الاختصاص القضائي القائم الآن فعلاً في العراق، فيما يتعلق ببعض المعتقدات الدينية، كأحكام الوقف والأحوال الشخصية. وتوافق الدولة المنتدبة، على الأخص، بأن تكون السيطرة على الأوقاف وإدارتها جارية طبقاً للشريعة وإرادة الواقفين.

المادة السابعة: ريثما تعقد معاهدات خاصة مع الدول الأجنبية، فيما يمس العراق، من تسليم المجرمين الفارين إليه، يعمل بالمعاهدات الحاضرة بين المنتدبين والدول الأجنبية.

المادة الثامنة: يؤمن المنتدب للجميع حرية الوجدان التامة، وحرية العبادات، في كل هيئاتها وأشكالها، بشروط ألاّ يخل ذلك بالأمن العام والآداب. ولا تميز فئة على أخرى في العراق، بسبب جنسية أو دين أو لغة. والمنتدب يسجل التعليم بلغات العراق الوطنية، ولا ينكر على فئة حقها، ولا تضار في تأييد مدارسها الخاصة بتعليم أبنائها لغتها الخاصة، على شرط انطباق ذلك على مقتضيات التعليم، التي ترسمها الحكومة.

المادة التاسعة: لا يجوز أن يؤول شئ بما ذكر في هذا الانتداب، لأنه يمنح المنتدب حق التدخل في مباني أو إدارة العتبات المقدسة، التي تبقى صيانتها مكفولة.

المادة العاشرة: على المنتدب أن يراقب أعمال المبشرين في العراق، حسبما تقتضيه الحالة، لتوطيد الأمن العام، وحسن إدارة الحكومة. وفيما سوى ذلك، لا تؤخذ وسيلة ما من الوسائل، لمعارضة تلك الأمور والمداخلة فيه؛ ولا تميز فرقة على أخرى، بسبب مذهب أو جنسية.

المادة الحادية عشرة: على المنتدب أن يمنع، في العراق، التمييز بين رعايا أية دولة أخرى، في كل ما هو متعلق بالضرائب والتجارة والصناعة والفنون، أو في معاملة السفن التجارية والطيران الملكي. وكذلك، لا يكون تمييز، في العراق، بين البضائع الصادرة عنه إلى أية دولة، أو الواردة إليه منها. وتكون حرية النقل تامة في كل البلاد، بشروط عادلة. وفيما سوى هذا، فللحكومة العراقية الحق ـ بعد استشارة المنتدب، أن تضرب الضرائب والرسوم الجمركية، كما تقتضي، وأن تتخذ أحسن الوسائل لاستثمار موارد البلاد الطبيعية، وتأمين منافع الأهالي. ولا يحول شيء بما في هذه المادة، دون حق الحكومة العراقية، بعد مشورة المنتدب، بعقد وفاق جمركي مع أية دولة، كانت كلها، في سنة 1914 ميلادية، داخلة في تركيا الآسيوية، أو جزيرة العرب.

المادة الثانية عشرة: يوافق المنتدب، بالنيابة عن العراق، على المعاهدات الأممية، المتبعة الآن، أو التي يصير عقدها فيما بعد، بمصادقة جمعية الأمم، في كل ما هو متعلق بالنخاسة، أو تجارة الأسلحة، أو العقاقير المخدرة، أو للمساواة التجارية، أو حرية النقل للملاحة الجوية والسكك الحديدية والبريد والبرق واللاسلكي، والملكيات الفنية والأدبية والصناعية.

المادة الثالثة عشرة: يضمن المنتدب مؤازرة الحكومة العراقية، ما سمحت له الأحوال، الدينية والاجتماعية، على تنفيذ السياسة العامة، التي تتخذها جمعية الأمم، لمنع الأمراض ومحاربتها، شاملاً ذلك أمراض النبات والحيوان.

المادة الرابعة عشرة: يضمن المنتدب، في أثناء اثني عشر شهراً من تاريخ العمل بهذا الانتداب، أن يسن نظاماً للآثار العتيقة، ويجري بموجبه، طبقاً على ما في المادة (421) من الفصل الثالث عشر، من المعاهدة التركية، عوضاً عن نظام الأثريات التركي. ويكفل المساواة في كل ما له مساس بالتحريات الأثرية، بين كل رعايا الدول، التي هي أعضاء في جمعية الأمم.

المادة الخامسة عشرة: عدما ينفذ القانون الأساسي، يعقد اتفاق بين المنتدب والحكومة العراقية، على الشروط، التي بموجبها تتسلم الأخيرة الأعمال العمومية، والأشغال الدائمة، التي يرجع منافعها إلى الحكومة العراقية. ويعرض هذا الاتفاق على مجلس جمعية الأمم.

المادة السادسة عشرة: لا شيء مما في هذا الانتداب، يمنع المنتدب من تأسيس حكومة مستقلة إدارياً، في المقاطعات الكردية، كما يلوح له ...

المادة السابعة عشرة: يرفع المنتدب، كل سنة، إلى مجلس جمعية الأمم، بياناً بالأعمال المتخذة في تلك السنة، لتنفيذ الانتداب، ويرفقه بنسخ من كل الأنظمة والأوامر، الصادرة في تلك المدة.

المادة الثامنة عشرة:يقتضي رضا مجلس جمعية الأمم، لتعديل شروط هذا الانتداب، على شرط أنه إذا اقترح المنتدب تحويراً، يكفي للعمل به، أن ينال رضا أكثرية المجلس.

المادة التاسعة عشرة: إذا وقع اختلاف بين أعضاء جمعية الأمم، على تأويل أو إجراء مواد هذا الانتداب، ولم يمكن تسويته بالمفاوضات، فيرفع إلى محكمة العدل الدولية الدائمة، المذكورة في المادة (14) من عهد جمعية الأمم.

المادة العشرون: عندما ينتهي الانتداب الممنوح بهذا التصريح، يتخذ مجلس جمعية الأمم التدابير اللازمة، لجعل الحكومة العراقية، بكفالة الجمعية، تدفع كل المصاريف القانونية، التي صرفها المنتدب، مع حقوق الموظفين بالمكافأة ومعاش التقاعد.

تحفظ هذه النسخة في خزانة جمعية الأمم. ويرسل كاتب سر الجمعية نسخة رسمية إلى كلّ من الدول، الموقعة في معاهدة الصلح مع تركيا.

قائمة بأسماء المراجع والمصادر

المراجع ومصادر

1- القرآن الكريم، تدقيق، لجنة المراقبة والتدقيق فى الدارالخير، دمشق
2- الكتاب المقدس، العهدالجديد، ط4، 1992 أتحاد جمعيات الكتاب المقدس، بيروت
3- بيترمانسفيلد- تاريخ الشرق الاوسط –ت:ادهم مطر،ط 2013دمشق ص201
4- د.عبدلله الفياض، الثورةالعراقية الكبرى، ط2، جامعه بغداد
5- د.حميد الساعدى، مبادئ القانون الدستور وتطور النظام السياسى فى العراق، دارالحكمة.الموصل
6- محمد الميلى، ابن باديس وعروبه الجزائر، دارالعودة ودارالثقافه بيروت.
7- عادل رؤوف، العمل الإسلامى فى العراق بين المرجعية والحزبية، ط1، المركز العراقى للأعلام ودراسات –دمشق
8- محمدباقرالصدر، المدرسة الأسلامية- سلسلة (1)الأنسان المعاصروالمشكلة الأجتماعية.
9- د.حامد محمود عيسى، المشكلة الكرديةفى الشرق الأوسط , مطبعة اطلس القاهرة
10- د.وليد حمدى , الكرد وكرستان فى الوثائق البريطانية , مطابع سجل العرب.
11- محمود الكنانى، مزاج التسنيم فى قصص الأنبياء والمرسلين، ط1، 1987عمان –الأردن
12- عبدالقديم زلوم، كيف هدمت الخلافه، دارالأمة لطباعه ونشروتوزيع
13- محمود شاكر، التاريخ الأسلامى –بلاد العراق، ط1، 1992 المكتب الأسلامى
14- ناجى علوش، حول الخط الأستراتيجى العام لحركتنا وثورتنا- ط1، 1974، دارالطبعة لطباعه والنشربيروت
15- د.محمد عمارة –جمال الدين الأفغانى موقظ الشرق وفيلسوف الأسلام -ط1، دارالمتقبل العربى –بيروت
16- نيقلو مكيافيلى –الأمير، تعريب: خيرى حماد، ط8، 1977، دار الأفاق الجديدة – بيرت
17- د.محمد عمارة – جمال الدين الافغانى والأعمال الكاملة – ج1 (الله – والعالم والأنسان) ط1 (1979)، المؤسسة العربية للدراسات ونشر – بيروت
18- عبدالرزاق حسنى، تاريخ الوزارات العراقية، ط7، دارالثقافة العامة، بغداد
19- محمدباقرالصدر، خلافة الأنسان وشهادة الأنبياء، مطبعةالخيام –أيران.
20- فرانتز فانون-معذبوالأرض، ترجمة:د.سامى الدروى، د.جمال الأتاسى، ط3 1979 دارالطبعة-بيروت
21- الطاهر عبدلله-نظريةالثورمن ابن خلدون الى ماركس -ط1979/1، المؤسسة العربية نشر-بيروت
22- د.كامران الصالحى –الديموقراتيةوالمجتمع المدنية -ط1، 2002، مطبعة وزارة التربية/هه ولير
23- هنرى فورستر-نشأة العراق الحديث- ترجمة:سلم طه التكريتى، ط1، بغداد.ج1
24- د.عثمان على: دراسات فى الحركة الكورديةالمعاصرة، ط1 /1983، جهه الأصدار:التفسير-أربيل
25- نجدى فتحى صفوت-خواطروأحاديث فالتاريخ –ط1 1983، بغداد
26- د.على الوردى، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج6
27- جمهورية افلاطون –تعريب: حناخباز، ط1980/2 دارالقلم –بيرووت
28- د.محمد مظفرالأدهمى، الملك فيصل الأول -، دارالشؤن الثقافه العامه – بغداد -1991

29- الدساتيرالعربيةودراسةمقارنه بمعاييرالحقوق الدستوريةالدولية، ط2005/1، المعهد الدولى لحقوق الأنسان، كليةالحقوق بجامعة دى بول
30- شبلى عيسمى ـالعلمانية والدولةالدينيه –ط1، بغداد ن1986، دار الشؤن الثقافه العامه –أفاق عربية
31- د.عبدالرزاق عيد، الأستاذ محمدالجبار -الديموقراطيةبين العلمانيه و الأسلام- ط1 2000م –دارالفكر- ديمشق
32- مثنى أمين قادر- قضاياالقوميات وأثرهاعلى العلاقات الدوليه-القضية الكورديةنموذجا-ط2002/1 مركزكردستان للدراسات الأستراتيجية-سلمانيةالعراق
33- موفق بنى المرجة- صحوةالرجل المريض –دارالكويت للصحافة-الكويت
34- أ.د.وهبة الزحيلى-الفقه الأسلامى وأدلته -ط2004/4 دارالفكرالمعاصر-ج8
35- حنابطاطو-العراق –ترجمه:عفيف الرزاز، كتاب الأول، ط1، 1990، مؤسسةالأبحاث العربية-بيروت
36- د.على الوردى –لمحات من ج1....ج5
37- محمد باقرصدر-لمحةتمهيديةعن مشروع دستورالجمهورية الأسلامية-سلسه(1)ط2، دارالمعارف للمطبوعات-بيروت.
38- عبدالكريم العلاف-بغداد القديمة-ط2، 1999 الدارالعربيةللموسوعات –بيروت
39- د.عبدالأميرهادى العكام-الحركةالوطنيةفى العراق-مطبعةالأداب-نجف الاشراف
40- ل.ن.كوتلوف-الثورةالعشرين الوطنيةالتحرريةفى العراق-ترجمه:د.عبدالواحدكرم ، دارالحريةللطباعه-بغداد
41- نجدة فتحى صفوت-العراق فى مذكرات الدبلوماسين الأجانب-ط2 1984-مكتب دارالتربية-بغداد
42- سعادرؤف شيخ محمد-نورى السعيد ودوره فى السياسات العراقية-ط1 1988 دارالشؤن الثقافه العامه-بغداد
43- احمدالسامرائى-ايراناوالخليج العربى –الدارالقوميةللكتاب العربى-بغداد
44- د.فاضل البراك-المدارس اليهودية والأيرانية فى العراق-مطبعةدارالرشيد-بغداد 1984
45- د.كمال مظهراحمد-الطبقةالعاملةالعراقية-وزارةالثقافةوالأعلامية-دارالرشيد /1981، دارالخلودللطباعالنشر.
46- جمال مصطفى مردان-أنقلابات فاشلةالعراق-المكتبة الشرقة،
47- عبدرزاق حسنى-العراق فى ظل المعاهدات، ط6 –ج2-مطبعة دارلكتب-بيروت
48- عبد الرزاق الحسنى - العراق فى دوربالإحتلال ولأنتداب –ج2-مطبعةالعرفان سوريا.
49- عبدلرزاق حسنى-تأريخالوزارات العراقية-ط7-لتب(4)-دارالشؤنالثقافةالعامة-بغداد1988
50- عبدلرزاق حسنى-تأريخ الوزارات العراقية-ط7-كتاب(5)دارالشؤن الثقافةالعامه-بغداد-1988
51- محسن احمد-الفكرالأشتراكى لحزب البعث العربى الأشتراكى-، دارالرشيدللنشر/1992
52- العراق فى التأريخ –بغداد-1983 –دارالحريةللطباعه
53- د.جورج حنا-قصةالإنسان-ط3 1959، دارالعلم للاين-بيرود
54- د.وميض جمال عمرنظمى-د.شفيق عبدلرزاق-د.غانم محمدصالح-التطورالسياسى المعاصر فى العراق-جامعةالبغدادوزارة التعليم العالى.
55- عبدالرزاق الحسنى –العراق فى ظل المعاهدات ط6مطبعة دار الكتب \بيروت
56- د.الياس فرح-من قضاياالثورة والأنسان العربى-ط1 1977، المؤسسةالعربيةللدراسات ونشر-بيروت
57- د.حامد محمودحسين-القضيةالكرديةفى تركيا-ط1 -2002 مكتبةمدبولى دارالطياعةعربيه والنشر- قاهرة
58- صالح حسين الرويح -العبيد فى العراق القديم-مطبعه اوفس الميناء-بغداد

59- الشيخ عبودالهيمص –ذكريات وخواطرعن أحداث عراقيةفى الماضى القريب-مطبعةالرايه، بغداد، 1991

60- د.فاروق صالح العمر-الأحزاب السياسيه فى العراق -مطبعةالأرشاد، بغداد 1978، منشورات مركزدراسات الخليج العربية.

61- عبد الرزاق حسنى - العراق فى دورى الأحتلال والأنتداب -ج1،

62- عبدالرحمن البزاز-العراق من الإحتلال الى الأستقلال - ط4، 1977 دارالبراق، لندن

63- هنرى فورستر -نشأة العراق الحديث - ترجمة سليم طه التكريتى ج2، ط1، 1989، دارالفجر \بغداد

64- حسن العلوى-الشيعة والدوله القومية فى العراق -دارالثقافه للطباع ونشر، ايران

65- جان جاك روسو- فى العقدالأجتماعى-ترجمه، ذوقان قرقوت، دارالقلم، بيروت

66- أيوب بارزانى-المقاومة كرديةللأحتلال - دارنشرحقائق الشرق

67- معمراقذافى - الكتاب الأخضر-ط10، 1984، المركزالعالمى للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ليبيا طرابلوس، ط1984

68- سيدقطب -معالم فى الطريق-ط10، 1983 دارالكتاب الأسلامى أيران

69- محمدالحسين الشرازى-السبيل الى أنهاض المسلمين -ط3، 1412 هـ، مكتب المدرس

70- صباح أرام-ملامح السياسية لتاريخ الكردالحديث والمعاصر-ط1 2004

71- أورخان محمد على - السلطان عبدالحميدالثانى حياته وأحداث عهده -ط1، 1987، مكتبةالأنبار، العراق

72- يوسف على- بدوى، موسوعة الأذكياء، 11500 سؤال، ط1 2005، البحامة، بيروت

73- سروه أسعدصابر-كردستان من بداية الحرب العالمية الأولى الي نهاية مشكلة الموصل، ط1 مطبعة وزارةالتربية، أربيل

74- د.رجاء حسين حسنى الخطاب -تأسيس الجيش العراق وتطوردورره السياسى

75- فارس حسن شكر-فلسطين فى رسائل عبد الناصروكندى-والنص الكامل لبروتوكولات حكماء صهيوني-مطبعه الأخلاص بغداد

76- محمود شاكر، التأريخ الأسلامى ج1 ص32 المكتب الاسلامى، ط2 1996

77- سلامة موسى-مقالات ممنوعة، ط4، 1980، مكتبه المعارف بيروت

78- أبن خلدون – مقدمة -تحقيق د.حامد احمد الطاهر، ط1 2004، دارالفجر لتراث، القاهرة

79- أبن حزم- كتاب الفصل فى الملل والنحل والأهواء -دارالندوة الجديدة، بيروت، ج1 +ج5

80- قدرى قلعجى- مناقشةآراء العلماء والقادةالسوفيات فى الأمةوالطيقةوالوحدة والمقاوة وقضية فلسطين-دارالكاتب العربى.

81- هارى ماجدوف-الامبريالية من عصرلإستعمارحتى اليوم -ط1 1981، مؤسسات الأبحاث العربية

82- لويس مير-مقدمةفى الأنثروبولوجياالأجتماعية -ترجمة: د.شاكرمصطفى سليم دارالشؤن الثقافةالعامة

83- جون لوسى-مدخل الى الفلسفة، ترجمة: انورعبدلملك، ط2، 1973، دارالحقيقة-بيروت

84- جان بابى-القوانين الأسياسةللأقتصادالرأسمالى-ترجمة: شريف حتاتة، محمد خليل قاسم، سعد كامل، حليم طوسون دارالعلوم الحديثه-بيروت

85- محمد أسماعيل نصيف -لماذا هوغير ممكن مع اليسارفى أسرائيل- ط1 1971، مطبعةالغربى الحديثة فى الالتجنف الأشراف

86- موريس ديفرجية- الأحزاب السياسية-ط1 \1977-دارالنهارللنشر، تعريب: عبدالحسن سعد.

87- عبدلرحمن بدوى- المثالية الألمانية- شيلج-دارنهضةالعربى-قاهر1965

88- لينين-الثورةالبروليتارياوالمرتد كاوتسكى-دارالتقدم-موسكو-1968

89- جورج بلخانوف- حول نظريةصراع الطبقات-ترجمة:جورجطرابيش، ط1975/1

90- جورج بلخانوف-تطورالنظره الواحدية الى التأريخ، ترجمة:محمد مستجيب مصطفى، ط1975/1، دارالطليعةللطباع والنشر-بيروت

91- د.عبدلله سلوم السامرائى-حوارفى الأقتصاد بين الأسلام والماركسيةوالرأسمالية، المؤسسه العراقيةللرعاباوالضباع-بغدا

92- ماركيس و أنجلس-بيان الحزب الشيوعى-دارالتقدم-موسكو

93- لينين-المختارات-ج1-190 ترجمة:الياس شاهين-دارالتقدم-موسكو

94- لينين-المختارات-ج2.........

95- لويس التوسر-قراءة راس المال –ج1، ترجمة:تيسير شيخ الأرض، منشورات وزارةالثقافةوالأرشادالقومى- دمشق1972

96- فريدريك انجلس:نصوص مختارة، اختياروتعليق: جان كانايا، ترجمة: وصفى النبى، منشورات وزارةالثقافة1972/

97- مس بيل -العراق فى الرسائل مس بيل، ترجمة:جعفر الخياط، دارالحريةللضباء، غداد1977/

98- د.راشدالبراوى-العلاقات السياسية الدوليةوالمشكلات الكبرى، ط2 1982، مكتبةالنهضة مصرية-قاهرة

99- د.على كريم سعيد-عراق 8شباط 1963-من حوارالتفاهم الى حوارالدم/مراجعات فى ذاكرة طالب شبيب ط1، 1999، دارالكتورالأدبية-بيروت

100- بود دستنيك وياخوت-عرض موجزللماديةالديالكتيكية، دارالتقدم –موسكو-مكتبة النهضة-بغداد

101- د.عبدلمنعم الحفنى: المعجم الشامل لمسطلحات الفلسفة –ط2000/2 م، مكتبة المدبولى-القاهرة

102- كاظم احمد تاهر المشايخى -الأمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوى، ط1، 1996، المعهد العالمى للفكرالأسلامى، امريكا

103- محمد قطب -الأنسان بين المادية والأسلام - ط6، 1980، دارالشروق، بيرت

104- سيدقطب - المستقبل لهذا الدين، دارالشروق

105- سيدقطب-نحومجتمع الأسلامى، دارالشروق

106- د.عدنان على رضاالنحوى - المسلمون بين العلمانية وحقوق الأنسان الوضعية، ط1، 1997، دارالنحوى، نشروتوزيع رياض

107- سبينوزا -رسالةفى اللاهوت والسياسة، ترجمة: د.حسن حنفى، دارالطليعة، بيروت، ط2 1981

108- سعيد حوى - الأسلام، ط2، 1979، دارالكتب العلمية، بيروت

109- الأمام محمد ابوزهرة-تأريخ المذاهب الأسلامية-ج1989/1-دارالفكرالعربى (الوهابية

110- د.محمد فاروق البنهان- نظام الحكم فى الأسلام-مطبوعات جامعة الكويت

111- كارل ماركس- رأس المال-ج1- ترجمة:محمد عيتانى-مكتبة المعارف-بيروت

112- صموئيل هنتنختون- صدام الحضارات وإعادة بناء النضام العالمى-نقلة الى العربية: د.مالك عبدأبوشهيوه، د.محمود محمد خلف-الدارالمجاهيه للنشروالتوزيع ولاعلانات ط1(1999)

113- المطيرى-د.جاسم-الحرية والطوفات-ط2004/1-المؤسسةالعربيةللدراساتوانشر-بيروت

114- حنابطاطو-العراق- ترجمةعفيف الرزاز-بيروت-الطبعةالعربيةالثالية1995

115- د.سيراالجميل-بقاياوجذورالتكوين العربى الحديث- الطبعةالأولى-عمان-أردن

116- بارزان تكريتى- الصراع الدولي فى المنطقة الخليج العربى والمحيط الهندى وتأثيره على أقطارالخليج العربى-، بغداد، 1982

117- د.فاضل البراك- المدارس اليهوديةوالأيرانية فى العراق، ط2 بغداد 1985

118- أبى عبيد، مشهوربن حسن آل سلمان -العراق فى أحاديث وآثارالفتن، الجزئان مكتبةالفرقان دبى، ط1 2004
119- حضارة العراق-تأليف: نخبة من الباحثين العراقين، بغداد 1985 بدون ترجمةوطبعة
120- عادل رؤف- العمل الأسلامى فى العراق بين المرجعية والحزبية، ط1 2000، سوريا –ديمشق
121- جميل السيد محسين أبوطبيع- المبادئ ولرجال بوادر الأنهيارالسياسية فى العراق، دراسة وثأقية تحقيق، المؤسسة العربية للدراسات ولنشر، المركز الرئيسى الحديث، جمع وتحقيق جميل ابوطبيخ، المؤسسة العربية للدراسات ولنشر، بيروت، ط2 2003
122- مذكرات السيد محسين ابوطبيخ 1910_1960، 50 عاماَ من تأريخ العراق السياسى الحديث- جمع وتحقيق جميل ابو طبيخ ط1 ، 2001 .
123- أحوال العراق فى مرحلة المشوطية الثانية 1908 _1918 رسالة دكتورا قدمة:شكرى محمود نديم ، ألى جامعة بغداد: اداب 1985 .
124- دور المثقفين فى ثورة العشرين –ماجستر1989 –أنورعلى الجبورى، كلية الأداب –بغداد بأشراف: د.فاضل حسين.
125- إبراهيم الراوى-من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث –ذكريات- مطبعة دارالكتب بيروت 1969.
126- محمد مهدى شمس الدين-العلمانية –بيروت-الطبعة الثالثة 1996
127- الوسيط فى القانون الدولى العام ، د.عبدالكريم علوان0 1997، عمان، مكتبة الدارالثقافةطبعة الأولى
128- د.عصام العطية-القانون الدولى العام- الطبعة الثالثة 1982، وزارةالتعلم العالى-رئاسة الجامع البغداد، كليةقانون السياسة
129- تقى الدين النبهانى –نظام العكم فى الإسلام: سلسةراية(6)
130- د.محمد فاروق النهبانى-نظام الحكم فى الإسلام: جامعة الكويت1974 مطبعة جامعةالكويت.
131- محمودشاكر-التأريخ الإسلامى –9ج-الطبعةالرابعة2000، المكتبة الإسلامى
132- الزنجانى، عباس على -القانون الدولى فى الإسلام-، تعريب: على هاشم، الطبعة الأولى1417 م، مؤسسةالطبع والنشرالتابعةللأسنانة الرضويةالمسدرت، إيران مشهد.
133- الدساتيرالعربيةودراسةمقارنة بمعايير الحقوق الدستورية الدولية، المعهد القانون حقوق الأنسان، كلية الحقوق بجامعة دى بول، ط1 2005
134- البراوى، د.راشدى- العلاقات السياسية الدولية والمشكلات الكبرى، ط2\ 1982، مكتبة النهضة المصرية
135- الصلابى، د.على محمد محمد -الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، مكتبة الأمان، ط1
136- ، أ.محمد فردريك المحامى- تاريخ الدولة العثمانية، دارالنفائس، ط9 2003 لبنان
137- ف.كيللى، كوفالنون- المادية التاريخية، تعريب: حمد داود، تدقيق: بدرالدين السباى، أصداردارالجماهير، دمشق، 1970
138- عباس محمود العقاد- مايقال عن الأسلام، منشورات المكتبة العصرية، بيروت
139- العزاوى، عباس - تاريخ العراق بين الأحتلالين، وزارة المعارف،
140- أدونس العكرة –الأرهاب السياسى، ط1 1983، دار الطليعة \بيروت
141- نجدة فتحى صفوة - العراق فى الوثائق البريطانية، ط1 1983، مركز دراسات الخليج العربى، جامعة البصرة
142- المقدادى، درويش - تاريخ الأمة العربية، ط2 1932، مطبعة المعارف، بغداد
143- نورسى، علاء موسا كاظم - حكم المماليك فى العراق، دارالحرية بغداد

144- الروشيدى، سوادى عبد محمد - أمارة الموصل فى عهد بدرالدين لؤلؤ، ط1 1971، مطبعة أرشاد، بغداد، رسالة ماجسترفى جامعة بغداد
145- أبى عبيدة بن حسن ال سلمان- العراق فى أحاديث وأثارالفتن- ط1 \2004 م ، مكتبة الفرقان –دبى ج1 +ج2
146- العروبة بين الشعوبية والإستعمار
147- د.كمال مظهر-كردستان فى السنوات الحرب العالمية الأول-ط21984م-ترجمة:محمد الملا عبد الكريم-بغداد .
148- هيرمزكندر، فيرترهلغمان- التاريخ العالم ، ط1 2003، بيروت، نقله الى العربية: الياس عبدوالحلو.
149- د.عبدالمنعم الحفنى - المعجم الشامل المصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولى، ط3 2000.
150- ستيفن لونكرينك –اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث – ت :جعفر الخياط ط4،
151- امين ريحانى –قلب العراق رحلات وتاريخ،دارنشر الهنداوى -2021م قاهرة
152- ولاية موصل (تقرير لجنة عصبة الامم الخاصة بحل النزاع التركى –البريطانى حول ولاية الموصل) مراجعة وتحقيق: عبدالرزاق محمودالقيسى, مطبعة رنج سليمانية -2009م .

الرسائل و الأطروحات

153- حركة الإستقلال العربي: دراسةتأريخية فى مفهوم الإستقلال فى فكرالأحزاب والجمعيات العربية1908-1919 – رسالة ماجسترإلى جامعة المستنصرية 1988–بغداد، بأشراف: د.صالح العابد
154- العراق والحركة الكمالية 1919 _1923، قاسم خلف عاص الجميلى، اطروحة دكتورا، الى جامعة بغداد، أشراف: دكتورهاشم صالح مهدى التكريتى 1990
155- دور الفيصل الأول فى تأسيس الدولة العيراقية الحديثة 192، 1933، أطروحة: دكتوره: جامعة المستنصرية، تقديم: عبدلمجيد كامل عبدللطيف بأشراف: د.كمال مظهرأحمد 1990
156- تغلغل النفوذ البريطانى فى العراق، 1869 _1914، رسالة ماجستر فى التاريخ الحديث: قدمه:فواض مطر نصيف الدليمى، أشرف: د.عبدلنجيب السامرأى 1989
157- ، د.فاضل حسين- مشكلة الموصل، دراسة فى الدبلوماسية العراقية، الأنكليزية، التركية فى الرأى العام، رسالة الدكتورا، جامعة التربانه، أمريكا -195، مطبعة الرابطة بغداد، 1957
158- الدليمى، فوزى عبدالمجيد جليل - التأريخ السياسى لأمتيازات النفط فى العراق، أطروحة دكتورا الى كلية الأداب جامعة بغداد .
159- طه باقر –مقدمة تاريخ الحضارات القديمة –دار الوراق للنشر 2009، ط1

المعاجم والموسوعات

160- أ.د. محمد حرب- موسوعة السفير التاريخ الأسلامى، ج18، دولة العثمانية، قاهرة
161- بديوى، يوسفعلى –موسوعة الأذكياء-2500 سؤال وجواب، ط1 \ 2005م اليمامة \بيروت
162- د.احمد سحيقان - قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، ط1 2004 مكتية لبنان ناشرون
163- حموى، شهاب الدين ياقوت الرومى البغدادى - معجم البلدان، دارالبيروت للطباعة والنشر 1955
164- د.فردريك معتوف -معجم الحروب، ، ط1 1996، لبنان

165- عبدالرزاق محمدى اسود- موسوعة العراق السياسية، ، ج2، دارالعربية للموسوعات بيروت ط1 1986
166- الكيالى.د.عبدلوهاب –موسوعةالسياسية-ج1-ط1-1979 –المؤسسةالعربيةللدراساتوالنشر-بيروت
167- كامل زهيرى –د.عبدلاوهاب الكلياكى-الموسوعة السياسية-ط1974/1-مطبعة المتوسط-بيروت
168- تعريفات ببعض المصطلحات –حزب البحث العربى الأشتراكى-الكتب الثقافة والأعلام
169- الخولى، د.محمد على- قاموس التربية، -ط1981/1 –دارالعلم للملايين-بيروت
170- أحمد عطيةالله-القاموس السياسى –ط1986/3 دارالنهضه العربى-القاهرة
171- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية لشباب الأسلامى، الرياض، ط1، 1988
172- الجهنى، د.مانع بن حماد -الموسوعة فى الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج1، ط4، دارالندوة العالمية للطباع والنشر والتوزيع، رياض
173- موسوعة بلدان العالم -ترجمة: محمد عماد كفتارو، دارالرشيد، بيروت
174- مروان السابق - كنز الجيب - قاموس فرنسى –عربى، دار السابق للنشر، بيروت
175- الرازى، محمد بن بكر بن عبدالقادر - مختار الصحاح - دار الكتاب العربى، بيروت
176- جلبى، سمير عبدالرحيم - المعجم الحديث للتحليل السياسى، الدار العربى للموسوعات، بيروت، ط1، 1999
177- ابن منظور - لسان العرب، اعداد وتصنيف، يوسف الخياط، ج1 +2+3، دار لسان العرب، بيرت
178- المنجد فى اللغة والأعلام -ط23، دار المشرق، بيروت
179- الندوةالعالميةللشباب الأسلامى-الموسوعة المسيرةفى الأديان والمذاهب المعاصرة -ط1، رياض 1988
180- الموسوعة الفلسفبةالمختصرة-نقل الى العربية، فؤاد كامل، جلال القسرى، عبدلرشيدصادق، دارالقليم-بيروت، منشورات مكتبةالنهضة-بغداد
181- د.احمد سعيقان-قاموس المسطلحات السياسيةولدستوريةالدولية-ط2004/1م، مكتبةلبنان-
182- الجرجانى، أبو الحسن على بن محمد على – التعريفات- دار الشؤن الثقافة العامه – بغداد

المصادر الكوردية

183-شرفنامەی شرفخانی بدلیسی، هەژارکردویەتی بەکوردی، کوڕی زانیاری کوردەوە لەچاپ دراوە، چابخانەی جەواهیری – تهران
184-جه له بی، ڕولیا، ترجمە:ناکام سیاحەت نامە –کورد لەمێژوی دراوسێکاندا ب١
کێوی موکریانی – فەرهەنگی کوردستان –ج١٩٩٩/١، دەزگای ئاراس

المصادر الأجنبية

185- Long man. new generation dictionary- librarie- liban
186- Hans wehr- adictionary of modern written afabyc- liberarie- liban

Secularism and Islamic Religion

The purpose behind of Modern Iraqi State which established in1921 named as Iraqi Kingdom.

So as to well understand in Secularism and Islamic from establishing of this State, there should be initial information on both of them:

Secularism and Islamic: according to all dictionaries and encyclopedias the Secularism means separating religion, i.e. building human being life and society from political, social, economic and legal ways are far from religion. But neither moderate secularism neither against religion nor mixing with it, in a way that there is a spiritual relation between human beings and his/her God and he/she is free how to worship God. The first person who translated this term into Arabic language is (Lewice Baster) lived in Egypt. However Secularism and Science are different, due to nearness the meaning of these two terms Secularism and Science, people think that Secularism is supported by Science anyone who against Secularism is is against Science also.

In the beginning Secularism appeared in Europe after and Industrial Revolution, Wistalvia Conference in 1646 will be considered as the beginning of this term, but the first Secularism entity being seen in French Revolution in 1789 with other factors like: Religion, Policy, Economy, Technically and Scientifically, Secularism had been appeared very quickly.

From the start, problems were broke out for the authority confrontation when faced with the scientists, and the science day by day was progressing but faced by Church but it could not resist, Secularism as a necessary new world system in the end of nineteen century in Europe with technology and science were appeared. It is worth mentioning that world in general and Islamic countries were in retardation condition. Therefore Colonialism campaign by the cause of nationalism and modernity and making new State instead of Empire State and reached to Islamic Countries. In a Islamic Countries a group of people were appeared which they ere not satisfied with religion interpretation for life in the field of creation, economics, policy and sociology, therefore, this group according to the epoch changes had been changed in their belief and even their clothes, in Iraq this group named (Afandia) they ere fond of invention and Europe style in the other hand they were against their nationality style which at that time Iraqi people most ordinary and Bedouins people lived in the villages, most paid attention to revenge and tribalism they were poor intellectually and religiously. This group of people (Afandia) lead of change toward (South's people And Secularism) also this group of people in the Islamic Countries and Iraq had received Southern campaign and helped their projects in the area

and against Nation Liberation Movement revolution which the Islamic had movedin all over Arabic countries such as:

Mehdi Revolution in Sudan, Algeria Revolution, Khattabi in Morocco and other revolution like Abdukadir of Algeria, Omer Mukhtar , Shekh Saed & Shekh Mahmud in Kurdistan and Revolution of 1920 in Iraq and so else. But most of these revolutions had been not succeeded and Secularism project dominated, therefore, the (Afandi) group was become part of their country projects and took power their countries which colonialism had built for them.

The first Secularism Republic built in Islamic countries was in the place of Othmani Empire in Turkey which led to terminate Caliphate on 3rd March 1924 into extend that changed the Islamic Alphabetic to Latin, so from that time gradually Islamic countries have been processing South Secularism till now and along with it a group of dangerous problems had been made like:

1. Kurdish and Palestine issue in the region and other nationalism issues.
2. Retardation of these courtiers in most of walks of life.
3. Most Arab countries are a dictator authorities and not good with their people.
4. They had been affected by Southern and Israel projects.
5. From this Globalization no economical, political and cultural rights have been seen, if there is, it belongs to old Islamic culture not to the new system of rule which is managing the Arabic countries.

Islam and Secularism Effect on Growth of New Iraqi State

In fact this influence can be indicated accurately according to Introductions of Secularism and Islamic and referring the influence of important persons and political association, and revolution identities and defenders to be indicated, not to be mentioned their names in general as (National Movements) like other Iraqi Historian and Researchers done, if make inquiries accurately, these two influences have basic roles side by side Colonization project, which supported by Secularism Groups contrary to Islamic Groups, this conflict began after (Constitution Movement) in the end of nineteenth century, most of Secularism Groups had been backing and wishing for coming Arabic countries whereas Islamic Groups defended and they tried to establish (Islamic League). After Islamic countries had been colonized, then the Islamic and Secularism groups of these countries were conflicted in the country. At the end, the project of colonization and Secularism dominated on the Islamic. Therefore, gradually the effect of Islamic idea was debilitated against colonization projects on the other hand Secularism project controlled. The purpose behind the colonization project was establishing different countries each on its region by different names like: Syria, Iraq, Jordan Iraq and Kuwait . . . etc. Hence it is starting how Iraqi State had been built up which is our subject.

6. The Story of Iraqi State Formation

According to historical sources that the first civilization in this region had been begun which called Iraq, the regions which Iraq consisted from had many names like: land of Babel, Assyrian, Akad, Sawad, Arabic Iraq, Non-Arabs foreigners Iraq, Mesopotamia, Country between two Rivers, Rafidain, Island and Kurdistan. . . . sometimes in one historical period had some these names, until Britain in the first world war 1917 – 1918 came raised Iraqi name but Mesopotamia named had been used by Europe, Russia and Othmani Empire and other used (Rafidain Valley), less Iraq used but had been used more by (Sham) in the issue of (Maewya and Imam Ali), on the basis name of Iraq came from (Persian Araak). The history of this region is full of changes dangerous events, most of these countries had been colonized and their citizen had less role in the events, therefore easily they could colonize them until now. During Othmani Empire, Iraq was consisted of Basra, Baghdad and Musel provinces, they did not have special differentiation, in fact Iraq was built on these three provinces, each province had its specialty, Basra was mostly dealing with, Arabs, Qatar, Mahammara, and kwait ,and from Baghdad toward the south that include (Najaf ,karbala and kadhimiya) Sacred City that having a strong relation and contact with the Iran.

Each state had its own specialty .Basra is famous for India and faced towards gulf. It was more related to Amman ,Mhammara, Kuwait, and Qatar. Also Baghdad and the south ,which includes the holy cities: Najaf , karbala and kazimia, were more related to Iran. The state of Mosul which mostly consisted of Kurds related to Kurdistan and Shaam not Baghdad but sometimes it was organized with Baghdad in the face of management or sometimes with Dyar Baqr and the state of Sharazoor.Then these states were not conditioned to be with Baghdad but sometimes Baghdad was belonged to them .In Abdul-rahman Baban 's reign in Baban's Emirate in Sulemani ,the ruler was chosen by him. the people of this city did not pay attention to the ruler who ruled them .This thought was not important to the Iraqi people .Most of them were nomad people and most of the cities' people were not Arabs ,specially Baghdad's people were Christians , Jews and not Arabic Muslims. Most of the Baghdad shop keepers were Jewish therefore, Saturday was the holiday instead of Friday. Generally ,city and village are not good to each other. Birth place was more lovable by nomads and villagers than the national love therefore Iraqi people has been very slim as far as national feelings are concerned, that is why few times good rulers came to Baghdad and its service was fewer. At sometimes ,it had been named as Siberia of Ottoman .The beginning of secularism and nationalism idea starts in the twentieth century although the reforms of the king Dawd and after him the king Madhat were considered as the beginning of secularism in Iraq and from this national thoughts were appeared due to some Arab groups which were created after 1908 or some others more directly think that the armed movement of Shareef Hussein Ali which was named as the Great Arabic Revolution in 1916 regarded as the beginning of nationalism concept but some others think that the revolution of 1920 is the beginning of nationalism concept. Anyhow, after the coup of 1908-1909 the secular Taraqi Union moved Iraqi people against the Caliph Abdulmajeed because after the coup the concepts and political

customs were changed, instead of the Islamic nation, Dar al-Islam (Islamic house) and Sharia (Islamic law) other names like secularism and nationalism were appeared. The scales and measurements were changed for reality and history therefore not Turkish nations started to call for their nationality. Shaam took this task among the Arabs. The first Arabic forum was held in Paris in 1913 and two Iraqi representatives took part in it.Britan, France and the west helped the Arabs to go towards secularism and nationalism not Islam .Islam collected all the nations and Races for the Ottomans but because of nationalisim and secularism this collection was eradicated. It was for along time that the west started to plan for the division of Islamic world map. Various forums and agreements were held among Britain , France , Russia , Italy and other countries until the famous agreement of Sikes- Biko in 1916 the decision of the regional division was made among themselves and it was followed by Balfour promise in 1917.On the other side Ottoman went towards weakness and it was named as the sick man. When the first world war broke out in 1914 among Britain, France and Coalitions on one side and Germany, Austria and the coalitions which were named as the middle countries on the other side. At that time the king Anwar, the president of Taraqi(progress) Union, got the authority of Ottoman .He was very admire of Germany because he thought that the conquer was only for Germany therefore on 11/1914 he stood on Germany's side in this war so as to save the ottoman in these bad situations .This step made Britain to invade Iraq from Faw .The British forces were in Bahrain already and Britain prepared itself before the ottoman's entanglement as a result it came to Basra easily .later towards the east and the north. On 7/11/1914 Sheik Al-Islam made the fatwa (legal opinion) of jihad against the allied countries. This fatwa had a great effect among the Iraqi religious scientists specially the Shiite scientists in Najaf , Karbala and Kazimia but most of the tribal presidents ,national and secular personalities tried to have a surrendered relation with the British forces. The Ottoman forces were decreased in Basra battlefield therefore they could not stop the British forces .later the Kurdish clannish forces with the presidency of Sheik Mohamed and the Arabic clannish forces with the presidency of Shiite religious scientists had gathered and faced the British forces and they could stop the British forces and got important conquers at the beginning .Afterwards, the collected forces were destroyed because of various causes and the British forces could invade Baghdad on 11/3/1917 and then towards the north and went to the direction of Mosul until Shargat .At the end the war stopped according to Mudrs truce. The Ottomans defeated in these battles and then disconstructed on 3/3/1924 as a result Britain started to implement its plans and decisions so as to create an Arabic country in this Iraq under the depuization of Britain but the Iraqi name and boundary were not seen. According to the British telegraphs to their officers in Iraq, there was a hint for making an Arabic country in Iraq and in these places where the British forces were there. The concept of Iraqi country passed many steps and stages. At the beginning Britain wanted to make this government only in Basra state with the cooperation of the king Talib .After the conquers the concept was changed so as to make this government in both states Baghdad and Basra. In the first Matter of Sikes-Biko agreement in 1916, these two states were the portion of Britain .Many other ideas were prepared such as in each state a government also the government of

(The Middle Furat) should be alone. But at the end of the Cairo forum in 1921, the creation of Iraq was decided in this way and the king Faisal should be the king of this country according to British wishes which was 1-Tthe confession of Balfour promise 2-being secularist and avoiding Islamic association 3-being at the service of regional country's project. Britain began to create administration, police forces and later army. Gradually, the Iraqi secularists and the tribal presidents participated with British in these steps. While the religious scientists and the Islamic started the war of Fatwa against Britain and the government which was going to be made and all who participated .Some of the secularists and nationalists who did not receive a good position ,sometimes stood beside this Islamic opposition and this led to the result of rebel and revolution here and there. The first movement was made in Zakho then passed to Rwanduz ,Amedi , Aqre until reached Sulemani .The first revolution against Britain in this place was started in Kurdistan on 1919 with the presidency of Sheikh Mahmud.Althouhgh it was defeated in the first step but opened Iraqi people's eye and they uprised .The revolution of 1920 started in the south .Many places were saved in the north of Basra until Dyala .The Islamic Shiite school had great effect on the saved places but the Sunny scientists were the helpers on the contrary of the secularists who cooperate Britain .one of these secularist group was the Epoch Association who were in Shaam .Most of them were consisted of the officers who invaded Shaam with the king Faisal with the cooperation of Britain such as Noori Saeed , Abdulla Dlemi , Ali Jawdat Aubi etc. At the end they became the high chief of this government. This revolution also defeated. Then the role of Islamic oppositions went towards weakness on the contrary the Iraqi Secularists got the great roles From now on no oppositions stood against the plans of Britain .Later the first government was consisted in Baghdad on 2/11/1920 with the presidency of Abdurrahman Naqib .Provisional Parliament was made and the establishments were followed such as the Constitution , Parliament ,King and Army ,all these were made by Britain. Then Britain started a continuous attempt to indicate the Iraqi boundary with Syria, Jordan, Saudi, Kuwait, Iran and Turkey according to the 12 Matter of deputization .Britain was the Iraqi representative in these works. In fact the Iraqi government did not have the Foreign Ministry therefore Britain had to give the yearly report for the League of Nations as far as the Iraqi development was concerned to be a country. On 1932 Britain suggested the League of nations to admit Iraq. In return for the League of Nations asked Britain to give a yearly report which talked about political ,law and Iraqi condition and Iraq should write a commitment which promise not to deviate from the general trends and international law .

In this way on Monday ,13/10/1932 at 11:15, Iraq became the first Arab country and graduated of the deputization school and also became the member in the League of Nations as a n independent country. Britain executed its plans as it had starched.

What is deserve to be mentioned and concluded is that What is the meaning of coming an imperialistic country like Britain, passing thousands of miles spending a lot and making a lot of murdering so as to make this great favour with the people of Iraq, creating a country for the Iraqis, bringing the king, setting the constitution, creating the army, and later making this country a member of the League of Nations as an independent country. What is the purpose

of these? In short and abstractly, the creation of Iraq is a part of imperialistic project against the Islam and the regional nations so as to make them staying behind, not having security. The solution is that to disconstruct the plans and build a good base to build the country especially in the Middle East on one of the following bases:

1-If it is Islamic, let will be no boundary and create a caliphate.

2-If it is on the national base, let will be a national country for each country.

3-If it is on the base of national interest and living together, this should be done by an optional union not forcefully.

In this way this place and Iraq should be saved in this long crisis and the Iraqi nations especially the Kurdish should be free to choose one of the three above conditions.

المؤلف فى السطور

*الاسم : مسعود عبدالخالق محمدامين
*تأريخ الولادة : 1957. اربيل/ كوردستان العراق
*موبايل:07504499042
*عنوان الالكترونى: abdkaliq@gmail.com
*خريج جامعة السليمانية عام1980-1981 ،
*فى عام 2007 حصل على شهادة ماجستير(phil) فى الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية فى لندن - قسم: فلسفة العلوم السياسية.

وللباحث تأليفات التالية:

1 - موسوعة الجودى السياسية - بالغة الكردية, نشر فى عام 2008.
2- بحث بعنوان نصوص اتفاقية سيفر وقراءة اخرى – بالغة الكردية , نشر فى عام 2009.
3- كتاب بعنوان (المرأة فى منظور العلمانية والدينية) – بالغة الكردية, نشر فى عام 2010.
4- كتاب (مستقبل الفدرالية بعد خروج العراق من فصل السابع) –بالغة الكردية , نشر عام 2010.
5-كتاب بالغة العربية بعنوان (الحالة الاسلامية فى كوردستان-مشارك), نشر عام 2008 بتعاون مع مؤسسة المسبار.
6- مشكلة جزائر واثرها على قضية الكوردية .
7- بحث وثائقى بعنوان(هوية كركوك حسب الوثائق الدولية) باللغة الكوردية ،وتمت ذلك بالتعاون مع (اتحاد برلمانى كوردستان).
8- كتاب فلسفى بعنوان (الوضع الفلسفى فى قرن 21)-طبع فى بيروت.
9- هوية احزاب الكوردستانية -بالغة الكوردية .
10- بحوث اخرى الكردية والعربية .

" الإسلام والعلمانية وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة"

الإسلام والعلمانية
وأثرهما في نشأة الدولة العراقية الحديثة

جلد الثاني

مسعود عبدالخالق محمدأمين